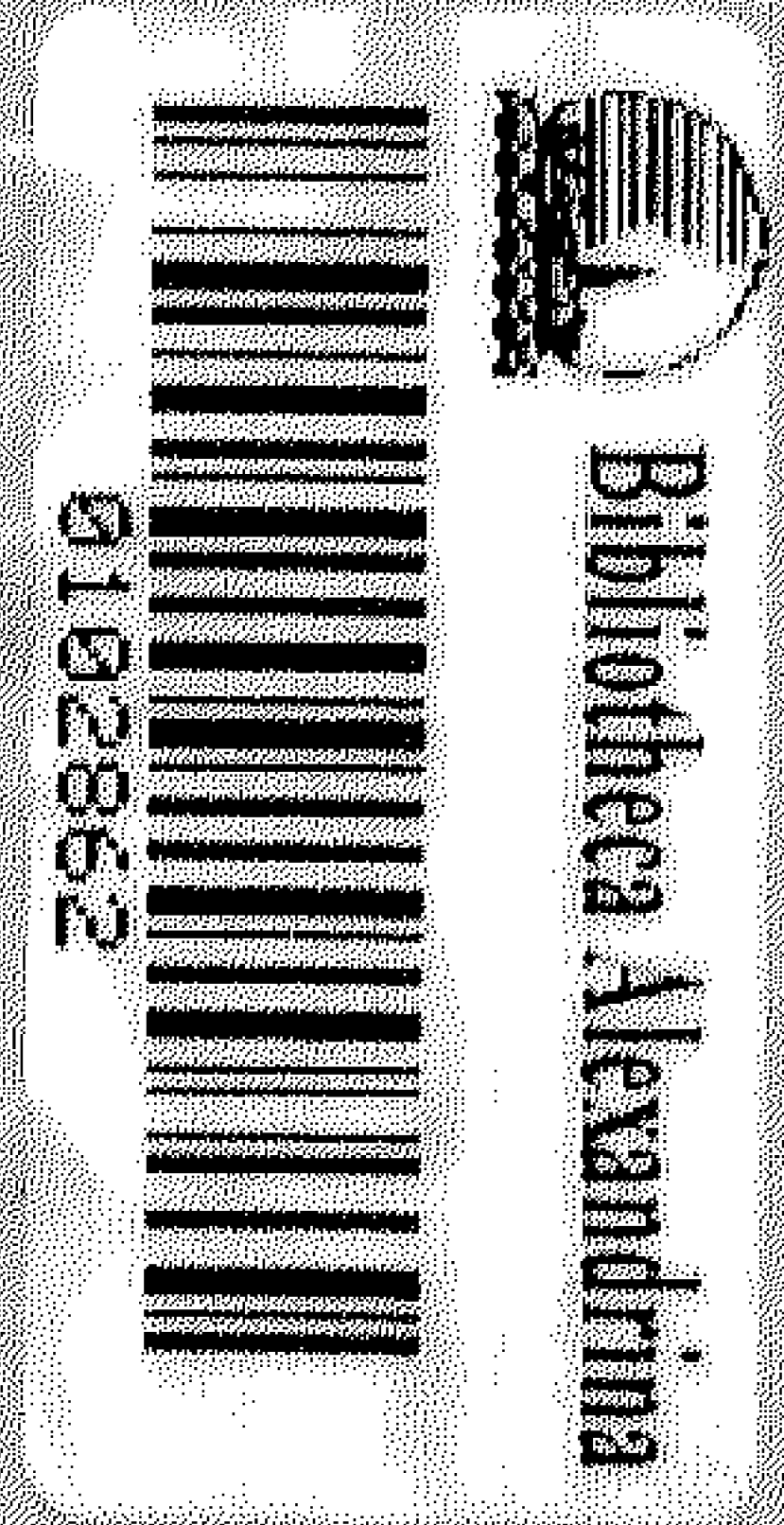


المكتبة العامة لجامعة القاهرة

مجلدات

الطبعة الأولى ١٩٨٢



Bibliotheca Alexandrina
0102862

21686

442.781

6 J 000

5

مِصْبَاةُ اللُّغَةِ

الطبعة الأولى

1977

الطبعة الثانية

1391 و. ر - 1982 م

ص
ب
959

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان
طرابلس - الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

حقوق الطبع
والإقتباس والترجمة
محمولة للناس

21497

الدكتور عبد الحميد السلفاني



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie

مَصَادِرُ اللُّغَةِ

الهيئة العامة	مكتبة
رقم التوثيق	492.181
رقم التسجيل	٢٤٤٢٩

مَنْشُورَات

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان
طرابلس - الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

تسألني أمة أهديتها الكتاب ،
لأنها تجد فيه حبيبتي ، ولعل تدرك أيتها
في السور سين حبسة القلب .
إلى ابنتي

المؤلف

تصدير

يتعين علينا ، ونحن نقدم تأليفا عن مصادر اللغة ، أن نشير الى قضية تناولها العلماء القدامى عن أصل اللغة ، هل هي توقيف والهام أم اصطلاح ووضع ،

وأغلب الظن أن الذين قالوا بتوقيفية اللغة هم أصحاب الرأي بأزلية القرآن ، وأنه غير مخلوق ، فوجب ليستقيم رأيهم هذا ، وليكونوا منطقيين مع أنفسهم ، أن يقولوا أن اللغة توقيف ، والهام ، ووحى .

كان أحمد بن فارس يقول بالتوقيف ، جاء ذلك فى كتاب الصحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) ثم يقول « والدليل على صحة ما نذهب اليه اجتماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك فى الاحتجاج بهم بأولى منا فى الاحتجاج لى اصطلاحنا على لغة اليوم ولا فرق » ونفى الاصطلاح الى زمانه وقال : « وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب فى زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم » .

هذا كلام ابن فارس ، ولم يأت فيه بحجة بالغة ، ولا رأى مقنع ونحن نعلم أنه في كل وقت يجسع الناس على تسمية شىء من الاشياء مصطلحين عليه ، وهل الترادف الذي عرف فى العربية الا من اختلاف ألسنة القبائل ، وهل اختلاف الألسنة الا دليل التواضع والاصطلاح وليس من المعقول أن يصدر الترادف من ناطق واحد ، كل ما هنالك أن الدائرة التي أحاط بها بصر ابن فارس كانت من التحديد بحيث لم ير فيها وضعاً ولا اصطلاحاً .

وعقد ابن جنى في كتاب الخصائص حديثاً مطولاً تلخص محصلته فى تأويل الآية الكريمة (وعلم آدم الاسماء كلها) أن الله أقدر آدم على أن واضع عليها وإن بقى مشدوداً بسبب لطف العربية وجمالها الى الميل نحو التوقيف ، كأنه يقف بين الرأيين وذلك حيث يقول (واعلم فيما بعد أننى على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع ، فأجد الدواعى والخوارج قوية التجاذب لى ، مختلفة جهات التغوُّل على فكرى . وذلك أننى اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقّة ما يسلك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السبحر فقوى فى نفسى اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحى) .

ولابن جنى ، هذا العالم اللغوى الفيلسوف الفذ مكانة أوقفتنى مبهوراً تدبر هذا الذى يقوله ، وأراجع معه حجته ، ولم يطل وقوفى حتى وجدته قد مال عن رأيه هذا ، وعبر عن هذا التردد بقوله :

(..... ثم أقول فى ضد هذا : كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة ، كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عنا - من كان ألفت منا أذهانا ، وأسرع خواطر ، وأجراً جناناً فأقف بين التين الخلتين حسيراً) .

ولم يلبث أن وجد التفسير بعد أن مازج بين التوقيف والوضع بقوله : (ان الله أقدر آدم) وفى هذه الجملة وحدها - فى رأى - تفسير القضية - ولعله يعنى أن ناحية التوقيف هى ما تميز به الانسان من قدرة على التلفظ بعد فهمه للدلالة ، فالدلالة تواضع ، أما التلفظ فهى الميزة غير الغريزية التى زاد بها الانسان عن سائر المخلوقات ، فالانسان على اختلاف أجناسه وألوانه هو المخلوق الذى استطاع أن يدرك العلاقات بين الموجودات ، وأن ترتبط عنده اللغة بالفكر ، وفى هذا كان ارسطو دقيقا عندما عرف الانسان بأنه الحيوان الناطق وشرح الناطق بأنه المفكر .

والصوت من أبرز العلاقات الموجودة بين الكائنات ، حتى بدا لبعض العلماء ومنهم ابن جنى أن بعض الالفاظ مستمد من أصواتها فى الطبيعة كدوى الریح ، وخرير الماء ، ومعنى هذا أن الذين اصطالحوا على اللغة ، قد أدخلوا فى اعتبارهم الجرس الصوتى وان لم يجعلوا منه قاعدة عامة . وتأكدت بذلك قاعدة الوضع وليس التوقيف .

ويرى « ساير » أن الالفاظ هى مجرد صوتيات يميز بها الانسان تجاربه الحسية أو المعنوية ، ويخترنها لتكون مؤوئته من المعرفة ومن وسائل الحصول على معارف أخرى ، ويتم التفاهم بواسطتها حين تطرق آذاننا بمجرد سماعها مشيرة الى نتيجة من نتائج التجربة المعروفة لدى القائل والسامع لانهما اصطالحا على أن يعطاها تلك الدلالة ، ولكى يتم هذا الارتباط بين الاسم ومسماه يجب أن تتكرر التجربة المؤدية الى هذه المعرفة مرارا .

وعلى هذا الاساس فليس فى اللغة شىء توقيفى الا هذه القدرة التى أودعها الله فى ملكات الأدميين وميز الانسان بها عن الكائنات الاخرى

ـ أما التبجيل الذى لف العربية بهالة من القداسة فمرده الى هذه الآثار الشامخة من الدين والفكر والادب التى سجلت بهذه اللغة .

والفارق بين العربية وبين اللغات الاخرى هو هذه الديسومة التى صاحبت العربية منذ نزل بها القرآن الكريم ، ونحن نعلم أن اللغات بصفة عامة كالكائن الحى تولد مع الاحياء وتنمو بنسبهم ، وتتعرض لعوامل التأثير والتأثر باللغات الاخرى ، الا أن العربية قد وضعت فى سياق متين يسمح بخلودها ، ويسمح باستعدادها لتقبل المزيد دون أن يسمح بفقدان حرف واحد ورد فى القرآن الكريم . وعبر عن ذلك المستشرق ارنست رينان بقوله « ولست أدري اذا كنا نستطيع أن نجد مثلاً آخر للهجة شقت طريقها فى العالم دون أن تمر بمرحلة بدائية ومراحل وسطى ودون تعثر » .

وعلى يوهان فك لخلود العربية بقوله « ان لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم أيا كانت لغته الاصلية جزءاً لا ينفصل من حقيقة الاسلام »

والقرآن الكريم هو الدافع الاول لرواية اللغة ، وابتعث ماضيها ، وبقائها حية ، والقرآن أكثر المصادر طمأنينة وتوثيقاً للعناية الفائقة التى صاحبت نزوله ، فقد تفرغ نفر من الصحابة رضوان الله عليهم يتلقونه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ، ولا اثباتاً ولا حذفاً ، ولا دخل عليهم منه شك ولا وهم ، ثم تناوله القراء بالعناية على النحو الذى سنفصله بعد ـ ثم جمع ودون مع بقاء روايته محاطة بالعناية الشديدة .

ومن خلال الشروح ـ وضع اللغويون أيديهم على كلمات أدركها القدم ، وكلمات عرفت لقبائل بعينها ، وعبارات تجرى على ألسنة العرب

لا يدركها تفعيد النحاة على النحو الذى ورد فى كتاب المجاز لأبى عبيدة معمر بن المثنى وهو يعنى بالمجاز بيان الاساليب التى يستعملها القرآن فى التعبير عن أغراضه . كما أشار اللغويون الى مواقع الذوق اللغوى فى القرآن حين يكتفى عن الشئ بلفظ أرفع وأكثر تأدبا فى مثل ما ورد فى قواه تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) وقوله (أوجاء أحد منكم من الغائط) الى غير ذلك من الاساليب التى تفصلها فى البحث .

ولهذا جعلنا القرآن الكريم على رأس مصادر العربية . ونحن نعلم أنه يأتى فى مرحلة تالية زمنيا لبعض المصادر الاخرى ، فهو أهدأ وليس أقدمها — ذلك لأن العرب وان اختلفوا فيه ككتاب دين ، فلقد اتفقوا على عربيته المعجزة ، واخلوص عربيته كان الفخر الرازى يقول متعجبا : اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى .

وبالباب الثانى (رواية الحديث) وصلته بمصادر العربية لا يأتى فى المرتبة الثانية بعد القرآن ، ولا يأتى كذلك فى المرتبة الثانية تاريخيا . ذلك أن كثرة من اللغويين لا يعتمدون على الحديث فى مجال الرواية اللغوية للآفات الثلاث التى صاحبت روايته من الناحية اللغوية وهى الرواية بالمعنى ، والتصحيح ، والوضع . فكان سفيان الثورى يصرح بأنه يروى الحديث بالمعنى ، وقد أبيع ذلك لمصلحة تحصيل الحكم منه .

وتشابهت الكلمات المصحفة حتى غمت على رجال اللغة أنفسهم — وذكر ابن منظور مثل هذا الاختلاف وهو يروى الحديث (اتقوا على أولادكم قسحة العشاء) قاله أبو عمرو بن العلاء بالفاء ، وقاله عيسى بن عمر الثقفى بالقاف . ويتعدد هذا فى الحروف المتماثلة فى الخط المختلفة فى النقط .

أما الوضع فكان وسيلة الفرق حين توزعت أهواء المسلمين السياسية والمذهبية واشتهرت بيئة العراق بذلك ، وإذا ذهب الخوارج مثلاً فى سبيل تأييد مذهبهم الى وضع الحديث ، فإن الذين فاؤوا الخوارج قد لجأوا الى نفس الوسيلة . يقول المبرد : كان المهلب ربما صنع الحديث يشد به من أمر رجال الدولة ، ويضعف من أمر الخوارج ، فكان حتى من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحاً اليهم قالوا : راح المهلب يكذب .

ومن العلماء من وضع الحديث ترغيباً فى الدين ، وجره حسن المقصد الى تبرير الوضع وكأنه يضع الحديث حسبة . واستفاضت هذه الآفة على ألسنة رجال حسن مقصدهم لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث . من وجوب الثبوت والتخرج ، فنشطت على الاثر حركة تنقية الحديث . فأخرج الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقانى كتاب (الاباطيل) وكتب أبو الفرج بن الجوزى كتاباً فى الاحاديث الموضوعية ، أسماه « كتاب القصص والمذكرين » أشار فيه الى جناية القصاص فى وضع الحديث كما ألف كتاب « الموضوعات » وفيه فصول عن القصاص وأكاذيبهم ، وكذلك حمل شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية حملة شعواء على القصاص الذين روجوا بضاعتهم بالاحاديث ، وله فى هذا كتاب « احاديث القصاص » والمسيوطى عدة مؤلفات فى تنقية الحديث والاشارة الى الموضوع منها .

ولكن لم تمض هذه الآفات من غير فائدة، فقد وردت بعض الاحاديث ملحونة نتيجة لشوب الرواية — وبديهي أن النبى صلى الله عليه وسلم أسمى العرب حديثاً — فكان بعض الرواة وأصحاب المعرفة بالعربية يقيمون اعراب الحديث ، ويصلحون ما فيه من لحن — بدأ ذلك النضر بن شميل . وكان الاوزاعى يوصى باصلاح الحديث ويقول : اعربوا الحديث فان القوم كانوا عرباً ، وكان الشعبى يصرح بتغيير شكل الحديث ليستقيم اعرابه .

ولكن الامر فى الحديث كمصدر من مصادر العربية لم يترك جملة ، فقد تناوله أصحاب المعاجم ، واحتجوا به ومن غير أصحاب المعاجم احتج به أبو زكريا الفراء ، وابن قتيبة وآخرون . كما أثرت العربية من خلال الشروح والتفسير التى تناولت الحديث - ذلك أن رجال الحديث كانوا يدركون أنهم يروون أثرا عربيا له خطره ، فكانوا يذهبون الى علماء اللغة فى سبيل التعرف على غريبه ، وكتب فى غريب الحديث جل علماء اللغة الى أن جاء أبو عبيد القاسم بن سلام ، فوضع كتابا جامعاً رغب فيه علماء اللغة والحديث والفقه جميعاً ، ثم حذا حذوه أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، وكتب الزمخشري كتاب الفائق فى غريب الحديث ، وأفاد من هذه الكتب ابن الاثير الجزرى حين وضع كتاب « النهاية فى غريب الحديث والاثار » ، وجاءت بعض الاحاديث على لهجات القبائل كحديث صلوات الله وسلامه عليه ، الى رؤساء اليمن وغيرهم ، فاشتملت على كلمات عرف بها الشراح كابدال النون من العين فى أعطوا حيث يقولون (أنطوا) وابدال لام التعريف ميما كما جاء فى الحديث (ليس من امبر امصيام فى امسفر) ***

والحديث لا يحتل المركز الثانى من مصادر العربية ، ولكن تداعى الخواطر أمام القرابة الواشجة بين القرآن والحديث ، ومجىء التعاليم مجملة فى الكتاب وقيام السنة بتفصيلها تسائلت عن دور الحديث بين المصادر ، وتفرض عليك بيان الوجه فى هذا الترابط ، ولهذا وحده أفردنا له الباب الثانى .

وكان الشعر أغزر المصادر ، وأوسع الاوعية التى أمدت العربية بالمدد الواسع وهو أقدمها أيضاً ، واذا كان الذين أرخوا للشعر الجاهلى لا يستطيعون الغوص وراءه الى أكثر من قرن ونصف قبل الاسلام فانهم لم ينفوا قيامه قبل ذلك بكثير .

والكثرة الكاثرة يضعون الشعر فى المرتبة الاولى من مصادر العريية، ولا يغير من أهميته وسعته أن وضعناه فى الباب الثالث للاعتبارات التى نوهنا عنها ، تناولنا الشعر فى الجاهلية بشئ من الايجاز لأنه صريح العروبة ، والذين حاولوا افتراض الشك فيه كمنهج من مناهج الدراسة تلقوا من الرد على هذا المنهج ما أشبع الموضوع بحثا .

ولم نكتف بمثل هذا الايجاز فى الفترة الاسلامية حين تطالعنا النصوص بقضية ضخمة تستند الى خبر منسوب لعمر بن الخطاب يقول فيه (لقد كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه) ثم تجد تعقيباً لمحمد بن سلام الجمحى على هذا الخبر يقول فيه (فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته) تمهلنا فى قبول هذا التعليق ، ونحن نتصور وفرة الشعر بسبب الدواعى الى قوله : معارضة للدعوة ، أو تأييداً لها ، وهجرة الى مواطن أكثر أمناً ، وحرباً تدور بين العرب والعرب ، ورثاء للقتلى ، ووفوداً تأتى مستكشفة أمر هذا الدين ، الى غير ذلك .

وكان الراشدون يعنون بالشعر ، وفى مقدمتهم عمر رضوان الله عليه ، لم تلههم الخلافة وأعباء الفتوح عن الخوض فيه ، واذا كان هذا الشعر يرتبط بالدعوة على وجه من الوجوه ، فإن المنازع الى قول الشعر فى الجاهلية قد عاشت فى البادية لهم تتأثر بالدعوة فى كثير . فالاعشى الذى أعد قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم بالخروج اليه ليعلن اسلامه ، كان مجيئه استمراراً لمسلكه فى الجاهلية حين كان يتجر بالشعر ، وللحطيئة من الاخبار ما يدل على أعرابية جافية ، ثم كانت عودة الى العصبية الجاهلية حين قامت الدعوة الاموية - بالاضافة الى ذبوع شعر الغزل فى الحجاز وقيام الهجاء بالعراق ، والمديح بالشام ، والهراش

بين الفرق المختلفة شيعة وخوارج ومرجئة وشعوية... على النحو الذي فصلناه في البحث .

كان لا بد لنا أن نتوقف أمام تفسير محمد بن سلام الجمحي للخبر الذي نسب الى عمر بن الخطاب ، وكان لا بد من فضل بيان عن الشعر في هذه الفترة وهو جل بضاعة الرواة في سبيل بحثها عن اللغة ومصادقها حتى بدا لنا أننا أطلنا الحديث عن الشعر وكأننا نعالج قضية أدبية ، وترددنا في الابقاء على هذه السعة ، أو الاكتفاء بالإشارة اليها في الهوامش ، فلما حاولنا الاقتضاب خشن البحث ، وصعب تناوله فسرناه بقليل من الاطناب نستريح اليه من جفاف البحث البحث الى تروية الرواية المفصلة .

وجاء علماء اللغة - وأصبحت الرواية اللغوية علما تعد له الاصول ، ويشترط فيه الاركان ، كان علينا أن نبين نشأة هذا العلم ، واتجاه علمائه في البصرة بادىء الامر ، ثم في الكوفة على أثرها ، قبل أن يأخذ سبيله الى بغداد والامصار الاخرى فحين دعت الدواعي الى جمع العريية ، وتدوينها ، نشطت لذلك بادىء الامر مدرستان الاولى في البصرة ، والثانية في الكوفة ، وعماد المدرستين التسليم بما نطق به العربي الخالص العروبة - والاصل الوحيد المدون ، والمتفق عليه هو القرآن الكريم ، وهو أصل لا يجمع كل ألفاظ العريية ، فذهب كل فريق يلتمس اللغة من أفواه خلص الاعراب ، ولهم في ذلك رحلات الى قلب الجزيرة استمعوا فيها الى كل ما صادفهم من غير تمييز ما دام قد تحقق شرط البداوة أو خلوص العروبة فنقلوا عن رجال ، ونساء ، واماء ، وصبية ، ومجانين .

وأراد بعضهم أن يستوثق الى ما نقل فدون الى جانب الكلمة بعض العبارات التي تشير الى موطنها أو قبيلتها ، كأن يقول : سمعت كذا من

صبية يرتجزون ، أو رأيت امرأة تسأل بمنى ، أو سمعت سروية مستجدية بمكة تقول كذا وكذا . وذهب بعضهم يتبع الكلمة بشاهد من الشعر أو الرجز يقوم حفظه مقام تدوينه ، أو تدون الكلمة والشاهد زيادة فى التوثيق ، وقد ينسب الشعر أو الرجز لقائله ، وقد يترك غير منسوب الى أن يأتى الشراح بعد ذلك فيكملون هذا النقص ، ولكن هل يصلح هذا العمل بصورته هذه ليكون أصلا من أصول اللغة ؟ وما رأى فيما أسفر عنه هذا الجمع من شواذ يصعب دركها تحت شعار نادوا به وهو أن كل ما يقوله العربى أصل من أصول اللغة ؟

لقد كان أوائل اللغويين من الغلو بحيث كانوا يمتدحون العالم يحفظ الكثير من غامض اللغة أو غريبها ، كان الزبيدي يصف يحيى بن يعمر بأنه (كان فصيحاً عالماً بالغريب) ، وكان الغريب بغية الاصمعى من المربد ، وألف فيه كتاباً باسم غريب الحديث والكلام الوحشى ، وعنوا بالنوادر أيضاً على أنها الفرائد لا تجرى مجرى المطرد المقيس دائماً .

ولكن العقلية البشرية ما لبثت أن ظهرت مازة عن الدراسات التى نشأت وعاشت فى العراق ، كانت الدراسات اللغوية فى البصرة تختلف اختلافاً واضحاً عنها فى الكوفة ، فلقد تهيأت الأسباب للثقافة اليونانية أن تأخذ مكانها فى إقليم ميسان قبل أن تبنى فيه مدينة البصرة ، وأتيح للجنس اليونانى أن يعيش هناك ، وتكونت بها جاليات تعمل فى البحرية التجارية ، وكانت هذه الجالية تدين بالمسيحية ، ويصطنع رؤساؤها الجدل تبشيراً بهذا الدين أو دفاعاً عنه ، وكثير من الكتب التى ظهرت فى البصرة تشير الى سبق علمى ذهب كثير من العلماء فى تعليقه الى أنه أثر من أثر الثقافات التى انتقلت الى البصرة من هندية وهلمنية ، وتأثرت بها العقلية البصرية ، ككتاب العين المنسوب للخليل ، وكتاب سيبويه فى النحو ، ومجاز القرآن لأبى

عبدة ، ولقد قام حول هذا الكتاب الاخير اختلاف كبير لأنه آثر الناحية العقلية على الناحية النقلية •

وجد البصريون أن الاحاطة بكل شيء أمر لا يمكن دركه ، فكان أبو عمرو بن العلاء يجمع اللغة تحت كليات مطردة ، حتى سأله سائل : أخبرني عما وضعت مما سميت عريية أيدخل فيه الكلام كله ؟

فقال : لا •

فقال : فما تصنع فيها خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟

قال : أعمل على الأكثر ، وأسمى ما خالفني لغات •

ولكن الكوفيين لم يروا هذا الرأي ، وجوزوا القياس على كل ما سمع من العرب • ولكن لا يجب أن نحمل العقل البشري فوق طبيعته ، ولا ننتظر حتى من أولئك الذين كانت تسعفهم سليقتهم بأسباب الاستظهار أن يحفظوا العريية كلها ، ولا أن يجمعوا الى سنتهم السنة القبائل الاخرى وان تعملوا لذلك أشد العمل •

لقد بدأ جمع اللغة في البصرة ، فحاول الرواة وضع مجاميع لكل موضوع ، وحاول الخليل بن أحمد جمع المستعمل من اللغة كلها في كتاب ، ولم يأت كلام الرواة جميعا متققا كوقع الحافر على الحافر ، فاستعان أكثرهم بشواهد من كلام العرب ، لم تأت هي الاخرى فوق مستوى الشبهات ، فقد تغير لسان زيد بن كثوة بالرغم من اتخاذ منزله بين البادية والحاضرة ، وكذلك اتهم الفقعسي ، ولان لسان أبي خيرة ، وكان رؤبة يزخرف الكلام ليونس بن حبيب الى غير ذلك • فاختلفت معايير التوثيق عند العلماء الرواة •

كان أبو عمرو لا يرى الشعر الا للجاهليين ، ولا يحتج بشعر اسلامي وان أعجب بجرير والفرزدق ، وكان الاصمعي يوثق الشاعر ويحتج به ، ولا يراه كذلك في خصوصية أخرى ، بل لم يكن الشعر الجاهلي متقبلا عنده بصفته المطلقة فلقد عاب عدى بن زيد ، وأبا دؤاد الايادي لأن ألفاظهما ليست بنجدية ، وكان ابن الأحمر الباهلي شاعرا جاهليا أدرك الاسلام ، وكان يعيش في أفصح بقعة من الارض — يذبل والقعاقع — ولكنه أتى بألفاظ غريبة لم تعرف عند غيره . وحار فيها اللغويون فلم يستطيعوا العزوف عنها ، ولا الاسراف في تناولها — وبسبب نشأته الخالصة العروبة كان ابن جني يعلل لتوثيقها بقوله « ربما أخذها عن ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، واما أن يكون شيئا ارتجله ابن الأحمر فان الاعرابي اذا قويق فصاحته ، وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله . »

ومثل هذا تجده عند أمية بن أبي الصلت حين كان يأتي في شعره بألفاظ لا تعرفها العرب ، فلا يستطيعون دفعها لأنه كان أشعر ثقيف — ووقفوا أمامها بين الاعجاب والحيرة فكان الكميث يقول : أمية أشعر الناس قال كما قلنا ، ولم نقل كما قال . وقال الحجاج : ذهب قوم يعرفون شعر أمية . وبسبب الغيبات التي بدت في شعر أمية كان ابن قتيبة يقول : علماؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة .

وفي العصر الاسلامي نجم من الشعراء الفصحاء أمثال بشار ، وأبى نواس أما الاول فكان يملك حسا دقيقا يدرك به خصائص الشعر الجاهلي ، وكانت جلة الرواة تعظمه ، ولكن تأخر أيامه كانت سببا في توقف بعض الرواة عن الاحتجاج بشعره ، فكان الاصمعي يقول : والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم أما أبو نواس فقد تسليح بالرواية الغزيرة ، وهو يحكى بعض ذلك فيقول : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة

من العرب منهم الخنساء ، وليلى ، فما ظنك بالرجال » وشهد له الجاحظ فقال : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس ، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ، ومجانبة للاستكراه ، ولكن يبدو أن ما أشيع عليه من المجون كان سببا فى عزوف رواة اللغة عن شعره .

والشعر — وهو أوسع مصادر اللغة قد دخله الريب — بسبب مسلك بعض قائله أنفسهم — حين أحسوا بأن هناك من ينتظرهم ليأخذ شعرهم — قالوا عن الكميت والطرماح أنهما كانا يسألان رؤبة وأباه عن الغريب ، ثم يرى هذا الغريب بعد فى أشعارهما فى غير مواضعه ، وقد يرتاب فيه أيضا حين تسمع هذا الخبر عن رؤبة وأبيه فتتساءل لماذا تعتمد هذان الرجلان استعمال الغريب والمباهاة به الا أن تكون اللغة قد داخلتها الصنعة ، فكان من صناعاتها أمثال العجاج ، ورؤبة وأمثال الطرماح والكميت حين بدأ الجميع يحرصون على الغريب .

والشعر من وجه آخر ، ليس أمثل المصادر ، فقد يضطر الشاعر الى استعمال كلمة مكان كلمة فتأتى كطلب الوزن والقافية لا كطلب الدلالة التى يرجوها الشاعر ، فقد يستعمل العسل بدل الذوب وهما يختلفان .

والشعر أوسع الابواب لدخول التصحيف فى اللغة ، والمجال هنا أضيق من أن نعدد الامثلة ، وبحسبك هذا المثال ، فالبكرة النخيس هى بكرة من خشب قد اتسع ثقبها من الاستعمال ، فوضعوا فى ثقب البكرة خشبية ، وظل الجوهري صاحب الصحاح يتردد فيها أهى بخاء مهملة أم بخاء معجمة الى أن سمع صحتها من أعرابى تميمى فضرب على شعر يخالف قول الاعرابى ، وقد يأتى التصحيف بمعنى أجمل ، ولكن هذا الوجه قد يفيد النقد ولكنه يدخل الشوب الى اللغة .

وبسبب الوزن والقافية رخص للشاعر بما لا يجوز في عموم اللغة ،
ومن ثم فلا يجوز ضبط اللغة أو قياسها على شعر شيب بضرورة ، وبعض
هذه الضرورات وصف بالقبح كقول علباء بن أرقم مبدلاً التاء من السين :

يا قبح الله بنى السعلات

عمرو بن يربوع شرار النسات

غير اغفاء ولا أكيات

الى غير ذلك من زيادة في بنية الكلمة أو نقصان فيها ، أو خروج على
مألوف جموع التكسير - ونتيجة لذلك ارتابوا في كثير من شواهد
الشعر ، ومن حقهم أن يرتابوا بعد أن رأوا بعضه مصنوعاً ليؤدي غرض
الاحتجاج به ، رأوا شاهداً لحذف التاء في جواب الأمر ، فلما عرضوه
على الأصمعي صححه ، فلما سئل في ذلك وعن الرواية الأولى قال : (ان
النحويين صنعوها) والمبرد ونحن نعلم أنه من شوامخ العربية يختلق
شاهداً من الشعر في مجلس عيسى بن ماهان ، فلما افتضح أمره قال
لعيسى : (أثقت أن أرد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع فأول ما
تسألني عنه لا أعرفه) ولهذا تستطيع القول أن الشعر أوسع أوعية اللغة
وليس أوثقها •

وحديث الأعراب مصدر من أنقى المصادر العربية - ان سلم من
شوب الرواية - فحرص طلاب العربية في البصرة على أسماع الأعراب ،
وملاحظة مخارج الحروف ، وتعلقوا بمن نزل منهم البصرة الى أن قلت ثقة
الطلاب فيهم بطول مكثهم في الحضر ، وتعين عليهم أن يطوفوا في البادية
ليأخذوا عن أهلها •

كانت عادة قديمة ، أن يلتحق الصبيان ببعض القبائل الفصيحة

لينشأوا على ألسنتها ، كان محمد بن ادريس الشافعى يلزم هذيانا فكانت
الفصحى من مناقب الشافعى ، وكان الامويون يرسلون بأبنائهم الى البادية
ليفصحوا ، وندم عبد الملك أن استثنى الوليد من هذه القاعدة فقال : أضر
بالوليد حينا له فلم ترسله للبادية .

طوف طلاب العربية فى البادية ، وسمعوا من القبائل القريبة فى
البحرين ونجد ، وما لبثوا أن أوغلوا فى الحجاز ، رأوا وسمعوا من
السيوخ والنساء والولدان جدا وهزلا ، عرفوا أطعمتهم ، وألوانها ،
وأسماءها - رأوا نبت البلاد غب الغيث اذا حنت عليهم الطبيعة ، واذا
حزبتهم فى الشظف والاعسار سمعوا أنسابهم الى آجال بعيدة واستقرت
المثالب فى أذهان الشعوبيين من الرواة فضايقوا بها العرب مشافهة أول
الامر ، وتدوينا من بعد ذلك وتداخل كل ذلك فى رواية اللغة .

عادوا بعلم غزير ، وبات رجل كأبى عمرو بن العلاء يضع نتيجة هذا
السعى فى ايجاز شديد بعد أن أحرق كتبه فقال : أفصح الشعراء لسانا
وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث : الجبال المطلة على تهامة مما يلي
اليمن فأولها هذيل وهى التى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة ، والسراة
الوسطى وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ، ثم سراة الأزد - أزد شنوءة
وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد - وحدد أبو
زيد القبائل التى اختارها فقال : « لست أقول قالت العرب الا اذا سمعته
من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبنى كلاب وبنى هلال أو من عالية السافلة
(نجد) أو سافلة العالية (المدينة) »

وللامثال دور فى مصادر العربية ، والعرب لا يعولون كثيرا على
الكتابة ولذلك فهم فى حاجة الى المؤثرات المقنعة فى مجال المشافهة واللقاء

— والامثال ابلغها تأثيرا فهي كما يحكى أبو هلال « من أجل الكلام وأنبه وأشرفه وأفضله لقللة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مثنوئتها على المتكلم مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها ، ومن عجائبها أنها مع ايجازها تعمل عمل الاطناب ، ولها روعة اذا برزت فى أثناء الخطاب ، والحفظ موكل بما راع من اللفظ ونادر من المعنى . لذلك تناولنا الامثال بالقدر الذى تحتله فى مصادر اللغة .

ولدينا مصدر اقتنح على العريية دارها ، ودار فى فلکها ، ونطق به أوائلهم ، جاء منه فى القرآن الكريم ألفاظ اختلف فى أمرها الرواة ، فقالوا عريية ، وقالوا دخيلة ومعربة ، ومنهم من توسط بين القولين فقال عريية بتعريبها القديم دخيلة بغربتها الاقدم ، فلما رحبت أرض العريية دخل الديوان فى هذه السعة ومعه رجال يزاوجون بين اللغات ، ومن الطبيعى أن يدخل من هذا الباب ألفاظ تتصل بالمكايل والموازين والمساحة والزراعة والتجارة مما لم يكن للعرب به عهد . ومع حركة الترجمة التى بلغت ذروتها فى الدولة العباسية دخل الى العريية ألفاظ على هيئتها فى لغاتها الاصلية أو قيسست على العريية ولبست ثوبها ، دار جزء من ذلك فى مسامع الناس ، وبعضه دار على السنة المشتغلين بالطب والفلسفة وغير ذلك ولهم فيها معاجم يعودون اليها ويدرون أبحاثهم على أضوائها .

كان من الممكن أن ينتهى كتاب (مصادر اللغة) بانتهاء الباب الرابع ، ولكن الفصحى سواء ما جاء منها فى التنزيل الكريم ، أو فى مجامع الكلم عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو فى الشعر هذا الرافد الضخم ، أو كلام الاعراب والمتعربين انما انتهت جميعا الى حصيلة كما تتجمع الروافد لتصبح نهرا كبيرا .

كان هذا النهر الضخم هو المعاجم التي أخذت وجهين في وقت واحد:
هذه المجاميع أو الكراسات التي جمعها الرواة بحسب الموضوعات في خلق
الانسان ، أو الوحوش أو النبات ، أو في كتب الصفات التي جعلت هذه
الرسائل كتيبات في كتاب كبير كما ظهر في كتاب الصفات للنضر بن شميل،
أو الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، أو كتاب الالفاظ لابن
السكيت ، أو مبادئ اللغة للاسكافي وبلغت سعتها عند ابن سيده في
كتاب المخصص .

والوجه الآخر هذه المعاجم التي حاولت احصاء العربية كما ظهرت في
كتاب العين للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والبارع للقالى ، والتهذيب
للأزهري ، والصحاح للجوهري ، والقاموس للفيروزبادي ، ولسان العرب
لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، فكان من تمام البحث أن نعرف
بهذه الحصيلة التي كانت ثمرة الجهود لجمع اللغة .

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه فجر الاربعاء الحادي عشر من شعبان
سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة - الثامن والعشرين
من اغسطس سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف .

الباب الأول
القرآن الكريم

الفصل الأول

لماذا وضعنا القرآن أول مصادر الرواية

قد تقف كما وقفنا ، وتتساءل كما تساءلنا هل القرآن سبب من أسباب الرواية اللغوية ، أو مصدر من مصادرها ؟ وإذا كان سببا ومصدرا ولا يمنع أحدهما الآخر فلماذا وضعناه على رأس المصادر وهو يأتي تاريخيا بعد مصادر أخرى •

لقد تحدثنا في كتابنا (رواية اللغة) عن دواعي الرواية وكان على رأس هذه الدواعي ، تأويل القرآن الكريم ، ذلك ان القرآن كتاب المسلمين المقدس جاء بأصول هذا الدين ، وبكثير مبادئه ، وآدابه ، ونهض علماء المسلمين يستنبطون منه القواعد التي تنظم علاقات المجتمع ، والرسوم الدينية ، فوجدوا أنفسهم أمام اصول عامة عرضها القرآن فجعلوا يفسرونها من وجهة نظرهم ، واستفاضت نواحي التفسير وكان فيصل ما اختلفوا فيه هو مفردات العربية وتراكيبها وأساليبها على النحو الذي جاءت به على السنة العرب • وهو بهذا الوجه سبب من اسباب رواية اللغة •

وحين أصبحت الرواية اللغوية علما يستهدف التعرف على صحيح

العربية كما يستهدف جمعها اعتمدت على ما استطاعوا جمعه من الآثار ، واطمأنوا الى الشعر الجاهلى وما صدر من الشعر الاسلامى ، والآثار الادبية واللسانية الاخرى التى صدرت عن اعراب خلصت لهم هذه الصفة الى نهاية القرن الثانى الهجرى . وهم فى مجال هذا التوثيق وضعوا القرآن الكريم فى الذروة من مصادرهم على انه ارفع صور الكلام العربى . واذا كان الاستشهاد بالسمع قد انتهى بنهاية القرن الثانى ، او هكذا اتفق اكثرهم فان القرآن الكريم سيظل الى ما لا نهاية يسمع ويستشهد به على انه سيد الشواهد ولذلك شاعت العبارة (القرآن قاموس من لا قاموس له) بل انه الاثر الادبى الوحيد الذى بقيت روايته الى الآن ، محاطا بالعناية التى تتمثلها فيما تمنحه مشيخة القراء من اجازة قراءته .

الامتحان العظيم

لم يتعرض المجادلون فى القرآن الكريم وقت نزوله الى شىء يتصل بعربيته ، وهم ان اختلفوا فيه ككتاب دين فلقد اجتمعوا مغلوبين امام اعجازه ، نزل على قوم يتصفون بالالسنة الحداد واللدد فى الخصام - وتحداهم عز وجل ان يأتوا بسورة من مثله - فارهفوا له السمع وودوا لو استطاعوا مغالبته ثم استسلموا ضعافا يحاولون وصفه فلا يجدونه من فنونهم فما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وهو العربى اللفظ والاسلوب . وبقيت الفاظه كما يقول الراغب الاصفهانى (لب كلام العرب ، وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء فى احكامهم وحكمهم ، واليها منزع الحذاق والبلغاء فى نظمهم وثرهم) (1)

ونحن لا نضعه على رأس المصادر بسبب من قداسته ، ولا نستفتح به

(1) المفردات فى غريب القرآن ص 6 ط الحلبي .

الكتاب تبركا - ولكنه كان فى الحقيقة الى جانب هذا - قد اجتاز امتحانا عظيما امام خصومه من الاعراب ، وليس من التطويل ان اضع امامك صورا من هذه الخصومة . كما اطمأن قلبى وأنا اضعه فى صدر الكتاب وعلى رأس المصادر لرواية العريسة .

لقد وصل الى شغاف قلوبهم فاستشعروا ضعفهم أمام أسلوبه المعجز وفواصله العذبة ، وبيانه الساحر ، فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وتناهوا عن سماعه ، وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون - وكتب السيرة مليئة بما يمثل مظاهر تأثير القرآن عليهم - واليك بعض هذه الصور :

اجتمع الوليد بن المغيرة الى نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم : يا معشر قريش : ان العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا .

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم رأيا نقل به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

قالوا : نقول كاهن .

قال : لا والله ما هو بكاهن . لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه .

قالوا : فنقول مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر •

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه فما هو بالشعر •

قالوا : فنقول ساحر •

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنقشهم وعقدتهم •
قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ • •

قال : ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناه (ويقال لعذق) وما
أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف انه باطل (1)

وهذا ابو الوليد عتبة بن ربيعة — وكان سيدا فى قومه — يعرض على
قريش ان يقوم الى محمد صلى الله عليه وسلم فى محاولة لصرفه عن
غايته فقام اليه قائلاً : يا ابن أخى : انك منا حيث قد علمت من السطة
(المنزلة الرفيعة) فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد اتيت قومك
بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم • • • •
الى آخر ما اعده من حديث — حتى اذا فرغ عتبة قرأ النبى صلى الله عليه
وسلم آيات من سورة فصلت فلما سمعها انصت لها والقى يديه خلف
ظهره فى هيئة المستسلم ، وقام عتبة الى اصحابه بوجه غير الوجه الذى
ذهب به • قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى انى سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة
قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه (2) •

(1) السيرة لابن هشام 1 : 283

العذق = الكثير العشب ومن رواه غدق فمعناه كثير الماء

(2) السيرة 1 : 313

وهم اذا اجتمعوا حزموا أمرهم على الا يسمعون للقرآن ، حتى اذا تفرقوا نازعتهم. انفسهم الى سماعه فكانوا يتسللون خفية ، فاذا انكشفوا تلاوموا واقسوا الا يعودوا - ذكروا ان ابا سفيان بن حرب ، و ابا جهل ابن هشام ، والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا . فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون . حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وتلاوموا ، وهكذا فى اليوم الثالث حتى اذا جمعهم الطريق للمرة الثالثة قال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى تتعاهد الا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا (1) .

ويصل الامر بالطفيل الدوسى بعد ان استمع لتحريض قريش وايهامهم اياه بأنه قادم على رجل قوله كالسحر يفرق بين الرجل واهله - ان يحشوا اذنه قطنا حتى لا يسمع كلام النبى ، ثم لا يستريح الى ما فعل ويعود الى نفسه فينازعها قائلاً : واااكل أمى - والله انى لرجل لييب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ حتى اذا سمع القرآن شهد الشهادة الحق واسلم (2) .

وكان عمر بن الخطاب من اقوى رجال قريش حتى تمنى النبى صلى الله عليه وسلم ان يسلم فما هو الا ان يسمع آيات من سورة طه حتى

(1) السيرة 1 : 337

(2) السيرة 1 : 408

يذهب الى النبي في مجلسه ويعلن اسلامه (1) وفي رواية اخرى يقول :
فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام (2)

هذه بعض الاخبار التي تصور وقع القرآن في نفوس العرب
ومظاهر تأثيره عليهم ، وحرى بنا بعد هذا الامتحان العظيم ان نضع القرآن
الكريم - الاثر العربي الخالص - على رأس مصادر الرواية ، وللازى
كلمة في هذا السياق يقول فيها :

(اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول فجواز اثباتها بالقرآن العظيم
اولى ، وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في
القرآن فاذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وانا شديد
التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا
على صحتها فلان يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى) (3) •

مدى خلوص عربية القرآن

موضوع التأثير والتأثر أمر معروف بين اللغات المختلفة التي ترتبط
بعلاقات تسمح به - والجزيرة العربية كانت ترتبط بالبلاد التي تحيط بها
بسبب الجوار والتجارة فلا غرابة ان تتأثر العربية باللغة الآرامية والحبشية،
والفارسية • فاللغة الآرامية على اختلاف لهجاتها كانت سائدة في كل بلاد
فلسطين ، وسوريا ، وبين النهرين ، وفي بعض العراق • واللغة الفارسية

(1) السيرة 1 : 367

(2) السيرة 1 : 369

(3) تفسير الفخر الرازي 3 : 193

كانت مجاورة للآرامية والعربية فى العراق ، وكان نفوذها قويا فى جزيرة العرب وجنوبها . واللغة الحبشية ومعها اللغة العربية الجنوبية المقاربة جدا للحبشية كانت تجاور العربية الشمالية فى جزيرة العرب نفسها (1)

ولقد ساعدت التجارة على التأثير والتأثر بين هذه اللغات ، فتجار مكة كانوا يتجرون مع الآراميين فى دمشق ، ومع الفرس فى الحيرة والمدائن ومع سبأ وحير فى اليمن - ولقد استطاعت بعض الكلمات اليونانية أو الرومية ان تنفذ الى العربية عن طريق الآرامية ، فاليونانية كانت لغة الادارة فى الدولة التى بسطت سلطانها على الشام وشمال غرب الجزيرة - ولقد تناول الاستاذ برجستراسر هذه القضية فى كتابه (التطور النحوى للغة العربية) وأشار الى بعض الكلمات التى تأثرت بها العربية من اللغات الاخرى - فسن الفارسية اصطلاحات الادارة كالديوان ، والرزق ، والمرزبان ، والدهقان ، والفرسخ ، والتاج - ومنها الفاظ دينية كالدين والجناح ، والمجوس ، والنيروز ، - ومنها أسماء الاشياء الخاصة بالمعجم او المجلوبة من عندهم كالصنج ، والصولجان ، والفيل ، والجاموس ، والمسك ، وأسماء أنواع النسائج كالديساج ، والاستبرق ، والابريس ، والطيلسان ، والقسط ، ومنها غير ذلك كالسراج والخندق (2) ومن الحبشية عربت الكلمات التى تعود الى اشياء تتصل بالدين فمن ذلك الحواريون ، وناقق ، ومنافقون ، وفطر ، ومنبر ، ومحراب ، ومصحف وبرهان (3) وكلمة فطر لم تؤد معنى الخلق فى العربية قبل مجيئها فى القرآن الكريم وهى فى الحبشية مألوقة فى معنى الخلق ، وربما لم يعرفها ابن عباس لهذا السبب فقال : ما كنت أدري ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان

(1) التطور النحوى للغة العربية 142 ط مصر سنة 1929

(2) المصدر السابق 143 و 144

(3) المصدر السابق 146

يختصمان فى بشر فقال أحدهما : أنا فطرتها أى أنا ابتدأت حفرها (1) •

ومن الكلمات التى دخلت من الآرامية النباتات التى لا تنبت فى جزيرة العرب كالرمان ، والزيت - ومنها الخمر ، والكبريت ، والمرجان ، والبلور ، والسم - ومنها من أجزاء البيت والآلات الباب ، والقفل ، والزجاج ، والكيس والسكين (2) والسيف ، والخاتم - ومنها ما يتعلق بإدارة الممالك كالسلطان ، والامة ، والعالم ، والمدينة ، والسوق ، والقسط - ومنها السبيل والساعة ومنها أكثر ما يرجع الى الكتابة والقراءة والتدريس بناء على كون العرب أخذوا الخط نفسه من الاقوام الآراميين ومن ذلك كتب ، وكتاب ، وقرأ ، والنقطة ، والصورة ، والتفسير ، والتلميذ - ومنها كثير من الالفاظ الدينية كرحمن ، وقيوم ، وسكينة ، وفرقان ، وملاك ، وصدى ، وصام ، وتاب ، وزكا ، وزكاة ، وكفر ، وعبد ، وصلب ، و صليب . وزنديق ، ورجز . ودجال ... (3)

وبعض الكلمات التى دخلت العربية من الآرامية جاءت منقولة من لغة اخرى فن ذلك الزنديق فان العرب أخذوا هذه الكلمة من العجم الذين أخذوا من الآراميين •• ويرجح برجستراسر ان كلمة قدوس أصلها آرامى ولكنها نقلت عن الحبشية لكثرة بناء فعول عندهم (4) •

(1) لسان العرب مادة ف ط ر

(2) يبدو ان السكين لم تكن معروفة عند الازد - ويروى ان ابا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبی صلى الله عليه وسلم وقد وقعت منه السكين فقال له (ناولنى السكين) فالتفت ابو هريرة يمينه ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذه اللفظة فكرر له القول ثانية وتالفة وهو يفعل كذلك ثم قال : المديّة تريد؟ وأشار اليها فقبل له نعم فقال او تسمى عندكم سكيّنا؟ ثم قال : والله لم اكن سمعتها الا يومئذ - وذكر اللسان شيئاً مثل هذا فى مادة س ك ن

(3) التطور النحوى 149 (4) المصدر السابق 153

ولقد تناول ابن عباس - وهو من قدامى المفسرين - بيان بعض هذه الكلمات فقال : ان (ناشئة الليل) بلسان الحبشة اذا قام الرجل من الليل قالوا : نشأ . وسئل عن قوله (فرت من قسورة) قال : هو بالعريية الاسد وبالحبشية قسورة الى غير ذلك (١) وبدأ علماء اللغة يختلفون في مدى خلوص عريية القرآن .

عرض ابو عبيد القاسم بن سلام لهذه القضية وأشار الى اختلاف الناس فيها فذكر انه روى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة وعطاء وغيرهم من اهل العلم انهم قالوا في أحرف كثيرة أنها بلغت المعجم منها قوله طه ، واليم ، والطور ، والربانيون فيقال انها بالسريانية - والعمران ، والقسطاس ، والفردوس يقال انها بالرومية - ومشكاة ، وكنلين يقال انها بالحبشية - وهيت لك يقال انها بالهورانية - قال : فهذا قول أهل العلم من الفقهاء (٢)

وأشار الى فريق آخر يرى ان القرآن ليس فيه من كلام المعجم شيء يتأولون قوله جل ثناؤه (انا جعلناه قرآنا عربيا) ، وقوله (بلسان عربي مبين) قال ابو عبيد : والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك ان هذه الحروف واصولها عجيبة كما قال الفقهاء الا انها سقطت الى العرب فاعربت بالسننها وحولتها عن الفاظ المعجم الى الفاظها فصارت عريية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فن قال انها عريية فهو صادق ، ومن قال عجيبة فهو صادق (٣) .

وعقد ابو جعفر محمد بن جرير الطبري فصلا في كتابه في التفسير

(١) تفسير الطبري ١ : ١٤ (٢) المزهر ١ : ٢٦٨

(٣) الصاحي ٢٩

(عن الاحرف التى اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها من بعض أجناس الامم) فذكر أمثلة أسندها الى الفقهاء مما يدل على ان فى القرآن من غير لسان العرب ، ولكنه لا يرى ان اللفظ منقول من لغة اخرى ويقارب بين رأيه هذا وقول الفقهاء بأن بعضهم يقول : (حرف كذا بلسان العجم معناه كذا) (1) ثم يرتب على قول هذا البعض من العلماء أنه (لا يستنكر ان يكون من الكلام ما يتفق فيه الفاظ جميع أجناس الامم المختلفة اللسان بمعنى واحد فكيف بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا كثير منه فيما قد علمناه من اللسان المختلفة مما اتفقت فيه الفارسية والعريية باللفظ والمعنى ، ونعل ذلك كذلك فى سائر اللسان التى نجهل منطقتها ولا نعرف كلامها) (2) وهو لذلك لا يرى ان احد الجنسين اولى من الآخر بنسبة الاصل اليه الا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته - والصواب عند الطبرى (ان يسمى اللفظ عرييا أعجميا أو حبشيا عرييا اذا كانت الامتان له مستعملتين - فى بيانها ومنطقتها - استعمال سائر منطقتها وبيانها) (3) •

ومحاولة الطبرى الالتزام بأن اللفظ عربى كما هو فارسى او حبشى عن طريق الاتفاق فمردود عليها بأن اللغات - كل اللغات - تقبل التأثير كما تؤثر فى غيرها اذا هيئت لها عوامل الاحتكاك ، والعريية نفسها قد أثرت تأثيرا واضحا فى فترة من الفترات بعد الاسلام فى الفارسية ، والاسبانية والتركية ، اما انها تأثرت باللغات المجاورة فيؤكدده ان الكلمات الدخيلة لم يكن لها وجود فى بيئته العريية ومجالها الجغرافى على النحو الذى فصلناه - والرأى عندى أنه لا يغير من عريية الكلمة أن تكون منقولة فى الاصل

(1) تفسير الطبرى 1 : 15

(2) المصدر السابق 1 : 15

(3) المصدر السابق 1 : 16

عن لغة أخرى ثم عربت واخذت شكل العربية فقبلت خصائصها وخضعت
لاشتقاقاتها كما لا يطمئن في عربية القرآن ان استعمل بعض هذه الكلمات
وقد استعملتها العرب وظهرت دلالتها في آثارهم (1) *

العناية بالقرآن منذ أوحى به

القرآن الكريم كمصدر لغوي موثق لا يدايه مصدر آخر من مصادر
اللغة فقد تلقاه صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه على شغف
وانتظار يتابع جبريل في عجلة وتلهف حتى طمأنه الله عز وجل في الآية
الكريسة (لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرآنه) وكان
يستدنى الكاتبين فيأمرهم بتدوينه فكتبوه على عصب النخل ، والقصب ،
والرقوق وغير ذلك كما أوصى بقصر التدوين عليه فقال : (لا تكتبوا عني
شيئا سوى القرآن ومن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحاه) (2) وحفز
الصحابة الى تعلم القرآن وتعليمه فقال صلى الله عليه وسلم (خيركم من
قرأ القرآن واقرأه) و (أشراف أمتي حيلة القرآن وأصحاب الليل)
وجعل ذلك أفضل العبادات وأقرب السبل الى الله تعالى *

عنى كثير من الصحابة به . تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفا
حرفا لم يهملوا منه حركة ، ولا سكونا ، ولا اثباتا ، ولا حذفًا ولا دخل
عليهم منه شك ولا وهم ، وكان منهم من حفظه كله ، ومنهم من حفظ أكثره ،
ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (3) كما

(1) اقرا رأى ابى عبيدة وغيره وما كتبناه في هذا السباق في فصل
المعرب والدخيل .

(2) المساحف لابی بكر السجستاني 4

(3) النشر 1 : 6

حفظ كل قطعة منه جماعة يبلغون حد التواتر (1) ثم تفرغ للعناية بكلام الله نفر تسموا بالقراء .

القراء

روى ابو نعيم فى كتابه حلية الاولياء عن مالك بن أنس أنه (كان بالمدينة سبعون رجلا من الانصار. كانوا اذا جنهم الليل آووا الى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن (2) .

لا يكاد التاريخ يمدنا بالكثير عن هؤلاء القراء نفترض لهم دورا خطيرا لا يقف عند حد استظهار القرآن كما يتبادر الى الذهن وانما كانوا يرمون الى جانب ذلك الى فقهه ، وفهم دقائقه ، واعداد أنفسهم للدعوة به وتعليم مبادئه - لا يكاد التاريخ يمدنا بالكثير عن هؤلاء القراء قبل حادثتى الرجيع وبئر معونة فى السنة الرابعة من الهجرة فقد روى عن قتادة انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة (وهما من الهون بن خزيمه بن مدركة) فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا ستة من أصحابه حتى اذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل بناحية من الحجاز - غدروا بهم (3) ووقع مثل هذا الحادث عند بئر معونة وقالوا فيه : قدم أبو براء بن عامر بن مالك بن جعفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض رسول الله

(1) المصاحف لابی بكر السجستاني 4

(2) حلية الاولياء 1 : 123

(3) تاريخ الطبرى 2 : 538

صلى الله عليه وسلم - ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال:
يا محمد ، لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك
رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انسى
أخشى عليهم أهل نجد) فقال ابو براء : أنا لهم جار فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبعين رجلا فى رواية ، وأربعين فى رواية اخرى فغدروا
بهم (1) .

واذن فان وجود هذه الطبقة فى عهد الرسول مما يشير الى العناية
البالغة بالقرآن الكريم ، والاطمئنان الى سلامة روايته التى بلغت حدا لا
نستطيع ان نضع فى موازته مصدرا آخر من مصادر الرواية اللغوية اذ
كانت مهمة القراء لا تقف عند مجرد الحفظ والاستظهار بل تتجاوز الى
فقهه وفهم دقائقه فتلك كانت وظيفة القراء ان يقرئوا الناس ويفقهوهم به
حين كان الرسول يبعثهم الى الجهات المختلفة فى الجزيرة من اجل هذه
الغاية .

جمع القرآن

كان القراء ايضا قوام حرب اليمامة ، فلما استحر القتل فيهم فزع
ابو بكر الى عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت فقال لهما (اقعدوا (2) على
باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه) (3)

(1) السيرة لابن هشام 3 : 184 وانظر ايضا الطبقات الكبرى لابن سعد
وطبقات القراء ، والحلية لابی نعيم .

(2) اقعدوا جمع وهما اثنان وكانت بعض اساليب العرب تجيز ذلك
انظر مجاز القرآن لابی عبيدة .

(3) المصاحف 6

ومن حديث لزيد بن ثابت نلمح كبر هذه المهمة وخوفه منها وتقديسه لها يقول (أرسل الى ابو بكر مقتل اهل اليمامة وكان عنده عمر) فقال : ان هذا اتانى فقال ان القتل قد استحر بالقراء وانسى اخشى ان يستحر القتل بالقراء فى سائر المواطن فيذهب القرآن وقد رأيت ان تجمعوه . فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدره ، ورأيت فيه الذى رأى فقال ابو بكر : انك شاب (او رجل) عاقل وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاتتهمك فاكتبه . قال فالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان باثقل على منه . فقلت لهما : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابو بكر وعمر : هو والله خير فلم يزل ابو بكر وعمر يراجعاننى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدرهما ورأيت فيه الذى رأيا فتتبع القرآن انسخه من الصحف والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى فقدت آية كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها (لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية) فالتستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت فأثبتتها فى سورتها (1)

والى جانب هذه الرواية روايات اخرى تتحدث عن جمع القرآن ولكنها لا تكاد تخطىء دور زيد بن ثابت الا الى زميله كاتب الوحي ايام الرسول (أبى بن كعب) .

من ذلك ما يرويه ابو العالية انهم جمعوا القرآن فى مصحف فى خلافة ابى بكر فكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبى بن كعب فلما انتهوا الى هذه الآية من سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم

(1) المصدر السابق 6 و 7

لا يفقهون) ظنوا ان هذا آخر ما انزل من القرآن فقال ابي : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأني بعدهن آيتين (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) قال فهذا آخر ما انزل من القرآن (1) •

وفى رواية ثالثة عن سالم وخارجة ان ابا بكر الصديق كان قد جمع القرآن فى قراطيس وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر فى ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل (1) •

ومن خلال هذه الاخبار نستشعر الرغبة فى سؤال انفسنا هل كان زيد وأبى - وهما من كبار كتبة الوحي لا يحفظان القرآن كله حتى ذهباً يسألان عن هذه وتلك من آيات القرآن ؟ اما أبى فلقد كان من أصحاب المصاحف ذكر ذلك الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى فقال : انهم جمعوا القرآن من مصحف أبى ... (2) وقد وصف السجستاني هذا المصحف وأفرد له فى كتابه (3) أما زيد فيقول فيه البغوى فى كتابه شرح السنة (ان زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها له - صلى الله عليه وسلم - وقرأها عليه وكان يقرئ الناس بها حتى مات) (4) ولكن الامر كان اخطر من ان يقول كل بعلمه وان يكتفى فى ذلك بما سمع وحفظ وكتب فلم يكن من كتاب الوحي زيد وأبى وحدهما وان كانا فى الذروة منهم ، وحجم الموقف وجلاله يحتاج الى كل توثيق ومساندة والاستعانة بما حصل فى صدور الآخرين الى جانب ما حصلوا فى

(1) المصاحف 9

(2) المصاحف 30

(3) المصاحف 53 وانظر ايضا تاريخ القرآن للزنجاني 50

(4) تاريخ القرآن للزنجاني 17 — 18

صدورهم حين يراد جمع القرآن فى طمأنينة وأناة اشارة الى ذلك الاستاذ الخضرى فى كتابه تاريخ التشريع الاسلامى فقال : وكان زيد بن ثابت من حفاظ القرآن وكتبة الوحى ، ومع ذلك لم يكتف بحفظه وكتبه بل استعان بصدور الحفاظ وصحف الكتاب وما كان مكتوبا فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتم جمعه على ملا من المهاجرين والانصار (1) .

وعلى هذا فلا يطعن فى ثبت زيد وحفظه ان يسأل الناس ويستعين فى مهمته الكبرى هذه بأرائهم ، الم يقل : لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل على منه ، خشية ما يعانى من التأثم والتخرج !

جمع القرآن ايام عثمان

كان لاجازة قراءة القرآن على مشهور السنة القبائل وجهه حين كان مرد ذلك الى الفطرة على الوجه الذى شرحه الشراح حول الحديث المشهور (انزل القرآن على سبعة احرف ...) فلما تجاوز رحاب الجزيرة اختلفوا فيه وهم لا يرجعون فى امر هذا الاختلاف الى فطرة فطروا عليها ولا سليقة تمدهم بها طباعهم وانما قرأ الكوفيون عن عبد الله بن مسعود والبصريون عن ابي موسى الاشعرى ، والشاميون عن ابي بن كعب والمقداد بن الاسود ، ولما جمعهم الجهاد صار كل منهم يظن انه اصح من صاحبه ولا حظ حذيفة بن اليمان اختلافهم وكان يغازى فى ارمينية واذريجان ففرع الى عثمان فقال له : يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى فقام عثمان فخطب الناس ونهاهم ان يسندوا قراءتهم الى القراء ثم قال : (فاعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شىء لما جاء به) .

(1) تاريخ التشريع الاسلامى للخضرى 97

وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثره . ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم : أسعيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم . فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من اكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت . قال : فأى الناس اعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال عثمان : فليس سعيد وليكتب زيد فكتب زيد . وكتب مصاحف فرقها فسي الناس (1) وقيل : جمع اثني عشر رجلا من قریش والانصار فيهم أبسى بن كعب وزيد بن ثابت (2) .

والاخبار على اختلافها تكاد تجتمع على ان زيد بن ثابت كان في مقدمة المتقدمين لهذه المهمة الكبرى ومعه سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير . وتدخل عثمان بأمره ورأيه حتى لا ينشق الرأي وتتفرق الكلمة فقال : ما اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان الى كل افق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وامر بسوى ذلك في صحيفة او مصحف ان يحرق (3) .

وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا اذا تدارءوا في شيء اخروه . قال محمد : فقلت لكتبه . وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال : لا . قال محمد : فظننت ظنا انما كانوا يؤخرونها لينظروا احديثهم بالمرئفة الاخير فاشبهوها على قوله . واتم زيد بن ثابت ورفاقه مهنتهم لم يخلفوا الا في كلمة التابوت فرفعوا امرهم الى عثمان فقال اكتبوه (التابوت) فانه بلسان قريش . كان زيد يقول (التابوه) .

(1) المصاحف 24

(2) المصاحف 25

(3) المصاحف 19

ومع هذا الذي تراه من حرص رجال الدولة وتمثيل العناصر الم
لكتابة القرآن وجمعه فلقد كان من علماء المسلمين من يرقب هذا ال
ويرى فيه رأيه حتى اذا اطمأن الى اتجاه عثمان اعلن انه كان احق ب
الجمع من زيد بن ثابت لا رغبة فى شهرة ، ولا استجابة لهوى ، ولا ج
لمعارضة ولكن احساسا بأنه اكثر معرفة بالاسلام وبكتابته المقدس
لواء هذه المعارضة الصاحبي الجليل ومعلم اهل الكوفة عبد الله بن مس
ويكفيك تعريفا به شهادة النبی صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (من
ان يقرأ القرآن رطبا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد) (1) ويز
رأى عمر فى عبد الله بن مسعود من خبر يحكيه الاعمش بسنده قال :

(جاء رجل الى عمر فقال : يا امير المؤمنين جئتك من الكوفة وتر
بها رجلا يملأ المصاحف عن ظهر قلبه — قال : فغضب عمر وانتفخ حتى
ان يملأ ما بين شعبتى الرجل قال : من هو ويحك ؟ قال : هو عبد
ابن مسعود قال : فما زال يظفأ ويتسرى عنه الغضب حتى عاد الى حالته
كان عليها ثم قال : ويحك والله ما اعلم بقى من الناس احد هو
بذلك منه) (2) •

وجاء اهل الكوفة يوما الى عمر فأجازهم وفضل اهل الشام عليهم
الجائزة فقالوا : يا امير المؤمنين تفضل اهل الشام علينا ؟ فقال : يا اهل
الكوفة اجزعتن ان فضلت اهل الشام عليكم لبعد شقتهم وقد آثرتكم
ام عبد (3) وقال فيه حذيفة: ما اعلم احدا اقرب سستا ولا هديا ودلا برس
الله صلى الله عليه وسلم من ابن ام عبد (4) •

(1) المصاحف 137 وحلية الاولياء 1 : 124

(2) المصاحف 137 وحلية الاولياء 1 : 124

(3) اعلام الموقعين 1 : 13

(4) طبقات القراء 1 : 459

اما دفاع ابن مسعود وبيان احقيته فى مهمة جمع القرآن فيتضح من خلال كلمات عرفن عنه اذ يقول : لقد رأيتنى سادس ستة ما على ظهر الارض من مسلم غيرنا ... كنا نتعلم من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات فما نتعلم العشر التى بعدهن حتى نتعلم ما انزل الله فى هذه العشر من العمل - والله الذى لا اله غيره لو اعلم احدا اعلم بكتاب الله منى تبلغنيه الابل لرحلت اليه .

فلما بلغه انتداب زيد بن ثابت اخذه الغضب وقال فى هيئة المستغرب : قرأت القرآن من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد صبى ، افأترك ما اخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... على قراءة من يأمرنى اقرأ ... (1) .

ثم خطب الناس وقال : يا معشر المسلمين اعزل عمن نسخ المصاحف وتولاها رجل والله لقد اسلست وانه لفى صلب ابيه كافرا -

وما لبث ان هدأت ثورة ابن مسعود ورضى بسا عمله عثمان ، وكان واضحا فى كثير من الاحيان ان القضية التى اثارها ابن مسعود تنحصر فى تقديم زيد بن ثابت بينما ابن مسعود من السابقين فى الاسلام ومن الذين اكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم - ثم انتهى الامر على جمع الكلمة ، ومات عثمان وليس هناك ادنى اختلاف حول جمع القرآن وقال شعبة عن سمع سويد بن عقلة يقول : سمعت عليا يقول : رحم الله عثمان لو وليته لفعلت ما فعل فى المصاحف (2) ويبدو ان اختيار زيد كان يعود الى انه حضر العرصة الاخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(1) المصاحف 15 و 16

(2) المصاحف 23

رواية القرآن

نالت رواية القرآن الكريم عناية المشتغلين به ، وظلت روايته ا
آجال متتابعة ظاهرة المعالم ، بينة الاثر يمكن تتبعها متواترة حتى
سندھا بالنبي صلى الله عليه وسلم - ففى حياته صلوات الله عليه
القرآن جمع من الصحابة كان منهم من يحفظ الجزء والاجزاء ، ومنهم
حفظه كله وحفظ كل قطعة منه جماعة يبلغون حد التواتر (1) ثم تجرد
للقراءة واشتدت عنايتهم بها وتتلذ لهم كثير من الطالبين وتعددت القر
واتفقوا بادىء الامر على سبعة منهم هم :

ابو عمر بن العلاء ، ويعقوب بن اسحق الحضرمى بالبصرة - و
ابن حبيب ، وعاصم بن ابى النجود بالكوفة - وعبد الله بن عامر اليم
بالشام - وعبد الله بن كثير بمكة - ونافع بن ابى نعيم بالمدينة وهى
القرن الثالث حذف منهم يعقوب واثبت مكانه الكسائى (2) والذين يعر
بالقراء العشر يضيفون الى هؤلاء يعقوب الحضرمى ، وأبا جعفر يزيد
القعقاع ، وأبا محمد خلف بن هشام .

ثم عرفت القراءات الاربع لمحمد بن محيصن المكى ، والاء
الكوفى والحسن البصرى ، ويحيى اليزيدى - والمشهور ان السب
متواترات ، والثلاث آحاد ، والاربع شواذ - ونحن نعرف بالقراء الع
وراوين لكل منهم بايجاز ، وهذا اقصى ما يحتمله البحث لان الذى ير
بعد ذلك عن الراوى يسمونه طريقا ، فيقولون مثلا : هذه قراءة نافع
رواية قالون ، من طريق ابى نسيط ولقد تعددت الطرق حتى جاو
الحصر .

(1) البرهان فى علوم القرآن للزركشى 11 و 541

(2) النشر 1 : 37 وانظر مقدمة ابراز المعانى لابی شامة

نافع بن عبد الرحمن 70 — 169

أخذ عن أبي ميمونة مولى أم سلمة ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين .
وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة ، وأخذ عنه مباشرة ورش (1) وقالون (2)

ابن كثير 45 — 120

هو أبو سعيد عبد الله بن كثير . لقي بعض الصحابة وترأس الإقراء
بمكة — حمل قراءته البزى (3) وقنبل (4)

أبو عمر بن العلاء

هو شيخ الرواة . واستاذ جيله زباز بن العلاء بن عمار التميمي المازني
ولد بمكة وبدأ في طلب العلم صغيراً وقرأ القرآن بمكة والمدينة والكوفة

(1) هو عثمان بن سعيد القبطي المصري . ولد سنة عشر ومائة بمصر
ورحل إلى نافع فعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة خمس
وخمسين ومائة ولما عاد إلى مصر أخذ له مقراً سمي مقراً ورش
انتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر في زمانه وتوفي سنة سبع
وتسعين ومائة ترجمة رقم 2090 طبقات القراء .

(2) هو عيسى بن مينا الزرقى قارئ المدينة ونحوها . يقال إنه ربيب
نافع وقد اختص به كثيراً . سئل كم قرأت على نافع قال : ما لا
أحصى كثرة إلا أنني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة ترجمة رقم
2509 طبقات القراء .

(3) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله : أسلم على يد السائب
ابن أبي السائب المخزومي ، وجلس للإقراء بمكة ومات بها سنة 250

(4) هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي بالولاء — كان اماماً
متقناً انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز في عصره ، ورحل إليه
الناس من الإقطار ، وولى الشرطة بمكة وكان لا يليها إلا أهل العلم
والفضل — ولد سنة مائة وخمس وتسعين ، وتوفي بمكة سنة
مائتين وأحدى وتسعين .

والبصرة وسمع من شيوخ هذه البلاد انس بن مالك ، والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس ، ومجاهد ، وحميد بن الاعرج ، واما العالية رفيع بن مهران الرياحي ، وعاصم بن ابي النضر والحضرمي ، وعبد الله بن كثير المكي ، وعطاء بن ابي رباح ، ويحيى يعمر وغيرهم *

جمع الى قراءة القرآن معرفة واسعة باللغة والادب والنحو وقا يونس : لو كان احد ينبغي ان يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي يؤخذ بقول ابي عمرو بن العلاء - نظر في القرآن على ضوء ما وجمع من العربية ولهجاتها وبدت له بسبب ذلك وجوه من القراءات لقد حفظت في علم القراءات اشياء لو كتبت ما قدر الاعمش (1) على ولولا ان ليس لي ان اقرأ الا بما قرئت لقراءت كذا وكذا وكذا وكذا و حروفا ولقد دق حسه اللغوي فخير اللهجات وميز بين قبيلة عربية اعرب فقال : (افصح الشعراء لسانا واعذبهم اهل السروات وهن ذ الجبال المطللة على تهامة مما يلي اليمن فاولها هذيل وهي التي تلى السهم تهامة ثم بجيله السراة الوسطى ولقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم الازد - ازد شنوءة - وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن الازدي *) وابو عمرو يربط بين اللغة والدين ربطا شديدا حتى را اكثر من تزندق بالعراق كان لجهلهم بالعربية * وكانت رواية العربية ابي عمرو شيئا يستعين به القراء والمحدثون فاذا بابى عمرو يطلبها

(1) هو سليمان بن مهران الاسدي بالولاء - تابعى مشهور اصله من الرى ، نشأ وتوفى بالكوفة ، كان عالما بالقرآن والحديث والذ يروى نحو 1300 حديث - قال الذهبي : كان راسا في العلم والعمل الصالح - وقال السخاوي : لم ير السلاطين والملوك مجلس احقر منهم في مجلس الاعمش مع شدة حاجته وفقره

واتجه بها اتجاها منهجيا - يقول شعبة : كنت اختلف الى ابن ابي عقرب فاسأله انا عن الفقه : ويسأله ابو عمرو عن العربية فيقوم وأنا لا احفظ حرفا مما سأل عنه ولا يحفظ حرفا مما سألت عنه - وكان فسي طلبه للغة يمثل العقلية النقية ، أكثر تسليما للعرب لا يرى الشعر الا للقدامى ولا يحتج الا بهم يقول الاصمعي : جلست الى ابي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج بيت اسلامى . واذ يعجب بشعر جرير والفرزدق وامثالهما فانه كان يمدده مولدا بالاضافة الى اشعار الجاهليين والمخضرمين (1) روى قراءته الدورى (2) والسوسى (3) عن اليزيدى عنه .

ابن عامر الدمشقي

هو ابو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، تابعى لذي وائلة بن الاشقع ، والنعمان بن بشير ويقول يحيى بن الحارث الذمارى انه قرأ على عثمان رضى الله عنه - كان امام المسلمين بالجامع الاموى بدمشق فى أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده وكان يأتهم به وهو امير وجمع له بين الامامة والقضاء ومشیخة الاقراء بدمشق ، ولا زال اهلا

(1) الاصابة 1 : 542 وخزانة الادب 1 : 531 ومعجم الادباء 11 : 156 ترجمة رقم 1283 طبقات القراء .

(2) هو ابن عمرو حفص بن عمرو بن عبد العزيز البغدادي الضرير امام القراءة وشيخ الناس فى زمانه - اول من جمع الفراءات ، رحل فى طلبها وقرأ بسائر الحروف السبعة ، وبالشواذ وسمع من ذلك شيئا كثيرا توفى فى شوال سنة ست واربعين ومائتين 1159 طبقات القراء و 60 تاريخ القرآن .

(3) هو ابو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله الرقى اخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابي محمد اليزيدى وهو من اجمل اصحابه وذكر الالهوازى انه قرأ على حفص عن عاصم ت 1446 طبقات القراء و 60 تاريخ القرآن .

الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقينا الى قرب الخمسمائة —
وراوياه عن اصحابه هما هشام (1) وابن ذكوان (2) .

عاصم بن أبي النجود

من التابعين ، شيخ الاقراء بالكوفة واحد القراء السبعة ، جمع بين
الفصاحة والاتقان والتجويد وحسن الصوت ، روى عن ابي رمثة التميمي
والحارث بن حسان البكري وكانت لهما صحبة روى قراءته شعبة (3)
وحفص (4) وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة .

(1) هو ابو عمار — او ابو الوليد بن نصير السلمى اخذ قراءة ابن عامر
عرضا عن ايوب بن تميم ، وعراك بن خالد المري عن يحيى بن الحارث
الدماري ، عن ابن عامر وكان عالم اهل دمشق وخطيبهم ومفتيهم
ومقريهم ومحدثهم ، ارتحل اليه الناس فى طلب القراءة والحديث
منهم ابو عبيد القاسم بن سلام ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة
وتوفي سنة خمس واربعين ومائتين ت 3787 ط القراء و 61
تاريخ القرآن .

(2) هو ابو عمرو عبد الله احمد بن بشير الدمشقى اخذ قراءة ابن عامر
عن ايوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الدمارى ، انتهت اليه
مشيخة الاقراء بعد ايوب بن تميم ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين
وتوفي سنة اثنتين ومائتين تاريخ القرآن 61

(3) هو ابو بكر بن عياش بن سالم الاسدى الكوفى ، عرض القرآن على
عاصم ثلاث مرات وعلى عطاء السائب واسلم المقرئ ، وعمر دهره الا
انه قطع الاقراء قبل موته بمدة ، ولد سنة خمس وتسعين ، وتوفي
سنة ثلاث وتسعين ومائة ت رقم 1321 ط القراء .

(4) هو ابو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز ، تعلم القرآن
خمسا خمسا كما يتعلمه الصبى من المعلم ، وكان ربيب عاصم ابن
زوجته — نزل بغداد فأقرأ بقراءة عاصم ، وجاور بمكة فأقرأ بها ،
قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التى رويت من رواية عاصم
رواية حفص — ولد سنة تسعين وتوفي سنة ثمانين ومائة ت رقم
1158 طبقات القراء .

أبو عمارة حمزة بن حبيب

كان امام الناس بالقراءة بالكوفة بعد عاصم والاعمش ، وكان حمزة قارئاً مجوداً حافظاً للحديث عارفاً بالفرائض والعريية ورعاً زاهداً ، وكان شيخه الاعمش اذا رآه يقول : هذا حبر القرآن ، ويقول حمزة : ما قرأت حرفاً من كتاب الله الا بأثر ، ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ست وخمسين ومائة روى قراءته خلف (1) وخلاد (2) .

علي بن حمزة الكسائي

هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله مولى بنى اسد من ائمة الكوفة في القراءات والنحو واللغة . قرأ القرآن على حمزة بن حبيب الزيات كما اخذ عن محمد بن ابي ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني - واخذ اللغة عن الخليل ويونس في البصرة ، والنحو عن معاذ الهراء في الكوفة ، وعيسى بن عمر في البصرة ، قال ابو بكر الانباري اجتمعت في الكسائي امور : كان اعلم الناس بالنحو واوحدهم في الغريب وكان اوحد الناس في القرآن فكانوا يكتبون عنه فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من اوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون حتى المبادئ والمقاطع .

(1) ابو محمد خلف بن هشام البرار (بالراء) الاسدي البغدادي ، احد القراء العشرة واحد القراء عن سليم عن حمزة . حفظ القرآن وهو ابن عشر وبدا في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة ، وكان ثقة كبيراً زاهداً عالماً وله معرفة بالنحو مات سنة تسع وعشرين ومائتين ترجمة 1235 طبقات القراء .

(2) هو ابو عيسى خلاد بن خالد الشيباني الكوفي ، امام في القراءة ثقة عارف ، محقق ، استاذ اخذ القراءة مرضاً عن سليم وهو من اضبط اصحابه واجلهم وروى القراءة عن حسين بن علي الجعفي عن ابي بكر ، ومن ابي بكر نفسه من عاصم وتوفي سنة عشرين ومائتين ت 1238 ط القراء .

روى قراءته ابو الحارث ، (1) والدورى (2)

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي

تابعى جليل اخذ القراءة عن الصحابة وانتهت اليه رئاسة الاقراء بالمدينة فسمى القارئ ، قال أبو الزناد لم يكن بالمدينة أقرأ للسنة من أبي جعفر ، يقال انه قرأ على زيد بن ثابت ، قال الذهبي : ولم يصح - وقرأ على عبد الله بن عياش ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عباس وقرأ عليه نافع ابن أبى نعيم توفى سنة ثلاثين ومائة على أشهر الاقوال روى قراءته عيسى الحذاء (3) وابن جناز (4)

يعقوب الحضرمي

هو يعقوب بن اسحق بن زيد بن عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي امام اهل البصرة ومقرئها - اخذ القراءة عرضا عن سلام الطويل ، ومهدى ابن ميمون ، وابى الاشهب العطاردي وآخرين - روى عن سلام حرف ابي عمرو بالادغام ، وسمع الحروف من الكسائي ومحمد بن زريق الكوفى عن

(1) هو الليث بن خالد البغدادي ، عرض على الكسائي وهو من جلة اصحابه وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الاحول وعن اليزيدي وروى عنه عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير ، والفضل بن شاذان ، ويعقوب بن احمد التركمانى توفى سنة اربعين ومائتين .

(2) سبق التعريف به فى رواية ابي عمرو .

(3) هو ابو الحارث عيسى بن وردان المدني محقق ضابط مرض على ابي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع وعرض عليه اسماعيل بن جعفر ، وقالون ، ومحمد بن عمر الواقدي توفى فى حدود سنة ستين ومائة ت رقم 2510 طبقات القراء .

(4) هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جمار الزهرى ، عرض على ابي جعفر وشيبة ، ثم عرض على نافع ، واقرأ بحرف ابي جعفر ونافع ، توفى بعد السبعين ومائة ت رقم 315 طبقات القراء .

عاصم ، وسبع عن حمزة حروفاً . يقول أبو حاتم السجستاني : كان يعقوب أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلمه ومذاهب النحو - مات سنة خمسين ومائتين (1) وروى قراءته رويس (2) وروح بن عبد المؤمن (3)

خلف

وقد سبق ان عرفنا به كراو على طريقة حمزة - وروى عن خلف اسحق بن ابراهيم (4) وادريس بن عبد الكريم (5)

- (1) طبعة النشر 11 وت رقم 3891 طبقات القراء .
- (2) هو ابو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري اخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي وهو من احدث اصحابه سئل ابو حاتم السجستاني عن رويس هل قرا على يعقوب ؟ قال : نعم قرا معنا وختم عليه ختمات وعلى روايته اعول - وروى عنه القراءة عرضاً محمد بن هارون التمار ، وابو عبد الله الزبير بن احمد الشافعي - توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين ت رقم 3389 طبقات القراء .
- (3) هو ابو الحسن روح بن عبد المؤمن بن عبده الهذلي ، بصري نحوي من اوثق اصحاب يعقوب روى الحروف عن احمد بن موسى ومعاذ ابن معاذ وابنه عبيد الله ، ومحجوب كلهم عن ابي عمرو ، توفي سنة اربع او خمس وثلاثين ومائتين ت 1273 طبقات القراء .
- (4) اسحق بن ابراهيم بن عثمان المروزي البغدادي وراق خلف وراوى اختياره عنه قرا على الوليد بن مسلم وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين ت رقم 723 طه القراء .
- (5) ادريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي قرا على خلف بن هشام روايته وروى القراءة عنه سماعاً ابن مجاهد ، وعرضا محمد بن احمد بن شنبوذ وابن مقسم وموسى بن عبد الله الخاقاني ومحمد ابن اسحق البخاري وآخرون . سئل عنه الدارقطني فقال : ثقة وفوق الثقة بدرجة . توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ت رقم 717 طبقات القراء .

هذا تعريف موجز باصحاب القراءات العشر وراويين لكل منهم ، ولا
يعنى هذا التعريف حصرا بكل القراء فهم اكثر من هذا ، واذا ذكرنا راويين
مثلا لابي عمرو بن العلاء فقد اشتهر عنه سبعة عشر راويا هم : اليزيدي ،
وشجاع ، وعبد الوارث ، والعباس بن فضل ، وسعيد بن أوس ، وهارون
الأعور ، والخفاف ، وعبيد بن عقيل ، وحسين الجعفي ، ويونس بن حبيب،
واللؤلؤي ، ومحبوب ، وخارجة ، والبهنسي ، وعصمة ، والاصمعي ، وابو
جعفر الرؤاسي •

واشتهر من روى عن اليزيدي الدوري ، والسوسي ، وابو حمدان،
ومحمد بن احمد بن جبير ، واوقية ابو الفتح ، وابو خلاد ، وجعفر بن
حمدان سجادة ، وابن سعدان ، واحمد بن محمد اليزيدي ، وابو الحارث
ابن خالد •

ولقد كان في زمان السبعة من ائمة الاسلام الناقلين للقراءات عالم
لا يحصون (1)

واذا تفرع عن الرواة اصحاب الطرق تشعب بنا الحصر ، واطمأن
قلبك لهذا السياج المتين من السند الموثق الذي لا يدانيه سند لنص أدبي
آخر يمكن ان تستمد منه العربية أصولها وروايتها الصحيحة •

الفصل الثاني

العربية من خلال الشروح والقراءات

هل كان كل العرب يفهمون القرآن ويعلمون معانيه؟

يقول ابن خلدون في الفصل الذي عقده في (المقدمة) عن علوم القرآن في التفسير والقراءات : (واما التفسير فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى اسلوب بلاغاتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ، ومنها ما هو في العقائد الایمانية ، ومنها ما هو في احكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له — وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجل ، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منقولاً عنه) • (1)

وهذا الخبر يتضمن قضيتين :

(1) مقدمة ابن خلدون 214 ط مصر سنة 1274 هـ

اولاهما - ان العرب الذين نزل القرآن فيهم كانوا جميعا يفهمونه
بفرداته وتراكيبه اى من ناحية عبارته واسلوبه .

والثانية - ان القرآن كان ينزل متضمنا احكاما دينية يأتى بها مجملة
فى كثير من الاحيان فكان النبى يفصلها ويبين مجملها الى غير ذلك مما كان
لا بد فيه من بيان الرسول ، فالرسول هو المفسر الاول للقرآن على هذا
الوجه .

فاما ما ذهب اليه ابن خلدون فى المسألة الاولى من ان العرب كانوا
يفهمون القرآن عند نزوله فيبدو انه يريد فهمهم لمجموعه لا لجسيعه ، واذن
فليس يطعن فى الحكم بفهمهم له ان تشذ عن مداركهم او مدارك بعضهم
بعض الالفاظ او العبارات ، واللغة اوسع من ان يحيط بها محيط او يلم
امرؤ بكل مفرداتها مهما بلغ من سعة المعرفة ولا ريب اذن فى ان العرب
- حتى اوسعهم ادراكا - لم يكونوا يملكون الاحاطة التامة بكل الفاظ
القرآن او تبين كل اساليبه على وجه دقيق معين ، فها هو ذا ابو بكر
الصديق وهو من افصح قريش يسأل عن قوله تعالى (وكان الله على كل
شئ مقبلا) فيقول : اى ساء تظلمنى واى ارض تقلنى ان قلت فى كتاب
الله ما لم اعلم (1) .

ولقد ذهب صاحب كتاب (مقدمة المباني) الى القول بان ابا بكر
رضى الله عنه عظم فى صدره القرآن وجل قدره عن ان يتكلم فيه لغير
موضع الحاجة التى لا بد منها ، ولم يأمن أنه ان أبدل بهذه اللفظة لفظة
اخرى لعلها لا تقع موقع الأولى فى ابلاغ الوصف .

وقال الزركشى مثل هذا القول فى مناسبة مشابهة فى كتابه (البرهان)
عندما سئل ابو بكر عن كلمة (الأب) فى قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال

(1) مقدمتان فى علوم القرآن . مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية
نشرهما آرثر جفرى ص 183 طبعة السنة المحمدية سنة 1954

قوله السابق - وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال : الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم قال : لعمر ك يا بن الخطاب ان هذا لهو التكلف . قال الزركشى (وما ذاك بجهل منهما لمعنى (الأب) وانما يحتمل - والله أعلم - أن الأب من الألفاظ المشتركة فى لغتهما ، أو فى لغات ، فخشيا ان فسراه بسعنى من معانيه أن يكون المراد غيره . ولهذا اختلف المفسرون فى معنى الأب على سبعة أقوال) • (1) .

وأضاف الزركشى وجهين آخرين لتفسير موقف عمر أحدهما أن يكون خفى عليه معناه ، والثاني تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لم يعلم .

ومع ما رأيت ، فائنا لا زلنا على رأينا أن العربية أوسع من أن يخطط بها محيط . يدلك على هذا موقف لعمر أيضا حين التبس عليه معنى (الحرج) فقال : ابغوا الى أعرايا ، واجعلوه من بنى كنانة - مدلجيا فاتى براع من بنى مدلج فقال : ما الحرجة فيكم ؟ فقال : الشجرة التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية . فقال عمر : فكذلك قلب الكافر لا تصل اليه المعرفة والرغبة فى الاسلام كما لا تصل الراعية الى الموضع الذى التف فيه الشجر • (2)

وسأل عمر مرة أخرى عن قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا ، التخوف التنقص ، فقال : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم شاعرنا أبو كبير يصف لاقته فيقول :

تخوف الرجل منها تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن (3)

(1) البرهان فى علوم القرآن للزركشى 295

(2) مقدمتان فى علوم القرآن 187

(3) تفسير البيضاوى الآية 46 من سورة النحل

ولا بن عباس - ولا يشك أحد في صدق عريته وهو الذي كان يوصف بالبحر ، وترجمان القرآن ، مواقف متعددة في هذا السياق نذكرها في أماكنها من هذا البحث .

ولم يخلص هذا الأمر في مجموعته وجسيعة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم بتوفيق من الله تعالى ليكون له مكان الصدارة ، وليحمل لواء التوجيه لقومه وهم لدد ذوى أسنة حداد . لقد كانت معرفته بالعربية تتجاوز القرشية التي نشأ فيها ولغة بنى سعد التي استرضع فيها وفوق ما جمع أولو الخبرة من الأسفار والتجارة ، لقد أوتي علما بلهجات القبائل مع فصاحة فيها ، وعلم غريبها فاستمع الى الوفود على اختلاف ألسنتها وفهم منهم حديثهم ، وأجابهم ، وكتب لهم على طريقتهم حتى استلفت ذلك نظر على بن ابي طالب فقال له يا رسول الله : نحن بنوا اب واحد ونراك تكلم الوفود بما لم نفهم أكثره . (1)

ولقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم حسن التأويل وصدرت عنه أنماط كانت بمثابة توجيه للصحابة والقائمين بالأمر من بعده أن يحذوا حذوها يقول البراء بن عازب : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى عملا يدخلنى الله به الجنة . قال (لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة ، اعتق النسمة ، وفك الرقبة) قال : أو ليسا واحدا ؟ قال : (لا . عتق النسمة أن تنفرد بعقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها) . (2)

ولا يكاد صلوات الله عليه وسلامه يلحق بالرفيق الأعلى حتى تشتد الحاجة الى معرفة التفسير والتأويل ، ويلجأ الناس بادية الأمر الى الصحابة ، ثم الى الشعر ولهجات القبائل يستعينونها فهم ما غمض من القرآن .

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه 2 : 31 وما بعدها

(2) مقدمة المباني 190 .

في مجالس التفسير

التفسير بالمأثور

بدأ التفسير بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم يُلْتَمَسُ عند الصحابة المقربين كعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل ، وسالم بن معقل ، وزيد بن ثابت كما كان يُلْتَمَسُ عند القراء اذ كان هؤلاء جميعا أعمق للقرآن فهما وأكثر نفوذا في دقائقه واحاطة بإيماءاته وإشاراته فكان على رضي الله عنه يقول (لو أردت أن أُملى وقر بعير على الفاتحة لفعلت) (1) وقال : (والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم أنزلت ، وأين أنزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سئولا) (2) وقال في خطبة له (.. سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل نزلت أم في جبل ..) (3)

وكان ابن مسعود يقول (لقد تلقيت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة أحكمتها ..) (4) وذكر أبو عمرو الداني في كتاب البيان له بإسناده عن عثمان ، وابن مسعود ، وأبي ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها الى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل . (5)

وعلى أيدي هؤلاء وأمثالهم بدأ تفسير القرآن يجتاز الجزيرة العربية منذ أخذت الفتوحات الاسلامية تضرب سلطانها خارج بلاد العرب ، فكان أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري حين أرسل واليا على البصرة من قبل عمر بن الخطاب يتخذ مجلسه في مسجدتها ويقول لأهلها (ان أمير المؤمنين عمر بعثني اليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وأنظف لكم طرقكم) (6)

- | | |
|------------------------------|---------------------------|
| (1) البرهان في علوم القرآن 8 | (2) حلية الاولياء 1 : 68 |
| (3) تفسير القرطبي 1 : 35 | (4) حلية الاولياء 1 : 125 |
| (5) تفسير القرطبي 1 : 39 | (6) حلية الاولياء 1 : 257 |

واتخذ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي مجلسه في مسجد الكوفة وكان كما يقول علي بن أبي طالب قد (قرأ القرآن ثم وقف عنده وكفى به) (1) وقال مسلم : (والله لا أعلم أحدا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بكتاب الله من هذا وأشار الى ابن مسعود) (2) وكان أبو الدرداء عويمر بن مالك يتخذ مجلسه في جامع دمشق ومن اقواله المأثورة (انك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها) وقال : (ان مما أخشى عليكم زلة العالم وجدال منافق بالقرآن ، والقرآن حق وعلي القرآن منار كمنار الطريق) • (3)

واتخذ معاذ بن جبل مجلسه في حمص ، وكان عسر يشير الى علم معاذ بقوله (لو أدركت معاذ بن جبل ثم وليته ثم قدمت على ربي عز وجل فقلت : من وليت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قلت : سمعت نبيك وعبدك صلى الله عليه وسلم يقول « معاذ بن جبل بين يدي العلماء طائفة يوم القيامة » • (4)

وكان أبو عبد الله حذيفة بن اليمان يؤدي هذا الدور في المدائن •

وقد اتخذوا من القرآن وبيانه وسيلة الى التعريف بحقيقة الاسلام وسببا الى شحذ العاطفة الدينية كما كان هؤلاء القراء يقومون بالافتاء ، واطلق عليهم : أهل الفتوى - يقول ابن خلدون : ان الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالحاقلين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته مما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم • (5)

(1) حلية الاولياء 1 : 129

(2) غاية النهاية في طبقات القراء 1 : 459 ت 1914

(3) حلية الاولياء 1 : 211 و 213 و 219

(4) حلية الاولياء 1 : 229

(5) مقدمة ابن خلدون 422 ط بولاق سنة 1320

• لأن ادراكنا لوجوه التفسير عندهم يشوبه النقص الشديد . وبقي
لنا الكثير من التفسير اللغوي الذي بدأ به ابن عباس .

التفسير اللغوي

ابن عباس

لا نكاد نرى قبل ابن عباس من يتجه اتجاهها منهجيا الى التفسير .
وكانت نشأته وتكوينه العقلي يمدانه بسقوماته ويعيناه عليه ، فقد ولد
قبل الهجرة بثلاث سنوات وعاش على مقربة من الرسول صلى الله عليه
وسلم طفلاً وصبياً . واتجه الى دراسة هذه الثورة الدينية التي حمل
لواءها ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم وذهب ينمي علمه بها من السنة
الصحابة فروى عن عمر وعليّ ومعاذ بن جبل وأبي ذر (1) وعبد الله بن
عمر (2) وكان يقول لمكرمة مولاه (لما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانهم اليوم كثير) (3) ويقول ابو رافع ان ابن عباس كان يأتيه
نيسال ما صنع النبي يوم كذا ومعه كاتب يكتب له .

واشهر من تأثر بهم من الصحابة أبو خارجة زيد بن ثابت الانصاري
وكان أعلمهم بالقرآن . وامام أهل المدينة بالفتوى وفصل الخصومات ،
• من كتبه الوحي ونسخة المصاحف - أعجب ابن عباس بأستاذه ولازمه
وخاصة بعد أن عاد من البصرة عقب موت عليّ سنة أربعين من الهجرة
وكان يحله ويحترمه حتى كان يأخذ بركابه اذا ركب (4) وظلت صلته به

(1) اسد الغابة 3 : 194 طبعه المعارف سنة 1286 هـ

(2) اسد الغابة 3 : 239

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد 7 : 367 طبع دار صادر

(4) الطبقات الكبرى 7 : 360

الى أن مات سنة خمس وأربعين فتطلع الناس الى ابن عباس أن يكون خلفا
لزيد فقال ابو هريرة اليوم مات جبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل فى
ابن عباس خلفا له •

هذا وجه من علم ابن عباس فى دراسته للملابسات هذا الدين وما
أدركه من النبى صلى الله عليه وسلم وما أثر عنه ووجده عند صحابته وهو
يتصل بالتفسير بالمأثور •

أما الوجه الثاني فهو احاطته بالآثار الادبية المتمثلة فى الشعر وروايته
فقد شب على ثروة ضخمة منه فيما كان يتردد فى المدينة من أصدقاء الشعر
الذى قيل بعد حرب بعاث بين الأوس والخزرج ، وما قيل على السنة
المسلمين والمشركين على السواء بعد ذلك ، فكانت بيئة المدينة تمده بما
يشبع هذه النفس المشبوبة المتطلعة الى الأدب ، يعينه على ذلك حافظة
واعية يشير اليها أبو الفرج فيما رواه عن عمر بن أبى ربيعة فقال :

(بينا ابن عباس فى المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق ، وناس
من الخوارج يسألونه - اذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين
موردين أو مصرين حتى دخل وجلس فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا
فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجرجر

حتى أتى على آخرها ، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن
عباس !! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال
والحرام فتتناقل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال ، •

قال : فكيف قال ؟

فقال : قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأمس بالعشى فيخصر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت •

قال : أجل وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك اياها •

قائ : فاني أشاء •

فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها ... وفي رواية اخرى ان ابن عباس أنشدها من أولها الى آخرها ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة ، ربما سمعها قط الا تلك المرة صفحا) • (1)

وعبر ابن عباس عن هذه الحافظة بقوله : ما سمعت شيئا قط الا رويته واني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول • (2)

ولم تكن البيئة وحدها ، ولا الحافظة الواعية وحدها وانما كان يجمع الى ذلك حساً عريئاً ، وذوقاً أدبياً أشار الى ذلك أبو النضر ايضاً ، فقد أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله :

تشط غدا دار جيراننا

وسكت • فقال ابن عباس :

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر : كذلك قلت أصلحك الله ، أسمعته ؟

(1) الاغانى 1 : 72 و 73 ط دار الكتب

(2) الاغانى 1 : 73 ط دار الكتب

قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

فهل كان لهذه الصفات يستنشده عمر بن الخطاب الشعر ؟ أم انه كان يجمع الى رواية الشعر ، وهذه الحافظة ، وهذا الحس الادبي وجهها من حسن الالتقاء أيضا ؟ (1)

ولم يقتصر ابن عباس في تحصيله للادب على الشعر وحده ، وانما كان يحرص على الجمال اللغوي أينما وجدته . سمع حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو يقول : (يا بني . انسى قد أمجدتكم في أمهاتكم وأحسنتم في مهنة أموالكم ، واني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضة والناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما ينبج ولو بعد حين) قال ابن عباس : يا غلام ، اكتب لنا هذا الحديث . (2)

وحاج عمرو بن العاص عند معاوية في آية فقال عمرو (تغرب في عين حامية) وقال ابن عباس (حمئة) فلما خرج اذا رجل من الأزد قال له : بلغني ما بينكما ، ولو كنت عندك أفدتك بأبيات قالها تبع :

فرأى مغار الشمس عند غروبها

في عين ذي خلب وثأط حرمد

وجاء صاحب مقدمة المباني بهذه القضية في رواية أخرى وفيها يسأل ابن عباس كعبا ما الخلب ؟ قال : الطين - قال : وما الثأط ؟ قال : الحمئة

(1) يحكى ابن عباس فيقول : خرجت مع عمر في اول غزوة غزاها فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس انشدني لشاعر الشعراء - قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ؟ قال ابن ابي سلمى فانشدته حتى برق الفجر . فقال : حسبك ، الآن اقرأ القرآن . الاغانى 10 : 291 ط دار الكتب

(2) البيان والتبيين 2 : 67 للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون

قال : وما الحرمد ؟ قال الأسود فدعا رجلا - او غلاما فقال : اكتب ما يقول هذا • (1)

وبهذا القلب العقول واللسان السؤول (2) استطاع ابن عباس أن يجد في الآثار الأدبية ، وفي لهجات القبائل ، وفي طريقة العرب في القول ما يعينه على تفسير القرآن تفسيراً لغوياً ، وكانت الأخبار التي رويت عن ابن عباس تشير الى ابتداعه لهذا الوجه من التفسير - اى التفسير اللغوى - وتخرج الناس وشكوكهم فيما ذهب اليه ، يدلك على هذا ما يرويه حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال (بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما اليه فقالا : انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فان الله انما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما • فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) •

قال : العزون : حلق الرفاق •

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى

يكونوا حول منبره عزيـنا

(1) الفائق في غريب الحديث 1 : 297 ط دار احياء الكتب العربية سنة

1364 هـ 1945 م

(2) قيل لعبد الله بن عباس : انى لك هذا العلم ؟ فقال : قلب عقول

ولسان سؤول • البيان والتبيين 1 : 84 للجاحظ بتحقيق عبد

السلام هارون

ثم استمر يسأله على هذا الوجه مسائل عديدة ، والخبر بتمامه فى
كتاب الاتقان • (1)

ومن الذين كانوا يتخرجون من تفسير القرآن ويتهيئون موقفا
كموقف ابن عباس - عبد الله بن عمر اذ جاءه رجل فسأله عن قوله تعالى
(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) فقال
له : اذهب الى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال أخبرنى - فذهب الى ابن عباس
فسأله ، فقال : كانت السموات رتقاء لا تمطر ، والأرض رتقاء لا تنبت
ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات ، فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال : لقد
أوتى ابن عباس علما صدقا هكذا • لقد كنت أقول : ما تعجبنى جرأة ابن
عباس على تفسير القرآن • الآن قد أوتى علمه •

ومن هذا ترى أن نافع بن الأزرق وصاحبه نجدة بن عويمر يذهبان
الى ابن عباس وهما يستغربان موقفه ولا يقتنعان الا أن يأتيهما بمصادق
تفسيره من كلام العرب ، كما ترى ابن عمر يصف ابن عباس بالجرأة على
تفسير القرآن ثم يعجب بعد ذلك أن وفق فيه •

كتاب التفسير المنسوب الى ابن عباس

أول من ينسب له كتاب فى تفسير القرآن هو ابن عباس وقد أشار
ابن النديم فى تسمية الكتب المصنفة فى تفسير القرآن الكريم الى كتاب له
فى التفسير رواية مجاهد عنه فى طرق ثلاث •

(1) الاتقان فى علوم القرآن 1 : 120 ط الحلبي سنة 1370 هـ 1951 م

الاول : طريق حميد بن قيس عن مجاهد .

الثاني : طريق ورقاء عن ابي نجيع عن مجاهد .

الثالث : طريق عيسى بن ميمون عن ابي نجيع عن مجاهد . (1)

ولم يبق لنا من هذه الرواية شيء الا ما نثر منها فى بطون الكتب التى تناولت تفسير القرآن - وهناك رواية ثانية لتفسير ابن عباس وهى رواية السدى عن ابي مالك وثالثة هى رواية السدى عن ابي صالح ، ولكننا لا ندرى ان كانتا او كانت احدهما قد جمعت فى كتاب أم لا كما حدث فى الرواية التى ذكرها ابن النديم - أما الرواية التى بقيت الى اليوم فهى رواية الكلبي عن ابي صالح وقد جمعها الفيروزبادي المتوفى سنة 816 هـ فى كتاب باسم (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) (2) وهى تنتظم القرآن كله .

ولكن الباحث لا يستطيع قبول نسبة هذا الكتاب لابن عباس لأسباب عديدة منها :

- تطالعك فى صفحاته الأولى غيبات لا تتفق والوضوح الذى عرف عن وجهة ابن عباس فى التفسير . كأن يقول فى تفسير (بسم الله) الباء بهاء الله ، وبهجته ، وبلاؤه ، وبركته ، وابتداء اسمه بارىء - والسين سناؤه ، وسموه اى ارتفاعه ، وابتداء اسمه سميع - الميم ملكه ، ومجده ومنته على عباده الذين كانوا يرون فى الكواكب آلهة او مستقر آلهه وبقيت بعد ذلك فى مسلك الباطنيين الذين رأوا للحروف قوى مختلفة ترمز للآلهة أو لقوى الآلهة .

(1) الفهرست لابن النديم ط الرحمانية ص 50

(2) ط الحلبي سنة 1378 هـ - 1959 م

— تجد الكتاب يفسر كل لفظة من ألفاظ القرآن ولو كانت ظاهرة بينة بنفسها لا حاجة الى تفسيرها ، والناس فى هذا العهد المبكر لا يزالون على درجة كبيرة من فطرتهم اللغوية وفى غير حاجة الى تفسير كل المفردات ومنها السهل المعروف •

— تجد بعض التفسير مشوبا بنزعة فارسية كأن يقول فى تفسير قوله تعالى : (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) أن يعيش ألف نيروز ومهرجان وفى قوله (ولقد علموا لمن اشتراه) لمن اختار السحر والنجرات •

— جاء بعض التفسير مخالفا لروح العربية وذوقها كالذى جاء فى قوله تعالى (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) اذ يقول : وكان حجرا أعطاه الله اياه ، عليه اثنا عشر ثديا كثدى المرأة ، يخرج من كل ثدى نهر اذا ضرب عصاه عليه •

وهو يفسر اللعن بالمسخ فى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) ثم يقول بدعاء داود فصاروا قردة وبدعاء عيسى بن مريم صاروا خنازير •

الى غير ذلك مما جاء مخالفا لطريقة ابن عباس اذا وضعناه فى مقارنة مع ما نسب اليه من تفسير لقوله تعالى (وثيابك فطهر) وقوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) بل اننا نذهب الى الشك فى كثير مما وجدناه منسوبا الى ابن عباس فى كتب التفسير ومنها تفسير الطبرى •

وهناك عوامل زيفت هذه النسبة منها الملابسات التى داخلت علم التفسير فيما بعد حين مرء فى أدوار كان هم المفسر فيها أن يروج عند العامة فيزخرف ما يحكى بنسبته الى أعلام الصحابة كعلی وابن عباس ، فضلا عن التيارات السياسية والمذهبية التى اتخذت من هذه النسبة سلاحا من أسلحتها التى تدافع بها ، وبذلك جاء كثير من الروايات المنسوبة الى ابن

عباس مضطربا فاسدا كما نجد كثيرا من المفسرين لا يتخرجون عن نقد الكثير منها وتضعيفه والحمل عليه وهم يعلمون ان روايته ضعاف لا تصح روايتهم . والواقع أن كثيرا ممن يؤخذ عنهم تاريخ ابن عباس كالضحاك ، ومقاتل ، وعكرمة ، والسدي ، والكلبي لم يكونوا في الرواية من الثقة في نظر رجال الحديث ونقده الرواة .

وكما ورد الينا من التفاسير التي نسبت لابن عباس ما لا يتفق وطريقة تكوينه العقلي ، ورد الينا كذلك ما يشابه منهجه الذي ينحصر في نقطتين بارزتين : ذراسته لظروف الدعوة الاسلامية ، واعتماده على الآثار الادبية فيما يعرض له من وجوه التفسير . ومن هذا الوجه الاخير أصاب العريية ثراء جَمّ نتيجة لروايتها في سياق التفسير يستمدده من طرق ثلاث :

الشعر

وقد ذكرنا انه كان يروي منه قدرا كبيرا ، يمدده بمدد واسع في تفسير ألفاظ القرآن وتراكيبه وكان يقول في هذا : اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب . وقال سعيد بن جبير ويوسف بن مهران : سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا . وسأله رجل عن قول الله عز وجل (وثيابك فطهر) قال : لا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول غيلان الثقفي :

فانسى بحمد الله لا ثوب غادر

لبست ولا من سوء أتقنع (1)

التعرف على لهجات القبائل

كان يقف عند بعض الألفاظ التي جاءت على غير لهجة قومه السبي أن يصيبها عند ألسنة أهلها فمن ذلك قوله : ما كنت أدري ما (فاطر السموات

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 24 و 25

والارض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بشر فقال أحدهما : أنسا فطرتها (1) اى بدأت حفرها ، وجاء رجل من هذيل فقال له ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الورااء فقال ابن عباس : (فبشرناها بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب) قال : ولد الولد (2) .

ومن الفاظ هذيل ايضا كلمة (التخوف) جاءت فى قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) فكان ابن عباس يقف فيها أيضا الى أن جاءه هذلى يشكو اليه أخاه قائلًا :

تخوفنى مالى أخ لى ظالم
فلا تخذلنى اليوم يا خير من بقى

فقال ابن عباس : تخوفك تنقصك ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر (أو يأخذهم على تخوف) أى تنقص من خيارهم (3) .

وعن قتادة عن ابن عباس قال : ما كنت ادرى ما قوله (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق) حتى سمعت قول بنت ذى يزن (تعال أفاتحك) تريد أخاصمك ، وقال الزركشى يعنى أقاضيك (4) .

وبقى بعد هذا كلمات يصرح ابن عباس بأنه لا يعرفها ، اخرج ابن جريج عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله تعالى (وحنانا من لدنا) فقال : سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئًا وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : لا والله ما أدرى ما حنانا ، وأخرج الثريابى بسنده عن ابن

(1) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى 1 : 113

(2) البرهان فى علوم القرآن 293

(3) الامالى للقالى 2 : 112 والمزهر 2 : 311

(4) الاتقان 1 : 113 والبرهان 293

عباس قال : كل القرآن أعلمه الا أربعا : غسيلن ، وحنانا ، وأواه ، والرقيم وأخرج عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال : ما ادرى ما الغسلين ولكنى اظنه الزقوم (1) وربما انتهى ابن عباس الى هذا التحديد واستطاع حصر ما لا يعرف من الكلمات بعد ان تعرف على الكلمات التى كان يتوقف عندها ويسأل عنها رجال القبائل او يفيد من المناسبات التى تمده بمعانيها • ولم تكن همته قاصرة على ما جاء منها فى القرآن الكريم بل تجاوز ذلك الى ما جاء به الاستطراد ، وسبق أن رأيناه يسأل كعبا عن (الخلب) و (الثأط) و (الحرمد) •

تعرفه على الألفاظ القديمة

ومن وجه آخر كان ابن عباس يستحيى ما يبدو أنه قديم من اللغة أو جاء على لسان قبيلة بعينها نرى ذلك فى تفسيره لقوله تعالى (... مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) فقد روى عن نافع ابن أبى نعيم ان عبد الله بن عباس سئل عن قوله تعالى (وفومها) قال : الحنطة ، اما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا

ورد المدينة عن زراعة قوم (2)

وزاد فى رواية أخرى القوم : الحنطة بلسان بنى هاشم • وفى رواية
ثالثة الحنطة والخبز (2) •

ثم عنى القراء بتفسير القرآن تفسيراً لغوياً حتى كان جل الرواة من القراء وكان القرآن الكريم وتفسيره على هذا الوجه اللغوى على رأس الدواعى لرواية العربية •

(1) الاتقان 1 : 113 والبرهان 293

(2) تفسير الطبرى 1 : 311 ط الحلبى سنة 1954

الرواة وشروح القرآن

عقد ابن النديم فى كتاب الفهرست فى الفن الثالث من المقالة الأولى حديثاً ضمنه أسماء الكتب المصنفة فى علوم القرآن : تفسيره ، ومعانيه ، وغريبه ولغاته (1) ولقد كان علماء اللغة فى البصرة كما فى غيرها من البيئات العلمية علماء بالقرآن قبل كل شىء اذ كان هو الاصل الاول فيما يمارسون من علوم اللغة . فكان يحيى بن يعمر احد قراء البصرة وكان عبد الله بن ابي اسحق الحضرمى قارئاً ، وكان ابو عمرو بن العلاء شيخ علماء اللغة فى عصره من كبار علماء القرآن وهو احد القراء السبعة .

ومن اقدم من كتب فى التفسير من اللغويين أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى ، ذكر له ابن النديم كتاباً فى معانى القرآن وقال ياقوت انهما كتابان « معانى القرآن الكبير » و « معانى القرآن الصغير » ولم يصل إلينا شىء منهما . ومن قدامى اللغويين أيضاً أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسى وقد ذكر له ياقوت كتاباً فى غريب القرآن ، ومن كبار اللغويين وأوائلهم أبو عبيدة معمر بن المثنى ذكر له ابن النديم كتاباً فى (مجاز القرآن) و (معانى القرآن) و (اعراب القرآن) ولعل هذه تسميات لكتاب واحد هو (مجاز القرآن) الذى بأيدينا الآن .

مجاز القرآن لابي عبيدة

كتاب المجاز صورة كاشفة عن عقلية صاحبه ، فلم يكن أبو عبيدة عربياً يعتمد على فطرته متأثراً بلسان قبيلة من القبائل ، ولا متخصصاً فى النحو

(1) الفهرست 50 الى 53 ط الرحمانية .

مشدودا الى قواعده وقوانينه ، ولا سلفيا يلتزم بآثار السلف يقف عند المأثور لا يتعداه كما هو الحال عند كثير من الرواة ولكنه رجل من الموالي ينتسب الى تيم قريش أو تيم بن مرة • أقبل على التحصيل بنهم شديد وبرز في الشعر والغريب والأخبار والأنساب وكان كما يقول يزيد بن مرة (ما يفتش عن علم من العلوم الا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به) (1) وذكره الجاحظ فقال (لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه) (2) وربما كان تفوقه هذا يرجع الى شعوبيته ومحاولته تحقيق المجد الادبى واللاحاق بالعرب ولقد ترك لنا مؤلفات عديدة تكشف عن هذا الوجه من التحصيل من بينها كتاب مجاز القرآن •

وهو يعنى بالمجاز بيان الأساليب التى يستعملها القرآن فى التعبير عن أعراضه ، وكانت بعض هذه الأساليب لا تتفق اتفاقا دقيقا مع بعض القواعد التى تعتمد على النظر العقلى المنطقى وان كانت تتفق مع أسلوب العريضة الذى ينبغى البيان عنه ، وتتبع شواهد من الآثار الادبية الصحيحة • ذلك أن جزءا كبيرا من اللغة يجرى عليه القياس والاطراد فاحضه النحاة للتقنين، وبقي من وراء ذلك جزء لا يقبل هذا النظر الرياضى والشكل القياسى فجاء أبو عبيدة يرد الشبه التى تعرض للقرآن عند من ينظرون الى اللغة على أنها شيء يجرى على مقاييس منطقية أو عقلية •

وهو يحكى فى أسباب وضعه لهذا الكتاب فيقول : (أرسل الى الفضل بن الربيع الى البصرة فى الخروج اليه سنة ثمان وثمانين ومائة

(1) معجم الادباء 19 : 155

(2) البيان والتبيين 1 : 347 ط - لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1367 هـ 1948 م

فقدمت الى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي ... ثم دخل رجل فسي زى الكتاب له هيئة فأجلسه الى جانبي وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا علامة اهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا وقال لي : اني كنت اليك مشتاقا وقد سألت عن مسألة افتأذن لي أن أعرفك اياها ؟ فقلت هات . قال : قال الله عز وجل (طلعتها كأنه رؤوس الشياطين) وانما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس :

أَيَقْتَلْنِي والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق كانياب اغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم ان اضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت الى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز (1) .

واذا كان الاصل الذي بنى ابو عبيدة عليه كتابه هو رد الشبه الواردة على القرآن الى أسلوب العرب فانه لم يقتصر في كتابه على مواضع الشبه وحدها بل أخذ يفسر القرآن معنيا بالنص على الأساليب العريضة وتنويع معانيه على مقتضى هذه الأساليب . وكذلك لم يقتصر على الأساليب التي لم تطرد مع قوانين النحاة بل جمع في كتابه بعض هذه وتلك . فمن المجاز الذي أشار اليه النحاة على قلة ، قوله :

— ومن المحتمل من مجاز ما اختصر وفيه مضمير (وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا) فهذا مختصر فيه ضمير مجازه (وانطلق الملا منهم) ثم

(1) معجم الادباء 19 : 158 — 159

اختصر الى فعلهم وأضر فيه : وتواصوا ان امشوا • او : تنادوا ان امشوا •
أو نحو ذلك •

— ومن مجاز ما حذف وفيه مضمرة (واسأل القرية التى كنا فيها والعير
التى أقبلنا فيها) فهذا محذوف مجازه : واسأل أهل القرية ومن فى العير •
— ومن مجاز ما كف عن خبره استغناء عنه وفيه ضمير (حتى اذا
جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالد بن) ثم كف عن خبره •
الى غير ذلك • (1)

اما هذا النوع الذى لم يتفق اتفاقا دقيقا مع قوانين النحاة والذى
يجرى على أساليب العرب وطريقتهم فى القول فقد تتبع شواهد فى مثل
هذا الخبر الذى تناوله فى مجلس الفضل بن الربيع ، وفى مثل تأويله لقوله
تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال : مجازه : غير المغضوب
عليهم والضالين • و (لا) من حروف الزوائد لتتميم الكلام والمعنى
القاؤها وتمثل بقول العجاج :

فى بئر لا حور سرى وما شعر

أى فى بئر حور أى هلكه ، واستدل على ذلك أيضا بقول أبى النجم :

فما الوم البيض الا تسخرا

لما رأين الشمط القفندرا

أى فما الوم البيض أن يسخرن ، وكذلك تمثل بيت الأحوص :

ويلحيننى فى اللهو ألا أحبه

وللهو داع دائب غير غافل

(1) مجاز القرآن انظر 1 : 8 وما بعدها

والمعنى : ويلهيننى فى اللهو أن أحبه (1) •

وكذلك أشار الى زيادة (ما) فى قوله تعالى (لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة) وتتبع شاهده فى قول النابغة الذبياني :

قالت ألا ليت ما هذا الحمام لنا

الى حمامتنا ونصفه فقد (2)

وعرض للآية الكريمة (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله) اذ كانت لا تتفق قواعد النحاة مع هذه الآية فبين ابو عبيدة أنها تتفق مع أساليب العرب وقال : العرب تخرج من الرفع الى النصب اذا كثر الكلام ثم تعود بعد الى الرفع وتمثل بقول خرتق :

لا يبعدن قومى الذين هم

سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك

والطيون معاقد الأزر (3)

وناقش أبو عبيدة الاستفهام التقريرى قبل أن يصبح قضية يبحثها البلاغيون حين ذكر منها ما جاء فى القرآن الكريم فى مثل تناوله لقوله تعالى (أتجعل فيها من يفسد فيها) فقال : جاءت على لفظ الاستفهام ، والملائكة لم تستفهم ربها وقد قال تبارك وتعالى (انسى جاعل فى الارض

(1) مجاز القرآن 1 : 25

(2) مجاز القرآن 1 : 34

(3) مجاز القرآن 1 : 142

خليفة) ولكن معناها اى انك ستفعل ، وتمثل بقول جرير لعبد الملك بن مروان :

الستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وقال : وتقول وانت تضرب الغلام على الذنب : ألسن الفاعل كذا ؟
ليس باستفهام ولكن تقرير (1) •

ولم يقف جهد أبى عبيدة عند تفسير الغريب وتتبع شواهد فسى
الأساليب العربية وما جاء منها فى القرآن بل كان يستطرد أحيانا الى شرح
التفسير بما يحقق للرواية سعتها فمن ذلك قوله حول الآية الكريمة (ومن
كان فقيرا فليأكل بالمعروف) أى لا يتأثل مالا ، واستطرد قائلا : التأثل :
اتخاذ أصل مال ، والأثلة الاضل • قال الأعشى :

الست منتها عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما أظت الابل

مجد مؤثل : قديم له أصل (2) •

وفى قوله تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة) قال : واحدها التى ،
وبعض العرب يقول اللواتى ، وبعضهم يقول : اللاتى وذكر قول الأخطل :

من اللواتى اذا لانت عريكتها
يبقى لها بعده آل ومجلود

ثم استطرد الى تفسير كلمات من شعر الأخطل فقال : آلهما : شخصها ،
ومجلودها جلدها (3) ووصل به الاستطرد الى تفسير اسم شاعر تفسيرا

(1) مجاز القرآن 1 : 35 — 36

(2) المصدر السابق 1 : 117

(3) نفس المصدر 1 : 119

لغويا وذلك فى سياق شرحه لقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) حيث تمثل بقول ابن الرعلاء على وحدة المعنى فى (ميتته) خففت ام ثقلت ثم عاد فقال : (واسم ابن الرعلاء كوتى • والكوتى والكوتى يهمز ولا يهمز • والكوتى من الخيل والحمير القصار • قال : فلا ادري اىكون فى الناس أم لا ، قال : ولا ادري الرعلاء أبوه او أمه) • (1)

ولقد أحدث تأليف هذا الكتاب ضجة فى البيئات العلمية فى البصرة والكوفة على السواء • وفى البصرة كان يتزعم الحملة على ابي عبيدة أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ويتهمة بأنه يفسر القرآن برأيه وسئل ابو حاتم السجستاني عن الكتاب فقال : ما يحل لأحد ان يكتبه وما كان شئ أشد على من أن أقرأه قبل اليوم ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون على من أن أقرأه لأنه فسر القرآن على غير ما ينبغى (2) •

وقال أبو عمر الجرمى : أتيت أبا عبيدة بشئ منه فقلت له : عمن أخذت هذا يا أبا عبيدة فان هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء ؟ فقال لى : هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم •

ويبدو من حديث لأبى حاتم أنه نازعته نفسه لهذا الكتاب فراح يتأمله ويناقش فيه أحمد بن المعدل ويصف ابن المعدل بأنه كان يفهم كتاب أبى عبيدة (2) ثم وصل به الأمر الى روايته وروى عنه أبو سعيد السكرى (3) •

واكبر الظن أن الاختلاف حول هذا الكتاب فى البصرة كان مظهرا من مظاهر الخصومة بين النزعة العقلية والنزعة النقلية — وكان فى البصرة

(1) مجاز القرآن 1 : 148 — 149

(2) طبقات الزبيدى 194

(3) فهرس ابن خير 60

من يعطى عنايته لهذا الكتاب ويؤلف على منواله ، فقد وضع ابو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش كتابه فى معانى القرآن على غرار كتاب المجاز حتى لقد قال ابو حاتم فى وصف كتاب الأخفش (أخذ كتاب أبى عبيدة فى القرآن فأسقط منه شيئاً وزاد شيئاً وأبدل منه شيئاً) * (1)

أما فى الكوفة فمن الطبيعى ان تدفع العصبية واختلاف المنزع علماءها الى الانكار على أبى عبيدة والتشنيع به فقال الفراء (لو حمل الى أبى عبيدة لضربه عشرين فى كتاب المجاز) (2) * وعلى كل حال لم يلبث علماء الكوفة ان تأثروا بهذا الكتاب عن طريق الأخفش الذى التقى بالكسائى فى بغداد وقال أبو الحسن فى هذه المناسبة :

(وردت بغداد فرأيت مسجد الكسائى فصليت خلفه الغداة فلما ائمتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والاحمر وابن سعدان سلمت وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته فى جميعها ... فلما فرغت قال لى : بالله أما أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة ؟ قلت : نعم فقام الى وعانقنى وأجلسنى الى جانبه ثم قال : لى أولاد أحب أن يتأدبوا بك ويتخرجوا عليك ... فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألنى أن أوّلف له كتابا فى معانى القرآن فألفته فجعله امامه وعمل عليه كتابا فى المعانى (3) ولكن لم يصل الينا كتاب الكسائى حتى نفتش عن أثر أبى عبيدة أو أثر الأخفش فيه * أما الذى وصل الينا من آثار الكوفة فهو كتاب معانى القرآن للفراء *

(1) طبقات الزبيدى 74 — 75

(2) معجم الادباء 19 : 159

(3) المصدر السابق 11 : 227

معاني القرآن للفراء

ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء من رؤساء الكوفيين ، ومن أشهر اصحاب الكسائي واعلم الكوفيين بالنحو من بعده ، وكان ابو زكريا قريب الصلة بالبصرة وبالبصريين ، ذكر ياقوت انه تلمذ ليونس بن حبيب فاستكثر منه (1) وأشار ثعلب الى هذه الصلة فقال في مجلسه يوما « مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه » وكان كما يقول ثعلب يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في الفاظه كلام الفلاسفة (2) فنزعته اذن نزعة عقلية ادنى ما تكون الى النزعة البصرية .

وضع الفراء كتاب (معاني القرآن) في بغداد قبيل وفاته بزمان قليل بعد أن صار من رجال القصر في بطانة المأمون بين سنة ٢٠٤ وهي سنة قدوم المأمون العراق وسنة ٢٠٧ وهي سنة وفاة الفراء وقد أورد ياقوت عن ابى بريدة الوضاحي نصا عن هذا الكتاب وعن ظروف وضعه بعد ان فرغ من كتاب الحدود الذي اعدده للخليفة المأمون فقال (. . .) وبعد أن فرغ من ذلك « أي من كتاب الحدود » خرج الى الناس وابتدأ يملئ كتاب المعاني ، وكان وراقية سلمة بن عاصم ، وابو نصر بن الجهم - قال أبو بريدة : فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملأ كتاب المعاني فلم نضبط عددهم ، ولما فرغ من املائه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به وقالوا : لا نخرجه لأحد الا لمن أراد أن ننسخه له على أن يكون عن كل خمسة أوراق درهم - فشكا الناس الى الفراء فدعا الوراقين وكلمهم في ذلك وقال : قاربوا الناس تنفعوا وتنتفعوا فأبوا عليه ، فقال : سأريكم ، وقال للناس :

(1) معجم الادباء 20 : 10

(2) وفيات الاعيان 5 : 228

انى أريد أن أملئ كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولاً من الذى أملت قبلاً
وجلس يملئ فأملئ فى الحمد مائة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا : نحن
نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشرة اوراق بدرهم) * (1)
ولكن السمرى وهو أحد رواة الكتاب يروى خبراً آخر - ولعله
أكثر دقة من سابقه ، وأشار الى أنه بدأ باملاء الكتاب قبل أن يحضر المأمون
من خراسان الى بغداد فقال فى صدر كتاب المعانى (هذا كتاب فيه معانى
القرآن أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء يرحمه الله عن حفظه من
غير نسخة فى مجالسه أول النهار من أيام الثلاثات والجمع فى شهر
رمضان وما بعده من سنة اثنتين وفى شهور سنة ثلاث وشهور من سنة
أربع ومائتين) *

ويحكى ابن النديم فى سبب وضعه لهذا الكتاب أن عمر بن بكبر
كان منقطعاً الى الحسن بن سهل فكتب الى الفراء ان الأمير الحسن بن
سهل ربما سألنى عن الشئ بعد الشئ من القرآن فلا يحضرنى فيه
جواب ، فان رأيت ان تجمع لى أصولاً او تجعل فى ذلك كتاباً ارجع اليه
فعلت * (2)

ودواعى وضع هذا الكتاب كما ترى تتشابه مع دواعى وضع كتاب
المجاز لأبى عبيدة حين سألته ابراهيم بن اسماعيل وهو من كتاب الفضل بن
الربيع عن الوجه فى قوله تعالى (طلعها كأنها رؤوس الشياطين) مما يدل على
ضعف السليقة حين بسطت العربية سلطانها خارج الجزيرة العربية ، وإذا
بدت هذه الظاهرة عند رجلين من الكتاب فهى فى عامة الناس أعم وأظهر
مما يفسر تراحم الطالبين على حلقة الفراء ، ومسلك الوراقين فى اختزان
الكتاب للتكسب به *

(1) معجم الادباء 20 : 12 — 13
(2) الفهرست لابن النديم 99 ط الرحمانية

روى كتاب الفراء من طريقين ، الرواية الاولى لمحمد بن الجهم السمرى كتابة عن الفراء وهى النسخة التى بأيدينا حدد فى صدرها تاريخ الاملاء - اما الرواية الثانية فهى لسلمة بن عاصم الذى كان يجىء بعد ان ينفذ الناس من مجلس الاملاء فيأخذ كتابة بعضهم ويعرضها على الفراء وهى نسخة نالت تقدير العلماء فكان محمد بن القاسم بن محمد الانبارى يقول (كتاب سلمة أجود الكتب) (1) وهى نسخة مفقودة على ما أعلم *

لم يلتزم الفراء تفسير آيات القرآن كلها ، وانما كان يتناول ما اشكل منها ولذلك يطلق على الكتاب اسم آخر غير الاسم الذى ظهر به وهو (تفسير مشكل اعراب القرآن ومعانيه) *

تلمح فى الكتاب الى جانب التفسير المعجمى لبعض اللفاظ دقة عجيبة فى فهم الاسلوب العربى وادراكا لما بين الاساليب والعبارات فى الفروق كما تضمن اعراب القرآن طريقة أداء البدو للقراءة والوجه فى هذا الاداء فمن ذلك كلامه فى (الحمد) حيث يقول :

اجتمع القراء على رفع (الحمد) واما أهل البدو فمنهم من يقول (الحمد لله) بفتح الدال ، ومنهم من يقول (الحمد لله) بكسر الدال ، ومنهم من يقول (الحمد لله) فيرفع الدال واللام - فأما من نصب فانه يقول (الحمد) ليس باسم انما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول : أحمد الله فاذا صلح مكان المصدر فعل أو يفعل جاز فيه النصب من ذلك قول الله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن يقول : فاضربوا الرقاب * ومن ذلك قوله (معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) يصلح أن نقول فى مثله من الكلام : نعوذ بالله ، ومنه قول العرب : سقيا لك ، ورعا لك يجوز مكانه : سقاك الله ، ورعاك الله *

(1) طبقات الزبيدي 150

وأما من خفض الدال من (الحمد) فانه قال : هذه كلمة كثرت على
ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم
واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ووجدوا الكسرتين
قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل (ابل) فكسروا الدال ليكون على
المثال من اسمائهم *

وأما الذين رفعوا اللام فانهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب
الذى يجتمع فيه الضمتان مثل (الحلم) و (العقب) (1) *

وهنا تتضح صفة الفراء كرجل رواية ، يروى قراءات القراء ويبين
الوجه فيها كما يروى أيضا طريقة اداء أهل البدو *

الاستطراد الى شرح الأساليب العربية

وربما اتخذ الفراء الآية سببا للاستطراد وذكر الأساليب العربية التى
يجوز قولها فى المناسبة وتخريج بعض القراءات على هذه الأساليب * ففى
قوله تعالى (واذا غدت من اهلك تبوء المؤمنون مقاعد القتال) يقرؤها
عبد الله (تبوء للمؤمنين) فيقول الفراء : « والعرب تفعل ذلك فيقولون
ردفك ، وردف لك - قال الكسائي : سمعت بعض العرب يقول : نقدت
لها مائة يريدون نقدتها مائة لامرأة تزوجها ، وانشدنى الكسائي :

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

والكلام باللام كما قال تبارك وتعالى (واستغفرى لذنبك) أو (فاستغفروا
لذنوبهم) وانشدنى :

استغفر الله من جدى ومن لعبى وزرى وكل امرىء لا بد متزر

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 3 و 4

يريد لوزري (1) وفي قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) يقول
الفراء :

« الكلام العربى هكذا بالباء ، وربما طرحت العرب الباء فقالوا .
اعتصمت بك ، واعتصمتك » قال بعضهم :

إذا انت جازيت الاخاء بمثله وأسيتنى ثم اعتصمت حباليا

فألقي الباء وهو كقولك : تعلقت زيدا ، وتعلقت بزيد وانشد بعضهم :

تعلقت هندنا ناشئا ذات مئزر وانت وقد قارفت لم تدر ما الحلم (2)

وفي قوله تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة) قرأها عبد الله (واللاتى يأتين
بالفاحشة) قال الفراء « والعرب تقول : أتيت أمرا عظيما ، وأتيت بأمر
عظيم ، وتكلمت كلاما قبيحا ، وبكلام قبيح وقال فى مريم (لقد جئت
شيئا فريا) و(جئتم شيئا ادا) - ولو كانت فيه الباء لكان صوابا » (3)
والعبارة الاخيرة تشير الى عناية الفراء بالاساليب العربية ولو لم يرد بها
قراءة .

وفي تعاقب (4) الحروف يقول فى (وما تدخرون) هى تفتعلون من
ذخرت وتقرأ (وما تدخرون) خفيفة على تفتعلون ، وبعض العرب يقول
تدخرون فيجعل الدال والذال يعتقبان فى تفتعلون من ذخرت ، وظلمت ،
تقول : مظلم ومظلم ، ومذكر ومذكر - وسمعت بعض بنى اسد يقول : قد
أثغر وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة وغيرهم قد أثغر * (5)

(1) معانى القرآن 1 : 233

(2) معانى القرآن 1 : 228

(3) معانى القرآن 1 : 258

(4) التعاقب والاعتقاب بمعنى واحد ، اللسان ع ق ب

(5) معانى القرآن 1 : 215

ولما كانت هذه القضية ناشئة عن تاء الافتعال فقد أفرد لتاء الافتعال حديثا يقول فيه (فاما الذين يقولون : يدخر ويدكر ومدكر فانهم وجدوا التاء اذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء فى الذال فصارت ذالا فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرف الافتعال من ذلك فنظروا الى حرف يكون عدلا بينهما فى المقاربة فجعلوه مكان التاء ومكان الذال •

وأما الذين غلبوا الذال فامضوا القياس ولم يلتفتوا الى أنه حرف واحد فادغموا تاء الافتعال عند الذال والتاء والطاء • (1)

ويقول : (ولا تنكرون اختيارهم الحرف بين الحرفين فقد قالوا : ازدرج ومعناها : ازتجر فجعلوا الدال عدلا بين التاء والزاي ، ولقد قال بعضهم : مزجر فغلب الزاي كما غلب التاء - وسمعت بعض بنى عقيل يقول : عليك بأبوال الطباء فاصعطها فانها شفاء للطحل فغلب الصاد على التاء - وتاء الافتعال تصير مع الصاد والضاد طاء كذلك الفصيح من الكلام كما قال الله عز وجل (فمن اضطر فى مخمصة) ومعناها افتعل من الضر • وقال الله تبارك وتعالى (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها) فجعلوا التاء طاء فى الافتعال • (2)

وعرض الفراء لظاهرة الابدال فى كلام العرب حين تناول قوله تعالى : (وفومها وعدسها وبصلها) معللا لقراءة عبد الله اذقرأها (وثومها) بالثاء • قال الفراء (فان القوم فيما ذكر لغة قديمة وهى الحنطة والخبز

(1) معانى القرآن 1 : 216

(2) نفس المصدر والصفحة

جميعا قد ذكرا ، قال بعضهم : سمعنا العرب من اهل هذه اللغة يقولون . فوموا لنا بالتشديد لا غير يريدون اختبزوا ، وهى فى قراءة عبد الله وثومها - بالثاء - فكأنه اشبه المعنيين بالصواب لانه مع ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه ويقول :

(والعرب تبدل الفاء بالثاء فيقولون : جدث وجدف ، ووقعوا فى عاثور شر وعافور شر - والاثاثى والاثافى - وسمعت كثيرا من بنى اسد يسمى المغاير المغاير) (1) •

والقراء لا يريد ان يقطع بأن ثومها التى قرأ بها عبد الله هى ابدال من فومها التى ذهب اليها اكثر القراء وذلك لاختلاف المعنى اذا اريد بها الثوم غير الفوم بمعنى الخبز والحنطة فهى عنده أشبه المعنيين بالصواب للمشاكلة مع العدس والبصل - والوجه الآخر ان تكون الثوم مبدلة من الفوم فهذا ثانى المعنيين كما تدل على ذلك عبارته : (فكأنه اشبه المعنيين) وقد تحدث بعد ذلك صراحة عن ظاهرة الابدال فيما جاء فى بقية العبارة •

ومن الفوائد اللغوية التى اتخذ فيها الفاظ القرآن سببا للكلام ما ذكره فى سياق عرضه لقوله تعالى (فى بروج مشيدة) يقول : يشدد ما كان من جمع مثل قولك : مررت بثياب مصبغة ، واكبش مذبحة فجاء التشديد لان الفعل متفرق فى جمع فاذا افردت الواحد من ذلك فان كان الفعل يتردد فى الواحد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف مثل قولك : مررت برجل مشجج ، وبثوب ممزق جاز التشديد لان الفعل قد تردد فيه وكشر • وتقول : مررت بكبش مذبوح ولا تقل مذبح لا يتردد كتردد التمزق •

(1) معانى القرآن 1 : 41

وقوله (بئر معطلة وقصر مشيد) يجوز فيه التشديد لأن التشييد بناء فهو يتناول ويتردد • (1)

وفي قضية التضاد

كان اللغويون يذكرون لفظ (الرجاء) فى الاضداد يأتي بمعنى الامل كما يأتي بمعنى الخوف ذكر ذلك ابو سعيد عبد الملك الاصمعى فى كتابه (٢) وقال ابو حاتم : الرجاء يكون طمعا ويكون خوفا وفى القرآن فى معنى الطمع (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وفى قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) وقوله (واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) كما تمثل بقول كعب بن زهير :

ارجو وآمل ان تدنو مودتها وما أخال لدينا منك تنويل
اراد الطمع • (3)

ثم قال : والرجاء فى القرآن فى معنى الخوف كثير قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقال (الذين لا يرجون لقاءنا) وقوله (وارجوا اليوم الآخر) • (4)

ولكن الفراء اشترط الجحد (النفي) لمجىء الرجاء بمعنى الخوف فقال : قال بعض المفسرين : معنى ترجون تخافون ، ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء الا ومعه جحد فاذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء

(1) معانى القرآن 1 : 277

(2) كتاب الاضداد للاصمعى 23

(3) كتاب الاضداد لابی حاتم 80

(4) كتاب الاضداد لابی حاتم 80 و 81

والخوف . وكان الرجاء كذلك كقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) هذه للذين لا يخافون أيام الله وكذلك قوله (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة وهي لغة حجازية وقال الراجز :

لا ترتجى حين تلاقى الذائدا اسبعة لاقت معاً أم واحدا

وقال الهذلي :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

وقال : ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك ، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك (1) وناقش أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري هذه القضية وقال : (كلام العرب في الرجاء على ما ذكر الفراء) * (2)

ومن اختلاف لهجات الأحياء

يقول حول الآية (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الحي القيوم قراءة العامة أي عامة القراء — ، وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود القيام — وقال : وصورة القيوم الفيعل — والقيام الفيعل وهما جميعا مدح وأهل الحجاز أكثر شيء قولاً الفيعل من ذوات الثلاثة فيقولون للصواغ الصياغ * (3)

وقرئت (يشرء) بالتخفيف والتشديد فقرأها أصحاب عبد الله في خمسة مواضع بالتخفيف — في آل عمران حرفان — وفي بني إسرائيل —

(1) معاني القرآن للفراء 1 : 286

(2) الاضداد في اللغة للأنباري 10

(3) معاني القرآن 1 : 109

وفى الكهف - وفى مريم والتخفيف والتشديد صواب كما يحكى الفراء
ويقول : وكان المشدد على بشارات البشراء ، وكان التخفيف من وجهة
الافراح والسرور وهذا شىء كان المشيخة يقولونه ، وانشدنى بعض
العرب :

بشرت عيالى اذ رأيت صحيفة اتتك من الحجاج، يتلى كتابها
وقال بعضهم ابشرت ولعلها لغة حجازية ، وسمعت سفيان بن عيينة (1)
يذكرها يبشر - وبشرت لغة سمعتها من عكل ، ورواها الكسائى عن غيرهم
وقال ابو ثروان بشرنى بوجه حسن ، وانشدنى الكسائى :
واذا رأيت الباهشين الى العلا غبرا اكفهم بقاع محل
فأعنهم وابشر بما بشروا به واذا هم نزلوا بضنك فانزل
وسائر القرآن يشدد فى قول اصحاب عبد الله وغيرهم (2)

ومن الذوق اللغوي

الكناية عن الشىء بلفظ ارفع ذوقا واكثر تأديبا * اوضح الفراء ذلك
فى سياق تفسيره لقوله تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) فقال : لا يصفن
أحدكم نفسه فى عدتها بالرغبة فى النكاح والاكثر منه ، وروى بسنده عن
ابن عباس انه قال (السر) فى هذا الموضع النكاح وانشد بيت امرئ
القيس :

الا زعمت بسباسة اليوم انسى كبرت والا يشهد السر أمثالى
ومما يراه الفراء مع هذا السياق قوله تعالى (أو جاء احد منكم من
الغائط) كناية عن قضاء الحاجة (3) *

(1) ولد بالكوفة ونقله ابوه الى مكة وعده ابن سعد فى الطبقة الخامسة
من اهل مكة

(2) معانى القرآن 1 : 212

(3) معانى القرآن 1 : 153

افتراض المشابهة :

ولم يجد القراء فى بعض القراءات وجها من العربية على جهة القطع فادارها على بعض أساليب العربية على سبيل افتراض المشابهة فمن ذلك قوله فى قراءة بعضهم (وعبد الطاغوت) بضم الباء فقال فان تكن فيه لغة مثل حَذِرَ وحَذَّرَ وعَجَلَّ فهو وجه — والا فانه اراد — والله اعلم — قول الشاعر :

ابنى لبينى ان امكم امة وان اباكم عبء

وهذا فى الشعر يجوز لضرورة القوافى فاما فى القراءة فلا (1) •

التسليم بما قالت العرب

وهو اذ يعتمد احيانا على قواعد النحاة ، والحس اللغوى فانه كان كبقية الكوفيين يسلم بما قالت العرب ولو جاء خارجا عما ذكره النحاة ، من ذلك ما أورده حول قوله تعالى فى سورة يونس (قل لو شاء الله ما تلوتنه عليكم ولا ادراكم به) قال : وقد ذكر عن الحسن انه قال (ولا ادراكم به) فان يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعل الحسن ذهب اليها — واما ان تصلح من دريت أو أدريت فلا لأن الياء والواو اذا انفتح ما قبلها وسكتنا صحتا ولم تنقلبا الى الف مثل قضيت ودعوت — ولعل الحسن ذهب الى طبيعته وفصاحته فهمزها لأنها تضارع درات الحد وشبهه — وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجى بأبيات • ويقولون : لبأت بالحج ، وحلات السويق فيغلطون لأن حلات قد يقال فى دفع العطاش من الابل ، ولبأت ذهب الى اللبأ الذى يؤكل ، ورثأت زوجى ذهبت الى رثئة اللبن وذلك اذا حلبت الحليب على الرائب (2) •

(1) معانى القرآن 1 : 314 — 315

(2) معانى القرآن 1 : 459

وهكذا يتخذ من خطأ العرب فى همز ما لا يهمز مخرجاً لقراءة الحسن راداً ذلك الى طبيعته وفصاحته — والفراء يسلم بما جاء عن العرب ويخرج عليه قراءة الحسن ومن الطبيعى انه لا يخرج على شىء يرفضه •

وفى هذا العرض تتضح صفة الفراء يروى قراءات القراء ، ويروى طريقة اداء اهل البدو ثم ينتقل الى الناحية النحوية فيأخذ فى توجيهه صور الاداء المختلفة ويتتبع النظائر فى القرآن ، وفى المأثور من كلام العرب ولو خالف هذا المأثور قواعد النحاة •

تأويل مشكل القرآن

رأينا فى الكتابين السابقين : مجاز القرآن ، ومعانى القرآن رجلين من الكتاب يستعينان أبا عبدة والفراء فهم ما غمض من الآيات ، ولكننا فى هذا الكتاب (تأويل مشكل القرآن) أمام لون آخر من الناس اعترضوا كتاب الله بالطعن ، ولغوا فيه وهجروا وابتغوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) •

وابن قتيبة — كمعظم العلماء — يدرك العلاقة بين فهم القرآن ومعرفة العربية فيقول (وانما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها فى الاساليب) فجاء كتابه كتاب لغة فى اكثر صفحاته • وكان عليه قبل ان يأخذ فى تفنيد حجج الملاحدة ان يكشف عن اسرار العربية والوجوه التى غدت على أكثرهم ثم يأخذ فى توجيه معانى القرآن على الوجه الذى تعنيه العرب وطريقتهم فى القول ••• ثم عقد باين احدهما لأصول الكلمات والآخر لحروف المعانى ونحن نبسط هذا الايجاز • فمن أساليب العرب :

ـ انهم قد يفرقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين فيقولون : رجل لثَعْنَة (بسكون العين) اذا كان يلعنه الناس فان كان هو الذى يلعن الناس قالوا : رجل لثَعْنَة (بفتح العين) والامر على هذا القياس في قولهم رجل سُبَّة وسُبَّبة ، وهُزْأَة وهُزْأَة ، وسُخْرَة وسُخْرَة ، وضُحْكَة وضُحْكَة ، وخُدْعَة وخُدْعَة (1) .

ـ وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين كقولهم للماء المالح الذى لا يشرب الا عند الضرورة شروب ، ولما كان دونه مما قد يتجاوز به شريب ... وكقولهم للقبض بأطراف الاصابع قبض وبالكف قبض وللاكل بأطراف الأسنان قضم وبالفم خضم ... (2) .

ـ وقد يكتنف الشيء معان فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء كقولهم من البطن :

- للخميص مَبْطَن
- وللعظيم البطن اذا كان خلقه بَطِين
- فاذا كان من كثرة الاكل قيل مِيطَان
- وللمنهوم بَطِين
- ولعليل البطن مَبْطُون

ويقولون : وَجَدْتُ الضالة ، ووجدت فى الغضب ، ووجدت فى الحزن ، ووجدت فى الاستغناء ثم يجعلون الاسم فى الضالة وجودا

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 12 ط دار احياء الكتب العربية

1373 هـ 1954 م

(2) تأويل مشكل القرآن 12 و 13

ووجَدانا ، وفى الحزن وَجَدَا ، وفى الغضب مَوْجِدَةٌ ، وفى الاستغناء
وَجَدَا (1) .

— ومن الكلام العربى واحد يراد به جمع ، جاء ذلك فى قوله تعالى
(يخرجكم طفلا) كما جاء فى قول الشاعر :

هم المولى وان جنفوا علينا وإنا من لقائهم لزور (2)

— ومنه ان يجتمع شيان فيجعل الفعل لأحدهما وهو لهما كقوله تعالى
(واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها) وكقول الشاعر :

نحن بما عندنا وانت بما عن صدك راض والرأى مختلف (3)

— او ان تأمر الواحد ، والاثنين ، والثلاثة فما فوق امرك الاثنين
فتقول : افعل كقوله تعالى (القيا فى جهنم كل كفار عنيد) وكقول الشاعر :

فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع اصوله ، واجتز شيحا (4)

— وكذلك يقدمون الحرف فى الكلمة وسبيله التأخير ، ويؤخرون
الحرف وسبيله التقديم فيقولون : جذب وجبذ ، وبشر عميقة ومعيقة ،
وأحجمت من الامر وأجحمت .. (5)

— ووقع اكثر المجاز فى الاستعارة ، فالعرب تستعير الكلمة فتضعها
مكان الكلمة للمجاورة او المشاكلة وجاء ابن قتيبة بعدد من امثلة الاستعارة
وما تعودته العرب منها — ومن الاستعارة فى كتاب الله قوله عز وجل (يوم
يكشف عن ساق) قال ابن قتيبة : « اى عن شدة من الامر كذلك قال قتادة ،
وقال ابراهيم : عن امر عظيم ، واصل هذا ان الرجل اذا وقع فى امر عظيم

(1) تأويل مشكل القرآن 13 (2) تأويل مشكل القرآن 219

(3) تأويل مشكل القرآن 222 (4) تأويل مشكل القرآن 224 ،

لان نزع الشيخ اسهل من جدور الحطب

(5) تأويل مشكل القرآن 234

يحتاج الى معاناته والجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق فنى موضع الشدة ، وقال دريد بن الصمة

كميش الازار خارج نصف ساقه صبور على الجلاء طلاع امجد
وكقول الهذلى :

وكنت اذا جارى دعا لمضوفة

أشمّر حتى ينصف الساق مئزرى « (1)

— والمقلوب من اساليب العرب ومنه أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفؤل كقولهم للتديغ سليم تطيرا من السقم ، وللعطشان ناهل اى سينهل يعنون : يروى ، وللفلانة مفازة اى منجاة وهى مهلكة — وللمبالغة فى الوصف ، كقولهم للشمس : جونة لشدة ضوئها ، وللغراب أعور لحدة بصره • وللاستهزاء ، كقولهم للحبشى أبو البيضاء ، وللأبيض أبو الجون— ومن هذا قول قوم شعيب (انك لأنت الحليم الرشيد) كما تقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وتستخفه : يا حليم • (2)

ومن المقلوب ما يأتى فى العبارة كقولهم : كان الزناء فريضة الرجم أى كان الرجم فريضة الزنا (3)

— ومن اسلوبهم (التضاد) فيسمى المتضادان باسم واحد فيقال للصبح صريم وللليل صريم • قال الله سبحانه (فأصبحت كالصريم) أى سوداء كالليل لأن الليل ينصرم عن النهار ، والنهار ينصرم عن الليل — وللظلمة سدفة ، وللضوء سدفة وأصل السدفة السترة فكان الظلام اذا اقبل ستر للضوء ، والضوء اذا اقبل ستر للظلام (4)

(1) تأويل مشكل القرآن 104

(2) تأويل مشكل القرآن 142

(3) تأويل مشكل القرآن 233

(4) تأويل مشكل القرآن 143

ولليقين ظن ، وللشك ظن لان فى الظن طرفا من اليقين ، قال الله عز وجل (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اى يستيقنون ، وكذلك (انى ظننت انى ملاق حساييه) و (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها) و (ان ظنا ان يقيما حدود الله) هذا كله فى معنى اليقين ، وتمثل ابن قتيبة بيت دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بالنسى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد
أى تيقنوا باتيانهم اليكم • (1)

وتأتى (وراء) بالمعنيين خلف وقدام يقول ابن قتيبة : « فكل ما غاب عن عينيك فهو وراء كان قدامك او خلفك » • قال الله عز وجل (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) أى امامهم ، وقال (من وراءهم جهنم) أى امامهم (2)

— ومن أسلوب العرب فى الاختصار حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وجعل الفعل له ما جاء فى القرآن الكريم من هذا الأسلوب قوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها) أى واسأل أهل القرية ، وقوله فى سورة البقرة (وأشر بوا فى قلوبهم العجل) أى حبه و (الحج اشهر معلومات) أى وقت الحج • • • • • (3)

ومن الاختصار الاضمار لغير مذكور كقوله جل وعز (حتى توارت بالحجاب) يعنى الشمس ولم يذكرها قبل ذلك • وقوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة) يريد على الارض • ومن هذا الاسلوب قول حاتم :

أماوى ما يعنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
يعنى النفس (4) •

(1) تأويل مشكل القرآن 144

(2) تأويل مشكل القرآن 145

(3) تأويل مشكل القرآن 162 و 163

(4) تأويل مشكل القرآن 174 و 175

ومن الاختصار أن يأتي الكلام مبينا على أن له جوابا فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به كقوله سبحانه (ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى بل لله الأمر جميعا) أراد لكان هذا القرآن فحذف . وكذلك قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رؤوف رحيم) أراد لعذبكم فحذف ، ومن كلام العرب في هذا قول الشاعر :

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ، ولكن لم نجد لك مدفعا
أي لرددناه (1) .

ومنه أن تحذف (لا) من الكلام والمعنى اثباتها كقوله سبحانه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أي لا تزال تذكر يوسف . ومنه قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا . و (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أي لئلا تزولا ومن هذا قول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو ضربوا رأسي لديك وأوصالي
وقول الآخر :

فلا وابي دهماء زالت عزيزة على قومها ما فتل الزند قادح (2)

— ومن أسلوبهم أيضا زيادة اللفظ اشباعا للمعنى أو توكيدا له كقوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان) والنخل والرمان من الفاكهة فهذا اشباع للمعنى ومنه قول ذي الرمة :

لمياء في شفيتها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب
واللعس هو حوة ، واللعس يستحسن في الشفاء

وأما الزيادة في التوكيد كقوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في

(1) تأويل مشكل القرآن 165 و 166

(2) تأويل مشكل القرآن 174

قلوبهم) لان الرجل قد يقول بالمجاز : كلمت فلانا ، وانما كان ذلك كتابا
أو اشارة على لسان غيره فأعلمنا أنهم يقولون بالسنتهم وكذلك قوله تعالى
(يكتبون الكتاب بأيديهم) لان الرجل قد يكتب بالمجاز وغيره الكاتب
عنه ، وقال تعالى (فراغ عليهم ضربا باليمين) لان في اليمين القوة وشدة
البطش وقال الشماخ في مثل هذا :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين (1)

وقد تزداد (لا) في الكلام والمعنى طرحها لا باء في الكلام او جحد
كقول الله عز وجل (ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك) اي ما منعك أن
تسجد ، وعرض ابن قتيبة لحروف الزيادة فذكر منها : الباء ، واللام ،
والكاف ، وعلى ، وعن ، وان الثقيلة ، واذ ، وما ، وواو النسق ومثل لكل
هذا . (2)

حجج الملاحدة

اتبع الملاحدة ظاهر القول فاشاروا الى اختلاف القراءات واحتجوا
بقول الله عز وجل (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)
فأجابهم ابن قتيبة ان القرآن نزل على لهجات العرب ليقرأ كل عربي بلغته
وما جرت عليه عادته فالهذلي يقرأ (عتي حين) يريد (حتى حين) ،
والأسدي يقرأ (تسود وجوه) بكسر التاء و (الم اعهد اليكم) بكسر
الهمزة في اعهد ، والتيمى يهز والقريشي لا يهز ولو ان كل
فريق من هؤلاء امر ان يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا
وكهلا لاشتد ذلك عليه . (3)

(1) تأويل مشكل القرآن 186 و 187 و 188

(2) تأويل مشكل القرآن 194 وما بعدها

(3) تأويل مشكل القرآن 30

فلما عادوا الى حديث نسب الى عائشة ، وآخر نسب الى عثمان
يشيران الى وجود اللحن فى القرآن فى مثل قوله تعالى فى سورة طه (ان
هذان لساحران) وفى سورة المائدة (ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون) وفى سورة النساء (لكن الراسخون فى العلم والمؤمنون
يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمى الصلاة والمؤتون
الزكاة) أحالهم ابن قتيبة الى لغات العرب وأساليبهم بالاضافة الى آراء
النحاة فمن ذلك لغة بلحارث بن كعب حيث يقولون : مررت برجلان ،
وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يديه وركبت علاه وانشدوا :
تزود منا بين أذنائه ضربة دعت الى هابى التراب عقيم
وقالوا :

أى قلوب راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها (1)
فكانوا يقلبون الياء الساكنة ألفا اذا انفتح ما قبلها .
وفى قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) قال :
رفع الصابئون لانه رد على موضع (ان الذين آمنوا) وموضعه رفع ومن
أساليب العرب فى هذا قول ضابىء البرجمى :
فمن يك أمسى بالمدينة رحله فانى وقيار" بها لغريب (2)
وفى نصب المقيمين اسند الى ابي عبيدة قوله : هو نصب على تطاول
الكلام بالنسق ومن أساليب العرب فى هذا قول الخرنق بنت هفان :
لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (2)
وفى باب التناقض والاختلاف رد ابن قتيبة على ما ذكر الطاعنون من
حجج نكتفى منها بما يتصل باللغة كقولهم : ما معنى قوله (كمثل غيث

(1) تأويل مشكل القرآن 36

(2) تأويل مشكل القرآن 38

أعجب الكفار نباته) ولم خص الكفار دون المؤمنين ؟ فقال ابن قتيبة
انما يريد بالكفار هنا الزراع وأحدهم كافر ، وانما سمي كافرا لأنه اذا
ألقى البذر فى الارض كفره أى غطاه ، وكل شىء غطيته فقد كفرته
ومنه قول الشاعر :

يعلو طريقه متنها متواترا فى ليلة كفر النجوم غمامها
أى غطاها • (1)

وقالوا فى قوله تعالى للسماء والارض (ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا
طائعين) لم يقل الله ، ولم يقولوا وكيف يخاطب معدوما ؟ فتمثل ابن قتيبة
بقول الشاعر يتحدث عن ناقته :

تقول اذا درأت لها وضيئى أهذا دينه أبدا ودينى
أكل الدّهر حل وارتحال اما يبقى على ولا يقينى ؟
وهى لم تقل شيئا من هذا ولكنه رآها فى حال من الجهد والكلال
ففقضى عليها بأنها لو كانت من تقول لقالت مثل الذى ذكر (2) الى
غير ذلك من أساليب المجاز •

تأويل المشكل

اشكل الامر التبس وحرف مشكل مشتبه ملتبس كما يقول
صاحب اللسان • ولقد تناول ابن قتيبة هذا المشكل فيما عرض له من تفنيد
حجج الطاعنين ، ثم أفرد بابا لسور من القرآن اختار بعض آياتها دون تنظيم
معين ، وربما تكلم فى آيات من سورة واحدة فى اماكن مختلفة ولم
يستوف الكلام الا فى سورة الجن وعلل لذلك بقوله (فى هذه السورة
اشكال وغموض بما وقع فيها من تكرار (ان) واختلاف القراء فى نصبها
وكسرها واشتباه ما فيها من قول الله تعالى وقول الجن فاحتجنا لتأويل
السورة كلها) •

(1) تأويل مشكل القرآن 54

(2) تأويل مشكل القرآن 78 — 79

واتجه ابن قتيبة اتجاهات مختلفة في علاج هذا المشكل فهو فى
أحيان كثيرة يعنى بالامثال - والتمثل شائع فى العربية جاء منه فى القرآن
كثير ولعله عنى بهذا الضرب لبيان الوجه فى المثل حتى لا يشتبه تأويله -
ومن الامثال ما غمضت عبارته فكان دور ابن قتيبة أن يأخذ بيد القارئ أو
السامع حتى يجلى غامضها سواء كان ذلك فى تركيب العبارة أو شرح
المفردات - جاء فى سورة الرعد قوله تعالى (انزل من السماء ماء فسالت
أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا راييا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء
حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب
جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال) .
يقول ابن قتيبة : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ويقول : الباطل وان
ظهر على الحق وعلاه فان الله سيمحقه ويبطله ، ويجعل العاقبة للحق وأهله ،
ومثل ذلك مطر جود أسال الأودية بقدرها : الكبير على قدره والصغير على
قدره . (فاحتمل السيل زبدا راييا) أى عاليا على الماء كما يعلو الباطل تارة
على الحق ، ومن جواهر الأرض التى تدخل الكير ويوقد عليها يعنى
الذهب والفضة للحلية ، والشبه والحديد للآلة حيث يعلوها مثل زبد الماء
(فأما الزبد فيذهب جفاء) أى يلقيه الماء عنه فيتعلق بأصول الشجر
وبجنبات الوادى ، وكذلك خبث الفلز يقذفه الكير فهذا مثل الباطل (وأما
ما) الماء الذى (ينفع الناس) وينبت المرعى (فيمكث فى الارض) وكذلك
الصفو من الفلز يبقى خالصا لا شوب فيه فهو مثل الحق (1) وقد اتبع
هذا الوجه فيما جاء من أمثال فى سورة النور (2) والروم (3) والنحل (4) .

(1) تأويل مشكل القرآن 251

(2) الآيات 35 — 40 ص 252 من كتاب تأويل مشكل القرآن

(3) الآية 27 و 28 ص 297

(4) الآية 92 ص 301

وقد يكون للفظ خاصية لغوية فيبينها ويزيل بذلك غموض المعنى .
جاء في سورة الاعراف قوله تعالى (فمثلته كمثل الكلب ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون) فقال : فكل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء أو عطش أو
علة خلا الكلب فانه يلهث في حال الدلال ، وحال الراحة وحال الصحة
والمرض وحال الرى والعطش فضربه الله مثالا لمن كذب بآياته فقال : ان
وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته وزجرته فسعى
لهث ، أو تركته على حاله أيضا لهث (1) .

وقد يشير في سبيل تحديد المعنى الى مختلف أقوال الفقهاء ثم يشير
أيضا الى ما يتخير منها . من ذلك ما جاء في سورة النحل في قوله تعالى
(ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) فقال : هذا مثل ضربه الله لنفسه ، ولمن
عبدَ دونه (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) فهذا مثل من
جعل آلهة دونه أو معه لانه عاجز مُدَبَّر مملوك لا يقدر على نفع ولا ضرر .
ثم قال (ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون)
فهذا مثله جل وعز لانه الواسع الجواد القادر الرازق عباده جهرا من حيث
يعلمون وسرا من حيث لا يعلمون .

وقال بعض المفسرين : هو مثل للمؤمن والكافر ، فالعبد هو الكافر
والمرزوق هو المؤمن . ثم قال ابن قتيبة : والتفسير الأول أعجب الىّ وعلل
ذلك بأن المثل توسط كلامين هما لله تعالى ، أما الاول فقوله (ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا
يستطيعون) (2) فهذا لله ومن عبدَ من دونه . واما الآخر فقوله بعد

(1) تاويل مشكل القرآن 286

(2) سورة النحل آية 73 ص 299 تاويل مشكل القرآن

انقضاء المثل (الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) •

وابن قتيبة يربط بين هذا التفسير وبين نظير مشابه له فى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) أى أخرس (لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه) أى عيال وثقل على قرابته ووليه (اينما يوجهه لا يأت بخير) فهذا مثل آلهتهم ••• ثم قال : (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) فجعل هذا المثل لنفسه •

وهكذا يلجأ ابن قتيبة فى سياق تأويل الامثال الى الفهم والذوق اللغوى وربط الدلالات بنظائرها من القرآن نفسه •

وفى غير ما عرض له من الامثال عرض لآيات اخرى فتتبع فى تأويلها أصل الكلمة اللغوى وما تطور اليه هذا الاصل من دلالة • من هذا ما جاء فى تأويل قوله تعالى من سورة (ص) (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض فليرتقوا فى الأسباب جنداً ما هنالك مهزوم من الأحزاب) (1) يقول ابن قتيبة : أصل الهزم الكسر ، ومنه قيل للنقرة فى الأرض هزيمة أى كسرة وهزمت الجيش أى كسرتهم ، وتهزمت القرية أى انكسرت (2)

وفى سورة (القصص) (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) قال : معاد الرجل : بلده لانه يتصرف فى البلاد ويضرب فى الارض ثم يعود الى بلده ، يقال رد فلان الى معاده أى رد الى بلده (3) • وفى سورة (الزخرف) اشكلت الآية (قل ان كان للرحمن ولد فأنا

(1) الآيات 9 — 11 ص 273 تأويل مشكل القرآن

(2) تأويل مشكل القرآن 273 (3) تأويل مشكل القرآن 329

أول العابدين) للاختلاف فى معنى عبد • اذ تأتى فى العربية على وجهين فالذين يفسرون عبد بمعنى وحّد يقولون : ان الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله عليه السلام : قل للمشركين (ان كان للرحمن ولد) اى عندكم فى ادعائكم (فانا أول العابدين) أى الموحدين • والذين فسروا عبد بمعنى أنفَ وغضب يقولون : العابدون هنا الغضاب الآنفون • (1)

والذى اختاره ابن قتيبة من مشكل الآيات قدر ضئيل بالاضافة الى آيات القرآن وربما حصر المشكل من وجهة نظره هو فى هذا القدر وأعان الطالب بكتب أخرى (2) كتفسير غريب القرآن فقد يحتوى المشكل على غريب اللفظ وقد لا يكون كذلك حين يأتى اشكاله من ناحية الأسلوب الذى غمض على بعض أهل عصره فتتبع نظائره فى أساليب العرب ثم جعل للغريب كتابا ذكره فى كتاب (تأويل مشكل القرآن) فقال (وافردت للغريب كتابا لكى لا يطول هذا الكتاب وليكون مقصورا على معناه خفيفا على من قرأه) (3) ويبدو انه تناول الكتابين فى وقت واحد فإشار هنا الى كتاب الغريب كما اشار فى كتاب الغريب الى كتاب المشكل فقال فى مقدمته (... ثم نبتدىء فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله اذ كنا قد افردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا بحمد الله) •

أصول الكلمات

قد تقصر الظلال وتطول وتتشكل بأشكال مختلفة دون أن يخفى ذلك رباطها بالاصل ، وفى العربية كلمات اتسعت مدلولاتها وبقيت واشجة القرابة بالاصل فاختر ابن قتيبة عدة أصول أدار عليها الدلالات القريبة

(1) تأويل مشكل القرآن 289

(2) له كتاب اعراب القرآن ، وكتاب القراءات وكتاب معانى القرآن

(3) تأويل مشكل القرآن 25

وتمثل لاكثرها بآيات من القرآن الكريم ونحن نكتفى بأحد هذه الاصول
للتعريف بهذا الوجه من التأليف • فيقول فى (قضى) :

« اصل قضى . حَتَّم كقول الله عز وجل (فليمسك التى قضى عليها
الموت) اى حَتَّمه عليها ، ثم يصير الحتم بمعان كقوله (وقضى ربك ألا
تعبدوا الا اياه) اى امرنا لانه لما أمر حَتَّم بالأمر وكقوله (وقضينا الى بنى
اسرائيل فى الكتاب) اى أعلمناهم لانه لما خبرهم أنهم سيفسدون فى
الأرض حَتَّم بوقوع الخبر ، وقوله (فقضاهن سبع سموات) اى صنعهن ،
وقوله (فاقض ما أنت قاض) اى فاصنع ما أنت صانع ، ومثله قوله
(فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا الى)
اى اعملوا ما أنتم عاملون ولا تنظروا • قال أبو ذؤيب :

وعليها مسرودتان قضاها

داود أو صنع السوابغ تبع

اى صنعهما داود وتبع • وقال الآخر فى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه :

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها

بوائج فى أكمامها لم تفتق

اى عملت أعمالا — لان كل من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه
قيل للحاكم قاض لانه يقطع على الناس الامور ويحتم ، وقيل قضى قضاؤك
اى فرغ امرك ، وقالوا للميت قد قضى اى فرغ — وهذه كلها فروع ترجع
الى أصل واحد • « (1)

(1) تأويل مشكل القرآن 342 — 343 والبوائج جمع بالغة وهى الداهية

وبعد • ترى ما الفارق بين هذا الذى سماه ابن قتيبة الأصل والفروع وبين الحقيقة والمجاز ، فالحقيقة ان تستعمل الكلمة فيما وضعت له عند اهل الاصطلاح الذى وقع به التخاطب ، والمجاز هو الاتساع فى استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب • ومن هنا يخرج تأليف ابن قتيبة عن هذا النسق ، وانما يلجأ الى الاتساع فى التأويل عن طريق الصيرورة أى كان اللفظ بمعنى كذا ثم صار كذا كالذى نلاحظه فى كلمة (الامة) حيث يقول : ان اصلها (الصنف من الناس والجماعة) كقوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) ••• ثم تصير الامة : الجين ، كقوله عز وجل (وادكر بعد امة) ••• ثم تصير الأمة الامام والربانى كقوله تعالى (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) أى اماما يقتدى به الناس لانه ومن اتبعه أمة ، فسمى امة لانه سبب الاجتماع ، وقد يجوز أن يكون سمي امة لانه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله فى امة ومن هذا يقال : فلان أمة وحده أى هو يقوم مقام امة ••• (1)

وهذا - فيما أرى - وجه من التأويل (2) قريب من المجاز الذى يعنيه ابو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه (مجاز القرآن) يعنى تأويله ومعناه وتفسيره اى ما يجوز أن تفسر به هذه الكلمة او تلك لا المجاز المقابل للحقيقة والذى شقق فيه الكلام فيما بعد عبد القاهر الجرجاني فى كتابيه دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة •

اما الفروع الشديدة الصلة بالاصل فهى فروع الاشتقاق اللفظى وقد ذكرها ابن قتيبة فى هذا الباب ومنه : اللّسن « بتشديد اللام المفتوحة ، وفتح السين » ، واللّسن « بتشديد اللام المفتوحة وتسكين السين » ،

(1) تأويل مشكل القرآن 345

(2) انظر قول اللغويين فى مادة ل م فى اللسان وغيره

واللَّسَنُ « بتشديد اللام المكسورة وتسكين السين » كله من اللسان
فَاللَّسَنُ جودة اللسان ، واللَّسَنُ : العذل واللوم ، واللَّسَنُ : اللغة يقال
لكل قوم لسن • (1)

وعرض في هذا الباب ايضا للمشارك فقال :
الضرب - باليد كقوله تعالى (ف ضرب الرقاب) وقوله (واهجروهن فى
المضاجع واضربوهن) •
والضرب - المسير قال تعالى (اذا ضربتم فى سبيل الله) وقال تعالى :
(وآخرون يضربون فى الارض)
والضرب - التبيين والوصف • قال تعالى (ضرب الله مثلا) وقال (فلا
تضربوا لله الامثال) اى لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه
به • (2)

حروف المعاني

وأفرد ابن قتيبة فى كتاب المشكل بابا فسر فيه حروف المعاني ، وأشبهه
الحروف التى لا تنصرف ، أشار الى اكثرها فى القرآن الكريم وتتبع
شواهدا فى أقوال العرب ورجع الى آراء اللغويين السابقين فيها من امثال
الخليل (3) وابى عمرو ، وابى عبيدة (4) ، والاصمعى (5) وسيبويه (6)
والكسائى (7) وابن الاعرابى (8) والقراء (9) وغيرهم •

(1) تأويل مشكل القرآن 370 (2) تأويل مشكل القرآن 379

(3) تأويل مشكل القرآن 401 و 405 و 406 و 421

(4) المصدر السابق 406 (5) المصدر السابق 424

(6) المصدر السابق 403 و 405 (7) المصدر السابق 401

(8) المصدر السابق 404 (9) المصدر السابق 406 و 420 و 421

وكان يشير أحيانا الى لهجات القبائل كقوله فى (لما) « تكون بمعنى (لم) فى قوله (بل لما يذوقوا عذاب) اى بل لم يذوقوا عذاب ، وتكون بمعنى (الا) قال تعالى (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) اى الا متاع الحياة الدنيا ، (ان كل نفس لما عليها حافظ) اى الا عليها حافظ وهى لغة هذيل مع ان° الخفيفة التى تكون بمعنى (ما) « – ومن قرأ (لما) بالتخفيف جعل (ما) صلة واراد : ان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا ، وان كل نفس لعلها حافظ • (1)

وفى هلم – أشار الى طريقة الحجازيين والنجديين فيها – فأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها – وأهل نجد يجعلونها من هلمت فيثنون ويجمعون ويؤثنون • (2)

تبادل حروف الصفات

ولحروف الصفات معانى شائعة جاءت فى جمهرة الكلام ، وبدت كأنها غريبة حين جاءت فى غير استعمالها الشائع وجاء بها القرآن الكريم على وجهيها • فكان ابن قتيبة – اما لبيان طريقة القول – او لسد الطريق أمام الطاعنين يشير الى هذه الحروف فى القرآن ويتتبع شواهدا فى كلام العرب • من ذلك :

مجيء (فى) بمعنى (على) فى قوله تعالى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل قال الشاعر :

وهم صلبوا العبدى° فى جذع نخلة
فلا عطست شيبان الا بأجدعا (3)

(1) المصدر السابق 413

(2) المصدر السابق 421

(3) المصدر السابق 426

ومجىء (الباء) مكان (عن) فى قوله تعالى (فاسأل به خيرا) أى
عنه • قال علقمة بن عبدة :

فإن تسألونى بالنساء فإنى
بصير بأدواء النساء طبيب
أى عن النساء (1) وجمع من ذلك قدرا جعله فى آخر الكتاب •

وهكذا جاء كتاب تأويل مشكل القرآن كتاب لغة فى مجموعته وإن
اتخذ الحاجة سببا إليه •

الطبرى وكتابه (جامع البيان عن تأويل آى القرآن)

كتاب أبى جعفر من أوسع الكتب التى تناولت تفسير القرآن الكريم،
فلم يكتف ككثير من المفسرين واللغويين ببيان مشكله وإنما فسر القرآن
كله • والسعة التى نلاحظها فى كتاب (جامع البيان عن تأويل آى القرآن)
ليست كلها خالصة للتأويل كما أنها ليست كلها خالصة للدراسات العربية
وإنما تعود فى جزء كبير منها الى الأسانيد العديدة التى عنى بها الطبرى
وخاصة فى سياق التفسير بالمأثور •

ولقد تسلىح الطبرى لمهمته فى التفسير اللغوى بدراسة وافية فى الشعر
والنثر واللغة والنحو - ونالت الدراسة اللغوية جزءا كبيرا من عناية الطبرى
جاء بعضها كمقالات قدم بها لكتابه ، وأكثرها فى نطاق التفسير • وتضمنت
هذه المقالات قضايا « البيان عما فى آى القرآن من المعانى التى من قبلها

(1) تأويل مشكل القرآن 427

يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية ولم تستحكم معرفته
بتصارييف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعية » • (1)

فتكلم عن اعجاز القرآن وفضل المعنى الذى باين به سائر الكلام -
والقول فى البيان عن الأحرف التى اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها
من بعض أجناس الامم - ثم عقد مقالا مطولا عن اللغة التى نزل بها القرآن
تناول فيه مختلف الآراء حول حديث النبى صلى الله عليه وسلم (أنزل
القرآن على سبعة أحرف ...) وفى مقال آخر تكلم عن الوجوه التى من
قبلها يوصل الى معرفة تأويل القرآن عرض فيه لقوله تعالى فى سورة آل
عمران (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب ،
وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) فقال :

(ان مما أنزل من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل
الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم • وذلك تأويل جميع
ما فيه من وجوه أمره وواجبه ، وندبه ، وارشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف
حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما اشبه
ذلك من احكام آيه التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأمته ، وهذا وجه لا يجوز لاحد القول فيه الا ببيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم له تأويله بنص منه عليه ، او بدلالة قد نصبها ، دالة
أمته على تأويله •

وان منه ما لا يعلم تأويله الا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من
الخبر عن آجال حادثة واوقات آتية كوقت قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ،

(1) تفسير الطبرى 1 : 7 ط دار المعارف (تراث الاسلام)

وقزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك فان تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها الا الخبر بإشرافها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه ...

وان منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن وذلك اقامة اعرابه ، ومعرفة المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون سواها ... (1)

وتلمح فيما تناوله الطبرى من التفسير انه :

— يفسر القرآن كله

— يعنى بالمأثور ويأتى بأسانيد

— يعنى بالتفسير اللغوى ويتتبع شواهد من كلام العرب

وقد يجتمع فى مادة واحدة تفسير بالمأثور ، وتفسير لغوى ، وقد يوثق هذا بذلك كما يناقش سابقه فى هذه المادة ، فمن ذلك كلامه فى قوله تعالى (الرحمن الرحيم) حين افترض من يسأله : اذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر ؟ — واذا كان لكل كلمة منهما معنى فما المعنى الذى انفردت به كل واحدة منهما ؟ قال الطبرى :

أما من جهة العربية

فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل : (الرحمن) عن ابنية الاسماء من « فَعِلَ — يَفْعَل » اشد عدولا من قوله « الرحيم » ولا خلاف مع ذلك بينهم ان كل اسم له اصل فى « فَعِلَ — يَفْعَل » —

(1) تفسير الطبرى 1 : 73 — 75

ثم كان عن أصله من « فَعَلَ - يَفْعَل » أشد عدولا - أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبني على أصله من « فعل - يفعل » اذا كانت التسمية به مدحا او ذما * فهذا ما فى قول القائل (الرحمن) من زيادة المعنى على قوله (الرحيم) فى اللغة *

وأما من جهة الأثر والخبر :

ففيه بين أهل التأويل اختلاف - ثم نقل عن السرى بن يحيى التميمى بسنده عن العرزمى قوله : « الرحمن » - بجميع الخلق « الرحيم » بالمؤمنين *

كما نقل بسنده عن ابى سعيد الخدرى قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان عيسى ابن مريم قال : الرحمن : رحمن الآخرة والدينا - والرحيم رحيم الآخرة *

وقال الطبرى : فهذان الخبران قد انبأ عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذى هو « رحمن » - وتسميته باسمه الذى هو « رحيم » واختلاف معنى الكلمتين - وان اختلفتا فى معنى ذلك الفرق فدل أحدهما على أن ذلك فى الدنيا ودل الآخر على أنه فى الآخرة **

مناقشة اللغويين القدامى :

وبعد أن ناقش الأقوال المأثورة وذكر أسانيدھا قال : (وقد زعم أيضا بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل ، وقلت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن « الرحمن » مجازة : ذو الرحمة - و « الرحيم » مجازة : الراحم ثم قال : قد يقدرון اللفظين من لفظ والمعنى واحد وذلك لاتساع الكلام عندهم * قال : وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا : ندمان ونديم ثم استشهد ببیت برج بن مسهر الطائى :

وندمان ، يزيد الكاس طيبا
سقيت وقد تغورت النجوم

واستشهد بأبيات نظائره فى « النديم » و « الندمان » ففرق بين
معنى « الرحمن » و « الرحيم » فى التأويل لقوله : الرحمن : ذو الرحمة
والرحيم : الراحم ، وان كان قد ترك بيان تأويل معنيهما على صحته ثم مثل
ذلك باللفظين يأتیان بمعنى واحد مع اختلاف الالفاظ .. (1)

والطبرى يعنى أبا عبيدة معمر بن المثنى فلقد جاء ذلك فى كتابه مجاز
القرآن (2) . والرأى عندى ان الحملة التى أثارها الطبرى على أبى عبيدة
لا محل لها - ووصفه له بضعف المعرفة بتأويل أهل التأويل ، وقلة روايته ،
امر ينفيه صفته العلمية التى أشاد بها أكثر الرواة ، ومؤلفاته العديدة فى
اللغة ومنها كتاب المجاز . والفرق بين الطبرى فى كتابه (جامع البيان عن
تأويل آى القرآن) وأبى عبيدة فى كتابه (مجاز القرآن) هو الوجه الذى
اختاره كل منهما فى التأليف - فالطبرى يفسر القرآن كله ، ويحاول
استقصاء الجانب اللغوى ، واسانيد التفسير بالمأثور ومنهج أبى عبيدة
محصور فى سبب وضعه لكتاب المجاز حيث عنى ببيان المشكل وتتبع
شواهد فى اساليب العرب على النحو الذى بيناه فى تعريفنا بكتاب المجاز
ففرق بين معنى الرحمن والرحيم فى التأويل لقوله : الرحمن : ذو الرحمة ،
والرحيم : الراحم وتمثل بشاهدين لكل من الندمان والنديم كدليل على
استعمال العرب للصيغتين فعلا وفعل دون التعرض للفرق الدقيق بينهما .

(1) تفسير الطبرى 1 : 126 — 132
(2) مجاز القرآن 1 : 21 ط الخانجى سنة 1954

وعرض لقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فناقش زيادة
(الا) فى رأى أبى عبيدة كما جاء فى كتاب المجاز ، كما ناقش الفراء فيما
أورده فى كتاب (معانى القرآن) وانتصر للفراء * (1)

وفسر قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) ثم أخذ فى مناقشة
صيغة يفاعل مؤكدا ضرورة حدوثها من فاعلين - ثم عرض بابى عبيدة على
تنقص وان لم يصرح باسمه فقال : « قال بعض المنسويين الى العلم بلغات
العرب أن ذلك حرف جاء بهذه الصورة - اعنى يخادع - بصورة يفاعل
وهو بسعنى يفعل * * * نظير قولهم : قاتلك الله بمعنى قتلك الله (2) »
والفرق بين الرجلين ايضا أن أبا عبيدة يعنى بالأسلوب كما جاء عن العرب
متهديا بالذوق اللغوى ، وأن الطبرى يحاول رد الشاذ عن القياس الى
الكليات التى قاسها النحاة وان تأول لها وجهها فيقول : (وليس القول فى
ذلك عندى كالذى قال . بل ذلك من التفاعل الذى لا يكون الا من اثنين * *
وذلك : ان المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه * * * والله تبارك
اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه فى آجل
معاده * * *)

واكثر المناقشات اللغوية دارت حول آراء الفراء الكوفى وأبى عبيدة
البصرى وان لم يصرح باسميهما مكتفيا بعبارة : ويزعم بعض نحويى
الكوفة ، او - يزعم بعض البصريين - والمعروف ان لكل من الرجلين
كتابا فى هذا السياق أولهما كتاب المجاز لابى عبيدة والثانى كتاب معانى
القرآن للفراء وقد عرفنا بالكتابين *

(1) تفسير الطبرى 1 : 189 وما بعدها

(2) انظر تفسير الطبرى 1 : 274 ، وكتاب المجاز 1 : 31

وقد اتجهت عناية الطبرى الى الدراسات اللغوية فى سياق التأويل
فكان :

يعنى المفردات

فيفسرها ويتتبع شواهد هذا التفسير فى كلام العرب كما يشير الى
معان اخرى يحتملها اللفظ ، فقد فسر كلمة الرب فى قوله تعالى (الحمد
لله رب العالمين) وبعد أن استوفى وجوه التأويل عقب بقوله (وقد ينصرف
أيضا معنى الرب فى وجوه غير ذلك) (1) - وقد يستطرد الى شرح الشاهد
نفسه فيفسر مفرداته ويشير الى وجوه اللغوية - فسر قوله تعالى (لا ريب
فيه) بأنه لا شك فيه وتمثل لذلك بقول ساعدة بن جؤية الهذلى :

فقالوا تركنا القوم قد حصروا به

فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

وقال : « وىروى حَصَرُوا وَحَصِرُوا ، والفتح اكثر والكسر جائز ... أن
قد كان ثم لحيم يعنى قتيلا • يقال قد لحم اذا قتل » • (2)

ومن الكلمات ما اتخذت مدلولاً فى العصر الاسلامى لا يتفق اتفاقاً
تماماً مع المدلول اللغوى ، من ذلك كلمة الصلاة فهى فى كلام العرب : الدعاء،
بين ذلك أبو جعفر وتمثل بقول الأعشى وهو يصف الخمر :

لها حارس لا يبرح الدهر ييتها

وان ذبحت صلى عليها وزمما

يعنى بذلك : دعا لها ثم قال : « وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة لأن

(1) تفسير الطبرى 1 : 142

(2) تفسير الطبرى 1 : 229

المصلى متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجات تَعَرَّضُ الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله « (1) — وأصل الزكاة نماء المال وتثميته ومن ذلك قيل زكا الزرع اذا كثر ما أخرج الله منه ، وزكت النفقة اذا كثرت ، فاصبحت الكلمة تعنى فى العصر الاسلامى اداء الصدقة المفروضة •

والفسق: فى أصله اللغوى هو الخروج عن الشيء ، يقال منه: فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها فاستدل بذلك على أن المنافق والكافر فاسقان لخروجهما عن طاعة ربهما ، ذكر ذلك أبو جعفر فى تأويل قوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقين) — وقال جل ذكره فى صفة ابليس (الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) يعنى خرج عن طاعته واتباع امره • (2)

وبالأساليب

التي نكتفى منها ببعض الأمثلة ، من ذلك القلب المعنوى وقد جاء ذلك فى قوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارج على الناعق كما قال نابغة بنى ذبيان :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى

على وعلى فى ذى المطارة عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتى — وكما قال الآخر :

(1) تفسير الطبرى 1 : 242 و 243

(2) تفسير الطبرى 1 : 409

كانت فريضة ما تقول كما
كان الزناء فريضة الرجم

وكقولك : اعرض الحوض على الناقة وانما تعرض الناقة على
الحوض (1) ومن أساليبهم مجيء (أو) بمعنى الواو فالشائع أن (أو)
تدخل في الكلام على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه ، ولكن مجيئها
في قوله تعالى (أو كصيب من السماء) يخالف هذا الاستعمال ، وغير جائز
في الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشك في شيء - قال الطبري : ان كانت
- أي أو - في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك فانها تأتي دالة على مثل
ما تدل عليه الواو اما بسابق من الكلام قبلها ، واما بما يأتي بعدها وتمثل
بشعر لشوبة بن الحمير ، وشعر لجريز - ولشاعر آخر يقول :

فلو كان البكاء يرد شيئا
بكيت على بجير او غفاق
على المرأين اذ مضيا جميعا
لشأنهما بحزن واشتياق

فقد دل بقوله : على المرأين اذ مضيا جميعا ان بكاءه الذي اراد ان
يكيه لم يرد ان يقصد به احدهما دون الآخر بل اراد ان يكيهما جميعا

(1) تفسير الطبري 3 ، 311 و 312 و 4 : 287 ومجاز القرآن 1 : 63
وفيه (هذا القميص لا يقطعني) و (ادخلت القنسوة في رأسي)
وفي القرآن (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) .

فكذلك ذلك فى قول الله جل ثناؤه (او كصيب من السماء) • (1)

ومن اساليب العرب انهم لا يمنعون مجيء الاعمام بمعنى الآباء -
وجاء مثل هذا فى قوله تعالى (اذ قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا
نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق) وكان اسماعيل عما
ليعقوب ، ولهذا الأسلوب دخل اسماعيل فيمن ترجم به عن الآباء (2) وفيها
قال ابو عبيدة : والعرب تجعل العم والخال أبا (3) •

وبالخصائص اللغوية

فيتناول المشترك اللفظى فى تأويله قوله تعالى : (ثم استوى الى
السماء فسواهن سبع سموات) جمع أبو جعفر من معانى الاستواء فى
كلام العرب :

— انتهاء شباب الرجل وقوته ، فيقال اذا صار كذلك : قد استوى
الرجل •

— استقامة ما كان فيه اود من الامور والاسباب ، يقال منه : استوى
لفلان امره اذا استقام بعد أود •

— الاقبال على الشيء ، يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه
ويسوءه بعد الاحسان اليه •

— الاحتياز والاستيلاء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى
احتوى عليها وحازها •

— العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريرته يعنى به
علوه عليه (4) كما تناول مثل هذا المشترك فى اماكن كثيرة (5) •

(1) تفسير الطبرى 1 : 336 (2) تفسير الطبرى 3 : 99

(3) مجاز القرآن 1 : 57 (4) تفسير الطبرى 1 : 430

(5) تفسير الطبرى 1 : 321 و 322

والإبدال • فقد تناوله فى أعقاب تأويله لقوله تعالى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها) فذكر ان قراءة عبد الله بن مسعود (ثومها) بالثاء وقال : فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم : وقعوا فى عاثور شر وعافور شر وكقولهم للأثافي أثافى ، وللمغافير مغاير وما اشبه ذلك مما تقلب الاء فاء والفاء ثاء لتقارب مخرج الفاء من مخرج الاء • واقتبس اكثر ما جاء فى هذه المناسبة من كتاب الفراء (1) والاضداد - فقال بعد تأويل قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) ان العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة : سدفة والضياء سدفة - والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التى تسمى الشئ وضده ، وتتبع شواهد الظن بمعنى اليقين فى شعر دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج

سراتهم فى الفارسى المسرد

يعنى ذلك : تيقنوا الفى مدجج تأتيكم ، وقول عميرة بن طارق :

بأن تغتروا قومي واقعد فيكم

واجعل منى الظن غيبا مرجما

يعنى : واجعل منى اليقين غيبا مرجما ، كما استشهد بآية اخرى تأولوا الظن فيها بمعنى اليقين وهى قوله (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها) • (2)

(1) تفسير الطبرى 2 : 130 ومعانى القرآن 1 : 41

(2) تفسير الطبرى 2 : 18 و 19

وباللغات غير الشائعة

من ذلك زوج وزوجة لامرأة الرجل - والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء ، وقيل ان الزوج لغة لازد شنوءة (1) والاصمعي يراها بغير الهاء دوما فقال : زوج لا غير واحتج بقول الله عز وجل (اسكن انت وزوجك الجنة) * (2)

الى غير ذلك من المباحث اللغوية التي استفاضت في كتاب الطبري .

القراءات واللهجات

من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن خزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها - وفي رواية - على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أرسله) ، اقرأ - فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هكذا أنزلت) ثم قال لى : (اقرأ) فقرأت فقال (هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه) *

(1) تفسير الطبري 1 : 514

(2) اللسان مادة زوج ، وزعم الكسائي عن القاسم بن معن انه سمع من ازد شنوءة بغير الهاء

والذى عليه اكثر الشراح ان الحديث يعنى لغات القبائل ولهجاتهم حتى يستطيع كل عربى أن يقرأه على لحن قومه ، كما ان الشراح أيضا لا يرون فى كلمة (سبعة) تحديدا لمنطوق العدد بل كان الرجلان من قبيلة واحدة يقرآن على اختلاف لهجتيهما كما فهمنا من قصة عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم وكلاهما قرشى ، ويشير القرآن الكريم الى هذه الرخصة فى قوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) •

ومن الكتب التى أشارت الى هذه اللهجات (كتاب اللغات فى القرآن) أخبر به اسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبد الله بن الحسين بن حسنون بإسناده الى ابن عباس (1) كما عقد السيوطى فصلا فى كتاب الاتقان ذكر فيه ما وقع فى القرآن بغير لغة الحجازيين الى غير ذلك مما جاء فى كتب القراءات والشروح •

والمصاحف التى كتبت فى عهد عثمان تسمح بالمختار من القراءات اذ كانت مجردة من النقط والشكل فشرطوا للقراءة الصحيحة موافقتها للعربية ولو بوجه ، وموافقتها احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصحة السند • ووضعوا القراء السبعة انفسهم تحت هذا الضابط فقال أبو شامة رحمه الله فى كتاب المرشد الوجيز (•• فلا ينبغى ان يغتر بكل قراءة تعزى الى واحد من هؤلاء السبعة ويطلق عليها الصحة ، وان هكذا أنزلت الا اذا دخلت فى ذلك الضابط ••••• فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا عمن تنسب اليه فان القراءات المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم مقسمة الى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة

(1) حققه صلاح الدين المنجد وطبع فى مطبعة الرسالة سنة

1365 هـ - 1946 م

الصحيح المجتمع عليه فى قراءاتهم تَرَكَنْ النفس الى ما ثقل عنهم فوق ما
ينقل عن غيرهم (1) •

وبقى من وراء هذا الجهد المتأنى فى قراءات القرآن الكريم ما لا
يوجد فى غيره من الآثار المعول عليها فى مصادر الرواية اللغوية ، كالأظهار ،
والادغام ، والتفخيم ، والترقيق ، والامالة ، والاشباع ، والمد ، والقصر ،
والتخفيف ، والتشديد ، والهمز ، والتسهيل الى غير ذلك •

⁷ واصلاح المنطق وبيان مخارج الحروف عصب من أعصاب اللغة
وصلب من أصلابها لا أحسب اللغة جمعت او فلسفت الا معتمدة عليه •
قد يجد الرواة فى مأثور الكلام مترادفا ، ومشتركا ، ومتضادا ، ومبدلا ،
ومقلوبا فيجولون فيه — متفقين أو مختلفين — الا أن يجدوا له شبيها من
القرآن الكريم يهديهم اليه صوت القارئ مشيرا الى لهجته التى قرئ بها
فيرون فيه القول الفصل واداء معبرا عن ماضى العريضة الصحيحة ، ونحن
نفصل القول فى القراءات وشواذها من وجهتنا اللغوية •

القراءات

تناولت القراءات بالاضافة الى الدراسات اللغوية التى سبق بيانها فى
كتب التفسير والمعانى — طرق الاداء الصوتى — واصبح من اليسير للذى
يسمع القرآن مرتلا على وجوه القراءات أن يقول : هذه رواية الحجازيين ،
او هذه قراءة التميميين ، أو هذه الآية قرئت باداء الاعاجم الذين لم

(1) النشر 1 : 10

يستطيعوا التخلص من طباعهم فى اداء لغتهم الأصلية (1) •

والامالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم — فالفتح لغة أهل الحجاز ، والامالة لغة عامة أهل نجد من تميم واسد وقيس (2) •

وليس الفتح والامالة مستحدثات أتت بها القراءات وانما كانت لغات تأصلت من قبل ، ويقولون فيها ان الاصل هو الفتح ، ولما كان الأداء الصوتى ينحو دائما الى الأسهل فان الامالة كانت تدرجا من الفتح لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالامالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال من أمال ، وأما من فتح فانه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل (3) •

ومن الأداء المعبر عند العرب ما أشارت به القراءات من المد فى مثل قوله تعالى (لا اله الا الله) (لا اله الا هو) (لا اله الا انت) وهو مد يسمى مد المبالغة او التعظم — قال ابن مهران فى كتاب المدات له « انما سمي مد المبالغة لانه طلب للمبالغة فى ثفى الهيبة سوى الله سبحانه —

(1) يقول ابن الجزرى فى كتاب النشر ضمن ما كتبه عن الفتح والامالة (... والفتح هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده الف اظهر ، ويقال له ايضا التفخيم وربما قيل له النصب ، وينقسم الى فتح شديد وفتح متوسط ، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ، ولا يجوز فى القرآن بل هو معدوم فى لغة العرب وانما يوجد فى لفظ عجم الفرس ولا سيما اهل خراسان ، وهو اليوم فى اهل ما وراء النهر ايضا . ولما جرت طباعهم عليه فى لغتهم استعملوه فى اللغة العربية وجروا عليه فى القراءة ووافقهم على ذلك غيرهم وانتقل ذلك عنهم حتى فشا فى اكثر البلاد وهو ممنوع منه فى القراءة ... وهذا هو التفخيم المحض) النشر

29 : 2

(2) النشر 29 : 2 والاتقان 1 : 91

(3) النشر 2 : 35

وهذا معروف عند العرب لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند
المبالغة « (1) » .

الهمز

وقد احتل الهمز مكانا بارزا في الدراسات اللغوية منذ بدأت الرواية
— فقد عمل كتاب في الهمز مما أملاه ابن أبي اسحق (2) • وتناظر في الهمز
ابن أبي اسحق ، وأبو عمرو بن العلاء حين جمع بينهما بلال بن أبي بردة —
ثم كتب فيه كل من قطرب ، والأصمعي ، وأبو زيد •

وكانت القراءات من عوامل الانتباه الى الهمز اذ كانت من الفوارق
الواضحة بين لهجة الحجاز ولهجة تميم ، فكانت هذيل وأهل مكة والمدينة
والحجاز بصفة عامة لا ينبرون وأشار الى ذلك ابن الجزري فقال (• • •) ولما
كان الهمز أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا تنوع العرب في تخفيفه
بأنواع التخفيف كالنقل ، والبدل ، وبين بين ، والادغام وغير ذلك وكانت
قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفا ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من
طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح وكنافع من رواية ورش وغيره وكأبي
جعفر من أكثر رواياته ولا سيما رواية العمري عن أصحابه عنه فانه لم يكـد
يحقق همزة وصل ، وكان محيـصن قارئ أهل مكة مع ابن كثير وبعده ،
وكأبي عمرو فان مادة قراءته عن أهل الحجاز ، وكذلك عاصم من رواية
الأعشى عن أبي بكر من حيث أن روايته ترجع الى ابن مسعود (3) •

وعلى طريقة الحجازيين قرأ ابن كثير (انها لحدي الكبر) وقرأ سالم
ابن عبد الله بن عمر (فمن تعجل في يومين فلثم عليه) وقراءة الجماعة (فلا
اثم عليه) الا انه حذف الهمزة البتة فالتقت الف (لا) وئاء (الاثم) ساكنين
فحذف الألف من اللفظ لالتقاء الساكنين (4) •

(1) النشر 1 : 344 — 345 (2) المزهري 2 : 398
(3) النشر 1 : 428 — 429 (4) المحتسب 1 : 120

وكثير من القراءات الشاذة كانت منجذبة الى لهجات مختلفة ، حكى
المبرد بسنده عن ابي زيد سعيد بن أوس أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ
(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) قال أبو زيد فظننت قد لحن
الى أن سمعت العرب تقول : شأبّة ، ومأدّة ، ودأبّة وعليه قول كثير :

إذا ما العوالى بالعبيط احمأرت (1)

وقال عباس : سألت ابا عمرو عن الشجرة (بكسر الشين) فى قوله
تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) فكرهاها وقال : يقرأ بها برابر مكة
وسودانها — وقال هارون الأعور عن بعض العرب تقول : الشجرة وقال
ابن ابي اسحق انها لغة بنى سليم (2) •

وفى هذا المجال وجد ابن جنى السياق مواتيا ففرق بين الأصل والبدل
فى كلمة الشيرة وهى الشجرة فروى عن أبى الفضل الرياشى قوله : (كنا
عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له : انه يقول (الشيرة) فسأله فقالها •
فقلت له : سله عن تصغيرها ، فسأله • فقال : (شيرة) وأنشد الأصمعى
لبعض الرجاز :

تحسبه بين الاكام شيرة

قال ابن جنى : اذا كانت الياء فاشية فى هذا الحرف كما ترى فيجب
ان تجعل أصلا يساق الجيم ولا تجعل بدلا من الجيم لأمرين :
احدهما : ثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم : شيرة ولو كانت بدلا من
الجيم لكانوا خلقاء اذا حقروا الاسم ان يردوها الى الجيم ليدلوا
على الأصل •

(1) المحتسب : 1 : 47 وانظر اللسان ج ن ن وفيه قول كثير :
وانت ابن ليلى خير قومك مشهدا اذا ما احمارت بالعبيط العوامل

(2) المحتسب : 1 : 74

والآخر : ان شين شجرة مفتوحة ، وشين شيرة مكسورة ، والبدل لا تغير فيه الحركات انما يوقع حرف موضع حرف (1) و (2)

وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ، وابو الطفيل ، وعبد الله بن ابي اسحق ، وعاصم الجحدري ، وعيسى بن عمر الثقفي (هدى) فى قوله تعالى من سورة البقرة (فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال ابو الفتح : هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف من آخر المقصور اذا اضيف الى ياء المتكلم ياء • (3)

وقرأ علقمة ، ويحيى بن وثاب ، والاعمش (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) بكسر الراء وهى لغة لبنى ضبة • (4)

وقرأ محمد بن السميع فى سورة آل عمران (ان يمسسكم قَرَحٌ) بفتح القاف والراء فقال ابو الفتح : ظاهر هذا الامر ان يكون فيه لغتان : قَرَحٌ بسكون الراء ، وقَرَحٌ بفتح الراء كالحلب والحلب ، والطرْد والطرْد ، والشل والشلل • ومع ان بعض العلماء يميل الى التعليل بفتح ما قبل الحاء لانها من حروف الحلق الا أن أبا الفتح يرجح فى النهاية ان القَرَح (بفتح الراء) لغة • (5)

وفى سورة الكهف (فكان ابواه مؤمنين) وقرئت (فكان ابواه مؤمنان) (6) وفى سورة طه (ان هذان لساحران) قرأها ابو عمرو

(1) المحتسب 1 : 74

(2) اللسان ش ج ر (3) المحتسب 1 : 76

(4) اتحاف فضلاء البشر 1 : 266 ، البحر المحيط 5 : 323

(5) المحتسب 1 : 166 و 167

(6) البحر المحيط 6 : 272

بتشديد النون فى (ان) وهذين بياء ساكنة - وقراً غير ابى عمرو
بتشديد النون فى (ان) وهذان بالالف فقال الزجاج بسنده عن ابى عبيد
عن ابى الخطاب انها لغة كنانة يجعلون الف الاثنيين فى الرفع ، والنصب ،
والخفض على لفظ واحد فيقولون : اتانى الزيدان ، ورأيت الزيدان ،
ومررت بالزيدان وكذلك روى اهل الكوفة انها لغة بنى الحارث بن
كعب - وقال ابو عبيد : كان الكسائى يحكى هذه اللغة عن بنى الحارث
ابن كعب ، وخيثم ، وزبيد ، وأهل تلك الناحية وقال ابو جعفر
النحاس : هذا الوجه من أحسن ما حملت عليه الآية اذ كانت هذه اللغة
معروفة قد حكاهما من يرتضى علمه وصدقه وأمانته منهم أبو زيد الانصارى
- وقال غيره : هى لغة بنى العنبر ، وبنى الهجيم ، ومراد ، وعذرة -
وبعضهم يفر من الياء مطلقاً فى التثنية والاسماء الستة وعليها قول الراجز :

اي قلو ص راكب تراها
طاروا علاهن فطر علاها
ان أباهـا ، وأبـا أباهـا
قد بلغا فى المجد غايتها (1)

ومن ازد السراة من يسكن الهاء المضمره اذا وصلها فيقول : مرت
به° أمس ، فخرج أبو الفتح قراءة ابن عباس (ونادى نوح ابنه°) بجزم
الهاء على هذه اللغة • (2)

التميمية والحجازية

وكثير من القراءات جاءت على لهجة تميم فكان أبو الفتح يشير الى
هذه اللهجة او يقارن بينها وبين لهجة الحجازيين • فمن ذلك :

(1) ابراز المعانى. 397 ط الحلبي سنة 1349 هـ

(2) المحتسب 1 : 323

كانت تميم تكسر أول المضارع اذا كان ثانى ماضيه مكسورا نحو :
 علمت : تعلم (بكسر التاء) وانا اعلم (بكسر الهمزة) وهى تعلم (بكسر
 التاء) وتقل الكسرة فى الياء استثقالا للكسرة فيها - وكذلك ما فى اول
 ماضيه همزة وصل مكسورة نحو (يوم تسود وجوه وتبيض وجوه)
 وعلى ذلك قراءة من قرأ (فتيسكم النار) بكسر التاء • (1)

والصنوان - بالضم لتمييم وقيس ، وبالكسر لاهل الحجاز • (2)

وقرأ نفر من القراء (ربيون) بضم الراء فعزاها ابو الفتح للغة
 تميم (3) وكان ابو الفتح يرى لغة الحجازيين أمثل من غيرها - جاء ذلك
 فى اكثر من مناسبة فى كتاب المحتسب فقد قرأ الحجازيون فى سورة
 البقرة : يعلمهم ، ويلعنهم (الآية 129 و 159) - وقرأها التميميون
 مخففة بتسكين الميم والنون فقال ابو الفتح : اما التثقيل فلا سؤال عنه ولا
 فيه - لأنه استيفاء واجب الاعراب - لكن من حذف فعنه السؤال ، وعلته
 توالى الحركات مع الضمات فيثقل ذلك عليهم فيخففون باسكان حركة
 الاعراب ، وعليه قراءة ابى عمرو (فتوبوا الى بارئكم) فيمن رواه بسكون
 الهمزة • (4)

وقرأ الحسن ، وقتادة ، وابو رجاء ، والجحدري ، وسهيل بن شعيب
 (نثرا) فى سورة الاعراف بضم النون وجزم الشين ، وهو تخفيف
 (نثرا) فى قراءة العامة وهى لغة الحجازيين • قال ابو الفتح : والتثقيل
 افصح لانه لغة الحجازيين ، والتخفيف فى نحو ذلك لتمييم (5) فيقولون فى
 كلمة : كلمة بتسكين اللام ، وفى كبد : كبّد بتسكين الباء ، وخرج ابو

(2) المحتسب 1 : 351

(4) المحتسب 1 : 109

(1) المحتسب 1 : 330

(3) المحتسب 1 : 173

(5) المحتسب 1 : 255

الفتح قراءة الحسن وأبى رجاء ، ومجاهد (فنظرة الى ميسرة) بتسكين
الظاء على هذا الوجه بينما قراءة الجماعة بكسر الظاء • (1)

وقرأ الحسن ، وإبراهيم ، ويحيى بن وثاب (واتم حرم) باسكان
الراء وهى تميمه ايضا • (2)

وأكثر ما جاء التخفيف فى المكسور والمضموم - أما ما جاء من ذلك
فى المفتوح فشاذا لا يقاس عليه لأن المفتوح لا يخفف ، ولذلك رفض ابن
جنى ان يكون (مرض) بسكون الراء فى قوله تعالى (فى قلوبهم مرض)
مخففا عن مَرَض • (3)

ومع ما رأيت من شيوع التخفيف عند التميميين فانه لم يكن صفة
دائمة عندهم ، ولا التثقل صفة دائمة عند الحجاز انهم يخففون خمس
عشرة لا يحركون الشين ، وتميم تثقل وتكسر الشين (4) وأهل الحجاز
يخففون الهدى يجعلونه كالرمى ، وتميم يشددونه يقولون : الهدى
كالعشى والشقى • (5)

فلسفة ابن جنى فى بعض القراءات الشاذة.

اول من كتب فى تبين وجوه القراءات الشاذة هو ابو الفتح عثمان
ابن جنى وكان استاذ ابو على الفارسي قد وضع كتاب الحجة فى الاحتجاج
 للقراءات السبع ، وهم بوضع كتاب آخر فى الاحتجاج للقراءات الشاذة
 فلم يتيسر له ما اراد •

(2) المحتسب 1 : 205

(4) المزهري 2 : 275

(1) المحتسب 1 : 143

(3) المحتسب 1 : 53

(5) المزهري 2 : 277

ولم تكن وجهة ابن جنى فى كتابه (المحتسب) تلمس وجه من العربية للقراءة الشاذة ، ولم تكن القراءة الشاذة عنده بأقل من تلك التى اجمعوا عليها ، بل لعل بعض ما جاء من هذا الشاذ - او كثير منه - (مساو فى الفصاحة للمجتمع عليه • نعم ، وربما كان ما تلتطف صنعته) فكان عليه ان يناقش هذا الوجه من القراءة حتى لا يظن ظان ان العدول عن هذا الوجه هو غض منه أو تهمة له •

يقول ابن الجزرى فى اختلاف القراءات (... ان معنى اضافة كل حرف من حروف الاختلاف الى من أضيف اليه من الصحابة وغيرهم انما هو من حيث انه كان اضبط له ، واكثر قراءة واقراء به ، وميلا اليه - لا غير ذلك وكذلك اضافة الحروف والقراءات الى ائمة القراءة ورواتهم المراد بها ان ذلك القارئ وذلك الامام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فأثره على غيره ، وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، واخذ عنه فلذلك اضيف اليه من القراء ، وهذه الاضافة اضافة اختيار ودوام ولزوم - لا اضافة اختراع ورأى واجتهاد) (1) •

ولقد اعان ابن جنى على ما هو بسبيله معرفة واسعة باللغة ، واستبطن لاسرارها ، وتذوق لطعومها كأنه نقع فى ينابيع العربية نقعا ، فانجذب طبعه لها ، ودق حسه ، ولطف تناوله لها •

لاحظ ابو الفتح تقارب بعض الحروف فى المخرج او الصفة فأخى بينها ، وأحل بعضها مكان بعض ، ووضع اللفظ مكان اللفظ ، وسلط عليها التأمل والصنعة حتى انقادت لهذا التأخى •

جاء فى سورة هود (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) وقرأها

(1) النشر 1 : 51 — 52

ابن عباس ، وايوب السخيتاني (فأكثر جدلنا) فقال ابو الفتح وهو
يعرض للقراءة الاخيرة : الجدل اسم بمعنى الجدل والمجادلة ، وأصل
ج د ل فى الكلام القوة منه قولهم :

غلام جادل : اذا ترعرع وقوى
وركب فلان جديلة رأيه : اى صمم عليه ولم يلن فيه
ومنه الاجدل : للصقر وذلك لشدة خلقه

وكذلك الجدل انما هو الاقتواء على خصمك بالحجة ، قال الله عز
وجل (وكان الانسان اكثر شىء جدلا) اى مغالبة وتقويا ، ونحو منه
لفظا :

ظبى شادن اى قد قوى واشتد ، ثم اخذ ابو الفتح يعرض ملاحظته
فقال : الشين اخت الجيم ، والنون اخت اللام يعنى : الشين والنون فى
شادن ، والجيم واللام فى جادل • ونحو منه : عطوت الشىء اذا تناولته ،
وقالوا : اتيت عليه اذا ملكته واشتملت عليه • والعين اخت الهمزة ، والطاء
اخت التاء ، والواو اخت الياء (1) وهو يعنى العين ، والطاء ، والواو فى
عطوت - والهمزة ، والتاء والياء فى أتيت ، وهذه قضية من قضايا الفلسفة
اللغوية التى اشاعها ابن جنى فى كتبه - تعتمد على جرس الحروف
والمشابهة الصوتية لها وكأنه يعلل لظواهر القلب والابدال فى العربية •

فالشين اخت الجيم فكلتاها مفتوحة منخفضة وان افرقا فى الصفات
الاخرى فالشين مهموسة رخوة ، والجيم مجهورة شديدة ، وقد تبادلتا فى:
مدمج ، ومدمش وهو احكام القتل فى رقة • قال الشاعر :

اذ ذاك اذ جبل الوصال مدمش

فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى (2) •

(1) المحتسب 1 : 321 — 322

(2) اللسان د م ج

والنون اخت اللام فكلتاها مجهورة متوسطة الشدة مفتوحة
منخفضة ذلقية وقد جاء فى اول كتاب (القلب والابدال) لابن السكيت
عن الاصمعى :

- هتنت السماء ، وهتلت •
- والسدول ، والسدون : ما جلل به الهودج •
- والكتل ، والكتن : التلجج ولزوق الوسخ بالشئ •
- ولعاعة ، ونعاعة لبقل ناعم •
- وبغير رقل ، ورقن اذا كان سابغ الذيل •
- وطبرزل ، وطبرزن للسكر •
- وعن ابى عبيدة : يقال للحرة
- نوبة ولوبة ، ومنه قيل للأسود : لوبى ونوبى
- ولابى زيد : الدحن من الرجال : العظيم الباطن ، وقال الاصمعى : هو
الدحل باللام (1) •
- والعين اخت الهمزة ، كلتاها مجهورة مفتوحة منخفضة حلقية ، جاء
عن الاصمعى :
- آديته على كذا ، وأعديته أى قوته وأعنته ، ويقال : أستأديت
الأمير على فلان ، واستعديته •
- وموت زؤاف ، وزعاف •
- وقال الفراء : سمعت بنى نبهان من طيء يقول : دأنى يعنى دعنى (2)
- والطاء اخت التاء تتفقان مخرجا وصفة ، يقال :
- طعنه فقطره ، وقتره : القاه على احد جانبيه ، كما يقال :
- الغلط ، والغلت (3) •

(1) القلب والابدال لابن السكيت اول الكتاب

(2) القلب والابدال 22 ، وكتاب الابدال لابى الطيب 2 : 552

(3) القلب والابدال 46

والياء اخت الواو كلتاها مجهورة متوسطة الشدة مفتوحة منخفضة
فمن الممكن ان يتحقق بينهما التبادل ، ومن ذلك الوجه ايضا قرأت هذيل
(عتى حين) وعلل لها ابو الفتح بأن العرب تبدل احد هذين الحرفين من
صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم : (بحثر ما فى القبور) اى (بعثر) (1)
وضبعت الخيل أى ضمحت •

وقد احال ابن جنى على كتابه (الخصائص) حيث افرد لهذه الظاهرة
بابا عجيبا (2) لم يمنعنا من الاسترسال فى الاشارة والتعليق عليه الا التزاما
بما جاء منه فى صدد القراءات •

ومن التخاريج الفلسفية لابن جنى ايضا ان (اليأس) ، (والتبين)
لغتان جاءت بهما القراءات • ففى الآية الكريمة (افلم ييأس الذين آمنوا
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) قرأها على عليه السلام ، وابن عباس ،
وابن ابي مليكة ، وعكرمة ، والجحدري ، وعلى بن حسن ، وزيد بن على ،
وجعفر بن محمد ، وابو زيد المدنى ، وعلى بن بديمة ، وعبد الله بن يزيد
(افلم يتبين الذين) فخرجها ابو الفتح على لغة (هبيل) وهو فخذ من
(النخع) لقول شاعرهم :

الم ييأس الاقوام أنى أنا ابنه

وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

وقول سحيم بن وثيل :

اقول لأهل الشعب اذ يأسرونى

الم تيأسوا انى ابن فارس زهدم

أى ألم تعلموا •

وكان من الممكن ان يكتفى ابن جنى بما بينه من ان اليأس هو العلم

(1) المحتسب 1 : 343

(2) الخصائص 2 : 145 (باب فى تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى)

— بلغة هبيل لا سيما وان الفراء ، و ابا عبيدة ذكرا ذلك ونسباه الى هذيل ،
والى النخع (1) الا ان الرجل — كما قلنا — كان شديد التأمل ، حفيا بأسرار
العربية اخذ يقارب بين المعنيين ، وهو يدرك ان العامة ، وفيهم عامة المتعلمين
يرون الفارق بين اليأس بمعنى القنوط أو عدم الرجاء ، وفيهم عامة المتعلمين
فقال :

(ويشبه عندي أن يكون هذا راجعا أيضا الى معنى اليأس ، وذلك
أن المتأمل للشئ المتطلب لعلمه يذهب بفكره فى جهات تعرفه اياه ، فاذا
ثبت يقينه على شئ من أمره اعتقده وأضرب عما سواه ، فلم ينصرف اليه
كما ينصرف اليأس من الشئ عنه ، ولا يلتفت اليه) ثم يقول (وهذه
اللغة هكذا طريق صنعتها وملاءمة اجزائها وضم نشرها وشتاتها • فان لم
تطبَن لها ، وتلاق بين متهاجراتها بدّت فرقا ، وكانت حرية — لو لا طفتها —
بالتعاق والالتقاء ••) (2) •

وقرأ عاصم الجحدري فى سورة المائدة (وعزرتهم) خفيفة فقال
ابو الفتح : عزرت الرجل ، اعزره عزرا : اذا حطته وكنته — وعزّرت
(بالتشديد) : فحمت امره وعظّمته • ثم قال : وكأنه لقربه من الازر وهو
التقوية معناه أو قريبا منه ، ونحوه عزز اللبن وحزر : اذا حمض واشتد ،
فانظر الى تلامح كلام العرب واعجب (3) •

(1) تفسير القرطبي 9 : 319 ، والذين فسروا اليأس بمعناه المعروف
وهو القنوط قالوا : افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء الكفار
لعلمهم أن الله تعالى لو اراد هدايتهم لهداهم ، لان المؤمنين تمنوا
نزول الآيات طمعا فى ايمان الكفار • تفسير القرطبي 9 : 319

(2) المحتسب 1 : 358

(3) المحتسب 1 : 208

واتخذ ابن جنى بعض القراءات سبيلا الى القول فى فلسفة العريضة
فمن ذلك : الفرق بين - فرقنا (مشددة الراء - وبينها مخففة الراء) فقال
ابو الفتح حول قراءة الزهرى (واذا فرقنا بكم البحر) مشددة * يعنى
فرقنا : جعلناه فرقا - ومعنى فرقنا (مخففة) شققنا بكم البحر - وفرقنا
(المشددة) اشد تبعيضا من فرقنا * وقوله تعالى (فكان كل فرق كالطود
العظيم) يحتمل أن يكون فرقين ، ويحتمل ان يكون افراقا (1) *

والرجل هنا وهو يجيز القراءة بالتشديد ، ويستعين بتخريج آية من
سورة البقرة (2) بنظير من سورة الشعراء (3) على أن التشديد أكثر
تبعيضا ، يجيز قراءة الجماعة بالتخفيف على انه للتكثير أيضا لدلالة الفعل
على مصدره ، وعلى هذا خرج قراءة ابن محيصن (يَذْبَحُونَ ابْناءكم)
بفتح الياء ، وسكون الذال ، وفتح الباء وقال : والمصدر اسم الجنس ،
وحسبك بالجنس سعة وعموما (4) *

وقرأ على عليه السلام ، وابو رجاء ، وجؤية بن عائذ (ولا تناسوا
الفضل بينكم) فقال ابو الفتح : الفرق بين تنسوا ، وتناسوا ان تنسوا نهى
عن النسيان على الاطلاق : أنسوه أو تناسوه - فأما تناسوا فانه نهى عن
فعلهم الذى اختاروه كقولك : قد تغافل ، وتصام ، وتناسى اذا أظهره من
فعله ، وتعاطاه ، وتظاهر به - وأما تفعلل فانه تعمل الامر وتكلفه كقوله :

ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

أى حتى تكلفه *

(1) المحتسب 1 : 82

(2) الآية 50

(3) الآية 63

(4) المحتسب 1 : 81

ويعزو أبو الفتح حسن هذه القراءة لسببين :

أولهما : أنك إنما تنهى الإنسان عن فعله هو ، والتناسى من فعله •
فأما النسيان فظاهره أنه من فعل غيره فكأنه أنسى نفسه ، قال الله سبحانه
(وما أنسانيه إلا الشيطان) •

والثاني : ان المأمور هنا جماعة — وتفاعل — لائق بالجماعة كتقاطعوا ،
وتواصلوا وتقاربوا ، وتباعدوا • (1)

وعرض ابن مجاهد لرواية المفضل عن الاعمش عن يحيى وابراهيم
وأصحابه (الا تقسطوا) بفتح التاء بينما قراءة الجماعة بضمها — وقال ابن
مجاهد : لا أصل له — ولكن ابن جنى بين لها وجهها مستقيما من العربية
حين فرق بين فعل ، وافعل من (قسط) مع زيادة (لا) فقال :

هذا الذى انكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر وذلك على زيادة (لا)
حتى كأنه قال : وان خفتن ان تقسطوا فى اليتامى — اى تجوروا — يقال :
قسط اذا جار وأقسط اذا عدل ، قال الله جل وعلا (وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطباً) وزيادة (لا) قد شاعت عنهم واتسعت ••• (2)

والقول فى الكلام والكلم حول قراءة الاعمش (يسمعون كلم الله)
قال ابو الفتح :

« الكلام : كل ما استقل برأسه ، اعنى الجمل المركبة ••• فأما الكلم
فلا يكون أقل من ثلاث وذلك انه جمع كلمة ••• ولذلك ما اختاره صاحب
الكتاب (اى سيبويه) على الكلام فقال : هذا باب علم ما الكلم من
العربية ، ولم يقل ما الكلام ، وذلك لأن الكلام كما قد يكون فوق الاثنين

(1) المحتسب 1 : 127 — 128

(2) المحتسب 1 : 180 — 181

فكذلك ايضا قد يكون اثنين ، وسيبويه انما أراد هنا ثلاثة أشياء : الاسم والفعل والحرف فترك اللفظ الذى قد يكون أقل من الجماعة الى اللفظ الذى لا يكون الا جماعة • (1)

وقرأ الحسن ، وعمرؤ الأسوارى (أصيب به من أساء) بالسين • فقال ابو الفتح « هذه القراءة أشد افصاحا بالعدل من القراءة الفاشية التى هى (من أساء) لان العذاب فى القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له وهو الاساءة ، والقراءة الفاشية لا يتناول من ظاهرها علة اصابة العذاب له وان ذلك لشيء يرجع الى الانسان • وان كنا قد أحطنا علما بأن الله تعالى لا يظلم عباده ، وانه لا يعذب أحدا منهم الا بما جناه واجترمه على نفسه ، الا أنا لم نعلم ذلك من هذه الآية بل من أماكن غيرها • وظاهر قوله تعالى (من أساء) بالسين المعجمة ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين انه يعذب من يشاء من عباده - أساء أو لم يسيء » • (2)

وهنا نراه بالاضافة الى حسه اللغوى ، رجلا يحس بالمسئولية الدينية فيقيم حاجزا منيعا أمام الذين يقرأون القرآن ابتغاء الفتنة واساءة التأويل • وحذف المضاف شائع عند العرب فخرج عليها ابو الفتح قراءة يزيد بن القعقاع فى سورة النساء (بما حفظ الله) بالنصب بينما قرأها الجمهور بالرفع كانه قرأ : بما حفظ دين الله ، وشريعة الله وقال : ان حذف المضاف فى القرآن والشعر وفصيح الكلام فى عدد الرمل سعة • ومما جاء منه فى القرآن الكريم : (ان تنصروا الله ينصركم) أى دين الله ••• وربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف مكررا أنسا بالحال ودلالة على موضوع

(1) المحتسب 1 : 93 — 94

(2) المحتسب 1 : 261

الكلام كقوله عز وجل (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من أثر حافر
فرس الرسول • (1)

وعلى حذف المضاف أيضا قراءة من قرأ (وأتبع الذين ظلموا) بضم
الهمزة واسكان التاء وكسر الباء • وتقديره عند أبى الفتح : اتبع الذين
ظلموا جزاء ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين : أى جزاء ما أترفوا فيه وأجرموا
فلم يشكروا • بل اترفوا فيه مجرمين ظالمين • (2)

وعلى ذكر المحذوف ، فمن جمال حذف المفعول قوله تعالى (ووجد
من دونهم امرأتين تذودان) أى تذودان إبلهما • قال أبو الفتح : ولو نطق
بالمفعول لما كان فى عذوبة حذفه ولا فى علوه ، أنشد أبو على للحطيئة :

منعمة تصون اليك منها
كصونك من رداء شرعى

أى تصون الحديث وتخزنه ، وعلى هذا النحو خرج أبو الفتح قراءة
من قرأ (يرتع ويلعب) بضم الياء وكسر التاء فى الفعل الأول أى يرتع
مطيته فحذف المفعول • (3)

وقرأ الاعمش فى سورة آل عمران (ومن يرد ثواب الدنيا يوته منها
ومن يرد ثواب الآخرة يوته منها وسنجزى الشاكرين) بالياء فيهما فأضمر
الفاعل لدلالة الحال عليه • أى يوته الله يدل على ذلك قراءة الجماعة
(نؤته منها) بالنون • (4)

وقرأ يحيى وابراهيم فى سورة المائدة (فيرى الذين فى قلوبهم مرض)

(1)	المحتسب 1 : 188	(2)	المحتسب 1 : 331
(3)	المحتسب 1 : 333	(4)	المحتسب 1 : 170

بالياء • اى فيرى رائيهىم أو متأملهم ... فأضمر الفاعل لدلالة الحال عليه • (1)

وقرأ مجاهد (زَين للناس حبَّ الشهوات) بفتح الزاى والباء على حذف فاعل هذا الفعل ، وهو ابليس ودل عليه ما يتردد فى القرآن من ذكره نحو قول الله تعالى : (يعدم ويمنيهم) فى سورة النساء • (2)

حمل ظاهر اللفظ على معناه

ومن القراءات ما كشف عن طريقة العرب فى حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى ففى قوله تعالى فى سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه) قرأها الحسن (واتقوا يوما يترجعون فيه) بياء مضمومة • فعللها ابو الفتح بترك الخطاب الى لفظ الغيبة كقوله تعالى (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم يريح طيبة) غير انه تصور فيه معنى مطروقا هنا فحمل الكلام عليه • • • كأنه قال : واتقوا يوما يرجع فيه البشر الى الله فأضمر على ذلك فقال : يرجعون فيه الى الله • (3)

وقد تناول هذه الظاهرة ابو الفتح فى كتاب الخصائص ، وضرب لها الامثال من القرآن الكريم ، ومن فصيح الكلام منشورا ومنظوما كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصور معنى الواحد فى الجماعة ، والجماعة فى الواحد الى غير ذلك •

فمن امثلة تذكير المؤنث قوله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربهى) أى هذا الشيء المرئى • وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) لأن الموعظة والوعظ واحد • وفى قوله تعالى (ان رحمة الله قريب من

(1) المحتسب 1 : 213 (2) المحتسب 1 : 155

(3) المحتسب 1 : 145

المحسنين) قالوا : أراد بالرحمة هنا المطر ... ومن كلام العرب فى هذا قول الحطيئة :

ثلاثة أنفس ، وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالى

ذهب بالنفس الى الانسان فذكر •

وحكى الاصمعى عن ابى عمرو انه سمع رجلا من اهل اليمن يقول :
فلان لغوب ، جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : تقول جاءته كتابى ؟ فقال :
نعم اليس بصحيفة • فأنت المذكر حملا على معنى الصحيفة •

وخرج ابو الفتح على هذا الوجه قراءة مجاهد (ان تغف عن طائفة
منكم) بالتاء المضمومة (تعذب طائفة) فقال : الوجه يغف بالياء لتذكير
الظروف ... لكنه حمل على المعنى فأنت (تغف) حتى كأنه قال : ان
تسامح طائفة او ان ترم طائفة • وزاد فى الانس بذلك مجيء التأنيث يليه
وهو قوله (تعذب طائفة) • (1)

ومن باب الواحد والجماعة ما جاء فى قوله سبحانه (ومن الشياطين
من يغوصون له) فحمل على المعنى • وقال (بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فأفرد على لفظ
(من) ثم جمع من بعد •

وبعد :

فلا مرأ ان العربية مدينة فى خلودها الى القرآن الكريم • ومهما
قلبت صفحات التاريخ فلن تجد رابطا استطاع ان يربط بين شعب ولغة
ودين بقدر ما ربط القرآن الكريم بين الامة الاسلامية ولغتها • فاللغات
كما نعلم كالكائنات الحية تولد ، وتشب ، وتشيب ، وتهزل ، وتموت ،

(1) المحتسب 1 : 298

وتتأثر بغيرها من اللغات وتلد جديدا على انقراض قديم ، وكان من الممكن ان تكون العربية كذلك لولا هذا السند المتين : القرآن الكريم •

لقد نزل بلغة قريش في مجموعه ، وكانت قريش قد استصفت لهجات العرب حين كانوا يأتونها حاجين او متاجرين ، واذن لهم ان يقرأوه بلهجاتهم كما تطوع به السنتهم ، بل كان القرآن يتناول احيانا بعض الالفاظ تأتي على لهجة الحجازيين مرة وعلى لهجة التميميين مرة حين يتطلب النظم ذلك • فأهل الحجاز يقولون : انا منك براء ، وتميم وسائر العرب : انا منك برىء واللغتان في القرآن (1) وقريش يقولون : اسريت ، وغيرهم يقولون : سريت واللغتان في القرآن ايضا (2) فضيق القرآن فوارق اللهجات ، وجمع المسلمين على سطره وآياته يقيمون به صلاتهم ويجدون أصول معاملاتهم فيه ، وهو فوق هذا أصل ما في العربية ذوقا وبيانا فلم يلبث ان اجتذب كل المسلمين وثقرا من غيرهم كل يتلمس فيه بغيته : المسلم لأصول دينه ، والاديب يشبع منه حاسته اللغوية ، والملحد ليتلمس سقطا او يجادل فيه ابتغاء الفتنة فأفادت العربية من كل هذه الوجوه حتى من الملاحظة •

لقد ذهب من مصادر رواية اللغة ركن له خطره بذهاب القرن الثاني وهو السماع (3) وما جاء منه بعد ذلك كان شيئا يسيرا يجري بعضه

(1) قال تعالى في سورة الزخرف (واذا قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون) الآية 26 . وقال تعالى في سورة الانعام (قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون) الآية 19 وانظر كذلك الآيات 78 من سورة الانعام و 48 من الانفال ، و 41 من يونس ، و 35 و 54 من هود و 216 من الشعراء و 16 من الحشر .

(2) الآية الاولى من سورة الاسراء ، والآية الرابعة من سورة الفجر

(3) اتفق علماء اللغة على ذلك . وان سمع ابن جنى من بعض بنى عقيل في القرن الرابع

مجرى التقليد ، ويتأرجح البعض الآخر فى مجال التوثيق • وكان من السماع ما لا يحصره تقعيد النحاة لأنه لا يذهب مع الكليات التى حصروا انفسهم فى دائرتها - وما كان لهم ان يفعلوا غير ذلك - فحفظ القرآن من النظائر التى جاءت وفق اساليب العرب بحكم حاستهم اللغوية الشئ الكثير • صحيح ان القرآن الكريم لم يجمع بين صفحاته كل اللغة مقيسها ومسموعها ، ولكنه خلد من المسموع الذى لا يجرى مع منطق النحاة (1) ما يمكن ان نقيس عليه ، مع فارق بينه وبين بقية مصادر الرواية من شعر ونثر وهو التوثيق الذى صاحب جمعه وكتابته ، وروايته ، وتفسيره •

ولم تستطع فئة من المستشرقين - ولهم نزعاتهم - اخفاء اعجابهم وهم يشيرون الى اثر القرآن الكريم فى اللغة • فالعالم يوهان فك يستفتح كتابه (العربية • دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب) بقوله : لم يحدث حدث فى تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا فى تقرير مصيرها من ظهور الاسلام • وفى ذلك العهد قبل اكثر من 1300 عام عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربى مبین تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد •

وفى الفصل الذى كتبه عن (عربية الدولة ولغة الشعب فى اوائل العصر العباسى) علل لبقاء العربية بالرغم مما اصاب الدولة بأن « لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم أيا كانت لغته الأصلية جزءا لا ينفصل من حقيقة الاسلام » • (2)

ويقول المستشرق ارنست رينان فى كتابه « التاريخ العام للغات

(1) انظر ما جاء من ذلك فى مقدمة كتاب المجاز لابی عبدة

(2) العربية ص 50

السامية» : (اذا لم يكن الانسان فى حل من ان يقول : ان شبه جزيرة العرب من بين جميع الاقطار هى التى تناقض اكثر من غيرها جميع القوانين التى يمكن تطبيقها على نمو الفكر البشرى ... واذا نظرنا الى تلك الظواهر التى يقدمها لنا هذا الظهور الفجائى لوعى جديد لدى البشرية وجدنا انه ربما كانت اللغة العربية نفسها اغربها واعصاها تفسيراً فهذه اللغة لم تكن معروفة من قبل تظهر لنا بغتة فى ابهى كمالها بما تتمتع به من مرونة وثراء عريض الى حد انه لم يطرأ عليها اى تغيير جوهري منذ ذلك الوقت حتى عصرنا هذا . فهى لم تمر كغيرها بدور طفولة وشيخوخة ، ولكنها لم تكد تظهر وتستتب لها هذه الفتوح الرائعة حتى بدت كاملة — ولست ادري اذا كنا نستطيع ان نجد مثلاً آخر للهجة شقت طريقها فى العالم دون أن تمر بمرحلة بدائية ومراحل وسطى ودون تعثر) * (1)

ولا وجه للغرابة ، ولا لعصيان التفسير اذا وضع رينان امام دهشته هذه نزول القرآن الكريم باسمى صور العربية وبقائه على افواه المسلمين . ومبلغ القول انها ستزداد اتساعاً بما تكتسبه من جديد عن طريق التعريب الصحيح دون ان تفقد حرفاً واحداً ورد فى القرآن الكريم .

(1) مجلة مجمع اللغة العربية العدد 12

الباب الثاني

الحائِثُ مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ اللِّغَةِ

الفصل الأول

رواية الحديث

مدى العناية برواية الحديث

جاء القرآن الكريم بتعاليم الدين الاسلامي مجملا ، ففصل القول فيه ، وبينه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعنى المسلمون بالكتاب والسنة عناية بالغة • اما الكتاب فقد ذكرنا طرفا من وجوه عنايتهم به : جمعا ، وحفظا ، وتفسيرا ، وشرحا ، وقراءة ، واعرابا الى غير ذلك • واما السنة فقد عنى بها أئمة المسلمين ، بدأ بذلك الصحابة رضوان الله عليهم فحفظوا عن نبيهم اقواله ، وافعاله ، فأتقنوا وثبتوا وهم يعلمون ان من الحديث ما هو تفصيل للقرآن ، وبيان لمجمله ، وتوضيح لغريبه — ولقد عرف ابو البقاء الحديث بأنه اسم من التحديث ، وهو الاخبار — ثم سمي به قول أو فعل ، او تقرير نُسب الى النبي صلى الله عليه وسلم • (1)

(1) قواعد التحديث 61 للقاسمي ط الحلبي سنة 1961

والصحابية على رأس الثقة في الرواية ، لم يرم واحد منهم بكذب أو وضع قال النووي في التقريب (الصحابة كلهم عدول) وبهذا قال الحافظ الدمشقي الذهبي وان لمنا في كلامه ترددا كأن في نفسه من هذا الرأي شيئا ويود لو استثنى منهم فقال (وأما الصحابة رضى الله عنهم فبساطهم مطوى وان جرى ما جرى وان غلطوا ما غلط غيرهم من الثقة فما يكاد يسلم من الغلط احد لكنه غلط نادر لا يضر ابدا اذ على عدالتهم وقبول ما نقلوا العمل) .(1)

وفي مجال التوثيق كان لا بد من تعريف الصحابي المحدث ، فقد ذهب بعض رجال الحديث الى القول بأن الصحابي هو من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او رآه من المسلمين . قال بذلك البخاري في صحيحه . وكان انس بن مالك يفرق بين الرؤية والصحبة ، روى شعبة عن موسى السيلاني قال : اتيت أنس بن مالك فقلت : هل بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احد غيرك ؟ قال : بقي ناس من الأعراب قد رأوا ، فأما من صحبه فلا . أما الاصوليون فانهم يقصرون هذا اللقب على من طالت صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وكثرت مجالسته له على طريق التبعية له والاخذ عنه — وكان سعيد بن المسيب يرى هذا الرأي ولا يعد الصحابي الا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او سنتين وغزا معه غزوة او غزوتين . (2)

والتابعون ايضا صادقون في مجموعهم ، استنادا على ان ما ندر غلظه في جنب ما قد حمل احتمال ، ومن تعدد غلظه وكان من اوعية العلم اغتفر له ايضا ونقل حديثه وعمل به على تردد (3) ثم اختلف المحدثون ورأوا في التابعين الافضل والفاضل ، كان احمد بن حنبل يقول : افضل

(1) قواعد التحديث 187

(2) مقدمة ابن الصلاح 146 ، والتقريب للنووي 34

(3) قواعد التحديث 187

التابعين سعيد بن المسيب فقبل له فعلقمة والاسود ؟ فقال : سعيد بن المسيب وعلقمة والاسود (١) ثم قال مرة اخرى : لا أعلم فى التابعين مثل ابى عثمان النهدي ، وقيس بن ابى حازم • وقال ايضا : افضل التابعين قيس ، وابو عثمان ، وعلقمة ، ومسروق ، هؤلاء كانوا فاضلين ومن عليّة التابعين • (2)

الاسناد

واتجهت المفاضلة احيانا الى نزعة اقليمية فأهل المدينة يقولون : سعيد بن المسيب ، وأهل الكوفة يقولون : أويس ، وأهل البصرة يقولون : الحسن البصرى ثم بدأ علماء الحديث فوضعوا رواته تحت النقد الشديد وعنوا بدراسة السند كما عنوا بدراسة المتن ، وكان السؤال التقليدى بعد سماع الحديث - اين سنده ؟ او عن من ؟ حتى ضج بعض العلماء بهذا السؤال ، سأل حفص بن غياث - الاعمش عن اسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده الى حائط وقال : هذا اسناده (3) ، وحدث الحسن البصرى بحديث فقبل له : يا أبا سعيد عن من ؟ قال : وما تصنع بعن من يا ابن أخى ؟ اما انت فنالتك موعظته ، وقامت عليك حجته • وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد انك تحدثنا فتقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت تسنده لنا الى من حدثك ؟ قال الحسن : ايها الرجل ، ما كذبنا ، ولا كذبنا ، ولقد غزونا غزوة الى خراسان ومعنا فيها ثلاثمائة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • (4)

(1) كان علقمة والاسود يبلغهما الحديث عن عمر رضى الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجوا الى عمر فيسمعانه منه ، مقدمة ابن الصلاح

(2) مقدمة ابن الصلاح 152 — 153

(3) العقد الفريد 1 : 4 (4) قواعد التحديث 142

وكانت هناك الظروف السياسية التي جعلت رجلا كالحسن البصري يمسك عن ذكر السند خوفا من بطش الامويين كما يبدو من هذا الخبر : قال يونس بن عبيد سألت الحسن قلت يا أبا سعيد انك تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه ، فقال : يا بن أخي ، لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، اني في زمان كما ترى - وكان في زمن الحجاج - كل شيء سمعته اقول له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن ابي طالب غير اني في زمان لا استطيع أن أذكر عليا . (1)

وكان ابن حجر يعطى هذا الحق للسائلين ويرى ان معرفة الاسناد من فروض الكفاية ، وقال عبد الله بن المبارك : الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء (2) وقال احمد بن حنبل : طلب الاسناد العالي سنة عن سلف لان اصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة الى المدينة في زمان لا استطيع أن أذكر عليا . (3)

وظل الاسناد يؤدي دورا هاما في مجال الرواية الموثقة ، فقد قسموا الحديث الى صحيح ، وحسن ، وضعيف (4) وعرفوا الصحيح بأنه المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه ، ولا يكون شاذ ولا معللا (5) واقتدى رجال اللغة برجال الحديث في ضرورة البحث عن السند وقالوا ان اللغة أداة تفسير الحديث ، وان

(1) قواعد التحديث 143 (2) قواعد التحديث 174

(3) قواعد التحديث 202

(4) للحديث اقسام اخرى كالمسند ، والمتصل ، والمرفوع ، والموقوف ، والمقطوع ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والمنكر الى غير ذلك لسنا بحاجة الى تفصيل القول فيها في مجالنا اللغوي

(5) مقدمة ابن الصلاح 8

الاستاد من شروط النقل الصحيح ، وطالب به ابن الانباري وقال : لولا
الاسناد لأدى أن يروى كل من أراد ما أراد • (1)

الجرح والتعديل

وبلغت الدقة بعلماء الحديث أن قسموا المحدثين من حيث الدقة في
الرواية الى فئات ووضعوا لهم الاقيسة والشروط التي تضع الواحد منهم
في مكانه الصحيح - فاذا قيل للمحدث انه ثقة أو متقن فهو ممن يحتج
بحديثه - فاذا قيل انه صدوق أو محله الصدق أو لا بأس به وضع في
المرتبة الثانية وحينئذ يكتب حديثه وينظر فيه وفرق عبد الرحمن بن
مهدى بين المنزلتين حين حدث فقال : حدثنا ابو خلدة فقل له : اكان ثقة
فقال : كان صدوقا ، وكان مأمونا ، وكان خيرا - أو قال خيارا - الثقة
شعبة وسفيان - فهو هنا يضع شعبة وسفيان وأمثالهما في المرتبة الاولى ،
والصدوق والمأمون والخير في مرتبة بعدهم - واذا قيل للمحدث شيخ
فهو في المرتبة الثالثة فاذا قيل صالح الحديث وضعوه في المرتبة
الرابعة • (2)

واما الفاظهم في الجرح فهي على مراتب ايضا يضعون في اعلاها
(لين الحديث) سأل حمزة بن يوسف السهمي ابا الحسن الدارقطني : اذا
قلت : فلان لين الحديث ايش تريد منه ؟ فقال : لا يكون ساقطا متروك
الحديث ولكن مجروحا بشيء لا يسقط عن العدالة - ثم يطلقون على
المحدث دون هذه الدرجة (ليس بقوى) ثم (ضعيف الحديث) ثم
(متروك الحديث) أو (ذاهب الحديث) أو (كذاب) حيث يجمعون على
ترك حديثه • (3)

(1) الاغراب في جدل الاعراب 47 ط الجامعة السورية سنة 1957

(2) مقدمة ابن الصلاح 58 وما بعدها

(3) الكفاية في علم الرواية 21 للخطيب البغدادي ط حيدر آباد سنة

1357 هـ

كتابة الحديث

لم ينشط الصحابة الى تدوين الحديث نشاطهم فى تدوين القرآن ، بل كان توقعهم عن هذا التدوين يعود فى اكثره الى القرآن نفسه حتى لا يكون للمسلمين كتاب غيره — كان هذا رأى عمر ، وابن مسعود ، وزيد ابن ثابت ، وابى موسى الاشعري ، وابى سعيد الخدرى الذى روى عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عنى شيئاً الا القرآن ومن كتب عنى شيئاً غير القرآن فليمحه » * (1)

الا ان الاخبار تشير الى مسلك لعبد الله بن عمرو بن العاص حين كان يحرص على تدوين الحديث ويكتب كل ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال له بعض الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فى الغضب فلا تكتب كل ما تسمع فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : (اكتب * فوالذى نفسى بيده ما خرج من بينهما الا حق) يعنى شفتيه ، وأشار ابو هريرة الى مسلك عبد الله فقال : لم يكن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظ منى الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده ويعى بقلبه ، وكنت اعى بقلبى ولا اكتب يدي * (2)

والرأى عندى ان النهى عن كتابة الحديث ، والاذن به لعبد الله بن عمرو بن العاص لا يخلق تعارضاً — اذ كان النهى يستهدف توحيد كتاب المسلمين فلا يشارك القرآن كتاب آخر — وكان عبد الله يكتب لنفسه ليستعين بذلك على الحفظ والاستظهار كما يفهم من اشارة ابى هريرة فى قوله (كان يكتب بيده ويعى بقلبه) ويدللك على ذلك موقف ابى شاة اليمنى حين التمس من النبى صلى الله عليه وسلم ان يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم (اكتبوا لابى شاة)

(1) مقدمة ابن الصلاح 88 ، المصاحف للسجستانى 4

(2) قواعد التحديث 62

ولهذا اباح الكتابة قوم ، منهم على بن ابي طالب وابنه الحسن ، وانس وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأكثرهم كان يكتب لنفسه ليستعين بهذه الكتابة على الحفظ - ولم ينشطوا لتدوين الحديث على سبيل الجمع الا فى نهاية المائة الاولى للهجرة عندما أرسل عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر بن محمد بن حزم والى المدينة أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فانى أخاف دروس العلم وذهاب العلماء ، وكتب بمثل هذا الى محمد بن شهاب الزهرى •

وفى اواخر عصر التابعين قام فريق بتدوين الآثار منهم الربيع بن صبيح ، وسعيد بن ابى عروبة الى ان جاء الامام مالك فصنف الموطأ وتوخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم - كما صنف ابن جريج بمكة ، وابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الازاعى بالشام ، وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى بالكوفة ، وابو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ولم يصل إلينا حديث مدون قبل موطأ مالك - وعلى رأس المائتين صنف المسانيد جماعة منهم : عبيد الله بن موسى العيسى الكوفى ، ومسدد بن مسرهد البصرى ، واسد بن موسى الاموى ، ونعيم بن حماد الخزاعى • ثم اقتفى الائمة اثرهم فقل امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد بن حنبل ، وأسحق بن راهويه ، وعثمان بن شبيبة ، ولقد تلمذ البخارى لاسحق بن راهويه الذى حبب اليه جمع الحديث الصحيح ، وفى زمانه صنف مسلم بن الحجاج القشيرى مسنده الصحيح وبقيت هذه الكتب الثلاثة موطأ مالك ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم تمثل الذروة فى صحيح الحديث •

وكان على الكاتبين أن يعارضوا كتبهم حتى يطمئنوا الى سلامتها ، ذكر هشام بن عروة ان اياه قال له : كتبت ؟ قال : نعم • قال : عارضت ؟

قال : لا • قال : لم تكتب • وقال معمر : لو عورض الكتاب مائة مرة ما
كاد يسلم من أن يكون سقط - أو قال خطأ • (1)

ولقد كان تدوين الحديث ضرورة فرضتها اتساع الرقعة الإسلامية
والابتعاد عن موطن العربية في الجزيرة زمانا ومكانا - وكان رواة الحجاز
امثل رجال السند من امثال مالك ، والشافعي ، وابن حنبل - ثم انتشر
ناقلو الحديث في البصرة ، والكوفة وشرق العراق ، والشام ، ومصر
- غرب وغير عرب - وبالرغم من العناية الفائقة في استخلاص الحديث
المدون بمعارضة كتبه فانه تعرض لآفات في المجال اللغوي منها :

- الرواية بالمعنى •

- التصحيف •

- الوضع •

رواية الحديث بالمعنى

ورد في حديث مرفوع رواه ابن منده في (معرفة الصحابة)
والطبراني في (الكبيرة) من حديث عبد الله بن سليمان بن اكثم الليثي
قال : قلت يا رسول الله اني اذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه
كما أسمع منك ، يزيد حرفا - او ينقص حرفا فقال : (اذا لم تحلوا حراما
ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس) (2) وقال ابن سيرين (كنت
أسمع الحديث من عشرة ، المعنى واحد والالفاظ مختلفة) وجعل رجل
يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه ، فقال له
يحيى : يا هذا ليس في الدنيا أجلّ من كتاب الله تعالى قد رخص للقراءة
بالكلمة على سبعة أحرف • فلا تتشدد • (3)

وهذا الترخيص فيما يبدو انما جاء لاعتماد القوم على المحافظة في

(1) مختصر جامع بيان العلم وفضله 38 ط الموسوعات سنة 1320

(2) قواعد التحديث. 222

(3) قواعد التحديث 221 - 222

جزء كبير من رواية الحديث ، وكان السلف الأول على فطرتهم يصيبون المعنى فتمدهم عريتهم به فى غير لبس كما يبدو فى قول حذيفة (انا قوم عرب نورد الحديث فنقدم ونؤخر) (1) وحيث اختلف الناس فى هذا الأداء بدا أن بعض الرواة أحسن رواية من بعض حتى قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، انما تحدثنا بالحديث أنت أحسن له سياقاً ، وأجود تحبيراً ، وأفصح به لساناً منه اذا تحدثنا به ، فقال : اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك .

ولقد رخص فى سوق الحديث جماعة منهم : على بن أبى طالب ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبو الدرداء ، ووائل بن الأسقع ، وأبو هريرة - ومن التابعين الحسن البصرى ، والشعبى ، وعمرو بن دينار ، وإبراهيم النخعى ، ومجاهد ، وعكرمة - وكان أكثر رواة السلف يقصدون الصدق ويقولون : الكذب على من تعمد ، وكان سفيان الثورى يصرح فى ثقة بأنه يروى الحديث بالمعنى فيقول : ان قلت لكم انى احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ، انما هو المعنى (2) وقال ابن المبارك : علمنى سفيان الثورى اختصار الحديث . (3)

ومن حججهم فى الاطمئنان الى هذا المذهب الاجماع على شرح الشريعة للأعاجم بلسانهم للعارف به - فاذا جاز ذلك بلغة اخرى فجوازه بالعربية أولى ، قال بذلك الحافظ بن حجر فى شرح النخبة ، وأباح ذلك فى المفردات دون المركبات ولم يستحضر اللفظ ليتمكن من التصرف فيه ، ولم كان يحفظ الحديث فنسى لفظه وبقي معناه مرتسماً فى ذهنه فله أن يروى بالمعنى لمصلحة تحصيل الحكم منه بخلاف من كان مستحضراً لفظه . (4)

(1) قواعد التحديث 223

(2) الاقتراح 20 للسيوطى ط كلكتا

(3) العقد الفريد 2 : 233

(4) قواعد التحديث 221

وكان من المعروف أن هذه الرخصة ليست عامة ولا مطلقة ، وإنما هي مشروطة بعلم الراوى بالعربية وأشار الى ذلك ابن الصلاح فى مقدمته بقوله (ان الراوى اذا أراد رواية ما سمعه على معناه دون لفظه فان لم يكن عالما عارفا بالألفاظ ومقاصدها خيرا بما يحيل معانيها بصيرا بمقادير التفاوت بينها فلا خلاف انه لا يجوز له ذلك وعليه ألا يروى ما سمعه الا على اللفظ الذى سمعه من غير تغيير) - ولكن هذه الشروط وكلها تؤكد ضرورة المعرفة بالعربية يصعب تحقيقها كلما تقدم الزمن ووهنت السليقة ونأت الديار برجال الرواية عن موطن العربية فى الجزيرة •

التصحيف

التصحيف من عيوب الكتابة فى جميع الآثار الادبية ، لاحظ الرواة ذلك فى الأدب والشعر وكرهوا الرواية عن الصحف خشية التصحيف ، وقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث حتى قال الامام أحمد بن حنبل (ومن يعرى من الخطأ والتصحيف ؟) (١) وترجع هذه الآفة الى جملة أسباب منها :

ان الكتابة العربية قديما لم تكن تميز بين الحروف المتفقة فى الشكل كالجيم والحاء والخاء ، والذال والذال ، والسين والشين ، والصاد والضاد الى غير ذلك فكان القارئ ينطق بالحرف مجتهدا احيانا وراء سياق المعنى فوق التصحيف من هذا الوجه قبل أن تميز الحروف بالنقط • وقد وقع المحدث الكبير شعبة بن الحجاج فيه حين التبت عليه السين والشين • يقول الاصمعى : كنت فى مجلس شعبة فروى الحديث فقال (تسمعون جرش طير الجنة) بالسين فقلت : جرس • فنظر الى وقال : خذوها منه

(١) الزهر 2 : 354

فانه أعلم بهذا منا (1) وهو يشير بهذا الى تمرس الأصمعى باللغة وادراكه لمفرداتها التى حصلها عن طريق الرواية والمشافهة •

ومن هذا الوجه أيضا ما وقع فيه علماء اللغة أنفسهم فاستشرت هذه الآفة ولم تجد ضابطا لمضطربها وكان من حقهم أن يتجادلوا بحسب ما سمع كل عن شيخه ولكن العربية نفسها أخذت تعاني منه الى حد بعيد ، من ذلك مثلا ما يحكيه محمد بن سلام الجمحى قال : قلت ليونس بن حبيب ان عيسى بن عمر قال : صحف ابو عمرو بن العلاء فى الحديث (اتقوا على اولادكم قمحة العشاء) فقال بالفاء وانما هدف بالقاف - فقال يونس : عيسى الذى صحف ليس ابا عمرو وهى بالفاء كما قال ابو عمرو لا بالقاف كما قال عيسى (2) • وأخبر ابو معمر عبد الوارث قال : كنا بباب بكر بن حبيب فقال عيسى بن عمر فى عرض كلام له قمحة العشاء (بالقاف) فقلنا لعلها فحمة العشاء فقال : هى قمحة (بالقاف) لا يختلف فيها فدخلنا على بكر بن حبيب فحكيناها له فقال : هى فحمة العشاء بالفاء لا غير اى فورته ، ولم يملك رجل كابن منظور الا ان ينقل هذه الاخبار دون أن يرجع واحدة على اختها • (3)

ومن هذه الاسباب ان بعض الحروف المتماثلة فى الخط والمختلفة فى النقط تتبادل فلا يتغير معناها المعنى ، ذكر من ذلك صاحب اللسان : أسود قاحم : شديد السواد كفاحم • (4)

ومن التصحيف ما استقامت قراءته مع السياق العام للمعنى أو أخذ

-
- (1) المزهري 2 : 354
(2) المزهري 2 : 360
(3) اللسان مادة ف ح م
(4) اللسان مادة ق ح م

وجهاً جديداً من التفسير فلم يبعد عن الغرض واطمأن قارئه الى ما قرأ ،
رأينا أمثلة من ذلك فى النصوص الأدبية • (1)

ومما جاء منها فى القرآن الكريم ما أشار اليه السيوطى حين صحف
حماد بن الزبرقان ثلاثة الفاظ فى القرآن لو قرئ بها لكان صواباً • اللفظ
الأول (وما كان استغفار ابرهيم لايه الا عن موعدة وعددها) أباه
ـ والجمهور : اياه • واللفظ الثانى (بل الذين كفروا فى « غرة » وشقاق)
والجمهور غرة ـ واللفظ الثالث (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) يعنيه
ـ والجمهور يعنيه • (2)

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما رواه الأعمش فى حديث عبد الله
ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة وكان أبو عمرو بن العلاء حاضراً عنده فقال له أبو عمرو : يتخوننا
ـ وفى التصحيف والتحريف للعسكرى : قال الأصمعى : قد ظلمه أبو
عمرو ، يقال : يتخولنا ، ويتخوننا فمن قال يتخولنا يقول : يستصلحنا
ومن قال يتخوننا قال : يتعهدنا (3) ـ ونسب ابن الأثير الى أبى عمرو بن
العلاء لفظاً ثالثاً وهو يتحولنا ـ بالحاء ـ أى يطلب الحال التى ينشطون
فيها للموعظة فيعظهم فيها ، ولا يكتر عليهم فيملوا •

وبالرغم من أن التصحيف قد وقع فى الآثار الأدبية فلم يمنع من
الاحتجاج بها الا ان اللغويين يجعلون التصحيف فى الحديث مبرراً لعدم
الاحتجاج به ـ ولقد رجحوا رأيهم الاخير فيما يبدو ـ لان رواية الحديث
كان اكثرهم من الأعاجم •

(1) اقرأ فى هذا موضوع التصحيف والتحريف فى كتاب المزهـر
للسيوطى 2 : 353

(2) المزهـر 2 : 368 — 369

(3) المزهـر 2 : 373 وانظر اوائل الجزء الثانى من كتاب النهاية فى
غريب الحديث والاثـر لابن الاثير

الوضع

كان عمر رضوان الله عليه يدعو الى الاقلال من الرواية ، ولا نكاد نعرف من أسباب ذلك الا ما يشير اليه ابن عبد البر من أنه كان يخشى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن ضبط من قلت روايته أكثر من ضبط المستكثر ، ولم يكد ينتهى عصر الراشدين حتى توزعت الأهواء بين عثمانية وعلوية ، وهاشمية وأموية ، ومضرية ويمينية ، وبين شيعيين وخوارج الى غير ذلك حاولت كل فرقة ان تسمو على اختها فاتخذت الحديث من اسلحتها •

واشتهرت بيئة العراق بوضع الحديث فسميت دار الضرب ، وغمزهم رجال الحجاز فقالوا : يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود فى العراق ذراعا - وقال هشام بن عروة اذا حدثك العراقى بألف حديث فائق تسعمائة وتسعين وكن من الباقي فى شك (1) وتركز الوضع فى الكوفة ، أشار الى ذلك القرطبى فى التنبيه على الأحاديث التى وضعها جماعة اختلفت اغراضهم فذكر قوما من الزنادقة مثل المغيرة بن سعيد الكوفى ، ومحمد بن سعيد الشامى المصلوب فى الزندقة وغيرهما ، ومما رواه محمد بن سعيد هذا عن انس بن مالك فى قوله صلى الله عليه وسلم (انا خاتم الانبياء لا نبى بعدى) الا ما شاء الله فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة • ودخل غياث بن ابراهيم على المهدي فوجده يلعب بالحمام فساق فى الحال اسنادا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا سبق الا فى نصل أو خف أو حافر) أو جناح فزاد فى الحديث - أو جناح - فعرف المهدي أنه كذب لأجله • (2)

وجرت بعض الأحاديث الموضوعة على السنة القصاص وقد عرفوا الأسانيد الصحيحة فقدموا بها لأحاديثهم الموضوعة ، من ذلك ما ذكره

(1) قواعد التحديث 81

(2) قواعد التحديث 151

جعفر بن محمد الطيالسي فقال : صلى احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة فقام بين أيديهما قاص فقال : حدثنا احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين قالا : أنبأنا عبد الرزاق قال : أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فجعل ينظر احمد الى يحيى ، ويحيى ينظر الى احمد ، فلما فرغ من قصته سأله يحيى وكشف له عن نفسه وعن أحمد بن حنبل ، قال القاص : كأنه ليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ كتبت عن سبعة عشر احمد ابن حنبل غير هذا .

ومن مسلك أصحاب الفرق فى وضع الحديث ما يشير اليه ابن لهيعة وقد سمع شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فانا كنا اذا هويانا أمرا صيرناه حديثا (1) وفى ابواب الاعتقاد ، وعامة ابواب الدين وقع الوضع فى الأحاديث بعضه باطل لا يجوز أن يقال فضلا عن أن يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم - وبعضه كلام قاله بعض السلف وكان مما يسوغ فيه الاجتهاد فيعزى الى النبى صلى الله عليه وسلم . ومن العلماء من وضع الحديث ترغيا فى الدين ، وجره حسن المقصد الى تبرير الوضع - قيل لابی عصمة بن ابى مريم المروزي : من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ قال : انى رأيت الناس أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقهاء أبى حنيفة ومغازى ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . (2)

(1) اللآلئ المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة 2 : 468

(2) قواعد التحديث 156 ، اللآلئ المصنوعة 2 : 470 — وجاء فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 78 ومقدمة ابن الصلاح 8 انه قيل لميسرة بن عبد ربه : من اين جئت بهذه الاحاديث : من قرا كذا فله كذا ، ومن صام كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها ارغب الناس فيها

وكان الغزالي حين رأى المتصرفية يبيحون الوضع فى الترغيب والترهيب يقف فى الجانب المعارض وينكر على المتصوفة مسلكهم قائلاً : ان فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها • (1)

وهناك فئة أخرى لا تتهم بوضع الحديث ولكنها تتهم بترويض الأحاديث الموضوعة عن غير قصد ، اشار اليهم الامام مسلم فى مقدمة صحيحه • فروى عن يحيى بن سعيد القطان قال : (لم نر الصالحين فى شيء اكذب منهم فى الحديث) وفى رواية (لم نر أهل الخير فى شيء اكذب منهم فى الحديث) قال مسلم : يعنى أنه يجرى الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب ، وقال النووي موضحاً هذا الوجه (لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث فيقع الخطأ فى روايتهم ولا يعرفونه ، ويروون الكذب ولا يعلمون أنه كذب) • (2)

وكان أول من أفرد للأحاديث الموضوعة - على ما نعلم - الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ حيث أخرج كتاب الأباطيل ، ثم كتب أبو الفرج بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ كتاباً يعتبر أشهر ما كتب فى الأحاديث الموضوعة ، ثم وضع الصغانى اللغوى المتوفى سنة ٦٥٠ رسالتين فى ذلك ، وللسيوطى كتب جعلها تعقيباً على كتاب ابن الجوزى أشهرها كتاب اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة •

وبعد - فلقد كانت رواية الحديث بالمعنى ، وتعرضه للتصحيح

(1) قواعد التحديث 113

(2) قواعد التحديث 152

والوضع على رأس الاسباب التي جعلت أكثر رجال اللغة يتوقعون عن
الاحتجاج به ، ولو أنهم عرضوا له كما عرضوا للقرآن الكريم حين خرجوا
للقراءة الشاذة كما فعل الفراء في كتابه معاني القرآن ، وابن جنى في كتابه
المحتسب لخلص لهم من هذا الوجه أكثر الحديث •

الفصل الثاني

موقف رُواة اللغة من الحديث

لم يكن رواة اللغة يكتفون بالتحصيل في البيئات العلمية في العراق فكانوا يذهبون الى البادية القريبة يستمعون الى الاعراب ويوثقون ما حصلوا في بيئات العراق او يضيفون الى علمهم جديدا ، فلما قلت ثقتهم بالاعراب اطول مكثهم في الحضر او البادية القريبة من الحضر توجهوا الى قلب الجزيرة العربية يأخذون عن اعرابها الخالص ، وقد يصادفون امرأة ، او صبيا ، او مجنونا فلا يجدون غضاضة في الرواية عنه طالما كانت بغيتهم تلقى العربية القائمة على السليقة والفطرة ، ولا يشك احد ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل الذروة من الآثار الأدبية فسا بال الرواة قد اخذوا عن عامة الأعراب وتوقفوا امام أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لقد كانت شوائب الرواية - رواية الحديث - هي السبب في توقف اللغويين عن الاحتجاج بالحديث ، ولقد ذكرنا من ذلك : التصحيف

وكانوا يكرهون الرواية عن الصحف بصفة عامة — ثم رواية الحديث بالمعنى قد اوقع بدوره الشك في نفوس رجال اللغة فلم يصل اكثرهم الى حد التثبت من أن هذا اللفظ او ذاك قد صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فرواية الحديث بالمعنى جائز عند اكثر المحدثين لأنها تؤدي الغرض المقصود من الحديث وهو التبصرة بالدين ، ولكنها لا تؤدي غرض اللغويين الذين يحرصون أشد الحرص على التثبت من عريية اللفظ، وخلص عريية قائله وقد علموا أن رواية الحديث قد شارك فيها العربى وغير العربى •

والوضع فى الحديث من اشد آفات الرواية ، ومن الوضاعين من عرف الاسانيد الصحيحة فركب عليها أحاديث من وضعه •

وتتيجة لشوائب الرواية وردت بعض الأحاديث ماحونة — وبديهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن ، فكان بعض الرواة وأصحاب المعرفة بالعربية يقيمون اعرابه ويصالحون ما فيه من لحن ، من ذلك ما يرويه النضر بن شميل وهو من رجال اللغة ومن رجال الحديث قال : دخلت يوما على المأمون ... فجرى بنا الحديث فسى ذكر النساء فقال المأمون : حدثنا هشيم بن بشير قال : مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أينا رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بفتح السين — قالت يا أمير المؤمنين : صدق هشيم ، حدثنا عوف بن أبى بجيلة الاعرابى عن الحسن عن على ابن أبى طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيا رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بكسر السين • قال : وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا ثم قال يا نضر ، كيف قال هشيم (سداد) بفتح السين واسم يقل (سداد) بكسر السين ، وما الفرق بينهما ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين السداد بفتح السين : القصد فى الدين

والسبيل ، والسداد بالكسر : من الثغر والثلمة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو فى سِدَاد (بالكسر) ، قال وتعرف ذلك العرب ؟ قلت : نعم ، قال الشاعر ، وهو العرجى :

اضاعونى وأى فتى اضاعوا
ليوم كزيمه وسِداد ثغر

فقال : قبح الله اللحن

قلت : يا أمير المؤمنين ، انما لحن هشيم وهو لحانة فاتبع أمير المؤمنين لفظه (1)

وقال النضر بن شميل : كان هشيم لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة - يعنى بالاعراب • (2)

ولا ادرى جهد النضر فى تتبع هشيم - هل فى هذا الحديث وحده الذى اورده صاحب انباه الرواة - ام فى جملة من الحديث كما يفهم من الخبر الذى حاء فى قواعد التحديث وأصبح فى نظر النضر لحانا •

وكان الاوزاعى يوصى باصلاح الحديث ويقول : اعربوا الحديث فان القوم كانوا عربا • • ولا بأس باصلاح اللحن والخطأ فى الحديث • (3)

والشعبى الذى كان يمثل الفئة المحافظة فى الكوفة يصرح بتغير شكل الحديث ليستقيم اعرابه ، سأل جابر : اسمع الحديث بغير اعراب فأعربه ؟ قال : نعم لا بأس فى ذلك - ولا بأس عند الشعبى ايضا ان يقرأ الحديث يأخذ بعضه ويترك بعضه فى سبيل تجنب اللحن ويقول : لأن اقرأ وأسقط أحب الى من أقرأ وألحن • (4)

(1) انباه الرواة 3 : 349 — 350

(2) قواعد التحديث 211

(3) جامع بيان العلم وفضله 78

(4) معجم الادباء 1 : 79

ولكن بقيت فئة من الرواة لم تسترح نفوسهم لتغيير الحديث أو رواية جزء منه وترك الجزء الآخر ، (١) فرووه ملحونا ، قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل بن امية : كنا نرد نافعا (مولى ابن عمر) نسأله اقامة اللحن في الحديث فيأبى - وكان ابو معسر يقول : انسى لاسمع الحديث لحننا فألحن اتباعا لما سمعت ، وكان ابن سيرين يسمع الحديث ملحونا فيحدث به على لحنه وبلغ ذلك الاعمش فقال : ان كان ابن سيرين يلحن فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن * (٢)

ومن الممكن ان نرد عزوف الاصمعي عن الخوض في الحديث الى هذه الوجوه بالاضافة الى ما عرف عنه من التأثم والتخرج حين يعرض للحديث ، يقول نصر بن علي : حضرت الاصمعي وقد سأله سائل عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (جاءكم اهل اليمن وهم ابخس نفسا) ما معنى ابخس ؟ قال : يعنى : اقتل ، ثم اقبل متندما على نفسه كاللائم لها فقلت له لا عليك ، فقد حدثنا سفيان بن عيينة عن ابي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك - فكأنه قد سرى عنه (٣) جاء في معجم العين وهو أول المعاجم العربية في مادة ع ه ر : العهر الفجور * واحتج بالحديث (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وفي ع ر ق (ليس لعرق ظالم حق) وهو الذى يغرس فى ارض غيره *

ولكن الامر فى الاحتجاج بالحديث لم يترك جيلة ، فقد احتج ابو

(١) كان بعض الرواة يجيز رواية جزء من الحديث اشارة الى ذلك الحافظ بن حجر فى شرح النخبة ، والنووى فى شرح مسلم * وكان مجاهد يقول : انقص من الحديث ما شئت ولا تزد حرفا

(٢) معجم الادباء 1 : 79

(٣) نزهة الالباء 170

زكريا الفراء لتأنيث معا — مفرد امعاء — بالحديث (المؤمن يأكل في معا واحدة) ، وتأنيث ضلع بالحديث (ليس في أقل من خمس ذود صدقة) لمجيء العدد مذكرا في كل كما جوز كسر همزة (ام) اذا سبقتها ياء او كسرة بقول من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (اوصى امرءا بامه) بكسر الهمزة • (1)

واحتج سيبويه بالحديث (ما من ايام أحب الى الله فيها الصوم من عشر من ذى الحجة) الكتاب 1 : 232

(وكل مواود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) نفس المصدر 1 : 396

وكذلك احتج ابن قتيبة بالحديث في تفسير كلمة (عرض) فقد فسرہ ابو على القالى بأنه واد باليمامة ، وكل واد يقال له عرض — والعرض ايضا : الريح ، والعرض ما ذم من الانسان او مدح ، واختلف فيه ، فقال ابو عبيد : عرضه : اباؤه وأسلافه • وقال ابن قتيبة عرضه : جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة (لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك) يعنى من أبدانهم • (2)

وفسر أبو على القالى الغيم بالعطش ، وروى عن أبي بكر بن الانبارى قول النبي صلى الله عليه وسلم (نعوذ بالله من الأيمة ، والعيمة ،

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 5 — 6

(2) الامالى للقالى 1 : 118

والغيمة ، والكزم ، والقزم) وقال الغيمة : العطش • (1)

وكان أحمد بن فارس يستشهد بالحديث ويشير الى بعض غريبه •
فمن الغريب : ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه الى
الاقبال العباهلة (على التبعة شاه ، والتمية لصاحبها • وفي السيوب
الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار • من أجبي فقد أربي)
ذكر ذلك ابن فارس وهو يشير الى ثريب العربية فيما جاء من القرآن
والحديث والشعر والامثال الى غير ذلك • (2)

واحتج لحرف اللام بمعنى بعد بقوله صلى الله عليه وسلم (صوموا
لرؤيته) أى بعد رؤيته (3) وفي باب الاستثناء يشير الى قول بعض
النحويين : المستثنى خرج مما دخل فيه ويقول ابن فارس : وهذا مأخوذ
من الثنا ، والثنا : الامر يثنى مرتين واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم
(لا ثنا فى الصدقة) يعنى لا تؤخذ فى السنة مرتين (4) واحتج لكلمة
(بيد) بمعنى (غير) بقوله صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون السابقون
يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم) أى غير
أنهم (5) واحتج للأمر بمعنى الوعيد بالحديث (اذا لم تستح فاصنع ما
شئت) (6) وفي سياق القول بأن لبعض الفاظ العربية خصائص ومعان لا
يجوز نقلها الى غيرها عرض لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما يحملكم
على أن تتابعوا فى الكذب كما يتتابع الفراش فى النار) فقال : قال ابو

-
- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (1) الامالى للقالى 1 : 160 | (2) الصحابى فى فقه الله 41 |
| (3) المصدر السابق 85 | (4) المصدر السابق 106 |
| (5) المصدر السابق 118 | (6) المصدر السابقة |

عبيد : هو التهافت ولم نسمعه الا فى الشر • (1)

وبعد :

فلقد كان اعتماد اللغويين على الحديث فى سياق الرواية اللغوية اعتمادا قليلا يصل الى حد الندرة : ولم يسلم المتأخرون من النحاة من أمثال ابن خروف ٦٠٩ هـ وابن مالك ٦٧٢ هـ (2) من النقد الشديد ، وكان ابن جساغة ممن أخذ عن ابن مالك فقال له يوما وكأنه لا يرى رأيه : يا سيدى هذا الحديث رواية الاعاجم ووقع فيه من روايتهم ما نعلم انه ليس من لفظ الرسول ، فلم يجب بشيء • (3)

ومع هذا فقد أثرت العربية من خلال الشروح والتفسير التى تناولت الحديث ونحن نعقد لذلك الفصل القادم •

(1) المصدر السابق 222

(2) كان يرى ان القرآن هو اوثق المصادر اللغوية - ثم الحديث - ثم

كلام البدو ، فوات الوفيات 2 : 288 والبغية 55

2 : 288 والبغية 55

(3) الخزائن 1 : 25

الفصل الثالث

مَا أَفَادَتْهُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الْحَدِيثِ

غريب الحديث

تتبعت الرواية مصادر العربية حيثما كانت ، فى سوق المربد لمشافهة
الاعراب الوافدين اليها ، وفى الجزيرة العربية للاستماع الى الاعراب
والتعرف على الدارات والجبال والنبات والحيوان واسماء المعانى
— وعادت الرواية بأوعية تحمل هذه الاسماء ، بعضها آثار أدبية كالاشعار
والامثال والحكم ، وبعضها فى صورة حكايات عن رجال ونساء وأطفال
ومجانين حيث كانت بغية الرواية حصر ما يمكن حصره من الفاظ العربية
وتراكيبها — وكما ذكرنا كان من الممكن ان يكون الحديث على رأس
مصادر الرواية لولا شوائب روايته التى فصلنا القول فيها .

وأصبحت هذه الحصيلة من الاسماء والتراكيب عدة اللغويين والرواة
يحفظونها فى صدورهم الواعية ، أو يدونون ما يقع منها تحت أصل واحد

ففي كتاب ، كالنبات ، والوحوش ، والقوس ، والقداح . والانواء الى غير ذلك — أو يضعون هذه الحصيلة في خدمة الآثار الأدبية الضخمة كالقرآن والحديث والشعر • وهنا نجد الرواية التطبيقية تسد العريية بثروة ضخمة من خلال التفاسير والشروح •

ورجال الحديث بدورهم كانوا يدركون أنهم يروون أثرا عربيا له خطره يجب أن يتخلص من شوائب العجمة واللحن كما يجب ان يتضح غريبه ، فكانوا يذهبون الى رجال اللغة يعرضون عليهم الحديث • يقول أبو حاتم السجستاني : كان عفان بن مسلم يجيء الى الاخفش والسي أصحاب النحو يعرض عليهم الحديث يعربه • قال له الاخفش : عليك بهذا — يعني — وكان بعد ذلك يجيء الى "حتى عرض على" حديثا كثيرا وكان ابن مناذر الشاعر من العارفين باللغة وكلام العرب • وكان سفيان بن عيينة من اعلام المحدثين يسأله عن معاني حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره بها ويقول له : كذا وكذا مأخوذ من كذا وكذا فيقول سفيان : كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض — ولقد كان سفيان يدرك هذه الصفة فيه فيحرص على الافادة منها وربما كتب عنه ما يجده عونا على مسلكه في الحديث او يقوى به سببه في تفهيمه وادراك غريبه — حدث احمد بن سليمان بن ابي شيخ قال : حدثني شيخ من اهل الكوفة يقال له عوام قال : سمعت سفيان ابن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله محمد بن مناذر ان يسليه عليه • فتبسم سفيان وقال له : هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك — قال وعلى ذلك أحب أن تمليه على فاني اذا رويته عنك كان أنفق له من أن انسبه الى نفسي (1) ثم وجه بعض اللغويين جزءا من عنايتهم للتعريف بغريب الحديث •

(1) الاغانى 17 : 9

وللمحدثين تقسيمات فى غريب الحديث فيضعون الغريب ، والعزيز ، والمشهور فى نسق ويتجهون فى هذا التقسيم الى طرق الرواية ، وليس هذا مجال بحثنا (1) والمقصود هنا بغريب الحديث هو ما وقع فى متون الاحاديث من الفاظ غامضة ، وكان يتخرج من الكلام فيه كبار رجال الحديث ، بل كبار رجال اللغة ، سئل احمد بن حنبل عن حرف من غريب الحديث فقال : سلوا أصحاب الغريب ، وسئل الاصمعي ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجار أحق بسقبه) فقال : اننا لا أفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن العرب تزعم أن السقب : المزيق • (2)

وأول من كتب فى غريب الحديث النضر بن شميل وأبو عبيدة (3) معسر بن المثنى ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب • وقال ابن الجزرى وهو يستفتح كتابه (النهاية فى غريب الحديث والاثار) ان هذه الكتب كانت فى أوراق ذوات عدد - يشير الى صغرها - الى أن جاء ابو عبيد القاسم ابن سلام فوضع كتابا فى غريب الحديث جمعه فى اربعين سنة فرغب فيه أهل الحديث ، والفقه ، واللغة لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه - بل كان رجال الحديث يستقرئونه عليه سعيا الى معرفة اللغة بخاصة - سأل يحيى ابن معين فى جماعة من المحدثين ان يقرأ عليهم غريب الحديث الذى اعدده للسأمون ، فجعل ابو عبيد يقرأ الاسانيد ويدع تفسير الغريب فقالوا له : دعنا والأسانيد ، نحن أحذق بها منك • (4)

(1) انظر فى هذه التقاسيم كتاب الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى • ومقدمة ابن الصلاح

(2) مقدمة ابن الصلاح 137

(3) الفهرست لابن النديم 77 ط الرحمانية ، 79 من الفهرست

(4) تاريخ بغداد 12 : 408

ثم صنف ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة كتابا فى غريب الحديث حذا فيه حذو ابى عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب ابى عبيد الا ما دعت اليه حاجة من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض وأشار فى مقدمته الى أنه تكملة لكتاب أبى عبيد فقال (... وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث وأن الناظر فيه مستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحو ما ذكر فتتبع ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر وأرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال) * (1)

ومن الذين ألفوا فى غريب الحديث شمر بن حديد ، وأبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعرب ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وأحمد بن الحسن الكندي ، وأبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ، وأبو سليمان حمد بن محمد ابن أحمد الخطابي البستي الذى نهج نهج أبى عبيد ، وابن قتيبة ، فكانت هذه الكتب الثلاثة أمثل الكتب ، يعنى كتاب أبى عبيد ، وكتاب ابن قتيبة ، وكتاب البستي .

وجمع ابو عبيد أحمد بن محمد الهروي غريب القرآن والحديث فى كتاب مقفى على حروف المعجم ووجه عنايته الى التعريف بالكلمة الغريبة لغة واعرابا ومعنى . وصف ابن الاثير كتاب الهروي فقال (... فلما كان زمن أبى عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب الامام أبى منصور الازهرى اللغوى ، وكان فى زمن الخطابي وبعده وفى طبقته صنف كتابه المشهور

(1) النهاية فى غريب الحديث 1 : 5

السائر فى الجمع بين غريب القرآن العزيز ، والحديث ، ورتبه مقفى على حروف المعجم على وضع لم يسبق فى غريب القرآن والحديث اليه . فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها ، وأثبتها فى حروفها وذكر معانيها ، اذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة واعرابا ومعنى ، لا معرفة متون الاحاديث والآثار وطرق اسانيدھا وأسماء رواثھا ... ثم انه جمع فيه من غريب الحديث ما فى كتاب أبى عبيد ، وابن قتيبة وغيرهما ممن تقدمه عصره من مصنفى الغريب ، مع ما أضاف اليه مما تتبعه من كلمات لم تكن فى واحد من الكتب المصنفة قبله فجاء كتابه جامعا فى الحسن بين الأحاطة والوضع ... فانتشر كتابه بهذا التسهيل والتيسير فى البلاد والامصار) .

وكتاب الهروى فى مجموعه معجم لغة افرد لغريب القرآن وغريب الحديث ، يقول الهروى فى مقدمة كتابه (فان اللغة العربية انما يحتاج اليها لمعرفة غريبى القرآن وأحاديث الرسول عليه السلام ، والصحابة والتابعين، والكتب المؤلفة فيها جمة وافرة ، وفى كل منها فائدة ، وجمعها متعب ، وحفظها عن آخرها معجز ... وكنت أرجو أن يكون سبقنى الى جمعهما ، وضم كل شىء الى لفظه منهما على ترتيب حسن واختصار كاف ، سابق ، فكفانى مؤونة الدأب وصعوبة الطلب ، فلم أجد أحدا عمل ذاك الى غايتنا هذه فاستخرت الله - عز وجل وتقديس - فيه وسألته التوفيق له ليكون تذكرة لنفسى مدى حياتى ، وأثرا حسنا لى بعد وفاتى ... وكتابى هذا لمن حمل القرآن ، وعرف الحديث ، ونظر فى اللغة ثم احتاج الى معرفة غرائبهما) . (1)

(1) كتاب الغريبين لاحمد بن محمد الهروى 1 : 6 بتحقيق محمود محمد الطناحى ط المجلس الاعلى للشئون الإسلامية

وكتب الزمخشري كتاب (الفائق نى غريب الحديث) رتب غريبه على حروف المعجم فكتاب الهمزة يبدأ بالهمزة مع الباء ، ثم بالهمزة مع التاء الى آخر الحروف على هذا النسق الا ان الاستطراد اللغوى كان عنده اوسع ، كان يذكر الحديث ، ويفسر الكلمة التى اشار اليها الباب ثم يأخذ فى الكلام عن بقية الحديث فيتناول فيه الفاظا أخرى ثم يستطرد الى نظائر لها فى أحاديث أخرى •

وأفاد من هذه الكتب ابن الاثير الجزرى ووضع كتاب النهاية فى غريب الحديث والاثر وعنى فيه ببيان الفاظ الحديث ومعانيه وجعل الالفاظ مقدمة فى الرتبة على المعانى ، وقسم الالفاظ الى مفردة ومركبة ، والمفردة الى عام يشترك فى معرفته الجمهور ، وخاص يشتمل على الغريب الحوشى وهو اولى بالعناية من غيره - وجاء من بعده جلال الدين عبد الرحمن السيوطى فخلص كتاب ابن الاثير وسماه (كتاب الدر النثير) •

لهجات القبائل

وثمة مطلب آخر ، هو الكشف عن الوجه الاقليمى لبعض الالفاظ والعبارات ، واذا كانت الفوارق بين الحجازية والتيمية قليلة نسبيا فان الفوارق بين اليمنية والنزارية كانت أكثر تفاوتاً حتى قال ابو عمرو بن العلاء : (ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريبتنا) • (1) وهو رأى ابن جنى ايضا حيث يقول: (لساننا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابنى نزار) (2) ويدلل على ذلك بخبر يقول فيه : (دخلت يوما على ابى

(1) طبقات فحول الشعراء 11

(2) الخصائص 1 : 386

على - رحمه الله - خاليا في آخر النهار. فحين رآنى قال لى : أين أنت ؟
أنا أطلبك . قلت وما ذلك ؟ قال : بما تقول فيما جاء عنهم من حَوْرٍيت ؟
فخضنا معا فيه ، فلم نحل بَطائل منه ، فقال : هو من لغة اليمن ومخالف
للغة ابْنى نزار (1) والاصمعى يحكى أن رجلا من العرب دخل على ملك
ظفار ، فقال له الملك : (ثب) فوثب الرجل ، واندقت رجلاه ، فقال الملك :
ليست عندنا عريبت ، من دخل ظفار حمّر . (2)

اما ما جاء من ذلك في الحديث ففي مثل رد النبي صلى الله عليه
وسلم على وفود اليمن - فقد جاء مالك بن نمط في وفد همدان فقال :

(يا رسول الله ، نصية من همدان ، من كل حاضر وباد ، اتوك على
قلص نواج ، متصلة بحبائل الاسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من
مخلاف خارف ، ويام ، وشاكر . عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل ، ولا
سوداء عنقفير ما أقام لعلع ، وما جرى اليعفور بصلع) . (3)

فكتب النبي صلى الله عليه وسلم (هذا كتاب من محمد رسول
الله الى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحفاف الرمل مع وافدها ذى
المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها

(1) الخصائص 1 : 387

(2) الخصائص 2 : 28

(3) القلص النواج = الأبل السريعة - والماحل = الساعى بالنميمة ،
والمحل = السعاية من ناصح وغير ناصح ، وهو أيضا المكر والكيد -
والعنقفير = الداهية من دواهي الزمان . لعلع = اسم جبل ، اليعفور
= الظبي الذي لونه كلون العفر وهو التراب وقيل الظبي عامة ،
صلع = الصلعاء من المال ما ليس فيها شجر ، وقيل هي الأرض
الجرداء عامة .

ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علفها ويرعون عفاها ، لنا من دفعهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب ، والنباب ،
والفصيل ، والفارض الداجن ، والكبش الحورى ، وعليهم الصالغ ،
والقارح (1) واليك ما أثبتته القلقشندى فى شرح غريبه :

(الفراع بالكسر : جمع فرعة ، وهو ما ارتفع من الارض -
والوهاط : جمع وهطة وهو ما اطمأن من الارض - والعلاف بالكسر جمع
علف كجبل وجبال ، والمراد ما تعتلفه الدواب من نبات الارض - والعزاز :
ما صلب من الارض واشتد وخشن ويكون ذلك فى أطرافها - والعفاء
العافى : وهو ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم : عفا الأثر اذا درس -
والدفع : نتاج الابل وما ينتفع به منها سمي دفعا لأنه يتخذ من أوبارها
ما يستندفأ به ، والمراد هنا الابل والغنم - والصرام : النخل ، وأصله قطع
الثمرة - والثلب من ذكور الابل : الذى هرم وتكسرت أسنانه - والنباب
المسنة من اناثها - والفصيل من أولاد الابل : الذى فصل عن أمه من
الرضاع - والفارض : المسن من الابل ، والمراد أنه لا يؤخذ منهم فى
الزكاة - والداجن : الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم - والكبش الحورى :
منسوب الى الحور وهى جلود تتخذ من جلود الضأن ، وقيل : هو ما
دبح من الجلود بنير القرظ - والصالغ : بالصاد المهملة والغين المعجمة :
وهو من البقر والغنم الذى كمل وانتهى ويكون ذلك فى السنة السادسة
ويقال بالسين بدل الصاد - والقارح : الفرس الذى دخل فى السنة
الخامسة) • (2)

(1) العقد الفريد 2 : 32 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

(2) صبح الاعشى للقلقشندى 6 : 375

وكتب صلى الله عليه وسلم الى وائل بن حجر ، وأهل حضرموت :
(من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة من أهل حضرموت باقامة
الصلاة وإيتاء الزكاة • على التبعة الشاة ، والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب
الخمسة ، لا خلط ولا وراط ، ولا شناق ، ولا شغار ، ومن أجبي فقد
أربى ، وكل مسكر حرام) •

وذكر القاضى عياض فى (الشفاء) أن كتابه لهم :
(الى الاقيال العباهلة ، والارواع المشاييب ، وفى التبعة شاة لامقورة
الأياط ، ولا نيناك ، وأنطوا الشبعة ، وفى السيوب الخمسة ، ومن زنى
مهم بكر فاصفعوه مائة واستوفضوه عاما ، ومن زنى مهم ثيب فضرجه
بالاضاميم ، ولا توصيم فى الدين ، ولا غمة فى فرائض الله تعالى ، وكل
مسكر حرام ، ووائل بن حجر يترفل على الاقيال • (1)

واليك ما جاء فى شرح غريبه مما ذكره القلقشندي ، وما جاء منه فى
جمهرة اللغة لابن دريد ولسان العرب لابن منظور :

الاقيال : جمع قيل وهو الملك ، وقيل هم ملوك حمير بخاصة ، والتبعة
اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان كالخمس من الابل ، والأربعين
من الغنم ، والتيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة
الآخري ، وقيل هى الشاة التى تكون لصاحبها فى منزله يحلبها وليست
بسائمه ، والسيوب : الركاز اخذا من السيب وهو العطاء قاله ابو عبيدة
ويقول ابن دريد : هو العطاء ثم كثر حتى سميت الكنوز سيوبا ، وقيل هى
عروق الذهب والفضة التى تسبب فى المعدن ، وقال الزمخشري : هى جمع
سيب ، يريد به المال المدفون فى الجاهلية ، أو المعدن لأنه من فضل الله

(1) صبح الاعشى 6 : 371

تعالى على من أصابه - والخلاط : مصدر خالط ، والمراد أن يخلط الرجل
أبله بابل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى فيها -
والوراط : أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى على المصدق مأخوذ
من الورطة وهى الهوة من الأرض - والشناق : المشاركة فى الشنق
(بفتح النون) وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة •

وفى أجبى : قيل هو بيع الزرع قبل بدو صلاحه ، وقيل هو أن يغيب
أبله عن المصدق أخذاً من أجباته إذا واريته ، وقيل : هو أن يبيع من الرجل
سلعة بضمن معلوم الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن
الذى باعها به - والمشاييب : السادة الرؤوس ، الزهر الألوان ، الحسان
المناظر ، واحدها مشبوب - والمقورة الألياط : المسترخية الجلود لهزالها .
والألياط : جمع ليط وهو قشر العود - والضناك : السمين الكثير اللحم ،
والمراد أنه لا تؤخذ المفرطة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة وأنطوا : لغة
فى أعطوا ، لغة اليمن - الثبجة : الوسط ، ليست من خياره ولا من
رذالته ، وثبجة التاقة ما بين الكاهل الى الظهر •

ومم بكر، جرى فيه على لغة اليمن حيث يدلون لام التعريف ميمما -
والأضاميم : هى الحجارة ، واحدها اضمامة ، والمراد : ارجموه بالحجارة
والتوصيم : الفترة والتوانى - ويترفل : أى يسود ويترأس ، استعاره من
ترفيل الثوب وهو أسباغه وارساله •

وقد تلحظ فى بعض الكلمات صياغتها على طريقة أهل اليمن كإبدال
النون من العين فى أنطوا - أى أعطوا - وإبدال لام التعريف ميمما كما
فى قوله مم بكر وكما جاء فى حديث آخر (ليس من امبر امصيام فى
امسفر) • نقول الى جانب هذه الخواص فى لغة اليمن فان الكلمات التى

أخذت سميتها فى العربية عامة ، يبدو أنها كانت يمنية الاصل ايضا ، يدلك على ذلك وقوف علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه امام كلمات النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد وقوله له (نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا تفهم أكثره) (1) ، وكذلك كان اللغويون الذين عرفوا بغريب هذه الاحاديث كانوا يحتجون لاكثرها بما ورد منها فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم كما هو واضح فى جمهرة ابن دريد ، ولسان العرب لابن منظور ولو جاءت وافرة فى الشعر العربى لاحتجوا به كعادتهم •

وفى هذه النماذج نلمح من غريب الالفاظ ما لا يصل الى حد الفصل بين النزارية واليسنية كما يبدو فى حديث أبى عمرو بن العلاء ، وانما يقربنا الى مفهوم آخر هو انه خلاف بين اللهجتين يصعب معه التفاهم بين نزارى ويمنى ، أو يفهم بعضه ويستغلق بعضه •

والرأى عندى يحتاج الى بيان وجوه ثلاثة :

- اولا — اولئك الذين خرجوا من اليمن وعاشوا فى الشمال •
- ثانيا — الذين استقروا فى بلاد اليمن فى ظل حكومة ثابتة •
- ثالثا — سكان المناطق المتطرفة فى حضرموت ، والشحر ، وجزيرة سقطرة •

فأما الذين خرجوا الى الشمال كالأوس والخزرج وقضاة وطىء الى غير ذلك فقد تحدثوا العربية التى يتحدثها أهل الشمال ، وشب شبابهم ، وتعاقت عليهم الاجيال ولم تختلف لغاتهم عن لغات أصحابهم الا بما يفرضه

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثار 3

التأثر والجوار مع لغات أخرى ، وهذا ما يعنيه الجاحظ بقوله (العرب كلهم شيء واحد ، لأن الدار والجزيرة واحدة ، والاخلاق والشيم واحدة ، واللغة واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابه والاتفاق في الاخلاق وفي الاعراق ، ومن جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة ، وطباع الهواء والماء . فهم في ذلك بذلك شيء واحد في الطبيعة واللغة والهمة والشمائل ، والمرعى والراية ، والصناعة والشهوة) • (1)

والقرطبي عندما يعرض لتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه) يقول : قال قوم هي سبع لغات في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن (2) . فاليمن كما ترى قسيمة القبائل العربية الاخرى ، والتي نزل القرآن بلغاتها •

وذكر الشعر عند عبد الملك فقال : اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بنى قيس بن ثعلبة ، وهم رهط أعشى بكر ، وبأصحاب النخل من يشرب - يريد الاوس والخزرج - وأصحاب الشعب من هذيل (3) وهكذا جمع عبد الملك ربيعة ممثلة في الزرق من بنى قيس بن ثعلبة ، واليمن في الاوس والخزرج ، ومضر في أصحاب الشعب من هذيل •

ولدينا من قبائل اليمن كبار الشعراء واللغويين من أمثال امرئ القيس ، وعمرو بن معد يكرب ، ويزيد بن مفرغ الحميري ، ودحية الكلبي ،

(1) البيان والتبيين 3 : 247 بتحقيق السندوبى ، 3 ، 291 بتحقيق

عبد السلام هارون

(2) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 43

(3) العقد الفريد 5 : 273

وجميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة من بنى عذرة من قضاة ، وحاتم الطائي ، وزيد بن مهلهل الطائي المعروف بزيد الخيل ، والمنذر بن حرملة الطائي ، وكثرة وافرة من الشعراء • ومن اللغويين الخليل بن احمد الفراهيدي ، وابن دريد الازدي • وعلى هذا فأبو عمرو لا يعنى هؤلاء الذين خرجوا من اليمن وعاشوا فى انحاء متفرقة من الجزيرة •

الذين استقروا في بلاد اليمن

من المعروف أن اليمن كانت أكثر استقرارا وتحضرا من الحجاز ونجد ، فتكونت فيها الحكومات ، وثبتت فيها اللهجات تبعاً لاستقرار الحكم ، فسادت لهجة السبئيين أولاً بعد انتصارهم على دويلات اليمن ، وظلت كذلك بعد أن انتزع الاحباش الحكم سنة ٣٧٥ م لأن الاحباش لم تساندتهم فى تثبيت حكمهم ديانة تستند الى لغة معينة ، وظلت السبئية تقاوم الغزو الحبشى حتى سنة ٤٠٠ م اذ تولى الحكم والسيطرة على البلاد أسرة حميرية يلقب ملوكها بالتبابعة ، وبالرغم من عودة الاحباش مرة ثانية ابان حكم ذى يزن ، ثم تغلب الفرس على بلاد اليمن فان الحميرية ظلت باقية وسط هذه التقلبات • هذه الحميرية كانت تتأثر بالعربية وخاصة بعد ظهور الدعوة ، على تفاوت ، بالنسبة للمناطق الجغرافية فتلك التى يسهل الوصول اليها غير تلك المناطق المحصورة التى بقيت بعيدة عن التأثير بالعربية وان اعتنق اهلها الاسلام •

والامر أكثر من هذا بالنسبة للمناطق النائية على حدود اليمن فاللهجة الحضرمية السائدة حول حضرموت قريبة من العربية الا انهم يقلبون كاف الخطاب شيئا فيقولون قلمش وكتابش فى قلمك وكتابك ، ويستعملون الباء قبل الفعل المضارع للدلالة على زمن المستقبل ، فيقولون : غدا باذهب ، بدلا من سوف اذهب ، ويقلبون الجيم ياء أحيانا فيقولون ريال وهم يقصدون رجال •

وفى منطقة شرقى حضرموت تسود اللهجة المهرية ، وشرق المنطقة
المهرية توجد لهجة الشحر. كما توجد اللهجة السقطرية فى جزيرة سقطرة
وكلها تبعد عن العربية .

والهمدانى الذى كان يقيس فصاحة لهجات القبائل بقربها أو بعدها
عن لهجة قریش يقول : فأهل الشحر ، والاسعاء ليسوا بفصحاء - ومهرة
غتم يشاكلون العجم - وحضرموت ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم
الفصيح ، وسرو حمير وجعدة ليسوا بفصحاء وفى كلامهم شئ من
التحمير ، وأهل عدن مولدة ردية ... وسافلة المعافر غتم ، وجبلان فى
لغتهم تعقد . (1)

وبعد

فهذا حديث النبى صلى الله عليه وسلم - اذا توقف اللغويون عن
الاحتجاج به لشوائب روايته ، واشتراك الاعاجم فيها ، فانه لم يخل من
نفع جليل للعربية بما منحها من سعة فى سياق شروحه ، وحسبك من تثبت
أن تجد اكثر الشارحين للحديث هم من كبار اللغويين منهم : ابو عبيدة ،
والنضر بن شميل ، وقطرب ، وابو عبيد القاسم بن سلام - وكان من تمام
النفع أن نجد انفسنا - ونحن نعمن النظر فى حديثه صلى الله عليه وسلم
الى الوفود - نجد انفسنا مستطردين الى الكلام عن لغات اليمن والفروق
بين جهاتها القريبة من بلاد ابى نزار ، وما نأى عنها وبعد .

(1) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على 2 : 279

البَابُ الثَّالِثُ

الشَّعْرُ

الفصل الأول

الشعرُ الجاهلي

دور الشعر والشاعر في الجاهلية

كانت القبيلة وحدة العالم العربي القديم ، مجموعة من أفراد يرتبطون بالقرابة ، وهي بذلك اسرة كبيرة لها نظامها الذي يجعل منها وحدة سياسية كما هي وحدة اجتماعية ، يصرف شئونها سيد من ساداتها ، معروف بخبرته وشهامته وكرمه ينزل من نفوسهم منزلة الأب لا الحاكم فضلا عن سلطانه المطلق في ادارة شئون القبيلة ، يدينون له بالطاعة تحت شعارهم المألوف : انصر أخاك ظالما او مظلوما ، او كما يعبر عنه أحدهم بقوله :

وهل انا الا من غزية ان غوت

غويت ، وان ترشد غزية أرشد

وبالجملة ، فقد كانت العصبية هي الدعامة الكبرى التي ترتكز عليها مقومات القبيلة .

وعلى هذه الصورة البعيدة عن التعقيد كانت حياة العرب فى جاهليتهم ، وكانت الكتابة لا تلح عليها ضرورة طبيعية فى ذلك النظام الاجتماعى ، فالكتابة تسير فى خط مطرد مع التحضر ، فهى الوسيلة الى تنظيم الدواوين ، وتقسيم الارزاق ، وجباية المكوس ، وحصر التجارة وارباحها ، وتقييد الاحداث ، وتقنين الظواهر ، ولذلك ترى قلب الجزيرة لا يعتمد اعتمادا أصيلا على الكتابة فى الوقت الذى كانت فيه معروفة عند التبابعة جنوبا والناذرة والغساسنة فى الشمال .

وبالرغم من ان المكين كانوا يصطنعون التجارة يرحلون بسببها الى أطراف الجزيرة مكتسبين حظا من المعرفة ، وبالرغم من وجود المدارس عند يهود المدينة ، فان الكتابة ظلت قاصرة على بضعة عشر انسانا من قريش ، وقلة من الأوس والخزرج ، ولم ترتق الكتابة الى الدرجة التى نعول عليها فى استكناه الشعر الجاهلى .

وحيث عزت الكتابة ، كانت المشافهة والرواية هى السبيل الى الحفاظ على ما وصل الينا من الشعر الجاهلى ، ومن حسن الحظ ان فن القول قد احتل مكانا هاما فى نفوس العرب حتى كانت الحاسة اللغوية من أدق حواسهم وأرهفها ، وكان الشعر اصبر هذه الفنون على البقاء بسبب وزنه وقافيته .

وكان اصحاب الشعر من منشئيه ، ورواته ، ومتذوقيه يشلون الطبقة المستتيرة فى القبيلة ، والشاعر على رأس هؤلاء جميعا يتبوأ من القبيلة مكانا رفيعا ، ويحس فى نفسه - وقد اعطى العقل والشاعرية - انه من أمثالهم وعقلائهم ، وخير ما يصور لنا هذه المنزلة ما يحكيه صاحب السيرة عن الطفيل بن عمرو الدوسى حين حذره رجال قريش من سماع النبى صلى الله عليه وسلم حتى لا يتأثر بما يسمع ، قال الطفيل :

« ... فوالله ما زالوا بى حتى اجمعت الا اسمع منه شيئا ، ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا (الكرسف هو اللطن) فرقا من ان يبلغنى شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمع . »
قال : فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة ، قال : فقمتم منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله ، قال : فسمعت كلاما حسنا ، قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى ، والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن اسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته ... » (1) فانظر كيف يستمد الثقة من صفته كشاعر .

والاقوال فى بيان مكانة الشاعر فى القبيلة كثيرة معادة لعل أكثرها استلفاتا للنظر ما يروى من انهم كانوا اذا نبغ فيهم شاعر أقاموا المآدب ، وجاءت افراد القبائل الاخرى مهنئة ، وقامت النسوة يضربن بالمزاهر والدقوف (2) ولا تعجب أن ترى الشاعر يتبوأ فى القبيلة مكان الرياسة بعد الشيخ ، أو يكون هو الشيخ بذاته ، فقد كان يحمل على كتفيه عبء الذود عن القبيلة من اشادة بها أو امتهان اعدائها اذا كانت محتربة وكثيرا ما تكون كذلك ، وهو أيضا صوتها المعبر ، وهاديها ومضلها ، احتربت أو سالمته .

وبسبب من مكانة الشاعر تطلع أبناء القبيلة الى هذه المنزلة فتلمذوا لشاعرها ولازموه ، ونجح منهم من اوتى الموهبة ونماها بالدربة والمران . يروى شعره كأنه النسخة الثانية من كتاب القبيلة ، وتدور فى مسامعه الالفاظ ، ثم لا يقتصر امر الرواية على الشاعر والرواية الذى كان يلزمه ، وانما الى

(1) السيرة لابن هشام 1 : 407 — 408 ط حجازي سنة 1937

(2) المزهرة للسيوطي 2 : 473

جانب ذلك افراد من القبيلة يهفون الى ترديد الشعر قصدا للمتعة الفنية، ثم من وراء ذلك جمهور القبيلة المستحسن المتذوق الذى يسمع هذا الفن فيطرب له أو يهتز ويردده ان شاء أو يكتفى بسماعه وكأن الشعر شغلهم الشاغل فى جدهم الجاد المتجهم وفى لهوهم المرح الهازل ، وهم ان استحسنوا قطعة منه أو قصيدة من القصائد تعبر عن امجادهم وغلبتهم توارثوها فى الاعقاب ورددها خالف عن سالف * انشأ عمرو بن كلثوم التغلبى قصيدة ينذر فيها عمرو بن هند لميله الى بكر ، ويوعد البكرين وثوب بنى تغلب عليهم ، وكانت غاية فى الفخر ، وظل بنو تغلب يعظمونها فيرونها صغيرهم وكبيرهم حتى القرن الثانى لظهور الاسلام فقال أحد الشعراء يهجوهم :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة" قالها عمرو بن كلثوم
يفأخرون بها مذ كان أولهم
يا للرجال لفخر غير مستوم (1)

ولقد كان هذا التجاوب بين الشاعر وأفراد القبيلة من الحوافز السى قول الشعر ثم الى روايته والحفاظ عليه داخل القبيلة، وكما أعد شعر الفخر لتحسيس شباب القبيلة فقد أعد ايضا لسمعه افراد القبائل الاخرى ليؤتى غرضه فى الفخر وتسمو به القبيلة على اعدائها ، والى جانب هذا اللون شعر آخر يقصد به ذكر مثالب الاعداء ، وكانت القبائل تحرص على اذاعته خارج القبيلة وتتلمس لذلك مناسبة كموسم الحج أو الاسواق *

وكانت الأسواق تعمر بالبائعين لأسباب المعيشة فلا يكاد يجمعهم

(1) الاغانى 12 : 54 ط دار الكتب

السوق حتى يأخذ الفن مكانه فيها وليس لهم كما نعلم فن أرقى من فن
القول فتراهم يشبعون نزوعهم اليه بقصيدة يفخرون بها أو يهجون بها
أعداءهم ، أو يعرضون هناك ما جادت به قرائحهم أو يتخاصمون أو
يتنافرون أمام حكم يحكم بينهم أيهم أشعر - وقد أشارت كتب النقد الى
مواقف متقدمة في هذا الفن أخذت تثير إعجاب المظمئن الى الشعر الجاهلي
كما أخذت تثير الشكوك عند غيرهم ، فلقد استبعد النقاد رواية ابي الفرج
فيما ذكره النابغة الذبياني لحسان بن ثابت عندما أنشده :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

قال النابغة : انك لشاعر ، لولا أنك قلت عدد جفائك ، وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك - وفي رواية أخرى - أنك قلت الجففات
فقللت العدد ، ولو قلت الجفان لكان أكثر ، وقلت يلمعن في الضحي ولو
قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح لان الضيف بالليل أكثر طروقا
وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر
لأنصباب الدم • (1)

ولدينا أحكام تشير الى مثل هذا المبلغ من النقد صدرت عن أم
جندب حين احتكم اليها زوجها امرؤ القيس فيما تبارى فيه مع علقمة بن
عبدة فقالت : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روى واحد ، وقافية واحدة
فقال امرؤ القيس :

(1) الاغانى 9 : 340

خليلىّ مرا بى على أم جندب
لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم انشدها جميعا ، فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال
وكيف ذلك ؟ قالت : لانك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درة
وللزجر منه وقع أخرج مذهب

فجهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقتك ، وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب (1)

فأدرك طريدته وهو ثان من عنانه لم يضربه بسوط ، ولا مرام بساق
ولا زجره (2) ولكن المنهج العلمى والتعليمى الذى سلكه الشعر العربى
فى الجاهلية وظهور الحكمة فى شعر زمير ، والمعانى الرقيقة فى اعتذاريات
النابعة ، والمنطق الرصين فى معلقة طرفة بن العبد مع حداثة سنه ، كل
اولئك قد يعينك على فهم المنزلة التى احتلها الشعر الجاهلى ، والتى لا
يبعد معها أن ترى نقدا رفيعا كنقد النابعة لأبيات حسان ، وأم جندب
لشعر امرئ القيس •

(1) الرائح المتحلب = السحاب المتتابع

(2) الشعر والشعراء 1 : 170 — 171

ومن الاخبار التي تدل على عناية الجاهليين بمدارسة الشعر ،
والتلمذة لاوائل الشعراء وأماثلهم ما يقوله القاضي الجرجاني في كتاب
الوساطة « وقد كانت العرب تروى وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر
بعض كما قيل ان زهيراً كان راوية أوس ، وان الحطيئة راوية زهير ، وان
أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم » (1)

وربما عاقت — بسبب هذا الاتصال — أو تسلسل الرواية — بعض
معاني السابطين فلم تجد فكاً كما من هذا الاسار فيما يصدر من الاشعار
فجاءت كلها أو بعضها في قصيدهم فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتحسل

فظهر في معلقة طرفة بن العبد على النحو التالي :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتجلد

وقال امرؤ القيس يصف فرسا :

ويخطو على صم صلاب كأنها
حجارة غيل وارسات بطحلب

فأخذه النابغة الجعدي فقال :

كأن حواميه مدبرا
خضِبْنِ وان كان لم يخضب
حجارة غيل برضاضة
كسين طلاء من الطحلب

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه 15 ط مصر سنة 1945

وقال امرؤ القيس يصف فرسا :
سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا
له حجات مشرفات على الفال
فأخذه كعب بن زهير فقال :

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا
كأن مكان الردف من ظهره قصر
كما اقتبسه النجاشي أو عاق بذهنه فقال :
أمين الشظا عارى الشوى شنج النسا
أقرب الحشا مستدراع الندفان (1)

وعدد ابن قتيبة أمثلة على هذا النحو أفاد منها زهير ، وطرفة . وزيد
الخيلى ، والنجاشي ، والنابعة الجعدى (2) وهذا لا يتأتى الا نتيجة
دراسة ، ورواية ، وروية ، واختيار المحسن من الاشعار ، ولقد عبر الرواة
عن سبق امرؤ القيس وإفادة الشعراء من شعره فقال ابو عبيدة : (هو
أول من قيد الأوابد يعنى فى قوله (قيد الاوابد) فتبعه الناس على ذلك)
وقال غيره هو اول من شبه الثغر فى لونه بشوك السيال فقال :

منابته مثل السدوس ولونه

كشوك السيال وهو عذب يفيص

فاتبعه الناس ، وأول من قال (فعادى عدا) فاتبعه الناس ، وأول
من شبه الحمار (بمقلاء الوليد) وهو عود القلة و (بكر الاندرى) وشبه
الطلل (بوحى الزبور فى العسيب) والفرس (بتيس الحلب) (3) .

(1) اى سريع رجع اليدين

(2) الشعر والشعراء 1 : 77 — 82

(3) الشعر والشعراء 1 : 82 — 83 قال الاصمعى : لا أدري ما يفيص .

قال ابن برى يفيص يبرق وقيل يتكلم . يقال فاص لسانه بالكلام
أبانه (اللسان)

ومن الذين سبقوا في المعاني وأزادوا بها لاحقهم أوس بن حجر ،
وزهير ، والنابعة ، والمسيب بن علس ، وطرفة وغيرهم * (1)

والذين يقرأون هذا الاقتباس والذي صدر في مؤلفات تحت اسم
السرققات الشعرية لا بد وأن يسألوا انفسهم : ماذا كانت لغة الشعر
الجاهلي ؟ هل كانت تتجاوز لهجات القبائل ؟

الفرض القريب انها كانت اللغة الخاصة التي كانت تلقى في الاسواق
فيفهمها العرب على اختلاف لهجاتهم ، ويفهمون دقائقها ، ويدركون وجوه
الجمال فيها على النحو الدقيق الذي ظهر في نقد النابعة وأم جندب *

وكانت الاسواق تعقد على مدار السنة فلا تكاد تنفض سوق حتى
تعر أخرى ، ويجتمع الناس من كل حدب وصوب ومن كل قبيل ، بعضهم
للبيع والشراء ، وأكثرهم لأغراض شتى ، والصور التي تخبرك بها كتب
الادب عن عكاظ تدلك على أن فن القول قد احتل النصيب الأوفر في
السوق * (2)

— رجل يخطب ويعظ بنثر مسجوع وقصيد عذب والناس آذنون
له وقد استحوذ على حواسهم ومشاعرهم وهو يقول :

(أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل
ما هو آت آت — ليل داج ، وساء ذات ابراج ، بحار تزخر ، ونجوم
تزهر ، وضوء وظلام ، وبر وآثام ، ومطعم ومشرب ، وملبس ومركب ،
مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمكان فأقاموا أم تركوا

(1) انظر الشعر والشعراء على التوالي 158 — 95 — 120 — 127 —

(2) راجع ما كتبناه عن الاسواق في كتابنا (رواية اللغة) ص 41 وما
بعدها

فناموا ؟ واله قس بن ساعدة ما على وجه الارض دين أفضل من دين قد
أظلمكم زمانه ، وأدرككم أوانه ، فطوبى لمن أدركه ، وويل لمن خالفه ، ثم
أنشأ يقول :

ففى الزاهبين الاواء بين من القرون لنا بهائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يضى الاصاغر والأكابر
ايقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر (1)

— ورزئت الخنساء بفقد والدها عمرو بن الشريد وبأخويها صخر
ومعاوية فلم تجد عزاءها الا أن تنزل الى السوق فى كل عام تعاظم العرب
بمصيبتها فى شعر يفتت الأكباد •

— وأنشأ عمرو بن كلثوم التغلبي قصيدته :

الا هبى بصحنك فاصبحينا

وأراد لها أن تسير فى الناس فألقاها فى عكاظ ثم فى موسم الحج • (2)

— وقد يتوعد الشاعر صاحبه بالقاء أهاجيه فى عكاظ كما فعل أمية
ابن خلف الخزاعي بحسان بن ثابت حين أنشد :

الا من مبلغ حسان عنى

مغلغلة تدب الى عكاظ

ليس ابوك فينا كان قينا

لدى القينات فسلا فى الحفاظ (3)

(1) الاغانى 4 : 14 ط التقدّم

(2) الاغانى 4 : 210 وما بعدها

(3) المعلقات 25 ط حجازى سنة 1353 هـ

فيحييه حسان :

أتانى عن أمية زور قول

وما شو بالمغيب بذى حفاظ

سأشر ان بقيت لهم كلاما

يفرق فى المجامع من عكاظ (1)

هذه لمحات مما كان يجرى فى الاسواق لم نشأ أن نستوفى صورها، ولم تتعمد ذكرها لطرافتها ، وانما لنسب القول بأن لغة الشعر هى اللغة الادبية المنتقاة الخالية من اللهجات الخاصة ، مثلها فى ذلك كمثل عريتنا الفصحى فى ايامنا هذه والتي يلتقى عندها العراقى ، والحجازى ، والشامى ، والمصرى ، والمغربى فيدرك أحدهم قول صاحبه ، ويتعرف وجوه الجمال فيه ويضعه فى الدرجة المناسبة من الفصاحة فاذا تكلم كل بلهجته الخاصة استغلق الامر .

ولقد وجد الاستاذ نلينو فى اذاعة الاشعار بين القبائل سببا من اسباب وحدة اللغة فقال : (ولولا الشعر الذى نشأ فى نجد ، ثم شاع فى سائر انحاء جزيرة العرب الشمالية لما تهيأت قبل الاسلام وحدة اللغة الادبية مع اختلاف شعوب العرب وقبائلهم وتباين لهجاتهم) (2) ولهذا كان القصيد العربى فى العصر الجاهلى من أهم الموارد التى استقى منها اللغويون مادة العريية .

(1) ديوان حسان 65 ط مصر سنة 1332 هـ

(2) تاريخ الاداب العربية لكارل نلينو 78

تاريخ الشعر

نؤمن بوجود حقبة طويلة عفى عليها الزمن استنادا الى منطق الاشياء،
فالآثار الأدبية التي وصلت إلينا حين استطاعت الرواية أن تتعقبها،
وصلت كاملة مبنية ومعنى وهذا الكمال لا يتأتى الا نتيجة تطور على مدى
آجال بعيدة، وعبر عن ذلك المستشرق الايطالى كارل نلينو عند تقسيمه
للعصور الأدبية فبدأها بالعصر الجاهلى وعرفه بأنه المنتهى من زمان لا
تدرك أوائله الى ظهور الاسلام وهو عصر عربى صريح لغة وأدبا وبلادا •

ويتصور ابن رشيق وهو ينطق لمولد الشعر بأن الكلام كله كان
منثورا فاحتاجت العرب الى الغناء بـسكارم أخلاقها، وطيب أعراقها •••••
لتهز أنفسهم الى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض
جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سنوه شعرا لأنهم قد شعروا به
أى فطنوا (1)

وابن رشيق حين تصور نشأة الشعر العربى على هذا الوجه لم
يشارك أولئك الذين جهدوا فى تأريخه، ولم يشر الى الزمن الذى توهم
فيه العرب هذه الأعاريض التى جعلوها موازين الكلام، ولم يفتق وجوه
الاحتمالات كما صنع نلينو حين سأل هذه الاسئلة :

— كيف نشأ الكلام الموزون المقفى ؟

— أكان الشعر أولا ذا وزن معين وقافية ؟

— وما أصل الوزن والقافية ؟

(1) العمدة 1 : 5 ط القاهرة سنة 1925 م

— وكيف توصل العرب الى اختراع القصيدة على نمطها الكامل
المتقن ؟

— ولماذا جعلوا النسيب أول القصيدة ؟

— وهل كانت لغة الاشعار لغة واحدة ؟

— وكيف تكونت هذه اللغة ؟

— وعلى أى وجه وصلت أشعار الجاهلية إلينا ؟ أيجوز لنا أن تثق
بصححة روايتها ؟ ، وأن نعتد على الحكايات المروية لشرح
الآيات القديمة ؟ (1)

لم نجد فيما كتبه ابن رشيق ما يساعدنا على اجابة اسئلة وشكوك
المستشرق نلينو الا ما فهمناه من أن الشعر كان توهما لأعاريض جعلوها
موازين الكلام حين احسوا أنهم بحاجة الى التعبير عن شىء غير عادى .
وكان ابن سلام قد وضع امامنا بداية تصلح لمجرد التأمل واعمال الفكر
فسن ذلك اشارته لأول شعر مكتوب كان عند النعمان بن المنذر فيه اشعار
الفحول وما مدح هو وأهل بيته به ، وأنه صار الى بنى مروان أو صار
منه (2) وجاء مثل هذا الخبر فيما نقله ابن جنى بسنده عن حماد الراوية
قال : (أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج — يعنى
الكراريس — فكتبت له ثم دفنها فى قصره الابيض فلما كان المختار بن
أبى عبيد قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفزه فأخرج تلك الاشعار) (3)

(1) تاريخ آداب اللغة العربية 55.

(2) طبقات فحول الشعراء 23 ط دار المعارف

(3) اللسان مادة ط ن ج

اما محتويات هذا الديوان وهذه الطنوج فظلت لى عالم الظنون ، واسم
نستفد من هذه الاخبار ان صحت — الا وجود آثار شعرية مكتوبة لى
عهد النعمان بن المنذر ، وقد توفى النعمان سنة 28 قبل الهجرة وبالطبع
فان الاشعار التى لم تدون كانت قبل ذلك بكثير ولا زال تاريخ الشعر
الجاهلى يحتاج الى تنقيب .

يقول ابن سلام الجهمى ايضا (ولم يكن لأوائل العرب من الشعر
الا الايات يقولها الرجل فى حادثة ، وانما قصدت القصائد وطول الشعر
على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ويذكر من قديم الشعر قول العنبر
ابن عسرو بن تميم وكان جاور فى بهراء فراه ريب فقال :

قد رابنى من دلوى اضطرابها
والناى فى بهراء واغترابها
الا تجىء مالى يجىء قرابها

ومن قديم الشعر أيضا — كما يقول الجهمى — ما كان بين سعد
ومالك — ابنى زيد مناه بن تميم — فقد تزوج مالك النوار بنت جل بن
عدى ، فلما اهداها مالك اى اعرس بها ، خرج سعد فى الابل ثم أورها
لظمها ، ومالك فى صفرة فاراد القيام فمنعته امرأته من القيام ، فجعل
سعد وهو مشتمل يزاول سقيها ولا يرفق فقال مشيرا الى أخيه :

يظل يوم وردها مزغفرا

وهى خناطيل تجوس الخضرا

ف قالت النوار لما لك : الا تسمع ما يقول أخوك ؟ أجبه . قال : فما
اقول ؟ قالت : قل :

اوردها سعد وسعد مشتمل

ما هكذا تورديا سعد الابل

الى غير ذلك من مقطعات قصار لا تشير الى اكثر من قول ابن سلام
(لم يكن لاوائل العرب من الشعر الا الابيات يقولها الرجل في حادثة) (1)
ولا زالت بقية الاسئلة التي طرحها نلينو تدور في ذهن الباحث حول
اولوية الشعر الجاهلي ، لا نملك من اسبابها الا مجرد الظن والتقريب ،
وكذلك الامر في تقدير عسر الشعر .

والذين حاولوا تأريخ الشعر تباينت آراؤهم شأن اي قضية ينقصها
التدوين الموثق ، فالاصمعي يرد رواية الشعر الى اربعمائة سنة في الجاهلية
ويقول : وأول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهلهل ، ثم
ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة رجل من كنانة ، والاضبط
ابن قريع - قال : وكان بين هؤلاء وبين الاسلام اربعمائة سنة ، وكان امرؤ
القيس بعد هؤلاء بكثير) (2)

وكان الجاحظ يرى الشعر حديث المولد ، صغير السن ويرده الى
عهد امرئ القيس والمهلهل ، ويحدد فترته في الجاهلية بمائة وخمسين
عاما ، وبمائتي عام اذا استظهرنا بغاية الاستظهار ، ونص عبارة الجاحظ :
(...وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله ،
وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ، وكتب
ارسطاطاليس ومعلسه افلاطون ، ثم بطليوس ، وديمقراطس ، وفلان وفلان
قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور ، والاحقاب قبل الاحقاب ، ويدل
على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حجر :

(1) طبقات فحول الشعراء 23 — 27

(2) المزهري 2 : 477 عن أمالي ثعلب

ان بنى عوف ابتنوا حسبا
ضيعة الدخلون اذ غدروا
أدوا السي جارهم خفارتهم
ولم يضع بالمغيب من نصروا
لا حميرى وفى ولا عدس
ولا است غير يحكها الثفر
لكن عويس وفى بذمتهم
لا قصر عابهم ولا عور

فانظر كم كان عمر زرارة ، وكم كان بين موت زرارة ومولد النبى
عليه الصلاة والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله
بالاسلام خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فسألتنى عام (1)
وحين نضع هذه الاقوال موضع التأمل والاختبار ، نرى الاصمعى
يحدد الرواية بأربعمائة سنة قبل الاسلام ، بل ربما كان يعنى أكثر من هذا
لان نص الاصمعى يشير الى من يروى له ثلاثون بيتا ، وكأن هناك من
يروى له مقطعات أو أبيات تقل عن الثلاثين قد سبقوا هؤلاء ، ولكننا حين
نؤرخ لهذه الاسماء التى ذكرها الأصمعى فانا نرتاب فى هذا التحديد الا
أن يكون الأصمعى قد أراد بهذا العدد (أربعمائة عام) مجرد التكثير
والدلالة على طول الفترة ولا يعنى التحديد التاريخى بمفهوم الارقام لأننا
لو عاودنا النظر وحسبنا الأجيال التى كانت بين مهلهل والاسلام وجدناها
لا تبعد عن مائة وخمسين سنة كما افترض الجاحظ ولقد تتبعنا فى هذا
تقسيم الاستاذ ا. ب. كوسان دى برسفال فيما كتبه عن تاريخ العرب قبل
الاسلام ووجدنا أنه يؤرخ لمهلهل سنة 460 م (2) ولو أن هذا التاريخ لا

(1) الحيوان للجاحظ 1 : 74 ط الحلبي

(2) A. P. Caussin de Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes
avant l'islamisme

يعطى كل الحقيقة الا ان طريقته كانت مسألة جدولية مفترضا لكل جيل خمسة وعشرين عاما ، كان مهلهلا وهو خال امرىء القيس لا يبعد عن ابن اخته بكثير .

أما الاحكام التى وردت فى نص ابن سلام الجمحى حين ذكر من قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم :

قد رابنى من دلوى اضطرابها

فلا تعدو أيضا فى تأريخها مائة وخمسين سنة قبل الاسلام – فالعنبر ابن عمرو بن تميم هو الجد الخامس لغاضرة بن سمرة بن عمرو بن قرط ابن جندب بن العنبر الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم على الصدقة كما كان سمرة والد غاضرة هذا قد استخلفه خالد بن الوليد على اليمامة (1) الا اذا كان فى رواية ابن سلام سقط أو اختصار .

أما رواية الجاحظ فقد ناقشها الاستاذ كارل نالينو وقال ان شعر امرىء القيس الذى ذكره الجاحظ لا يعنى أنه أول الشعر ولا دلالة فيه على سابقة تلك الايات لغيرها ، وأن الجاحظ اغتر بقول العلماء الذين يروون أن مهلهلا وهو خال امرىء القيس أول من قصد القصائد وأعاد نلينو ما رده العلماء وكثير من الباحثين بأن الشعر وقد وجد فى صورة تامة فانه لا يمكن أن يكون صغير السن وانما وصل الى درجة الاكتمال على مراحل زمنية طويلة تسبق عهد مهلهل وامرىء القيس ، وافترض لصواب رأى الجاحظ أنه اراد بهذا التحديد الزمنى ما وصل اليه من الاشعار القديمة .

(1) انظر طبقات فحول الشعراء 33

وإذا كان الطريق الى تلمس أولوية الشعر ، وكيفية نشأته قد غم علينا الا من ظنون افترضها السابقون فقد تعلقنا بتاريخ ما وصلنا منه وتكاد كل النصوص الذاهبة الى تقديره تلتقى حول المائة وخسين سنة السابقة للهجرة ولا يبعد هذا عن رأى الاستاذ نلينو الذى يقول :

(لم ينقل الينا بيت عربى غير مرتاب بصحته أقدم من اواخر القرن الخامس للمسيح ، أعنى سابقا للهجرة بأكثر من مائة وثلاثين سنة) (1) •

ويبدو أن الاستاذ طه حسين قد تلقف عن استاذة نلينو هذه الشكوك ، وهذا الارتياب فى رواية الشعر الجاهلى - لا الشعر الجاهلى نفسه - فيما وراء مائة وثلاثين سنة سابقة للهجرة فأعمل فكره واضعا الشك امام خاطره على مذهب ديكارت ليخلص الى ان الشعر القديم من صنع الاسلاميين - والحقيقة أن الدكتور طه حسين قد دافع عن وجهات نظره أشد المدافعة ، وأغرق فى ذلك أشد الاغراق ، وحاول تطويع النصوص والاخبار لترويج فكرته حتى حولها عن وجهتها الاولى ، وضخم الفروق بين اليمينية والنزارية ليثبت افتعال الاشعار حين وجدها منسوبة الى النزاريين واليمنيين بلغة واحدة وكاد يخرج بهذه النظرية فى كتابيه (فى الشعر الجاهلى) و (فى الادب الجاهلى) لولا أن أدلى العلاء بدلوهم فى هذا المضطرب وأغرقوه بحثا وتفصيلا حتى كادت رائحة الشياطين تتجاوز دور النضوج ولا زال فى الكتابين علم غزير عن الشعر الجاهلى ، لم يغير من ذلك طريقة الرجل فى معالجة شكوكه فى الشعر الجاهلى ، كما لم يغير من ذلك نقد الناقد لطيافته ومسلكه مع ايماننا بأن الشعر الجاهلى قد صدر عن الجاهليين بلا مرأى •

(1) تاريخ آداب العربية لكارل نلينو 52

الفصل الثاني

الشعر في صدر الإسلام

تمهيد

تصورت وأنا أبدأ هذا الفصل أن هناك من يسألني هل تؤرخ للأدب العربي ؟ وهل يدخل هذا في موضوع الكتاب مصادر الفصحى ؟

الحقيقة ، أنني لا أؤرخ للأدب العربي في صدر الإسلام ، كما أنني لم أؤرخ له في الفصل السابق في العصر الجاهلي ولكنني أعد بحثاً عن بضاعة الرواة، وعن المصادر التي ذهبوا إليها وهم يبحثون في توثيق اللغة والتأريخ للشعر الإسلامي لا يبعد عن بحث يحاول أن يلقي الضوء على ملامسات الشعر الإسلامي ، وإذا كنا قد التزمنا الإيجاز فيما كتبناه عن الشعر الجاهلي فلأنه كان في أكثره ، إلا أن يكن كله ، صريح العروبة ، وكان عمر ما وصلت إليه الرواية — كما بينا — لا يتجاوز القرن من الزمان أو أكثر بقليل ، والذين حاولوا التشكك فيه كالدكتور طه حسين ، فإنه كان

يجرى على طريقة من طرق البحث العلمى لا يبتغى من ورائها - على ما
أظن - انكار عروبة النص ، والذين نقضوا كتابه (فى الشعر الجاهلى)
قد اشبعوا الموضوع نضجا وتوثيقا .

وفى النية الا نكتفى بمثل هذا الايجاز الذى أوجزناه فى الفصل
السابق بل ننوى أن نطيل الكلام نوعا فى الشعر الاسلامى . وفى سبيل
ما نرجوه من توثيق نجد امامنا عدة قضايا تحتاج الى ابطاء الخطا والتمهل
لتفهمها أو التعليل لها ويثير تلك القضايا عديد من الأسئلة أهمها :

- لقد كان فى الجاهلية منزعان الى قول الشعر : العصبية دفاعا
عن القبيلة ، والنزوع الى الاشباع الفنى تعبيرا عن الذات ، فما اثر هذين
المنزعين فى الاسلام ؟

- هل تأثرت البادية كما تأثرت القرى بالدعوة الاسلامية ؟

- وهل تأثر القرى فى الحجاز يجرى على نسق واحد مطرد ؟

ولنا ان تتصور وفرة الشعر بسبب الدواعى الجديدة الى قوله ،
معارضة للدعوة أو تأييدا لها ، وهجرة الى موطن اكثر أمنا ، وطمأنينة
أكثر من سابقتها ، وحربا تدور بين العرب والعرب ، وبين العرب وغيرهم ،
ورثاء للقتلى ، ووفودا تأتى مستكشفة أمر هذا الدين ، ووفودا تأتى
مؤمنة به أو متحدية له ، ووفودا لا هى مؤمنة ولا متحدية وانما تأتى
مادحة تلتبس العطاء ، ومشركين يهجون المسلمين اليوم ثم يسلسون غدا
يفرحون بها أو اتوا ويندمون على ما كان . ومرتين يخرجون من الاسلام ،
الى غير ذلك من الاحداث والتطورات التى يتصورها الباحث وتمر امام
خاطره .

ومع هذا التصور من وفرة الشعر فأنك لا شك بحاجة الى التمهّل

وَأَنْتَ تَقْرَأُ خَبْرًا يَنْسَبُ إِلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (لَقَدْ كَانَ الشَّعْرُ عِلْمَ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ أَصَحُّ مِنْهُ) ثُمَّ تَجِدُ تَعْقِيبًا لِمُحَمَّدِ بْنِ سَلَامِ الْجُمَحِيِّ يَقُولُ : (فَجَاءَ الْإِسْلَامُ ، فَتَشَاغَلْتَ عَنْهُ الْعَرَبُ ، وَتَشَاغَلُوا بِالْجِهَادِ وَغَزَوْا فَارِسَ وَالرُّومَ ، وَلَهْتَ عَنِ الشَّعْرِ وَرَوَايَتِهِ ، فَلَمَّا كَثُرَ الْإِسْلَامُ ، وَجَاءَتْ الْفَتْوحُ ، وَاطْمَأْنَنَتِ الْعَرَبُ بِالْأَمْصَارِ ، رَاجِعُوا رَوَايَةَ الشَّعْرِ فَلَمْ يُؤُولُوا إِلَى دِيْوَانِ مَدُونٍ ، وَلَا كِتَابِ مَكْتُوبٍ وَأَلْفَوْا ذَلِكَ وَقَدْ هَلَكَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ هَلَكَ بِالْمَوْتِ وَالْقَتْلِ فَحَفِظُوا أَقْلَ ذَلِكَ وَذَهَبَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ كَثِيرٌ) (1) وَلَعَلَّنَا نَجِدُ تَوْضِيحًا لِهَذِهِ الْقَضَايَا حِينَ نَعْرِفُ بِالشَّعْرِ فِي الْبَيْتَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ .

الشعر في القرى

فِي تَأْرِيخِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ ، وَفِي بَدَايَتِهَا يَتَسَاءَلُ الْبَاحِثُ مَاذَا كَانَ مَوْقِفُ الْمَكِّيِّينَ بِالنِّسْبَةِ لِلتَّيَّارَاتِ الرُّوحِيَّةِ ، وَأَثَرُ ذَلِكَ عَلَى الشَّعْرِ عَامَةً حِينَ ظَهَرَتِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ؟

كَانَتِ الْكَعْبَةُ فِي مَكَّةَ مَثَابَةً الْعَرَبِ ، يَأْتُونَهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ حَاجِينَ وَمُعْتَسِرِينَ ، وَتَقَاسَمَتِ قَرِيْشُ شَرَفَ الْوَلَايَةِ عَلَى الْبَيْتِ ، وَأَقْرَبَتْ لَهَا الْعَرَبُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الدِّينِيَّةِ ، فَكَانَ أَى تَغْيِيرٍ رُوْحِيٍّ يَصْطَدِمُ بِمُعَارَضَةٍ شَدِيدَةٍ مَخَافَةً أَنْ تَهْتَزَّ أَمَكْنَتُهُمُ الَّتِي تَبَوَّأَهَا أَشْرَافُهُمُ وَالَّتِي أَخَذُوا يَزِيدُونَ فِيهَا وَيَغَالُونَ فِي وَاجِبَاتِهَا حَتَّى خَرَجَتْ عَنْ مَأْلُوفِ الْمَنَاسِكِ . وَقَبِيلُ الْإِسْلَامِ ابْتَدَعَ الْمَكِّيُّونَ أَشْيَاءَ تَزْعُمُهَا دِينًا ، أَمَا لِلتَّأْكِيدِ رِئَاسَتَهُمْ ، أَوْ لِتَحْقِيقِ مَغَانِمِ مَادِيَّةٍ يَجْبِرُونَ الْحَجَّاجَ عَلَى إِدَائِهَا وَهِيَ (رَأَى الْحَمْسُ) كَمَا ذَكَرَهَا صَاحِبُ السِّيرَةِ — وَالْحَمْسُ مِنَ الْحَسَّاسَةِ — أَى اسْتَدُوا فِي دِينِهِمْ فَقَالُوا : نَحْنُ بَنُو إِبْرَاهِيمَ ، وَأَهْلُ الْحَرَمَةِ ، وَوَلَاةُ الْبَيْتِ ، وَقَطَانُ مَكَّةَ وَسَاكِنِيهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ

(1). طَبَقَاتُ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ لِلْجُمَحِيِّ 22

من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . ومن ثم رأوا أن يلزموا العرب بقيود يأتونها ، أو يمتنعون عنها في مناسكهم ، كترك الوقوف على عرنة والافاضة منها وهم يعرفون أنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ثم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حجاجا أو عمارا ، ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا فى ثياب الحس ، فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة الى غير ذلك (1) وقد ترى أن مثل هذا المجتمع يصعب معه التصريح نثرا أو شعرا بأى تغيير روحى .

وقبيل الاسلام ظهرت طائفة أطلق عليهم اسم المتحنفين لحظوا أن الله فوق ما يعتقده جماعتهم فبدأوا يرون رأيهم سرا مخافة بطش المكين بهم ، ويشير اليهم ابن اسحق فى حديث له فيقول :

(واجتسعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه ، وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويدبرون به - وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما - فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل . وهم : ورقة بن نوفل بن عبد العزى ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل . فقال بعضهم لبعض : تعلموا ، والله ما قومكم على شيء . لقد انطأوا دين أبيهم ابراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء . . فتفرقوا فى البلدان بلمسون الحنيفية دين ابراهيم (2) .

(1) السيرة 1 : 219

(2) السيرة 1 : 242

والكتمان ، وممارسة التفكير سرا فيما يتعلق بالدين مسألة طبيعية
فى بلد ارتضتها العرب جميعا محجة دينية ، واستقر لسادتها من قریش
مغنم المادة وشرف الولاية على البيت - والكتمان وممارسة التفكير سرا
يتنافى مع الجهر بالشعر وروايته اذا تعلق الامر بالدين والخوض فيه -
على عكس الطائف ويثرب ، فقد ظهر فى الطائف رجل كأمية بن أبى
الصبلت رأى رأيا فى الدين فجهر به نثرا وشعرا وقال للناس عنه حين أغرب
فى شعره الدينى : انه قرأ كتاب الله - عز وجل - الاول ، فكان يسمى الله
عز وجل فى شعره : التغرور ، ومرة أخرى : الساطيط ، وكان كما يحكى
أبو الفرج قد نظر فى الكتب ، وقرأها ، ولبس المسوح تعبدا ، وكان ممن
ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، وشك فى الاوثان ،
والشك فى الدين ، وطمع فى النبوة * ويبدو أنه أنشأ شعرا غزيرا فى هذه
الناحية الروحية فقال فيه الأصمعى (ذهب أمية فى شعره بعامة ذكر
الآخرة ، وقال الحجاج يوما على المنبر (ذهب قوم يعرفون شعر أمية) (1)

والأمر فى يثرب كذلك ، فقد ظهر فيها فى نفس الفترة رجل من بنى
النجار هو أبو قيس صرمة بن أنس فترهب ، ولبس المسوح ، وفارق
الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهم
بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذ مسجدا لا تدخله عليه فيه
طامث ولا جنب وقال : أعبد رب ابراهيم حين فارق الأوثان وكرها حتى
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم وحسن اسلامه وهو
شيخ كبير (2) * وللرجل قصائد فى الجاهلية وفى الاسلام تكشف عن
اتجاه روحى يخالف به عامة الجاهلية *

(1) الإغاني 4 : 12 وما بعدها

(2) السيرة 2 : 130

ولك أن تتصور بعد هذه المقارنة في مدن الحجاز توقف الشعر في مكة بدء الدعوة الإسلامية التي أخذتهم أخذة رابية ، فما كادوا يذيعون رأى الحمس قبيل الدعوة الإسلامية كما أسلفنا القول يتغنون به غلوا على الحجيج أو التماسا لثراء حتى جاء الإسلام مبطلا له ، بل قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أبطل ما ابتدعه الحمس قبل نزول القرآن ، وجاء القرآن فأبطلها بأمر صريح للمكيين : (ثم افيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) وبالنسبة لما حرموا على الناس من طعام ولباس جاء قوله تعالى (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون) (1) *

ولعلك تدرك في تزيد المكيين وحمل العرب الحاجين والمعتمرين على غرم يفتنمه المكيون ان الدين عندهم نزع الى الناحية العصبية ولما كان الشعر هو سلاح العصبية كما نعلم تساءلنا عن الشعر اين هو ؟ ، والرأى عندي ان هذه النزعة ما كادت تطل برأسها حتى دهمتها الدعوة التي دعت على الفور الى اعادة المناسك الى ما كانت عليه ، وبدأ القرشيون يواجهون حركة أكبر ، ودعوة أعمق الى المساواة ، ولو كانت العصبية وحدها هي التي تحكم المجتمع المكي لآزروا الدعوة التي بدأت تخرج من عندهم الى الناس كافة ، ولكن كانت مصالح اثريائهم تعاني الضعف أمام المثل التي جاء بها القرآن فلا هم بمستطيعين نقضها شعرا لان النبي واحد منهم ، ولا هم بمستطيعين الحفاظ على مصالحهم بعد أن حددها الدين الجديد وبدأ لكبارهم أن المسألة لا تحتاج الى أكثر من الاتجاه الى قتل النبي صلى الله

عليه وسلم وينتهي الامر عند ذلك ويخلو لهم دينهم الذي ارتضوا من قبل، ومصالحتهم التي ينعم بها اثرياءهم، واجتمعوا وتشاوروا وتعددت وسائلهم الهادفة الى النيل من صاحب الدعوة حتى أسلمهم الغضب الى ما يمكن تصوره وما لا يسكن تصوره فمشوا الى أبي طالب بادية الامر راجين أن يكف عنهم ابن أخيه متذرعين بأنه سب آلهم، وعاب دينهم، وسفه أحوالهم. فلما بسط حمايته على النبي ذهبوا يناقشونه في أمر قد لا يصدر الا عن نفس مكدودة وعقل كليل مرهق، ذهبوا يبادلون النبي بفتى من فتياهم، وكانت قسمة ضيزى - أبو طالب يرعى فتاهم، وهم يأخذون النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، مسألة تجاوزت أقصى التصور، استمع الى ابن اسحق يحكى حكايتهم فيقول:

(... ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشوا اليه بعمارة بن الوليد فقالوا له - فيما بلغنى - يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذ فلك عقله ونصره (1) واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحوالهم فنقتله فانما هو رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسوموننى، أنعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه!؟ هذا والله لا يكون أبدا. فتنابد القوم، وأخذ أبو طالب يعرض بالمطعم بن عدى، ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله، وما تباعد من أمرهم في قصيدة طويلة (2).

(1) يحتمل المعنيين ان يفيد بعقله، أو له عقله بمعنى دينه اذا قتل

(2) السيرة 1 : 279

هنا بدأ الشعر يظهر من جانب واحد ، وربما من شخص واحد هو
عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسترى أيضا عندما تتوالى الاحداث أن
الشعر لفترة معينة يكاد يكون لأبى طالب وحده ، فالى جانب القصيدة
التي عرض فيها بالمطعم بن عدى وزملائه أخذ يمدح من وافقه على موقفه ،
ويشيد بسكينة عبد مناف وهاشم والنبي من قريش :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت أشراف عبد منافها
ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرها وكريمها

الى آخر القصيدة ، وحفظت الرواية قصيدة طويلة لأبى طالب يتودد
فيها لأشراف عشيرته ، ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم ذكر منها صاحب
كتاب السيرة أربعة وتسعين بيتا ، وتناولها الرواة ووضعوها تحت الدرس
والنقد ، وبدا لبعضهم انها طولت حتى لا يكاد يعرف منتهاها ، يقول محمد
ابن سلام الجمحي : (وكان ابو طالب شاعرا جيد الكلام ، وابرع ما قال
قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهى :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للأرامل

وسألنى الأصمعى عنها فقلت صحيحة جيدة ، قال : أتدرى أين
منتهاها ؟ فقلت : لا أدري (1) •

(1) طبقات فحول الشعراء 204

وهاجرت جماعة من المسلمين الى الحبشة فرارا من أذى الكفار ،
وأحسوا بالأمان فى جوار النجاشى فأنشأ عبد الله بن الحارث بن قيس
ابن عدى قصيدة يعبر فيها عن هذا الامان ، وأخرى يعاتب فيها بعض قومه
من قريش (1) ولعثمان بن مظعون قصيدة يعاتب فيها ابن عمه وكان يؤذيه
أن أسلم • (2) واستشعر أبو طالب وهو فى مكة أن القرشيين يحاولون
اجتذاب النجاشى الى صفوفهم ، ويوغرون صدره على المهاجرين فأرسل
اليه قصيدة يرجوه أن يدفع عن المهاجرين أذى قريش (3) فكان هذا
الانتاج الشعرى بسبب الهجرة الى الحبشة •

ثم نفست قريش على الذين هاجروا أمنهم وقرارهم فتعاقدت على بنى
هاشم وبنى المطلب على الا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا
يبتاعوا منهم فأنشأ أبو طالب قصيدة فى هذه المقاطعة (4) فلما نقض
الصحيفة بعض أمائل قريش امتدحهم أبو طالب بقصيدة يقول فيها :

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا

على ملا يهدى لحزم ويرشد

ويعنى بهم الخمسة الذين اتفقوا على نقض الصحيفة وهم هشام بن
عسرو بن ربيعة ، وزهير بن أبى أمية ، والمطعم بن عدى ، وأبو البختري
ابن هشام ، وزمعة بن الأسود (5) •

(1) السيرة 1 : 353

(2) السيرة 1 : 355

(3) السيرة 1 : 356

(4) السيرة 1 : 373

(5) السيرة 1 : 400

وكان الذين حملوا لواء العصيان والمقاومة هم أثرياء قريش بينما كانت الطبقة التي تليهم تهفو قلوبهم الى الدعوة وصاحبها فكان ذلك من أسباب الحد من حصيلة الشعر • وسبب آخر في توقف المشركين عن الشعر وهو أنهم الأسباب وأقواها ، هو الاحساس بضعفهم امام القرآن الكريم ، فقديما كانت تقارع الحجة بالحجة وكان الشعراء يتحاكمون امام فحل من الفحول فيحكم لواحد منهم أو عليه ولكن أنى لهم بمعارضة القرآن الكريم وقد شهدوا على أنفسهم بالضعف أمام سوره وآياته ولا نريد فى هذا المكان الذى نرجو له الايجاز والاختصار أن نقدم لك الصور العديدة التى حفلت بها كتب السيرة والتى تشير الى ضعفهم وحيرتهم ، وحسبك هذه الأمثلة ففيتها غناء عن بقية الأخبار •

فمنها : هذا النقاش الذى يديره الوليد بن المغيرة ، حين تفرقت الكلمة ، وانشقت العصا ، وذهب كل فريق يبحث عن مؤيدين • اجتمع الوليد بن المغيرة بنهر من قريش يأترون بصاحب الدعوة صلوات الله عليه ، فقال لأصحابه : يا معشر قريش ، ان وفود العرب ستقدم عليكم فى موسم الحج ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا •

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به •

قال : بل انتم فقولوا أسمع •

قالوا : نقول كاهن •

قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكهان

ولا سجعه •

قالوا : فنقول مجنون •

قال : ما هو بسجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته •

قالوا : فنقول شاعر •

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر •

قالوا : فنقول ساحر •

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم •

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة (ويقال لعذق والغدق الماء الكثير) وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل وان أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو ساحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدم الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره (1)

وخبر آخر أكثر دلالة من سابقه وأشد تصويرا لذهولهم أمام بلاغه القرآن ، وأوضحه اعترافا بعدوبته وميلهم الشديد الى سماعه على كره منهم في غير مكابرة •

قال ابن اسحق ، وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفي حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول

(1) السيرة 1 : 283 — 284

الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض :

لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى تتعاهد الا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا (1)

فهؤلاء نفر - كما ترى - يجمعون حسهم ، ويجاهدون انفعالهم ، وما لبث ان انفرط عقدهم كما يصوره هذا اللقاء بين ابي الوليد عتبة بن ربيعة وبين النبی صلى الله عليه وسلم ، على التفصيل التالى :

قال عتبة يوما وهو جالس فى نادى قريش : يا معشر قريش : الا أقوم الى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بن أخى ، انك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل يا أبا الوليد أسمع) قال : يا بن أخى ان كنت انما تريد بما جئت

به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي ياتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال (أقدم فرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم . قال (فاستمع مني) قال : أفعل . فقال (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عريبا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال : (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك) فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال : ورأى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة يا معشر قريش : أطيعونى ، واجعلوها بى ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه (1)

ولا يستطيع الشعر - فيما أرى - ان ينشأ ويروى فى هذه البيئة التى وقعت أسيرة الخوف والاعجاب بعد أن قرعت آذانهم آيات القرآن الكريم ، وأميل الى القول أن الشعر قد توقف برهة فى مكة ، ولكن لم يطل وقوفه ، فما لبثوا أن أفاقوا من غشيتهم ، واستجمعوا قوتهم للمكابرة .

(1) السيرة 1 : 313

الهجرة الى المدينة

وهاجر المسلمون الى المدينة ، وكانت أصداء الشعر الذى قيل بعد حرب بعاث وما دار بين الاوس والخزرج لا زال يتردد فى جوانبها ، وكانت بيئة شاعرة عبر عنها أنس بن مالك بقوله : قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الانصار بيت الا وهو يقول الشعر (1)

ولم تنته العداوة بين الفريقين بهذه المهاجرة ، فالمسلمون امام مهمتهم المقدسة نشر الدعوة ، والمشركون من قريش يتتغون القضاء عليها ، كل يضمم التربص بصاحبه ، وفى موقعة بدر الكبرى دارت الدائرة على المشركين فسكتت سنتهم بادية الامر الا من مقطوعات قلائل حين من الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الاسرى • فمنهم من شكر ومنهم من غدر ، فقد توسل أبو عزة الجمحى بعياله وحاجته فمن الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وأطلقه فأنشأ أبو عزة يقول :

من مبلغ عنى الرسول محمدا

بأنك حق والمليك حميد

وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى

عليك من الله العظيم شهيد

وأنت امرؤ بوئت فىنا مباءة

لها درجات سهلة وصعود

فأنك من حاربتك لمحارب

شقى ، ومن سالتك لسعيد

ولكن اذا ذكرت بدرا وأهله

تأوب ما بى حسرة وقعود (2)

(1) العقد الفريد 5 : 283

(2) السيرة 2 : 305

وأطلقوا سراح صيفى بن أبى رفاعة المخزومى على أن يبعث اليه
بفدائه ، وحنث فى وعده ، فهجاه حسان بأبيات يقول فيها :

وما كان صيفى ليوفى أمانة
قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل ابى البختري يوم بدر
لأنه كان يكف القوم عن رسول الله فى مكة ، وكان ممن قام فى نقض
الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم ، وبنى المطلب * فلقبه المجذر
البلوى ، ومع أبى البختري زميل له قد خرج من مكة وهو جنادة بن
مليحة ، فأبى المجذر ترك زميل ابى البختري ، فقال ابو البختري : لا والله
اذن لأموتن انا وهو جميعا وأخذ يرتجز :

لن يسلم ابن حرة زميله

حتى يموت أو يرى سبيله

وقال المجذر حين قتل أبا البختري :

أما جهلت أو نسيت نسبى

فأثبت النسبة انى من بلى

الطاعنين برمح اليزنى

والضارين الكبش حتى ينحنى

الى آخر القصيدة (1) *

وتكتست قريش مصيبتها حتى لا يشمت بها المسلمون ، وتهون فى
نفوس العرب ، وتواصوا الا يبكى أحد قتلاه ، ولكن أتى لهم أن يصبروا
وفى اقتدتهم جزع الفراق وحرقتة * لقد عاشت صدورهم كالمراجل تهتز

(1) السيرة 2 : 270 — 271

من الغليان تحاول أن تنفث مكنونها . كان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود ، والحارث بن الاسود - أو الحارث بن زمعة كما يحكى صاحب كتاب السيرة ، وكان يتوق الى البكاء على بنيه فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر أحل النحيب ، وهل بكت قريش على قتلها فان جوفى قد احترق ، قال : فلما رجع الغلام اليه قال : انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فقال متعجبا ، وقد وجدها مبررا للقول والبكاء :

أتبكى ان يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سرقة بنى هصيص
ومخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى ان بكيت على عقيل
وبكى حارثا أسد الاسود
وبكيهم ولا تسمى جميعا
فما لابی حكمة من نديد
الا قد ساد بعدهم رجال
ولولا يوم بدر لم يسودوا (1)

ولم يطل الوقت حتى عاد كل الى فطرته ، المسلمون يفخرون بيوم بدر ، والمشركون يجيبونهم ، وأذن الرسول لحسان بن ثابت أن يهجو

(1) تاريخ الطبرى 2 : 161 والسيرة 2 : 291 والاغاني 4 : 209

القوم ، ودارت النقائض بين الفريقين فكان من أشهر شعراء المسلمين بالاضافة الى حسان - عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك - ومن جانب المشركين ضرار بن الخطاب الفهري وعبد الله بن الزبير ، والحارث بن هشام ، وعقد صاحب كتاب السيرة حديثا واسعا عن الشعر الذي قيل في بدر (1) شارك فيه غير ما ذكرنا : على بن أبي طالب ، وطالب بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعبد بن الحارث بن المطلب وهند بنت أثاثة ، ومعاوية بن زهير ، وهند بنت عتبة ، وصفية بنت مسافر ، وقتيلة بنت الحارث ، الى غير هؤلاء .

وناح أمية بن أبي الصلت على قتلى بدر ، وهو رجل من ثقيف أومأنا اليه قبل قليل وبيننا سعيه في الحصول على النبوة ، وأخذ يحرض قريشا في قصيدة طويلة ذكرها ابن هشام وأشار اليها أبو الفرج في الأغاني وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن روايتها (2) . ولأمية قصيدة في رثاء زمعة بن الأسود (3) . كما كان في مؤازرة المشركين أيضا كعب بن الأشرف الذي شجب بنساء المسلمين وقتل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم . (4)

وصور هذه المعركة كعب بن مالك الانصاري :

فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر

(1) السيرة 2 : 368 وما بعدها

(2) الأغاني 4 : 123 وطبقات فحول الشعراء 221

(3) السيرة 2 : 407

(4) طبقات فحول الشعراء 238

وقد عريت ييـض خفاف كأنها
مقاييس يزهيها لعينك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا
وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب ابو جهل صريعا لوجهه
وعتبه قد غادرته وهو عائر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها
وكل كفور فى جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال : أقبـلوا
فولوا ، وقالوا : انما أنت ساحر
لأمر اراد الله ان يهلكوا به
وليس لأمر حمه الله زاحر

وفى رثاء قتلى بدر انشئت القصائد وكانت أحرها قصائد هند بنت
عتبة بن ربيعة (1) وقتيلة بنت الحارث فى رثاء أخيها النضر ، وقيل ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه شعرها قال : (لو بلغنى هذا قبل قتله
لمنت عليه) (2) •

ويوم أحد

اصيب المسلمون جزاء ما خالفوا من تعاليم الرسول ، ومنوا بخسارة
فى رجالهم لحكمة عنده سبحانه ، فعلا من أصوات القرشيين ما خفت ،
ودبت فيهم روح الثأر ، وتشفوا ليوم بدر فطالت ألسن ابن الزبيرى ،

(1) السيرة 2 : 414 ، 415 ، 416

(2) السيرة 2 : 421

وضرار بن الخطاب الفهرى وعمرو بن العاص ، وهند بنت عتبة ، وهبيرة
ابن أبى وهب المخزومى ، وتصدى لهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ،
وعبد الله بن رواحة ، وهند بنت أثاثة ، والحجاج بن علاط ، وصفية بنت
عبد المطلب ، وأفرد ابن هشام حديثا عن الشعر فى يوم احد وكان يربو
على ما قيل يوم بدر أو يزيد ، ولا اخالنى بحاجة الى بيانه وقد طفحت به
كتب السيرة ، والتواريخ ، والمغازى ولعلك تجد منه ما تريد فى سيرة ابن
هشام ، وفى تاريخ الطبرى ، وأضعك الآن امام منظر يغنيك عن الاغراق
فى التصور ولك بعدها أن تدرك حصيلة الشعر فى المدينتين بعد أحد .

كانت هناك بنت عتبة تغلى بالغضب منذ فقدت اباها عتبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وما كاد يسقط حمزة رضى الله عنه
حتى ذهبت الى جثته ، وبقرت بطنه ، وفتشت عن كبده فأكلتها ليبرد جوفها
المحترق ثم اعتلت صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيناكم ييوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سَعْر
ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى ، وقضيت نذرى
شفيت وحشى غليل صدرى

ثم عادت تقول :

شفيت من حمزة نفسى بأحد
حين بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد
من لدعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلقكم بشؤبوب برد
تقدم اقداما عليكم كالأسد (1)

فما برئت من دائها ، وظلت تندب أباهها ، وعمها ، وأخاها ما وجدت
لذلك سببا أو أثارها مناسبة ، لقد بلغها أن الخنساء كانت تسوم هودجها
فى الموسم ، وتعظم العرب بمصيتها بأبيها عمرو بن الشريد ، وبأخويها
صخر ومعاوية ، فقالت هند : انا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت
بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقرنوا جملى بجمل
الخنساء ففعلوا ، فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أخيلة ؟
قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغنى أنك تعاضين
العرب بمصيتك فبم تعاضيمهم ؟ فقالت الخنساء : بعمر بن الشريد .
وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاضمينهم انت ؟ قالت : بأبى عتبة بن
ربيعة ، وعمى شيلة بن ربيعة ، وأخى الوليد . . . فلما سمعت رثاء
الخنساء فى اهلها انفجرت هند تجيها :

أبكى عميد الابطحين كليهما
وحاميها من كل باغ يريد
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلمى
وشيلة والحامى الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالب
وفى العز منها حين ينمى عديدها

ثم قالت :

من حس إلى الأخوين كال
فصنين أو من رآهما

(1) السيرة 3 : 41 — 43

قـرمان لا يتظالمـا
ن ولا يـرام حمـامـا
ويلـى على أبـوىّ والـ
قـبر الـذى واراهـما
لا مثل كـهلى فى الكـهو
ل ولا فـقى كـفـتاهـما

الى آخر القصيدة . وبعض الاخبار ومنها الأغاني تشير الى ان التقاء
السيدتين كان بعد بدر وليس بعد أحد ، والخبر على الوجهين دليل على
تعطش هند الى القول والانشاد فى أكبر محفل فى الجزيرة - فى عكاظ -
كما يدل على رغبة فئة الى الاستماع والرواية وهو ما نهدف الى بيانه فى
بحثنا هذا اذا رأينا أن الدعوة لم تعوق الشعر ولا روايته .

وحادثتان تقشعر لهما الابدان ، يوم الرجيع ، وبئر معونة . ففى
يوم الرجيع جاء نفر من عضل ، والقارة - من الهون بن جذيفة بن مدركة -
فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما قابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا
فى الدين ، ويقرءوننا القرآن ، ويعلموننا الشرائع . فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفرا ستة من اصحابه وقيل عشرة حتى اذا كانوا على
الرجيع ، وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم واستصرخ المسلمون
بنى لحيان من هذيل فلم يفلحوا فأنشأ حسان بن ثابت أربع قصائد يبكى
فيها خبيب بن عدى وأصحابه ، وست قصائد يهجو فيها هذيل (1)

وكان من حديث بئر معونة أن قدم أبو عامر بن مالك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاه الرسول الى الاسلام فلم يسلم ولم
يبعد عن الاسلام وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالا من اصحابك الى أهل

(1) السيرة 3 : 160 وما بعدها

تجد فدعوهم الى امرك رجوت أن يستجيبوا لك • فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربعين نفرا من أصحابه فلما نزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم بعثوا بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل وانتهى الامر بالغدر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك يحرضان بني ابي براء على عامر بن الطفيل ، ولحسان قصيدة في رثاء شهداء بئر معونة ، ولعبد الله بن رواحة قصيدة اخرى (1) •

غدر اليهود

وفي سنة اربع - تأمر بنو النضير على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم ، ثم اذن لهم بالرحيل ومعهم أموالهم الا السلاح ، فأنشأ القيم العبسي قصيدة يشيد فيها بالنبي وبالمسلمين ، كما ذكر صاحب كتاب السيرة قصيدة تنسب لعلي بن أبي طالب يذكر فيها غدر اليهود ورحيلهم ، ومقتل كعب بن الأشرف يقول فيها :

فيا أيها الموعودوه سفاها

ولم يأت جورا ولم يعنف

الستم تخافون أدنى العذاب

وما أمن الله كالأخوف

وان تصرعوا تحت اسيافه

كمصرع كعب ابي الاشرف

كما أنشأ كعب قصيدة مماثلة، واجاب على القصيدتين سالك

اليهودي (2)

(1) السيرة 3 : 184 وما بعدها

(2)' السيرة 3 : 191 وما بعدها

والشيء العجيب في هذا الحادث هو أمر العباس بن مرداس ، فلقد سبق أن رأيناه مسلما مجاهدا مع النبي صلى الله عليه وسلم فما بال هواه مع بنى النضير ، يمدحهم ويعز عليه هذا الاجلاء ويقول فيهم :

ولو ان أهل الدار لم يتصدعوا
رأيت خلال الدار ملهى وملعبا
فانك عمرى هل اريك ظعائنا
سلكن على ركن الشطاة فتيابا (1)
عليهن عين من ظباء تبالة
أوانس يصبين الحليم المجربا
اذا جاء باغى الخير قلن فجاءة
له بوجوه كالدنائير ، مرجبا
وأهلا ، فلا ممنوع خير طلبته
ولا أنت تخشى عندنا ان تؤنبا
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم
سلام ، ولا مولى حبي بن أخطبا

ثم دارت على هذه البداية مناقضة شعرية اذ أجابه خوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف بقصيدة بدأها بقوله :

تبكى على قتلى يهود وقد ترى
من الشجو لو تبكى أحب وأقربا
فهلا على قتلى يبطن أرينق
بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا
اذا السلم دارت فى صديق رددتها
وفى الدين صدادا وفى الحرب ثعلبا

(1) الشطاة وتيا ب مكانان

الى آخر القصيدة التى رد عليها العباس ، وأجاب على قصيدة العباس
الأخيرة كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة • (1)

ولم ييأس يهود ، فقد تحزبت ، وحزبوا معها قريشا ، وحببوا اليهم
وثنيتهم فنزل فيهم قوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقواون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين
آمنوا سبيلا • اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (2)
ثم حزبوا معهم غطفان أيضا ضرب الرسول الخندق على المدينة •

في غزوة الخندق

ومن الطريف أن تجد الرجز عدة العاملين فى حفر الخندق ، كهذه
الصورة التى تراها بين عيال الأبنية وهم يستجمعون نشاطهم على نغمات
الأناشيد كان ذلك أيضا فى حفر الخندق حول المدينة ، قال ابن اسحق :
وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال
له جميل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا فقالوا :

سماه من بعد جميل عمرا

وكان للبائس يوما ظهرا

فاذا مروا بعمر (أى بكلمة عمرو) قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : عمرا ، واذا مروا بظهر (أى بكلمة ظهر) قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ظهرا (3) ولم تعد - بعد غزوة الخندق - مسكة لقريش ولا

(1) السيرة 3 : 208

(2) سورة النساء آية 51 و 52

(3) السيرة 3 : 232

ليهود ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن تغزواكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم) فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذي يغزوها حتى فتح الله تعالى عليه مكة .

وفى غزوة الخندق ومعاقبة بنى قريظة القيت القصاص من الجوانب المختلفة تعبيراً عن اتجاهاتها فلقد بدأ عمرو بن عبد ود يناجز المسلمين ، وخرج يوم الخندق معلماً ليرى مكانه قائلاً : من يبارز ؟ قال له علي بن أبي طالب : انى ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجه لى بذلك . قال : فانى ادعوك الى النزال . فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : ولكنى والله أحب أن أقتلك ... فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه وأنشد فى ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه
ونصرت رب محمد بصوابى
فصدت حين تركته متجنّدا
كالجذع بين دكادك وروابى
وعففت عن أثوابه ولو انى
كنت المقطر بزّنى أثوابى (1)
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب (2)

ودارت حول مقتل عمرو بن عبد ود عدة قصائد بين الفريقين فبكاه من

(1) يقول انى قتلته ولم اسلبه اثوابه ، ولو كنت المقطر لسلبنى اثوابى
(2) السيرة 3 : 242

جائِب المشرَكين : ضرار بن الخطاب الفهري ، وعبد الله بن الزبير
ومسافع بن عبد مناف ، وهبيرة بن أبي وهب في عدة قصائد نقضها عليهم
كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت في عدة قصائد أيضا وكانت من الكثرة
بحيث أفرد لها ابن اسحق حديثا عما قيل من الشعر في أمر الخندق وبنى
قريظة •

ولا تكاد هذه الحصيلة من الشعر تقل عما قيل في فتح مكة وقد
شارك في ذلك حسان ، وانس بن زعيم ، وبديل بن عبد مناف ، وبجير بن
زهير ، وعباس بن مرداس ، وجعدة بن عبد الله الخزاعي ، ونجيد بن
عمران الخزاعي • (1)

ولم تكن المعارك وحدها مثار ألسنة الشعراء ، وإنما كانت الدعوة
تأتي بالعديد من اسباب الشعر ، فهذه وفود تأتي مستكشفة امر هذا
الدين ، وهذه تأتي معلنة اسلامها ، وبعضها جاء يفاخر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وبعضها جاء يعلن تأييده على أن يكون له الامر بعد
الرسول ، وهذا يشكو نصيبه من الفء • واليك بعض هذه الامثلة لا
نبتغي حصرها جئنا بها لنبين دورها في الشعر •

هذا ابو قيس بن الأسلت ، رجل من الأوس ، لم يسلم ، ولكنه كان
يأتي أعمال المسلمين ، ويحضر على التآخي واجتناب القتال ، فقد كان
صهرا لقريش وعنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان يقيم
عندهم السنين بامراته وهو بهذا له أقارب في مكة ، وأقارب في المدينة ،
هو أوسى ، وامراته قرشية • يستطيع ان يجد آذانا صاغية عندما ينادى

(1) السيرة 4 : 43 وما بعدها

بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومن جهوده في هذا الاتجاه قصيدته :

يا راكبا اما عرضت فبلغن
مغلغلة عنى لؤى بن غالب
يقول فيها :

أقيموا لنا ديننا حنيفا فأنتم
لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
تثؤمّثون والاحلام غير عواذب
وأنتم اذا ما حصل الناس جوهر
لكم سرّة البطحاء شم الأراب (1)

كان ذلك في العام الاول للهجرة ، وأقبل يريد النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له عبد الله بن أبي : خفت والله سيوف الخزرج قال : لا جرم ، والله لا أسلم حولا ، فمات في الحول (2)

ومن الذين أسلموا وأخذوا يورعون أقوامهم عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حكيم بن أمية بن حارثة السلمى وكان شريفا مطاعا ، فأوعز اليهم بأنه سيسلم مهما تعرض للوم الصديق •

وأسلم وجهى لاله ومنطقى
ولو راعنى من الصديق روائع (3)

(1) السيرة 1 : 300

(2) تاريخ الطبرى 2 : 122 ، طبقات فحول الشعراء 190

(3) السيرة 1 : 309

من الوفود

وهذا وفد تميم من سبعين أو ثمانين رجلا ، يأتى المدينة ويقف من وراء الحجرات قائلا : أخرج إلينا يا محمد فقد جئنا تفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا وقام فيهم الزبرقان بن بدر يقول :

نحن الملوك فلا حصى يقاربنا

منا الملوك ، وفينا يؤخذ الربع (1)

تلك المكارم حزناها مقارعة

إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلهم

عند النهاب وفضل العز يتبع

وننحر الكوم عبطا فى منازلنا

للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا

ونحن نطعم عند المحل ما أكلوا

من العبيط إذا لم يظهر القزع (2)

وننصر الناس تأئينا سرائرهم

من كل أوب فتضى ثم تتبع

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حسان بن ثابت فأمره أن يجيبه فأشيد قصيدته المشهورة :

ان الذوائب من فهر واخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

(1) كان من عادة الجاهلية اذا غلب فريقهم اخذ رئيسهم ربع الغنيمة

(2) القزع : السحاب

ذكر منها أبو الفرج ستة عشر بيتا يقول فيها :

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشييع
أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فيما أراد لسان حائك صنع
فأنهم أفضل الأحياء كلهم
ان جد بالناس جد القول أو شمعوا

ثم قام عطار د بن خالد فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنا فروع الناس فسى كل موطن
وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فأجابه حسان :

منعنا رسول الله من غضب له
على رغم أنف من معد وراغم
هل المجد الا السؤدد والندى
وجاه الملوكة ، واحتمال العظام

فقال الاقرع بن حابس : والله ان هذا الرجل لمؤتى له ، والله
لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأصواتهم أرفع
من أصواتنا ، ثم أسلم وفد بنى تميم (1) ♦

(1) الاغانى 4 : 146 وما بعدها .

وكان الشعر سلاحاً قوياً من أسلحة الدعوة في جوانبها المختلفة ،
وها هو ذا حسان بن ثابت يستل الضغينة من صدور مزينة حين جاء
وفدهم وفيهم خزاعي بن عبد نهم فبايعه على قومه مزينة ... ثم ان خزاعيا
خرج الى قومه فلم يجدهم فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا
حسان بن ثابت فقال (اذكر خزاعيا ولا تهجه) فقال حسان :

الا أبلغ خزاعيا رسولا
بأن الذم يغسله الوفاء
وأنت خير عثمان بن عمرو
وأسنها اذا ذكر الوفاء
وبايعت الرسول وكان خيرا
الى خير وأذاك الشراء
فما يعجزك أو ما لا تطقه
من الاشياء لا تعجز عدا

وعدا بطن منها الخزاعي ، فقام خزاعي فقال : يا قوم ، لقد خصكم
شاعر الرجل فانشدكم الله . فقالوا : فانا لا ننبو عنك ، وأسلموا .
فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مزينة يوم الفتح الى خزاعي
وكانوا يومئذ ألف رجل (1) .

ومنهم من عاش في أخيلته ، وكاد خياله يسلبه ، ويسلبنا معه الى
غيبات لا نملك من أمرها مقنعا ، حين يأتيه الجن فيسمعه أبياتا من الشعر
في ترك الاصنام واتباع الدعوة ، يروي أبو الفرج عن العباس بن مرداس
قوله :

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 : 292 ط دار صادر

كان لأبى - اى لأبى العباس - صنم اسمه ضمّار ، فلما حضره الموت أوصانى به وبعبادته والقيام عليه فعمدت الى ذلك الصنم فجعلته فى بيت ، وجعلت آتية فى كل يوم وليلة مرة ، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت صوتا فى جوف الليل راعنى فوثبت الى ضمّار فاذا الصوت فى جوفه يقول :

قل للقبائل من سليم كلها
هلك الأيس وعاش أهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى الضمار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب الى النبى محمد

قال : فكتمت الناس ذلك فلم أحدث به أحدا حتى انقضت غزوة الأحزاب ، فبينما أنا فى ابلى فى طرف العقيق وأنا نائم اذ سمعت صوتا شديدا فرفعت رأسى فاذا أنا برجل على حىالى بعمامة يقول : ان النور الذى وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء (اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم) فى ديار بنى أخى العنقاء . فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال : بشر الجن وأجناسها أن وضعت المطى أحلاسها (المجلس : كساء تحت البرذعة) فوثبت مذعورا وعرفت أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى فركبت فرسى وسرت حتى انتهيت اليه فبايعته ، وانصرفت الى ضمّار فأحرقته بالنار (1)

وللطبرى حديث آخر يرويه بسنده عن أسماء بنت أبى بكر ، وقد

(1) : الاغانى 14 : 303 وما بعدها ط دار الكتب ، 13 : 62 ط الاستقامة

جاءها ثغر من قریش يسألون عن النبی صلى الله عليه وسلم وأبى بكر .
قالت ومكثنا ثلاث لیل لا ندری أين توجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة یغنى بأبيات من الشعر
غناء العرب والناس يتبعونه ويسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا
مكة وهو یقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفیقین قالا خیمتی أم معبد
هما نزلاها بالهدی واغتدوا به
فأفلح من أسمى رفیق محمد
لیهن بنی كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنین بمرصد (1) .

فعلمنا أنه توجه الى المدينة .

ومن الناس من مال كل الميل الى الاسلام ، ومنهم من نازعته نفسه
فاتبع المشركین يوما ثم ذهب الى المسلمین يوما آخر ، ومنهم من عاد وارتد
ولهم فی ذلك أشعار ملأت كتب الأدب والتاریخ ، لقد فزعت زوجة العباس
ابن مرداس حين بلغها اسلام زوجها ، فقوضت بيتها وارتحلت الى قومها
وقالت تؤنبه :

ألم ینه عباس بن مرداس انسى
رأیت الوری مخصوصة بالفجائع
أتاهم من الأنصار كل سمیدع
من القوم یحمى قومه فی الوقائع

(1) الطبری 2 : 104 — 105

بكل شديد الوقع غضب يقوده
الى الموت هام المقربات البراقع
لعمري لئن تابعت دين محمد
وفارقت اخوان الصفا والصنائع
لبدت تلك النفس ذلا بعزة
غداة اختلاف المهنات القواطع
وقوم هم الرأس المقدم في الوغى
وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع
سيوفهم عز السذيل وخيلهم
سهام الأعادي في الأمور الفظائع (1)

ومن الذين بدأوا مشركين وشاركوا في المقاومة ، ثم انتهوا مسلمين
وشاركوا في الدعوة عبد الله بن الزبير ، وكان من الالسة الحداد في
جانب قریش ، وظل معهم يوم أحد فقال ينتصف لبدر :

ليت أشياخي ببدر شهدوا
ضجر الخرج من وقع الأسل
حين ألفت بقناة بركها
واستحر القتل في عبد الأشل
فقبلنا النصف من سادتهم
وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فلما أسلم ابن الزبير عام الفتح مدح النبي صلى الله عليه وسلم
واعتذر اليه بقوله :

(1) الاغانى 14 : 306 — 307

يا رسول الملّيك ان لسانى
راتق ما فتقت اذ انا بور
اذ أجارى الشيطان فى سنن الغ
ىّ ومن مال ميله مشبور
آمن اللحم والعظام بما قد
ت فنفسى القدى ، وأنت النذير
وله قصيدة أخرى بنفس المعنى وفى نفس المصدر (1) ولما كان
الاسلام يجب ما قبله لم أدهش حين رأيت اسمه متبوعا بكلمة (رضى
الله عنه) .

وكذلك كان كعب بن زهير فلقد ناوأ الدعوة قبل أن يسلم وكان
يذم أخاه بجيرا ويعاتبه أن أسلم ووجه اليه عتابا قائلا :
الا ابلفا عنى بجيرا رسالة
على أى شىء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا
عليه ولم تدرك عليه اخا لكا
سقاك ابو بكر بكأس روية
فأنهلك المأمون منها وعلكا
ويروى المأمور (2) ثم أسلم وأنشأ قصيدته المشهورة :
بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متم أثرها لم يفد مكبول
وصار من خيار المسلمين ، وأصفى الدعوة شعره .

(1) طبقات فحول الشعراء للجمحى 202 ط دار المعارف

(2) الاغانى 15 : 142 ط الاستقامة

وكان مالك بن عوف النصرى قائد المشركين فى حنين ، وأشدهم
خطرا على المسلمين ثم أسلم فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
فى الناس كلهم بمثل محمد (1)

ومن وراء هذه الامور الرتيبة التى يمكن افتراض حدوثها أمور
أخرى يأتى بها تداخل الاحداث أو ملاسبات الدعوة وتستمد منزعا من
أصل اجتماعى ساد يوما فى جاهليتهم وأثارها المناسبة فى وضعهم الجديد
وعبرت الالسنه عن ذلك شعرا على طريقتهم • كنا نعرف عادة من عاداتهم
فى الجاهلية ان رئيسهم حين يقود الغارة أو يأمر بالغزو يتحدد نصيبه
بربع الغنائم ويطلقون عليه كلمة المربع ، ويفخرون بذلك فى أشعارهم
تذكيرا بانتصاراتهم فى وقائعهم ، ولقد أشار الى ذلك الزبرقان بن بدر حين
جاء مع قومه لمفاخرة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :
نحن الملوك فلا حى يقاربنا
منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

ولمحا صورة اسلامية عليها تعود الى هذا الاصل عندما وجد العباس
ابن مرداس نصيبه من العطاء يقل عن زميله الاقرع بن حابس ، وعيينة بن
حصن ، فغضب وذهب محتجا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنشده :

وكانت نهايا تلافيتها
بكرى على المهر فى الاجرع
وايقاظى الحسى أن يرقدوا
اذا هجع القوم لم أهجع

(1) السيرة 4 : 138

فأصبح نهبي ونهب العبيد
سد بين عيينة والاقرع (1)
وقد كنت في الحرب ذا تدراء
فلم أعط شيئا ولم أمنع
وما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع (2)

ولكن يبدو ان اعتبارات توزيع العطاء في الجاهلية لم تكن هي
السائدة في الاسلام اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف قلوب البعض
ليرسخ قدمهم في الاسلام ، يبدو هذا من حديث رجل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس
مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمري ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض
كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ، ولكني تألفتهم ليسلما ،
ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه - وظهرت مثل هذه النزعة عند حسان
ابن ثابت يوما حين أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قریش
وقبائل العرب ، ولم يعط الانصار ، وتحدثت الانصار في هذا حتى خطبهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا * (3)

وحين لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى جادت
قريحة حسان بن ثابت بأربع قصائد من عيون الشعر العربي *

(1) العبيد = فرس العباس بن مرداس

(2) الاغانى 14 : 308 ط دار الكتب

(3) السيرة 4 : 148

الشعر في عصر الراشدين

والراشدون لم تلهمهم أعباء الخلافة وتبعات الحكم والفتح-عن النظر في الشعر واستنشاد الشعراء ، وشاركت الاحداث أحيانا ومناسبات الغزو في قول الشعر ، ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستعمله كسلاح يواجه به المشركين ويقول لحسان بن ثابت : سن الغطاريف على بنى عبد مناف ، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام وتحفظ بييتي فيهم (1) •

وكان يهش الى سماعه ولقد اتسع صدره لسمع من شعر أمية بن أبى الحسات مائة قافية وهو يقول : هيه هيه كأنه يستزيد منشده (2) ونحن نعرف موافق لأمية كان فيها الى جانب المشركين •

ويقول جابر بن سمرة جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية فربما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (3) •

ويروى ابو الفرج بسنده عن ابن عائشة قوله : أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول عنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله

حتى أنال به كريم المأكـل

فقال صلى الله عليه وسلم : ما وصف لى أعرابى قط فأحببت أن أراه

الا عنترة (4) •

(1) العقد 5 : 277 جـ لجنة التأليف والترجمة والنشر

(2) الاغانى 4 : 129 ، العقد 5 : 277

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد 2 : 95 — 96

(4) الاغانى 8 : 243 ط دار الكتب

ويقول أنس بن مالك : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه الا خزر جى ، ثم استنشدهم قصيدة لقيس بن الخطيم يعنى قوله :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب

لعمرة وحشبا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم اياها فلما بلغ الى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا

كأن يذى بالسيف مخراق لآعب

التفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (هل كان كما

ذكر ؟) فشهد له ثابت بن قيس بن شماس (1) .

وقالت عائشة رضوان الله عليها : دخل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأنا أتمثل بهذين البيتين :

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه

يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثنى عليك وأن من

أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلى الله عليه وسلم : ردى على قول اليهودى قاتله الله ! لقد

أتانى جبريل برسالة من ربى : أيما رجل صنع الى أخيه صنيعة فلم يجد له

جزاء الا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه (2) .

وقال صلى الله عليه وسلم ، وذكر عنه امرؤ القيس بن حجر : هو

قائد الشعراء ، وصاحب لوائهم (3) .

(1) الاغانى 3 : 7

(2) الاغانى 3 : 117 ، العقد 5 : 275

(3) العقد 5 : 270

وأنشد الرسول صلى الله عليه وسلم قول طرفة :
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود
فقال : هذا من كلام النبوة (1)

ويروى يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي عن أبيه عن جده قال :
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول سويد بن عامر
المصطلقى :

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم
ان المنايا بجنبى كل انسان
فاسلك طريقك تهشى غير مختشع
حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقة
وكل زاد وان أبقيته فانى
والخير والشر مقرونان فى قرن
بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الاسلام لأسلم (2) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأثر بالقول الصادر من اعماق
الشعراء وهم يستعطفونه فى بعض ما يلهم بهم ، فلقد أنشدته قتيلة بنت
الحارث ترثى اخاها النضر بالقصيدة التى اولها:
يا راكبا ان الأثيل مظنة

(1) العقد 5 : 271

(2) العقد 5 : 276

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال : لو بلغنى قبل قتله ما قتلته (1) *

ومن حديث زياد بن طارق الجشمي قال : حدثني ابو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال : أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله في حرم
فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها
يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعمة اذا كفرت

وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه فقال صلى الله عليه وسلم :
أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم * فقالت الانصار : وما كان
لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان في أيديها من الذراري
والاموال (2) *

وقدم ابو ليلي النابغة الجعدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنشده شعره الذي يتول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الى اين يا أبا ليلي ؟ فقال : الى
الجنة يا رسول الله بك — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الى الجنة ان
شاء الله ، فلما انتهى الى قوله :

(1) العقد 5 : 279

(2) العقد 5 : 279 — 280

ولا خير في معلم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدر
ولا خير في مجهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك (1) •
وحصل كعب بن زهير — بعد أن آمنه الرسول صلى الله عليه وسلم
على برد اشتراه منه معاوية بعشرين ألفا بعد أن سمع منه قصيدته (بانت
سعاد) كما أثاب العباس بن مرداس بحلة (2) •

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سفر : أين حسان بن ثابت،
فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : أحّد ، فجعل ينشد
ويصغى اليه النبي صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يستمع اليه ...
حتى فرغ من نشيده فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لهذا أشد عليهم
من وقع النبل) (3) •

وبعد • فالأدلة على استحسان النبي صلى الله عليه وسلم للشعر
أكثر من أن تحصى ، ولدينا من الاخبار ما يشير الى أن النبي صلى الله
عليه وسلم ربما تجاوز مضنون الشعر الى دوافعه وكنهه ، سأل عبد الله
ابن رواحة يوما ، أخبرني ، ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج في
صدرى فينطق به لساني • قال : فأنشدني • فأنشده :

فثبت الله ما آتاك من حسن

قموت عيسى بأذن الله والقدر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت

الله (4) •

(1) العقد 5 : 276 (2) العقد 5 : 291

(3) الاغانى 4 : 143 (4) العقد 5 : 278

وكان صلوات الله عليه وسلامه يعرف أجواء الشعر ، والمحيط الذى
يعترف منه الشاعر والأخيلة التى يصدر عنها ، ولا يغضب من الشاعر يأتى
فى شعره بما يتنافى مع النسك ونهاية التقوى ، روى ابو هريرة قال : كنا
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وحاد يحدو :

طاف الخيالان فهاجا سقما
خيال لبنى ، وخيال تكتما
قامت تريك خشية أن تصرما
ساقا بخنداة ، وكعبا أدرما

والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر ذلك (1) .

وهكذا كان نزوع العرب جميعا الى قول الشعر وروايته نزوعا قويا
كما يقول صلوات الله عليه : لن تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين،
وحديث الشعر عند الراشدين لا يختلف عن هذا الأصل .

فأبو بكر

كان شاعرا (2) وذكر ابن رشيقي بعض شعره فى كتاب العمدة (3)
كما نسب له صاحب كتاب السيرة بعض الاشعار (4) وطبيعة الشعر فى
عصره لا تختلف عن الصورة التى رأيتها فيما قرأت من احداث الدعوة .
فقد تولى أمر المسلمين والاعراب فى البوادي يضمرون العودة الى ماضيهم
والتحلل من الارتباط بالحكومة القائمة فى يثرب يهولهم أمر الزكاة ،

(1) الاغانى 21 : 58 ط الاستقامة

(2) العقد 5 : 283

(3) العمدة 1 : 13 ط هندية سنة 1925

(4) السيرة 2 : 225

ويرون في أدائها انتقاصا من قيمهم حتى لقد عرض بعضهم أن يقيم الصلاة ولا يؤتى الزكاة • وادعى بعضهم النبوة ، وأدرك الخوف بعض الصحابة حتى زين لأبي بكر أن يتألف قلوب الناس حرصا على تماسك الأمة ومنهم عمر بن الخطاب • ولكن أبا بكر قابل الأمر بالحزم والشدة وواجه عمر أشد المواجهة وقال له : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ، جبارا في الجاهلية خوارا في الاسلام ! بماذا عسيت أن أتألفهم ؟ بشعر مفتعل ؟ أو بسحر مفترى ؟ هيهات هيهات ، مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي ، والله لأجاهدنيهم ما استمسك السيف في يدي ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها •

واستغلظ أمر مسيلمة ، وطليحة الأسدي ، واجتمع على طليحة عوام طيء واسد وترددت هوازن فقدمت رجلا واخرت أخرى وكذلك فعلت أفناء من بني سليم وغيرها • ولكن أكثر هؤلاء طأطأوا رؤسهم عندما دهمهم خالد بن الوليد الذي خرج يريد القطاع بعد أن استبرأ أسدا وغطفان وطينا وهوازن ، ولم يبق في بلاد بني حنظلة إلا مالك بن نويرة ومن لاذ به وانتهى الأمر بقتل مالك • وفي الردة والمرتدين حديث طويل لا نريد أن نجشملك مشقته فمقالنا يستهدف الكشف عن مكان الشعر في هذه الحقبة ونحن نقصر حديثنا عليه •

كان مالك بن نويرة اليربوعي شاعرا ، شريفا في قومه ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم - وأسلم - فاستعمله على صدقات قومه ، فلما علم بموت النبي صلى الله عليه وسلم فرق ما في يده من ابل الصدقة ، ونصح الأقرع بن حابس ، والقعقاع بن معبد أن يتأني في أمره فقال لهما :
اراني الله بالنعيم المندي

ببرقة رحرحان وقد أراني

ثمشى يابن عوذة فى تميم
وصاحبك الأقيرع تلحيانى

وقال معللاً لما فعل :

وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجىء من الغد
فان قام بالامر المخوف قائم
منعنا ، وقلنا : الدين دين محمد

فلما قتل مالك — فى خبر طويل — ذهب أخوه متمم بن نويرة ، ومعه
بعض الشعراء ، الى أبى بكر يشكون ما فعله خالد فقال ابو نمير السعدى :

ألا قل لحي أوطئوا بالسنايك
تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه بعرضه
وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف
عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك
الى غير أهل ، هالكا فى الهوالك

وصلى متمم بن نويرة مع أبى بكر الصبح ، ثم أنشد :
نعم القليل اذا الرياح تناوحت
تحت الازار قتلت يابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتلته
لو هو دعائك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته فقال :

لا يضمّر الفحشاء تحت ردائه
حلو شاتله غفيف المئزر
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسرا
ولنعم مأوى الطارق المتنور

ومن عيون الشعر العربى ، ومن أجمل المراثى قصيدة متمم فى رثاء
أخيه

لعمري وما دهرى بتأين مالك
ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه
فتى غير مبطان العشيات اروعا
وسعه عسر بن الخطاب وهو يقول من هذه القصيدة :
وكنّا كندمانى جذيمة حقبّة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

قال عسر : هذا والله التأين ، ولوددت انى أحسن الشعر فأرثى أخى
زيدا بثل ما رثيت به أخاك (1)

ولم يكن عمر وحده الذى يعجب بقصائد متمم فى أخيه مالك ،
ولكن يبدو أن صدق حزنه على أخيه قد طير مراثيه الى آفاق بعيدة ،

(1) الاغانى 14 : 67 — 68 ط الإسقامة

وثناقلتها الرواة ، وحجب الى الكثيرين سماع متمم بن نويرة - الا يكن
بشخصه فبالرواية عنه ، روى ابو الفرج بسنده قال : بينا طلحه والزبير
يسيران بين مكة والمدينة اذ عرض لهما أعرابي ، فوقفا ليمضى فوقف ،
فتعجلا يسبقاه فتعجل ، فقالا : ما أعجلك يا أعرابي ، تعجلنا لنسبقك
فتعجلت ، فوقفنا لتمضى فوقفت . فقال : هباني خفت الضلال فأحببت أن
استدل بكما ، أو خفت الوحشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة :
من أنت ؟ قال : أنا متمم بن نويرة فقال طلحة : واسوأناه لقد مللنا غير
مملول ، هات بعض ما ذكرت في اخيك من البكاء . فزوجوه أم خالد فبينما
هو واضع رأسه على فخذهما اذ بكى فقالت : لا اله الا الله ، أما تنسى
أخاك ، فأنشأ يقول :

أقول لها لما نهتني عن البكا
أفى مالك تلحيننى أم خالد
فان كان اخوانى اصابوا وأخطأت
بنى أمك اليوم الحتوف الرواصد
فكل بنى أم سيمسون ليلة
ولم يبق من أعيانهم غير واحد (1)

ولقد ظلت رواية الشعر تبحث عن قصائد متمم آجالا طويلة ، فكانت
ميراثا لأحفاد متمم ، أخبر بذلك محمد بن سلام الجمحي فقال : أخبرنى
أبو عبيدة ان ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما قدم
له البدوى في الجلب والميرة ، فنزل النحيت فأثيته أنا وابن نوح العطاردى
فسألناه عن شعر أبيه متمم (يقصد جده) وقمنا له بحاجته ، وكفيناه ضيعته
فلما نقد شعر أبيه جعل يزيد فى الاشعار ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام

(1) الاغانى 14 : 69 ط الاستقامة

متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله (1) وأبو عبيدة كما نعلم أحد ثلاثة يعتبرون عصب الرواية في تاريخ الرواية كلها •

وقلما تجد انتاجا أدبيا في غير قرى الحجاز الا وهو صادر عن عصبيتهم الماضية ، وحسرتهم عليها وهذه صورة بدت في شعر ابن بقلعة وهو عمرو ابن عبد المسيح حين أخضع خالد بن الوليد رؤساء الحيرة فقال يتحسر على ماضيه :

أبعد المنذرين أرى سواما
تروح بالخورق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرعى
قلوصا بين مرة والحفير
فصرنا بعد هلك أبى قبيس
كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد
علانية كأيسار الجزور
وكنال يرام لنا حرير
فنحن كضرة الضرع الفخور
تؤدي الخرج بعد خراج كسرى
وخرج من قريظة والنضير
كذلك الدهر دولته سجال
فيوم من مساء أو سرور (2)
الى غير ذلك من الاحداث التي صدرت في عهد ابى بكر •

(1) طبقات فحول الشعراء 40 ط دار المعارف

(2) تاريخ الطبرى، 2 : 566

وفي عهد عمر

كان عمر رضى الله عنه من علماء الشعر ، يعرف جيده ، ويتحسس الجمال فيه ، ويتعرف على طعومه ، ويلذ لاستماعه ولا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر (1) ويحكى ابن عباس فيقول : خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها فقال لى ذات ليلة: يا ابن عباس ، أنشدنى لشاعر الشعراء . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبى سلمى . قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لانه لا يتبع حوشى الكلام ، ولا يعاقل من المنطق ، ولا يقول الا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل الا بما يكون فيه ، اليس الذى يقول كذا وكذا . أنشدنى له . فأنشدته حتى برق الفجر (2) . وهو يعجب بشعر النابغة ويتخير منه أبياتا يحفظها . سأل ثفرا من غطفان ، من الذى يقول :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى

على خوف تظن بى الظنون

قالوا : النابغة .

قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وقال يوما : من أشعر الناس ؟

قالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين .

قال : من الذى يقول :

الا سليمان اذ قال الاله له

قم فى البرية فاحدها من القند

وخبر الجن أنى قد اذنت لهم

يبنون تدمر بالصفاح والعمد

(1) البيان والتبيين 1 : 241

(2) الاغانى 10 : 290 — 291

قالوا : النابغة •

قال : فسن الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ربيعة
وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة
لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث - أى الرجال المهذب

قالوا : النابغة •

قال : فهو أشهر العرب (1) •

ولقى عذر بعض ولد هرم بن سنان فاستنشده شعر زهير فى أبيه
فأنشده فقال له : انه كان ليحسن فيكم القول • قال : ونحن والله ان كنا
لنحسن له العطاء فقال : لقد ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم (2) •

وهو يوصى بتعلم الشعر وروايته ويكتب الى ابى موسى الاشعري
(مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى
ومعرفة الانساب) (3) ، ويصف الشعر فيقول : الشعر جزل من كلام العرب
يسكن به الغيظ ، وتطفأ به الثائرة ، ويتبلغ به القوم فى ناديهم ،
ويعطى به السائل (4) •

وكل ما حاوله عذر هو الوقوف أمام نوع واحد من الشعر . هو شعر
الهجاء • ورأى فيه شيطانا للفرقة بعد أن جمع الله أمر المسلمين فنهى الناس

(1) الاغانى 11 : 4 ، العقد 5 : 281

(2) الاغانى 1 : 304 (3) العمدة 1 : 10

(4) العقد 5 : 281

أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الانصار ومشركى قريش وقال : فى ذلك شتم
الحى بالميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء فى
الاسلام (1) •

وكان عمر فى هذا يتطلع الى تماسك رعيته وجمع الناس على رأى
واحد ، وحاول عمر أن يهدر قيم الهجاء حتى يفقد أثره فى اذن السامع
ويتعطل هذا اللون من الشعر جاءه وفد من بنى العجلان يشكون اليه لسان
النجاشى وقد هجاهم بقوله :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة

فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انه دعا عليكم ولعله لا يجاب •

فقالوا : انه قال :

قبيلة لا يندرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء • وظل يحاورهم على هذا النحو الى أن
ضجوا ،

فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا

فقال : ما أسمع ذلك

فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت • فسأله فقال حسان : ما هجاهم ولكن

سلح عليهم (2) •

وتكرر موقف عمر هذا حين جاءه الزبرقان بن بدر يشكو الحطيئة
لقوله فيه :

(1) الاغانى 4 : 140

(2) العمدة 1 : 23 ط هندية سنة 1925

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر : ما أرى به بأسا
قال الزبرقان : والله يا أمير المؤمنين ما هجيت بيت قط أشد على
منه .

فبعث الى حسان بن ثابت وقال : انظر ان كان هجاء ، فقال : ما هجاء
ولكن سلح عليه (1) .

ولم يكن عمر يجهل موضع القسوة فى هذا الشعر ، ولكنه كان ييغى
خلع قيم شعر الهجاء حتى لا تعود الامة شيئا كما كانت فى الجاهلية ،
وحاول أخذ الهجائيين بالشدة والقى بالحطية فى غياهب السجن لولا أن
استعطفه بضعفه وضعف عياله بكلمات تذيب القلب يقول فيها :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه
ألقي اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها
لكن لانفسهم كانت بها الاثر (2)

ومع هذا الجهد الذى بذله عمر فانه لم يصب نجاحا فى محو شعر

(1) العقد 5 : 293

(2) العقد 5 : 293

الهجاء ولا التقليل منه اذ كان هذا اللون من الشعر يستمد دعامته وقوته من طبيعة البيئة ، ولم يستطع عمر نفسه أن يقاوم رغبة حسان في الثأر الأدبي كما يبدو من رواية أبي الفرج على الوجه التالي :

« نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الانصار ومشركي قريش وقال : في ذلك شتم الحى بالبيت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام ، فقدم المدينة عبد الله بن الزبيرى السهمى ، وضرار بن الخطاب الفهرى ثم المحاربى فنزلا على أبى أحمد بن جحش وقالوا له : نحب أن ترسل الى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا ، فأرسل اليه فجاءه فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الزبيرى وضرار قد جاءا يريدان أن يسمعاك وتسمعهما ما قالاك وقلت لهما . فقال ابن الزبيرى وضرار: نعم يا أبا الوليد ان شعرك كان يحتمل في الاسلام ولا يحتمل شعرنا وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا . فقال حسان : افتبدآن أم أبدا ؟ قالوا : نبدأ نحن . قال : ابدأ ، فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضبا ثم استويا على راحتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتهما وقصته ، فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشيء ان شاء الله وأرسل من يردهما ، وقال له عمر : لو لم تدركهما الا بمكة فارددهما على » .

وخرجا . . . فأقاما بالروحاء . . . حتى وافاهما رسول عمر فردهما اليه فدعا لهما بحسان ، وعمر فى جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسان : أنشدتهما مما قلت لهما ، فأنشدتهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف . فقال له عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . فقال له : أنشداك فى الخلاء ، وأنشدتهما فى الملأ (1) .

(1) الأغاني 4 : 140

ونستطيع ان نتصور موقف الشعر وموقف الشعراء فى عهد عسر من
المثال السابق ، ومن جرأة حسان على الخليفة فى موقف آخر عندما مر عليه
وهو ينشد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهره عسر ،
فقال حسان : لقد أنشدت فيه من هو خير منك : فانطاق عسر (1) .

وحفلت أيام عمر بالفتوح ، وفى هذا الباب وحده سيل من الشعر
والرجز لا يدركه الحصر ، ونكتفى منه بمثالين فى حرب القادسية سنة ١٦
من الهجرة . يقول قيس بن المكشوح المرادى فى هذه الواقعة :

حلبت الخيل من صنعاء تردى
بكل مدجج كالليث سام
وجئن القادسية بعد شهر
مسومة دوابرها دوام
فناهضنا هناك جع كسرى
وأبناء المرازبة الكرام
فلسا أن رأيت الخيل جالت
قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فهوى صريعا
بسيف لا أفلّ ولا كهام
وقد أبلى الاله هناك خيرا
وفعل الخير عند الله نام (2)
وفى ذات الواقعة يصفها بشر بن ربيعة فيقول :
تذكر هداك الله وقع سيوفنا
بباب قديس والمكر ضير

(1) الاغانى 4 : 143

(2) فتوح البلدان 261 ط ليدن

عشية ود القوم لو أن بعضهم
يعار جناحي طائر فيطير
إذا برزت منهم الينا كتيبة
أتونا بأخرى كالجبال تمور
فضاربهم حتى تفرق جمعهم
وطاعنت انى بالطعان شهير

وأما هذا الشعر كثير تجده في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وفي
تاريخ الطبري وفي أخبار متفرقة من كتاب الاغانى . وبحسبك من انواع
الشعر المختلفة في هذه الفترة فرائد حسان قيدها لطرافتها ، وكأنى أستريح
من قضية تحقيق الشعر في صدر الاسلام الى حديث الادب والحديث ذو
شجون .

كان أبو محجن عبد الله بن حبيب الثقفي يشرب الخمر في الجاهلية .
وكان رجلا شاعرا يردد من ذاكرته ما يساء تفسيره ، فأقام عمر بن الخطاب
عليه الحد مرارا ، وكتب الى سعد بن أبي وقاص بحبسه ، فلما كان يوم
القادسية سأل أبو محجن امرأة سعد ان تعطيه فرس سعد ، وتحل قيده
ليقاتل المشركين فان استشهد فلا تبعة عليه ، وان سلم عاد حتى يضع رجله
في القيد ، فاعطته الفرس ، وخلت سبيله وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى
بلاء حسنا الى الليل ثم عاد الى حبسه وهو يقول :

لقد علمت ثقيف غير فخر
بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا

وأنا رفدهم فى كل يوم
فان جحدوا فسل بهم عريفا
وليلا قادس اسم يشعروا بى
ولم أكره لمخرجى الزحوف
فان أحبس فقد عرفوا بلائى
وان اطلق اجرعهم حتوف

فقلت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟
فقال : أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب
شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فينفثه أحيانا
فحبسنى لانى قلت :

إذا مت فادفننى الى أصل كرمه
تروى عظامى بعد موتى عروفا
ولا تدفننى فى القلاة فأنسى
أخاف اذا ما مت ألا أذوقها (1)

وفى هذا - زيادة على طرافة الخبر - دليل على أن السنة الشعراء
تعيش فى ماضيها ، وفى وجدانها لا تقصد من قول الشعر الا قول الشعر
أحيانا ، ولقد سمع عمر قول أبى محجن يوما :

وانى لذو صبر وقد مات اخوتى
ولست عن الصباء يوما بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها
فخلانها يكون حول المعاصر

(1) الاغانى 21 : 138 وما بعدها ط التقدم

فقال عمر : قد أبديت ما فى نفسك ولأزيدك عقوبة لاصرارك على شرب الخمر ، فعارضه علىّ عليه السلام قائلاً لعمر : ما يجوز ان تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله فى الشعراء (وانهم يقولون ما لا يفعلون) •

ولنسرع الخطا مع عثمان وعلىّ فالسار يكاد يكون متماثلاً رتبياً ، والاحداث متشابهة وألسن الشعراء تشارك فى كل صغيرة وكبيرة •

بويح لعثمان بن عفان بالخلافة سنة أربع وعشرين ، وقبل أن تتم البيعة واجهته قضية عبید الله بن عمر ، فلقد شهد نفر من الناس أن الهرمزان ، وجفينة كانا شريكى أبى لؤلؤة فى قتل عمر ، فامسك بسيفه وقتلها ، وانتظر المسلمون كيف يخرج عثمان من هذه الازمة ، كيف يأمر بقتل عبید الله بن عمر ودم والده لم يجف بعد - أو كيف يصفح فيضع سابقة فى قضاء الخلفاء - قيل أن عثمان أمر بدفع الديات وتحملها هو ، وبقيت الواقعة تداعب أذهان الناس ، وعرض لها بعض الشعراء فكان كلما تقابل زياد بن ليلى البياضى مع عبید الله بن عمر ذكره بفعلته قائلاً :

الا يا عبید الله ما لك مهرب
ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله فى حله
حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شىء غير أن قال قائل
اتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمّة
نعم اتهمه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد فى جوف بيته
يقلبها والامر بالامر يعتبر

فشكاه عبيد الله الى عثمان ، فقال زياد في عثمان أيضا :

أبا عمرو ، عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان
فأنك ان غفرت الجرم عنه وأسباب الخطا فرسا رهان
لتغفو اذ غفوت بغير حق فما لك بالذي تخلى يدان (1)

وفي عهد عثمان استمرت الفتوح والغزوات والتصدي لاعداء المسلمين ، فقد نقضت الاسكندرية عهدها فغزاها عمرو بن العاص سنة ٢٥ ، وتم فتح أفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27 وتم فتح قبرص على يد معاوية بأمر عثمان في سنة 28 ، وفي عهده قامت الدعوة التي حمل لواءها أبو ذر حين أخذ يدعو للاشتراكية ويحرض الفقراء على الاغنياء وشارك الشعر في هذه الاحداث ومثيلاتها .

وكان على شاعرا ذكر له صاحب كتاب العمدة شعرا يوم صفين يذكر فيه همدان ونصرهم اياه (2) وذكر صاحب العقد بسنده عن سعيد بن المسيب ان ابا بكر كان شاعرا وكان عمر شاعرا، وكان على أشعر الثلاثة (3) وكان اذا اراد المبارزة في الحرب انشأ يقول :

أى يومى من الموت افر
يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجو الحذر

ويعجب بأرض الكوفة فاذا سار فيها ارتجز بقوله :

(1) تاريخ الطبرى 3 : 302 — 303

(2) العمدة 1 : 14 ط هندية 1925

(3) العقد 5 : 283 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

يا حيذا السير بأرض الكوفة
أرض سواء سهلة معروفة
تعرفها جمالنا المعلوفة (1)

ومن قوله يوم صفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها
إذا قيل قدمها حصين تقدما
يقدمها في الصف حتى يزيها
حياض المنايا تقطر السم والدم
جزى الله عنى والجزاء بكفه
ربيعه خيرا ما أعف وأكرما (2)

وكان يطرب لسماع الاشعار ويشيب عليها - وقف عليه أعرابي وشكا
حاجته فاذن لعلامه قنبر أن يدفع اليه حلة من حله ، فلما أنشده شعرا قال
على : يا قنبر اعطه خمسين دينارا ، وتلفت الى الاعرابى قائلا : اما الحلة
فلسألتك واما الدنانير فلا أدبك (3) .

وكانت وقعة الجمل سنة ثلاثين وست ، وصبر الفريقان بعضهم لبعض ،
وحمل على نفسه وقاتل حتى اثنى سيفه ، وخرج فارس أهل البصرة
عمرو بن الأشرف لا يخرج اليه احد من أصحاب على الا قتله وهو يرتجز :

يا أمنا يا خير أم نعلم
والأم تغذو ولدها وترحم
الا ترين كم جواد يكلم
وتختلى هامته والمعصم

ولم تهدأ المعركة بالسيف واللسان الا بعد ان كشفوا عرقوب الجمل

بالسيف (4) .

(1) العقد 5 : 287 (2) العقد 5 : 283 (3) العقد 5 : 274

والارشاد القومى

(4) الاخبار الطوال 152 لابي حنيفة الدينورى ط وزارة الثقافة

فلما نزل على الكوفة في نفس العام حرضه الشنشي على السير
للشام بقوله :

قل لهذا الامام قد خبت الحر
ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب نكث العهد
سد، وبالشام حية صماء
تنفث السم ، ما لمن نهشته
فارمها قبل أن تعض شفاء (1)

وتوالى الاحداث ، وكانت وقعة صفين في السنة التالية حين وفد
على معاوية رجل تسمى بالحجاج بن خزيمة بن الصمة أخذ يحرضه بقوله :

ان بنى عمك عبد المطلب
هم قتلوا شيخكم غير الكذب
وأنت أولى الناس بالوثب فثب
وسر مسير المحزئ للتلثب
فضاق معاوية بما اتاه به الحجاج وانشأ قصيدته الطويلة :
اتانى أمر فيه للناس غمة
وفيه بكاء للعيون طويل

القصيدة (2)

وأحداث هذه الفتنة مليئة بالاتفاعلات التي صورها الشعراء ، والتي
لم نجد ضرورة في نقلها مكتفين بالإشارة إليها . (3)

(1) الاخبار الطوال 152 (2) الاخبار الطوال 155 — 156

(3) راجع تاريخ الطبرى ، وكتاب الاخبار الطوال

الشعر في البادية

رأيت فيما قرأت شعرا يرتبط بالدعوة على وجه من الوجوه ، لها أو عليها أو حولها ، وتستطيع أن تعتبر الدعوة محورا جديدا يدور حوله هذا اللون من الشعر نضيفه السى منزعين عرفا فى الجاهلية هما : العصبية ، واشباع النزوع الفنى . ولقد عاش هذان التياران فى البادية ، ولم تتأثر البادية بالدعوة الاسلامية فى كثير ، فالاعراب كما يصفهم القرآن الكريم (أشد كفرا وثقاقا ، وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) .

ولقد تسألنى عن الأعشى وقد أعد قصيدته المعروفة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم بالخروج اليه ليعلن اسلامه كما تحكى الأخبار وكتب الأدب ، فالرأى عندى أن الاعشى لم يتأثر بالاسلام ، وكان مجيئه استمرارا لمسلكه فى الجاهلية فالشعر عنده متجر يتجر به ، ولا بن رشيق كلام فى هذا يحكيه فى كتاب العمدة فيقول : (كانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهاة او مكافأة عن يد لا يستطيع على اداء حقها الا بالشكر اعظاما لها . . . حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر . . . وتكسب زهير بن أبى سلمى يسيرا مع هرم بن سنان ، فلما جاء الاعشى جعل الشعر متجرا يتجر به نحو البلدان (1)

والمشهور فى قصة الاعشى انه خرج الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدة بين صلح الحديبية وفتح مكة ليعلن اسلامه ووجهته الى يثرب كما يقول فى البيت الثامن :

الا أيهذا السائلى أين يمت

فان لها فى أهل يثرب موعدا

(1) العمدة 1 : 49 ط هندية سنة 1925

فالتقت به قريش ، وكرهوا اليه الاسلام فعاد الاعشى راجعا الى
اليمامة ، ومات من عامه . والذي يمعن النظر في القصيدة يرى أن الاعشى
جاء يطلب عطاء الرسول ، لان الاعشى كما يدعى لاقى الكثير من تقلب
الدهر ولذلك أمضى عمره في جمع المال :

شباب وشيب وافتقار وثروة
فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع
وليدا وكهلا حين شبت وأمردا

وتأتى الدعوة الاسلامية والاقتناع بها في المرتبة الثانية أو الثالثة ،
يدلك على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم في نظره رجل ذهب صيته في
كل مكان ، وهو يغمر الناس بصدقاته ولا يمنعه عطاء اليوم أن يعطى فى
الغد :

نبي يرى ما لا ترون وذكره
اغار لعمرى فى البلاد وانجدا
له صدقات ما تغب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا

ولو كان الرجل صادق الايمان لما رضى بمائة من الابل ثمنا لرجوعه .
لقد كان الاعشى فى سبيل المال لا يفرق بين نبي ومتنبيء ، وكان على
استعداد لأن يهجو الكريم الذى اعطاه واكرمه اذا وجد من هو اكرم منه .
والاعشى أعد قصيدته فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فلما وجد من
عجل اليه بالعطاء ترك قصده الأول ، وهذه لا تختلف فى كثير مع ماضيه ،
ويحكى أبو الفرج خبرا تدرك منه هذه الدلالة :

— أتى الأعشى الأسود العنسى ، ونحن نعرف أن الأسود واسمه
عبهلة بن كعب كان كاهنا مشعوذا ، وادعى النبوة ، أتى اليه الأعشى
ومدحه فاستبسط جائزته ، فقال : ليس عندنا عين ، ولكن نعطيك عرضا ،
فأعطاه خمسمائة مثقال ذهنا ، وبخسمائة حللا وعنبرا • فلما مر ببلاد بني
عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال له : أجرنى ، فقال : قد
أجرتك • قال : من الجن والانس ؟ قال : نعم • قال : ومن الموت ؟ قال : لا •
فأتى عامر بن الطفيل فقال : أجرنى • قال : أجرتك • قال : من الجن والانس ؟
قال : نعم ، قال : ومن الموت ؟ قال : نعم ، قال : وكيف تجيرنى من الموت ؟
قال : ان مت وأنت فى جوارى بعثت الى اهلك بالدية • فقال : الآن علست
أنك قد أجرتنى من الموت فمدح عامرا وهجا علقمة (1) •

وقصارى ما يقال فيه أنه أعرابى من وصفهم القرآن الكريم بالكفر
والنفاق •

وهذا فارس من فرسان العرب يذهب لمقابلة النبى صلى الله عليه
وسلم لا ايمانا بالدعوة ولكن ليكون له الامر من بعد الرسول • كان عامر
ابن الطفيل من فرسان العرب ومن شياطينهم حتى خافه عسرو بن معد
يكرب ، فقال يوما : ما أبالى من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقنى
حرّاها وهجيناها يعنى بالحرين عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن
شهاب ، وبالعبدى عنترة ، والسليك ابن السلكة (2) •

سبع عامر بن الطفيل بالدعوة الاسلامية وتابع أخبارها فهالته منزلته
النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ير فى الدعوة الا صورة من الملك والعزة
المانعة ، فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يساومه أن يسلم هو وقومه •

(1) الاغانى 9 : 120 — 121

(2) الاغانى 8 : 246 ط دار الكتب

على أن يكون له الأمر بعد الرسول فقال : يا محمد ما لى ان أسلمت ؟

فقال : لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين

قال : أتجعل لى الأمر من بعدك ؟

قال : ليس ذلك لك ولا لقومك

قال : أفتجعل لى الوبر ولك المدر ؟

قال : لا ، ولكن أجعل لك أعنة الخيل فانك امرؤ فارس

قال : أو ليست لى ؟ لأملأنها عليك خيلا ورجلا (1) •

ومن العرب من أسلم كما يسلم الناس بعد أن أحاطت به الدعوة من كل جانب • كان ابن أبى بن مقبل جافيا فى الدين يبكى أهل الجاهلية فى شعره ف قيل له : تبكى أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ فقال :

وما لى لا أبكى الديار وأهلها

وقد زارها زوار عك وحميرا

وجاء قطا الأجباب من كل جانب

فوقع فى اعطائنا ثم طيرا (2)

واذا فتشت فى أفئدة الناس وجدت هواهم مع قبائلهم - عصبية أعمتهم عن الهدى - ففى غزوة حنين جمع مالك بن عوف النصرى هوازن وثقيف ... واشتدت الحملة على المسلمين - قال ابن اسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاسة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ... وصرخ جيلة بن الحنبل (قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل) وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا بطل السحر

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد 3 : 310 ط دار صادر

(2) طبقات فحول الشعراء 125 ط دار المعارف

اليوم • فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لان يربني رجل من قريش أحب اليّ أن يربني رجل من هوازن (1) •

فاسلام أبي سفيان لم يصدر عن عقيدة أو ايمان ، وانما أسلم حين وجد نفسه في قلة ، وأسلم بلسانه ، وظل قلبه يرجو الهزيمة للمسلمين — وأما كلدة أو جبلة بن الحنبل فقد رأى رأى السابقين من الجاهليين انه السحر ، وقد بطل اليوم ، وأما صفوان فانه لا يريد النصرة للنبي ايماناً برسالته ولكن فرارا من هوازن ، وخير عنده أن يجد ربا من قريش بدلا من هوازن •

وامتنعت ثقيف عن المسلمين ، وامتدحهم عيينة بن حصن ووصفهم بقوله : مجدة كراما ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى والله ما جئت لاقا تل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتتطئها لعلها تلد لى رجلا (2) •

وما رأيك فى منظور بن زبان وهو رجل فى ذروة الشرف وسيد قومه ، من بنى فزارة يتزوج مليكة بنت سنان زوج أبيه ، لقد كانت هذه العادة مباحة على كراهية فى الجاهلية فما بال الرجل يقترفها فى الاسلام ، وما عذره الا هوان دينه عليه — لقد تزوجها ولم تزل معه الى خلافة عمر ، وكان يشرب الخمر ايضا فرفع امره اليه فأحضره وسأله عما فعل فاعترف به وقال : ما علمت انها حرام ، فحبسه الى وقت صلاة العصر ثم أحلفه انه لم يعلم ان

(1) السيرة 4 : 73

(2) السيرة 4 : 130

الله جل وعز حرم ما فعله فحلف — فيما ذكر — أربعين يميناً فخلى سبيله
وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنك حلفت لضربت عنقك *
قال ابن الكلبي في خبره : اتكح امرأة أبيك وهي أمك ؟ أو ما علت
أن هذا نكاح المقت ؟ وفرق بينهما فتزوجها محمد بن طلحة فلما طلقها أسف
عليها وقال فيها :

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر
إذا منعت مني مليكة والخمر
فإن تك قد أمست بعيداً مزارها
فحيّ ابنة المرّى ما طلع الفجر
لعمري ما كانت مليكة سوءة
ولا ضم في بيت على مثلها ستر

وقال أيضاً :

لعمري أبى — دين يفرق بيننا
وبينك قسراً — أنه لعظيم
وهو لا يقصد بالعظيم كلمة التبجيل ، فلقد رآها مرة وهي تمشي في
الطريق فقال : يا مليكة ، لعن الله ديناً فرق بيني وبينك (1) ،
ولاحظ الأستاذ كارل نلينو في قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد)
والتي قيلت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة
أنها تجري على طريقة أهل البادية في مدح سادتهم لولا الأبيات التي يقول
فيها :

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

(1) الاغانى 12 : 194 — 195

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ
قرآن فيه مواعيل وتفصيل
ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول (1)

والحقيقة أن محبوبته قد استحوذت وحدها على سبعة وثلاثين بيتاً!
قبل أن يقول : نبئت أن رسول الله

ولم يكن الحطيئة بأحسن من الاعشى مسلماً ، فكلاهما تكسب
بالشعر ، الاعشى بالمديح ، والحطيئة بالهجاء ، وكان الحطيئة كصاحبه على
استعداد لأن يهجو الكريم اذا وجد من هو اكرم منه ، لقد لقي الزبرقان بن
بدر فسأله الاخير عن وجهته فقال الحطيئة : العراق ، وددت أن أصادف بها
رجلاً يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحى أبداً . فقال له الزبرقان : قد
أصبتة فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك أحسن جوار وأكرمه ؟
فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كله - ثم أرسله
الى أهله وأوصى بالاحسان اليه ، فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس وكان
على خلاف مع الزبرقان بن بدر فذهب ومعه قومه من بني أنف الناقة الى
الحطيئة وألحوا عليه فأجابهم ، فضربوا له قبة وربطوا بكل طنابها
جلة هجرية (الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر) وراحوا عليه
ابلهم ولم يلبث أن هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر وناضل عن بغيض
في قصيدة طويلة يقول فيها للزبرقان :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

(1) تاريخ الاداب العربية لكارل نلينو 89

وكاد عمر يفتك به لولا أن استعطفه بأبياته المشهورة :
ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
فلما أطلقه قال له : اياك وهجاء الناس ، قال الحطيئة : اذا يموت عيالى
جوعا ، هذا مكسبى ومنه معاشى !! (1)

وللحطيئة حادثان هما أشد من هذا الخبر دلالة على أعرابيته المتمردة
الجافية لقد سمع بموت النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر رضى
الله عنه فلم يطل به الوقت حتى ارتد مع المرتدين وقال متهمًا على خليفة
المسلمين :

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا
فيا لعباد الله - ما لأبى بكر
أيورثها بكرة اذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر (2)

وظل خبيثا بالرغم من تصنعه العودة الى الاسلام يدلك على ذلك هذا
الحدث الثانى حين حضرته الوفاة ، فقد اجتمع اليه قومه يستوصونه فكانت
وصيته أخبث وضية سمعنا بها ونحن نربأ بهذا الورق أن يلتاث بها مكتفين
بالاشارة اليها (3) .

(1) الاغانى 2 : 179

(2) الاغانى 2 : 157

(3) الاغانى 2 : 195 - 197

ومالك بن نويرة من الذين قالوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم،
وقصة مالك كقصة هؤلاء الاشراف من الاعراب الذين رأوا في دفع الزكاة
انتقاصا من أقدارهم ، وحدّا من حريتهم وكانوا قبل في الجاهلية يصرفون
أمورهم وفق مشيئتهم ، قدم مالك بن نويرة على النبي صلى الله عليه وسلم
فولاه صدقات قومه من بنى يربوع فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم
فرق ما في يده من ابل الصدقة وهان الاسلام في نظره وكأنه لم يخش في
الاسلام الا قوة النبي كحاكم ، وأن الدين هو دين محمد فاذا انتهى أمر
محمد فقد انتهى أمر الدين أيضا في نظره ، يقول حين أخذ يوزع أموال
الصدقة :

وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجيء به الغد
فان قام بالامر المخوف قائم
منعنا - وقلنا : الدين دين محمد

فالرجل قد وزن الامر بسيزانه ، ورأى أنه سيسأل عما فعل ، ولماذا
خالف أمر الجماعة وفرق أموال المسلمين فأوعز اليه شيطانه بحجة يقولها
حين يسأل عن ذلك وهي أن الدين دين محمد ، وكنا ندين له - أي نطيعه -
ونحن الآن نمنع زكاة محمد عن القائم مقامه - ولم يستمع الى نصيح
الأقرع بن حابس المجاشعي ، والقعقاع بن معبد الدرامي فقال يعتب عليهما :

أرائني الله بالنعيم المندي
ببرقة رحرحان وقد أرائني
تمشى يابن عوذة في تميم
وصاحبك الأقيرع تلحيانى

ويعود سبب قتله الى ثقافته ايضا ، والمشهور في هذا أن اجابته على

خالد بن الوليد كانت تتضمن سطحية الايمان • راجعه خالد فيما فعل فقال :
انى آتى بالصلاة دون الزكاة فقال خالد بن الوليد : أما علمت أن الصلاة
والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى ؟ فقال مالك : قد كان صاحبك يقول
ذلك •

قال خالد : وما تراه لك صاحباً ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك ،
ثم تجاوزا بالكلام الطويل فقال له خالد : انى قاتلك • قال : أوبذلك أمرك
صاحبك ؟
قال : وهذه بعد تلك والله لأقتلنك (1) •

الصعلكة كصورة بدوية

بقيت صورة الصعلكة كما كانت فى الجاهلية لم يغير من ذلك أن
العرب قد أصبحوا يدينون بدين سماوى يحرم الاغتصاب ، وتحت ظل
حكومة ترعى الحقوق وتؤمن اصحابها ، ولا تكاد تجد اختلافا بين قصيدة
لأبى النشاش النهشلى الذى كان يعيش فى العصر الاموى وبين قصيدة فى
نفس الغرض لعروة بن الورد الجاهلى •
يقول عروة مثلاً :

اقلى على اللوم يابنة منذر
ونامى فان لم تشتهى النوم فاسهرى
ذرينى ونفسى أم حسان انسى
بها قبل ألا أملك البيع مشترى
أحاديث تبقى والفتى غير خالد
إذا هو أمسى هامة تحت ضير

(1) الاغانى 14 : 63 وما بعدها فى اخبار متم ومالك والفقرة الاخيرة
من لفظ ابن خلكان ، وانظر طبقات فحول الشعراء للجمحى 171

ذرينى أطوف فى البلاد لعلمنى
أخليك أو أغنيك عن سوء محضر

الى أن يقول :

ولله صعلوك صفيحة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور
فذلك ان يلق المنيّة يلقها
حميدا ، وان يستغن يوما فأجدر (1)

ويقول ابو النشاش اللص الذى كان يعترض القوافل فى شذاذ
من العرب بين الحجاز والشام :

وسائلة أين الرجيل وسائل
ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
وداوية يهماء يخشى بها الردى
سرت بأبى النشاش فيها ركائبه
ليدرك ثأرا أو ليدرك مغنما
جزيلا وهذا الدهر جم عجائبه
اذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح
سواما ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من قعوده
فقيرا ، ومن مولى تابش عقاربه

(1) الاصمعيات 37 — 39

ولم أر مثل الهسم ضاجعه الفتى
ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فمت معدما ، أو عش كريما فانتى
أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
ولو كان شىء ناجيا من منية
لكان اثير" يوم جاءت كتائبه (1)

فهل ترى كبير اختلاف بين هذه القصيدة وتلك بالرغم مما جاءت به
الدعوة من مثل تناهض هذا المسلك الجاهلى ؟
وستجد حين تتحدث عن الشعر فى العصر الاموى انه قد عاد - أو
أعيد - فى أكثره الى العصبية الجاهلية .

(1) الاصمعيات 125 - يرجح الاستاذ عبد السلام هارون شارح
الاصمعيات ، ان اثيرا هو اثير بن عمرو السكونى الطبيب الذى
دعى لعلاج على بن ابي طالب حين ضربه ابن ملجم .

الفصل الثالث

الشعر في العصر الأموي

تمهيد

هنا نسرع الخطا — بعد أن تناولنا قضية الشعر في صدر الاسلام بشيء من التفصيل كان الغرض منه أن نقف موقف المناقش لقضية أثارها ابن سلام الجمحي تشير في محصلتها الى تمهل الشعر وذهاب رواته على النحو الذي سنتكلم فيه في آخر الباب . أما الآن وقد بات واضحا في غير مكابرة وفرة الشعر ووصول أكثره إلينا فلا نجد داعيا للتفصيل وحسبنا خطوطه العريضة لنفرغ الى وجه آخر هو رأى رواة اللغة في الشعر وفي الشعراء ، وقد اعتمدوا في رواية اللغة — جل الاعتماد — على هذا المصدر حتى كاد يشكل عصب الرواية اللغوية .

اتخذت الدولة الاموية عاصمة الخلافة في دمشق ، وكان من سياسة

الأمويين صرف المطالبين بالخلافة عن أغراضهم فسلكوا فى ذلك مسالك شتى منها :

— تسليط الترف والغناء على شباب الهاشميين فى الحجاز فنشأ شعر الغزل •

— واعادة العصبية بين القبائل والجماعات فى العراق فنشأ شعر الهجاء وشغل به الناس •

وكاد معاوية يطمئن الى هذه السياسة بعد أن أحكم تدبيرها ، وأصر الى اليمينين ليكونوا عوناً له على ما هو بسبيله ، لولا موقف ابن الزبير فى الحجاز ، وموقف الخوارج فى كل مكان •

شعر الغزل

لجأ معاوية الى صرف الشباب الهاشميين عن المطالبة بالخلافة ، فجعل عطاءهم وفرا ، وبعث اليهم بالمغنين والمغنيات ، وتركهم الى الدعة والراحة حتى خرج من هذه البيئة المترفة أرق شعر فى الغزل — كان شعراء الجاهلية يتناولون النسب فى أول القصائد ولا يفردون للغزل الا مقطعات قصيرة فاذا بالحجاز يموج بالقصائد الغزلية حتى دهش النقاد لشيوع الشعر فيهم فقالوا : (كانت العرب تفضل قریشا فى كل شىء الا الشعر ، فلما نجم فى قریش عمر بن أبى ربيعة ، والحارث بن خالد المخزومي ، والعرجي ، وأبو دهل ، وعبيد الله بن قيس الرقيات أقرت لها العرب بالشعر أيضا) (1)

سمع الفرزدق من عمر بن أبى ربيعة قصيدته التى يقول فيها :

لما التقينا واطمأنت بنا النوى

وغيب عنا من نخاف ونشفق

(1) الاغانى 1 : 149

حتى انتهى الى قوله :

فقمى لكى يخلينا فترقرقت

مدامع عينيها وظلت تدفق

وقالت : اما ترحمنى لا تدعننى

لدى غزل جم الصباة يخرق

فقلن : اسكتى عنا فليست مطاعة

وخلك منا : فاعلمى ، بك أرفق

فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب اغزل الناس ، لا يحسن
والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه
الرقية (1) .

وكان جرير ينفس على عمر بن أبى ربيعة شعره ويصفه بأنه شعر
تهامى اذا أنجد وجد البرد حتى سمع من رائيته : أمن آل نعم أنت غاد
فمبكر :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت

فيضحي وأما بالعشى فيخصر

..... الايات فقال : ما زال هذا يهذى حتى قال الشعر (2)

ووصل الأمر أن كان غلاة المسلمين يسمعون مثل هذا الشعر فتجذبهم
اليه رفته وعذوبته ، فشغفوا به ، سمع سعيد بن المسيب وهو على رأس
فقهاء المدينة شعرا قاله محمد بن عبد الله النميرى من أهل الطائف فى
زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف من رجل يغنى بذلك
الشعر فى أزقة مكة ، فلما وصل الى البيت :

(1) الاغانى 1 : 149

(2) الاغانى 1 : 173

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت
به زينب فى نسوة عطرات
ضرب برجله وقال : هذا والله مما يلذ سماعه (1) •

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة
فى المدينة ، ومن أعلام التابعين يقول من شعر الغزل :
شقت القلب ثم ذروت فيه
هواك فليم فالتام الفطور
تغلغل حيث عتمة فى فؤادى
فباده مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور

ف قيل له : أتقول مثل هذا ؟ فقال : فى اللدود راحة المفثود ولا بد
للمصدور ان ينفث (2) ، ويقول : لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل
يوم (3) •

وكانت سكينه بنت الحسين بن على رضى الله عنه سيدة نساء عصرها
ولها حكايات طريفة مع الشعراء فى هذا السياق ، من ذلك ما يروى أنها
وقفت على عروة بن اذينة وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين فقالت
له : أنت القائل :

إذا وجدت اوار الحب فى كبدى
ذهبت نحو سقاء الماء ابترد

(1) وفيات الاعيان 2 : 131 فى ترجمة سكينه بنت الحسين رقم 254

والعقد الفريد 5 : 289

(3) الاغانى 1 : 73

(2) الاغانى 1 : 72

هبنى بردت يبرد الماء ظاهره
فمن لنار على الاحشاء تتقد ؟

فقال لها : نعم فقلت : وأنت القائل :
قلت وأبثتها سرى وبحث به
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
أست تبصر من حولي فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصرى ؟
قال : نعم ، فالتفتت الى جوارٍ كن حولها وقالت : هن حرائر ان كان
خرج هذا من قلب سليم قط (1) ♦

وكان ابن عباس يستريح من مجلس الفقه والتفسير الى سماع شعر
ابن أبي ربيعة ولقد عاتبه نافع بن الأزرق على هذا المسلك قائلاً له : الله
يا ابن عباس !! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن
الحلال والحرام فتتناقل عنا ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك
كذا وكذا مشيراً الى قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر (2)

ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة فقال : انا
نستجيدها (3) ♦

(1) وفيات الاعيان 2 : 131 فى ترجمة سكينه بنت الحسين رقم 254

والعقد الفريد 5 : 289

(2) الاغانى 1 : 72 ط دار الكتب

(3) الاغانى 1 : 73

وكاد مالك بن أنس - لشيوع الغناء فى بيئة المدينة - يتعلق بالغناء وينصرف اليه لولا أن وجهته أمه الى الفقه ، وهو يحكى ذلك فيقول :
(نشأت وأنا غلام اتبع المغنين وآخذ عنهم فقالت لى أمى : يا بنى " ان " المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه فانه لا يضر معه قبح الوجه فتركت المغنين واتبعت الفقهاء) (1) .

ويبدو أن النواح والغناء يصدران من منبع قريب ويتخذان الشعر وسيلة للتعبير عنهما - حدث ابن جاعم عن شيوخ من أهل مكة ان سكينه بنت الحسين عليهما السلام بعثت الى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنا يناح به فصاغ فيه ، وهو الآن داخل فى غنائه ، ومن هذا الشعر :

يا أرض ويحك أكرمى أمواتى

فلقد ظفرت بسادتى وحماتى (2)

الشعر فى العراق

وبينما كان هذا الغزل الرقيق يجرى فى أرجاء الحجاز كان فى العراق لون آخر نتيجة لطبائع ساكنيه ، فلم يكن فيه راحة ودعة كما كان الأمر فى الحجاز ولكن اختلفت الأهواء وتعددت المنازع ، والشعر لسان كل حزب ، كما ظهر فيه الهجاء الشخصى فى أوضح صورة .

ففى العراق دارت أكبر معركة أدبية فى التاريخ الأدبى كله ، بدأت بين جرير والفرزدق وتدخل فيها الراعى والأخطل وشغلت المجالس بأشعارهما فجاءت الأحكام عليهما متفاوتة ومتضمنة بعض خصائص الرجلين ، طلب من الصلتان العبدى ان يحكم بين الفرزدق وجرير فأشأ

(1) لاغانى 4 : 222

(2) الاغانى 1 : 97 ط الاستقامة فى اخبار ابن سريج

فيهما عينيته الطويلة ولا أبعد إنه أطال قصيدته لينال شهرة الرجلين ومنها :
سأقضى قضاء بينهم غير جائر
فهل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم
وليس له في المدح منهم منافع
قضاء امرئ لا يرتشى في حكومة
إذا مال بالقاضي الرشا والمطامع
وبعد أن يعد بالعدل في الحكم ، وانه سوف يصدر رأيه مجردا عن
الهوى يقول :

جرير أشد الشاعرين شكيمة
ولكن علتة الباذخات الفوارع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه
له باذخ لذى الخسيصة رافع
ثم يوهم بأن الفرزدق تملقه وناشده أن يقف بجانبه وأن يحكم له
على صاحبه :

يناشدني النصر الفرزدق بعدما
ألحت عليه من جرير صواقع
فقلت له : انى ونصرك كالذى
يثبت أثقا كشمته الجوادع (1)

وبلغ من أمرهما أن تنازع فيهما رجلان في عسكر المهلب فارتفعا اليه
وسألاه فقال : لا أقول بينهما شيئا ولكنى أدلكما على من يهون عليه
سخطهما •• أما أنا فما كنت لأعرض نفسي لهما • و انتهت القصة بالحكم
لجرير على صاحبه (2) •

(1) الشعر والشعراء 1 : 475 (2) الاغانى 8 : 7 — 8 دار الكتب

ويبدو أن الفارسين كانا يجريان في عنان واحد، شهد بذلك الفرزدق نفسه وإن نسب لنفسه القدرة على الإطالة فقال : انى وإياه لنعترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهر (1) وقال رجل من بنى دارم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فراس ، هل تعلم اليوم أحدا يرمى معك ؟ فقال : لا والله ما أعرف نابحا إلا وقد استكان ، ولا ناهشا إلا وقد انحجر إلا القائل :

فإن لم أجد في القرب والبعد حاجتى
تشأمت أو حولت وجهى يمانيا

الى آخر القصيدة وهى لجريسر (2) *

وبينما كان يونس بن حبيب ، والمفضل الضبى يقدمان الفرزدق فإن يونس كان يعترف بأن المجالس كانت تعقد للنظر في الحكم بينهما فما شهد مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق فأجمع أهل المجلس على أحدهما ، (3) وعند حماد الراوية لم ترجح كفة أحدهما على صاحبه فقد أنشده الفرزدق وسأله : هل أتيت جريرا ؟ قال : نعم ، فسأله : فأنا أشعر أو هو ؟ قال : أنت في بعض الأمر وهو في بعض (4) *

واستطاع الأخطل حين وافته المناسبة أن يدخل الحلبة وأن يجرى جريهما وأن يقرن معهما وأن يأتى سابقا أحيانا ، يروى أبو العساكر قال : كنا بباب سلمة بن عبد الملك فتذاكرنا الشعراء الثلاثة فقال أصحابى : حكمناك وتراضينا بك ، فقلت نعم ، هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن فى

(1) الاغانى 8 : 8.

(2) الاغانى 8 : 36

(3) طبقات فحول الشعراء 251

(4) الاغانى 8 : 36

رهان ، فأحدها سابق الدهر كله ، وأحدها مصلّ وأحدها يجيء أحيانا
سابق الريح واحدها سكيتا وأحيانا متخلفا ، فأما السابق في كل حالاته
فالاختل ، وأما المصلّى في كل حالاته فالفرزق ، وأما الذى يسبق الريح
أحيانا ويتخلف أحيانا فجرير (1) ♦

الهجاء

والمعركة التى دارت بين جرير والفرزدق واشترك فيها الاختل
والراعى أقامت دعائم فن الهجاء ، وأعلت شأنه حتى تمنى الشاعر أن
يعرف بهذا الوجه من الشعر ، ولقد حاول بشار بن برد أن يربط سببه
بجرير عن طريق هذا الفن ♦

ولقى ابن ميادة الشاعر ابن هرمة ، فقال ابن ميادة لصاحبه : والله
لقد كنت أحب أن ألقاك ، لا بد من أن تتهاجى ، ولقد فعل ذلك الناس
قبلنا فقال ابن هرمة : بئس والله ما دعوت اليه وأحبته - وهو يظنه
جادا - ثم قال له ابن هرمة : أما والله اننى للذى أقول :

انى لميمون جوارى واننى
إذا زجر الطير العدا لمشوم
وانى لملان العنان مناقل
إذا ما ونى يوما الف سثوم
فود رجال أن أمى تقنعت
بشيب يعشى الرأس وهى عقيم

فقال ابن ميادة : وهل عندك جراء ؟ (أى وهل فيك فتوة) ثكلتك

أمك • أنت الأم من ذلك ، ما قلت الا مازحا (1) •

وكان الفحول من الشعراء يتطلعون الى التعلق بهم أو يرتبط
سببهم بواحد منهم فيعلو ذكرهم ، وكان من هاجى جريرا فغلبه جرير أحسن
منزلة عندهم ممن هاجى شاعرا آخر فغلب ، مر راكب بالراعى وهو يغنى :

وعاوم عوى من غير شىء رميته
بقارعة أنفاذها تقطر الدما
خروج بأفواه البرواة كأنها
قرا هندوانى اذا هز صما

فأتبعه الراعى رسولا يسأله : لمن البيتان ؟ قال : لجرير • قال : لو
اجتمع على هذا جميع الجن والانس ما أغنوا فيه شيئا ، ثم قال لمن حضر :
ويحكم ألام على أن يغلبنى مثل هذا ؟ (2)

وأراد منازل بن ربيعة (اللعين المنقرى) أن يرتفع شأنه فلم يجد لذلك
من وسيلة الا أن يقحم نفسه بين الرجلين (جرير والفرزدق) وأن يبدأهما
المشاكسة لعل أحدهما يجيبه فيرتفع ذكره فقال فيهما :

سأقضى بين كلب بنى كليب
وبين القين قين بنى عقال
فان الكلب مطعمه خبيث
وان القين يعمل فى سفال
وقد حسر البعيث وأقعدته
لثيمات المناخر والسبال

(1) الاغانى 4 : 369 — 370

(2) الاغانى 8 : 9

ويترك جده الخطفى جرير

ويندب حاجبا وبني عقال

يقول يونس : فلم يلتفتا لفتة ، وأراد أن يذكر اه فيرفعه ذلك (1) •

ويقول بشار : هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرنى ، ولو

أجابنى كنت أشعر الناس (2) •

فلم يكن أمام الشعراء الفحول الا أن يجتمعوا يظاهر بعضهم بعضا للوقوف امام جرير - أقول الفحول لأن أخبارا كثيرة تشير الى شعراء وقموا رغبة فى هذه المنزلة فلم ينالوا شيئا وانصرف عنهم جرير امتهاناً لهم واستصغاراً لشأنهم - أما الفحول فإن الأصمعى يحكى من أخبارهم وقد ذكر جريرا فقال : (كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحدا واحدا ... وثبت له الفرزدق والاخلط) (3) •

وسمع الحجاج بأمر جرير بعد أن كتب له عامله الحكم بن أيوب بن يحيى أنه قدم على " أعرابى شيطان من الشياطين - فاستدناه الحجاج معجبا به وابتدره قائلا : ايه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقال جرير : جعلنى الله فداء الامير ، والله انى ما أظلمهم ، ولكنهم يظلموننى فانتصر ، ما لى ولا بن أم غسان ! وما لى وللبعيث ! ، وما لى وللفرزدق ! ، وما لى وللأخلط ! ، وما لى وللتيمى ! حتى عددهم واحدا واحدا . فقال الحجاج : ما أدرى ما لك ولهم ! قال : أخبر الامير أعزه الله • أما غسان فانه رجل من قومي هجاني وهجا عشيرتى وكان شاعرا •
قال : فقال لك ماذا ؟

(1) طبقات فحول الشعراء 342 — 343

(2) الاغانى 3 : 143

(3) الاغانى 8 : 8

قال : قال لى :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها
جرير (1) لقد أخزى كليب جريرها
رميت نضالا عن كليب فقصرت
مراميك حتى عاد صفرا جفيرها
ولا يذبحون الشاة الا بميسر
طويل تناجيها صغار قدورها

قال : فما قلت له ؟ قال : قلت :

الا ليت شعري عن سليط ألم تجد
سليط سوى غسان جارا يجيرها
فقد ضمنوا الاحساب صاحب سوءة
يناجى بها نفسا خبيثا ضميرها

الى آخر القصيدة (2) وعلى هذه الصورة أخذ الحجاج يسأل ،
وجرير يحكى فى خبر طويل تناول فيه موقفه مع البعيث ، والفرزدق ،
والاخطل ، وعمر بن لجأ التيمى وسراقة بن مرداس البارقى ، والمستنير بن
سبرة العبرى ، وراعى الابل ، والعباس بن يزيد الكندى ، وجفنة الهزاني
ابن جعفر بن عباية ، والمرار بن منقذ و قال جرير : وطلع الصبح
فنهض ونهضت قال : فأخبرنى من كان قاعدا معه أنه قال : قاتله الله
أعرايا ! انه لجرو هراش (3) .

هذه أمكنتهم فى نوع واحد من الهجاء ، هو الهجاء الشخصى ، أما
ما كان من أمر الأحزاب فأوسع مدى وأكثر نشاطا .

(1) هو جرير بن عبد الله البجلي

(2) الاغانى 8 : 15 (3) الاغانى 8 : 28

الخوارج (❖)

هذه التسمية كما جاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى تطلق على كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج فى ايام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين (1) .

وأول من خرج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين ، وأشدهم خروجاً عليه الأشعث بن قيس ، ومسعود بن فدكى التميمى ، وزيد بن حصين الطائى — ثم تفرق الخوارج بحسب معتقداتهم الى ست فرق رئيسية واشتدت شوكة بعضهم حتى بويج بالخلافة أو أطلق عليه اسم أمير المؤمنين فبويج بالامامة عبد الله ابن وهن الراسبى ، وقطرى بن الفجاءة المازنى وسمى أمير المؤمنين ، ونجدة بن عامر الحنفى ولك أن تتصور خطر الخوارج اذا علمت ان المهلب ابن أبى صفرة قد اشتبك فى حرب معهم تسع عشرة سنة .

استطاع معاوية أن يصانع الناس واسم يبق أمامه الا ابن الزبير والخوارج وعلى رأسهم فروة بن نوفل الذى هزم أمام رجال الامويين سنة 41 هـ — وفى سنة 45 هـ كان على البصرة زياد بن أبيه وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة فنكلا بالخوارج — ثم تولى زياد امر المدينتين ، ثم خلفه عبيد الله بن زياد فاشتد على الخوارج وقتل منهم جماعة كثيرة — ثم خرج

(❖) اقرا فى اخبار الخوارج من صفحة 202 وما بعدها من كتاب الاخبار الطوال ، وفى اشعارهم الجزء الثالث من كتاب الكامل للمبرد

(1) الملل والنحل للشهرستانى ص 155 على هامش الفصل فى الملل والنحل لابن حزم

مرداس ابو بلال وهو من ربيعة بن حنظله فى أربعين رجلا الى الأهواز
فبعث اليهم ابن زياد جيشا فهزموه فقال رجل من بنى تميم الله بن ثعلبة :

ألفا مؤمن منكم زعمتم
ويقتلهم بأسك أربعونا
كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكثيرة ينصروننا (1)

ولكن عبيد الله تعقبهم ، وفر أكثرهم الى بلاد الحجاز فتلقاهم ابن
الزبير وبين لهم أنه يرى رأيهم ولم يطل هذا الوئام عندما تبين لنافع بن
الازرق أنه لا يرى رأيهم فذهب بهم الى البصرة أولا ثم الى شرق العراق
ثانيا ، وكان للمهلب بن أبى صفرة وقائع مشهورة فى محاربة الخوارج ،
ولقد تركت هذه الاحداث ميراثا وفرا من الشعر ، وكان الخوارج حقيقة
- وأكثرهم من بنى تميم - يجمعون الى خلوص عروبتهم ايماننا عميقا
بمذهبهم وحسبك من أشعارهم مختارات ولمن اراد السعة فليطلبها فى
المراجع التى أشرنا اليها .

يقول قطرى بن الفجاءة وهو رجل مازنى تميمى يحدث نفسه
ويلومها :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ، ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى

(1) تاريخ الطبرى 4 : 232 حوادث سنة 58 ، والاخبار الطوال 269

فصبرا فى مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب الحياة بثوب عز
فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى
وداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم
وتسلمه المنون الى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة
إذا ما عد من سقط المتاع (1)

ولما شدد المهلب بن أبى صفرة الخناق على الخوارج ارتجز رجل
منهم :

حتى متى يتبعنا المهلب
ليس لنا فى الأرض منه مهرب
ولا السماء اين أين المذهب
فلما سمع قطرى بكى ووطن نفسه على الموت وباشر الحرب بنفسه
وهو يرتجز :

حتى متى تخطئنى الشهادة
والموت فى اعناقنا قلادة
ليس الفرار فى الوغى بعادة
يارب زدنى فى التقى عبادة
وفى الحياة بعدها زهادة (2)

(1) وفيات الاعيان 3 : 256

(2) الاخبار الطوال 276 — 277

وكان من شعرائهم عمران بن حطان وقد عرف بكرأته للرياء يقول :

أيها المادح العباد ليعطى
ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم
وارج فضل المقسم العواد
لا تقل فى الجواد ما ليس فيه
وتسمى البخيل باسم الجواد
وهو القائل حين قتل مرداس بن ادية :
لقد زاد الحياة الى بغضا
وحبا للخروج ابو بلال
احذر أن أموت على فراشى
وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى
كحتف أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى
لها - والله رب البيت - قالى
وله فى تأييده كلام آخر (1)

وكان الطرماح بن حكيم يرى رأى الخوارج الشراة ومن شعره فى
هذا الوجه :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له
ان لم افز فوزة تنجى من النار
والنار لم ينج من روعاتها احد
الا المنيب بقلب المخلص الشارى

(1) الكامل للمبرد 3 : 896 ط الحلبي سنة 1937

أو الذي سبقت من قبل مولده
له السعادة من خلاقتها الباري (1)

ولقد أورد المبرد نخبة من أشعار الخوارج في كتاب الكامل كما
أورد أبو حنيفة الدينوري مجموعة أخرى في كتاب الأخبار الطوال نكتفي
بالإحالة إليها للإيجاز ، ولم تقف هذه الثروة الأدبية عند آثار الخوارج
وانما نجد بقيتها عند معارضيهم .. فلقد عاب قيس بن همام وهو رجل من
رهط الفرزدق مسلك ابن الزبير في تقبله لهم فكاتبه بقوله :

يا ابن الزبير أتتهوى عصابة قتلوا
ظلما أباك ولم تنزع الشكك
ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية
ما أعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا

فقال ابن الزبير : لو شايعني الترك والديلم على قتال أهل الشام
لشايعتها (2) ♦

ولما استشرى أمر الخوارج بحث الامويون عن قائد يتصدى لهم
فانتهوا الى المهلب وفي ذلك يقول ابن عرادة البصري :
إذا قيل من يحمي العراقيين أومأت
إليه مَعَدٌ بالأكف ، وقحطان
فذاك امرؤ ان يلقهم يطف نارهم
وليس لها الا المهلب انسان (3)

-
- (1) الشعر والشعراء 2 : 571 — 572
(2) الكامل للمبرد 3 : 1029 ط الحلبي سنة 1937
(3) الاخبار الطوال 271

ولما هزمهم المهلب بنهر تستر أشد زياد الأعجم :
جزى الله خيرا والجزاء بكفه
أخا الازد عنا ما أذب وأحربا
الى أن يقول :

فلما رأينا القوم قد كل حدهم
لدى حربهم فيها دعونا المهلبا
وبلغ أهل البصرة أن المهلب قتل فرج المصر بأهله ، وهم أميرها
الحارث بن أبي ربيعة يالهرب فكتب إليه رجل من بني يشكر :
أيا حاريا بن السادة الصيد هب لنا
مقامك لا ترحل ولم يأتك الخبر
فان كان أودى بالمهلب يومه
فقد كسفت في أرضنا الشمس والقمر
ومالك من بعد المهلب عرجة
ومالك بالمصرين سمع ولا بصر
فدونك فالحق بالحجاز ولا تقم
بيلدتنا ان المقام بها خطر
وان كان حيا كنت بالمصر آمنا
وكان بقاء المرء فينا هو الظفر

وقال رجل من بني سعد :
الا كل ما يأتى من الامر هين
علينا يسير عند فقد المهلب
الى آخر القصيدة - فأقبل رسول الى أهل البصرة يشرهم بسلامة
المهلب فقال رجل من بني ضبة :

ان ربا أنجى المهلب ذا الطو
 ل لأهل" ان تحمدوه تيرا
 لا يزال المهلب بن أبي صف
 مرة ما عاش بالعراق أميرا
 فاذا مات فالرجال نساء
 ما يساوي من بعده قطيرا
 قد أمتنا بك العدو على المص
 ر ووقرت منبرا وسريرا (1)
 ولما ظهر المهلب على الازارقة وجه بشر بن مالك الحرسى الى الحجاج
 يبشره بالفتح فأحال الحجاج الخبر الى عبد الملك وفيه يقول بشر بن مالك:
 قد حسمنا داء الازارقة الده
 ر فأضحوا طرا كآل ثمود
 بطعان الكمأة فى ثغر القو
 م وضرب يشيب رأس الوليد
 كلما شئت راعنى قطرى
 فوق عبل الشوى أقب عنود
 معلما يضرب الكتيبة بالسي
 ف، وعمرو كالنار ذات الوقود (2)
 رومى رجل من اصحاب المهلب قطرى بن الفجاءة بالكفر ووجه اليه
 قوله :

سائل بنا عمرو القنا وجنود
 وأبا نعمة سيد الكفار (3)
 الى غير ذلك .. والشعر وفير حول الخوارج واخبارهم .

(1) الاخبار الطوال 274 (2) الاخبار الطوال 279 -
 (3) الكامل للمبرد 3 : 173 ط الحلبي

وكان يكفينى مجرد الاشارة الى شعر الخوارج كرافد من روافد الشعر يعين فى مناقشة القضية التى نعد للكلام فيها ، وهل كان الشعر قليلا حقيقة بعد الدعوة كما يبدو من ظاهر كلام ابن سلام . . . وقد هممت أن أقصر ما أطلت ، ولكن كان لشعر الخوارج اصالة عريضة كما كانت دوافعه اسلامية أيضا .

الشيعة

هم الذين شايعوا عليا عليه السلام وقالوا بامامته ووجوب الخلافة فى أهل البيت . ولقد اعتنق مذهب الشيعة شاعران كبيران ودافعا عنه هما : السيد الحميرى ، وكثير بن عبد الرحمن .

فأما السيد فهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى وكان شاعرا متقدما مطبوعا مكثرا وأحد ثلاثة عرفوا بوفرة الشعر فقال ابو الفرج بسنده : أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فانه لا يعلم ان احدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع (1) وحدث الموصلى عن عمه فقال (جمعت للسيد فى بنى هاشم الفين وثلاثمائة قصيدة فخلت أنى قد استوعبت شعره حتى جلس الىّ يوما رجل ذو أظمار رثة فسمعتى أنشد شيئا من شعره فأنشد له ثلاث قصائد لم تكن عندى ، فقلت فى نفسى : لو كان هذا يعلم ما عندى كله ثم أنشدنى بعده ما ليس عندى لكان عجيبا فكيف وهو لا يعلم وانما أنشد ما حضره ، وعرفت حينئذ ان شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله (2) .

(2) الاغانى 7 : 237

(1) الاغانى 7 : 229

ولكبار الرواة رأى طيب فى شعر السيد الحميرى ، سمعه الأصمعى
 وكان يكره أصحاب المذهب فقال : قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ،
 لولا مذهبه ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته • وجاء رأى
 أبى عبيدة فى حكاية لعمر بن شبة فيقول : أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى
 وعنده رجل من بنى هاشم يقرأ عليه كتابا ، فلما رآنى طبقه فقال له أبو
 عبيدة : ان ابا زيد ليس ممن يحتشم منه فاقرا ، فأخذ الكتاب وجعل
 يقرؤه فاذا هو شعر السيد فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه - قال
 ابو زيد وكان أبو عبيدة يرويه ، وسئل يوما من أشعر المولدين ؟ فقال :
 السيد ، وبشار (1) •

وكان بشار بدوره يعرف قدر السيد الحميرى وقال فيه يوما : لولا
 أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بنى هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا فى
 مذهبنا لأتعبنا (2) • ويقول العتبى (ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى
 شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيد ثم قال لبعض من حضر : أنشدنا قصيدته
 اللامية التى أنشدتناها اليوم ، فلما سمعها قال العتبى هذا والله
 الشعر الذى يهجم على القلب بلا حجاب) (3) •

ولم يكن رأى الأعراب فى شعر السيد بأقل من رأى الرواة
 والشعراء ، يدلك على هذا ما يحكيه الحسين بن ثابت قال : قدم علينا
 رجل بدوى وكان أروى الناس لجرير فكان ينشدنى الشيء من شعره
 فأنشد فى معناه للسيد حتى أكثر ، فقال لى : ويحك ، من هذا ؟ هو والله
 أشعر من صاحبنا (4) أى أشعر من جرير •

(1) الاغانى 7 : 232 و 236 (2) الاغانى 7 : 237
 (3) الاغانى 7 : 237 (4) الاغانى 7 : 239

اعتنق الحميري مذهب الشيعة الكيسانية التي تقول بإمامة محمد
ابن الحنفية ويعتقدون أنه لم يمت ، وأنه بجبل رضوى ، وأنه يرجع إلى
الدنيا فيملؤها عدلا ولقد ذكر السيد معتقدات الشيعة الكيسانية في
قصيدته الدالية :

أشأقتك المنازل بعد هند
وتريبها وذات الدل دعد

ومن معتقداتهم أن هذا الامام هو المهدي المنتظر ، وأنه يقيم في جبل
رضوى بين أسد ونمر ، وعنده عينان نضاختان تجريان عسلا وماء ، وقد
حوت القصيدة السابقة بعض هذه المعتقدات :

ألم تر أن خولة سوف تأتي
بوارى الزند صافى الخيم نجد
يغيّب عنهم حتى يقولوا
تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين وأشهرها ويرى برضوى
بشعب بين أنمار وأسد (1)

وجادل عن مذهبه هذا مجادلة شديدة فقد تحاور فيه مع محمد بن
على بن النعمان المعروف بشيطان الطاق فغلبه محمد الذي تنسب إليه
الطائفة الشيطانية وهي من غلاة الشيعة فقال السيد :

الا ايها الجَدَلُ المعنّى
لنا ، ما نحن ويحك والعناء
اتبصر ما تقول وأنت كهمل
تراك عليك من ورع رداء

(1) الافاني 7 : 233

الا ان الائمة من قریش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنیه
هم أسباطه والأوصياء
الى آخر القصيدة (1) .

وعرف عنه هذا الولاء لبني هاشم وكراهته للشيخين ولعثمان فكانوا
يثيرونه بذكرهم أو يعارضونه فيدخل في جدلهم ، يقول على بن المغيرة :
كنت مع السيد على باب عقبة بن سلم ومعنا ابن سليمان بن على تنتظره
وقد اسرج له ليركب اذ قال ابن سليمان بن على يعرض بالسيد : أشعر
الناس والله الذي يقول :

محمد خير من يمشى على قدم
وصاحباه وعثمان بن عفان
فوثب السيد وقال : أشعر والله الذي يقول :
سائل قریشا اذا ما كنت ذا عمه
من كان اثبتها في الدين أوتادا
من كان أعلمها علما وأحلمها
حلما وأصدقها قولا وميعادا
ان يصدقوك فلن يعدو أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا (2)

وهو لا ينتظر من يجادله ليجرى لسانه في مدح على وبنيه بل لا

(1) الاغانى 7 : 245 - ولکثير کلام كهذا ذکره الشهرستاني في کتاب
الملل والنحل 1 : 245 على هامش کتاب الفصل ط مصر سنة
1317 هـ

(2) الاغانى 7 : 266

يكاد يسمع من أمرهم خبراً حتى يحيله الى قصيد ، وكان يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل عليّ ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً . خرج ذات يوم من عند بعض امراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ ، فجعلوا يحدثونه وينشدونهم حتى أتاه رجل منهم وقال : ان أمير المؤمنين عزم على الركوب فلبس أحد خفيه ثم أهوى الى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلق ثم القاه ، فسقط منه أسود وانساب فدخل جحراً . وهذه قصة رويت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيها شعر أعداء السيد فقال عليّ البديهة في فضائل عليّ :

الا يا قوم للعجب العجائب

لخف أبي الحسين وللحباب

أتى خفاله وانساب فيه

لينهش رجله منه بناب

الى آخر القصيدة ، كما نظم قصة الحسن والحسين حين ركباً ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد (1) .

أما الشاعر الآخر الذي اعتنق مذهب الشيعة حتى كادت تختلط أشعاره بأشعار السيد الحميري فهو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الأسود وكان مكثراً كذلك جيد الشعر جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الاولى من شعراء الاسلام وقرن به جريراً والفرزدق والراعي ، وتحدث عنه عبد الله بن أبي عبيدة فقال : من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره ، وكان يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً (2) .

(1) الاغانى 7 : 255 — 259

(2) الاغانى 9 : 5

وهو كالسيد الحميرى يقول بامامة محمد بن الحنفية ومن قوله فيه :
أقر الله عينى اذ دعانى
أمين الله يلفف فى السؤال
وأثنى فى هواى على خيرا
وساءل عن بنى وكيف حالى
وكيف ذكرت حال أبى خبيث
وزالة فعله عند السؤال
هو المهدي خبرناه كعب
أخو الاحبار فى الحقب الخوالى

فلما قيل له : ألقيت كعبا ؟ قال : لا . قيل : فلم قلت خبرناه كعب ؟
قال : بالتوهم (1) . وكان عبد الله بن الزبير قد أغرى بينى هاشم فحبس
ابن الحنفية فى سجن عارم فتأثر كثير لذلك وقال :

من ير هذا الشيخ بالخيف من منى
من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه
وفكاك أغلال ، وثفاع غارم
أبى فهو لا يشرى هدى بضلالة
ولا يتقى فى الله لومة لائم
وبحن بحمد الله تتلو كتابه
حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكن
وحيث العدو كالصديق المسالم

(1) الاغانى 9 : 16 — 17

فما فرح الدنيا بباق لأهله
ولا شدة البلوى بضربة لازم
تُخَبَّرُ من لا قيت أنك عائد

بل العائد المظلوم فى سجن عارم (1)

وبالرغم من تشيع كثير فلقد كان عبد الملك يعظم شعره فكان يخرج
لمؤدب ولده مختوما يرويهم اياه ويرده ، وسأله يوما : كيف ترى شعري يا
أمير المؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ويغلب الشعر (2) .

والتعريف بكثير مفصل فى أول الجزء التاسع من كتاب الأغاني وفيه
بالإضافة الى شعر التشيع أخباره مع صاحبه عزة .

الشعوية

وكان من سياسة الامويين التعصب للعرب يجعلون منهم الرؤساء ،
والقضاة ويحرمون ذلك على الموالي ، يدلك على ذلك هذه المعاتبة القاسية
التي وجهها الحجاج بن يوسف الثقفي الى سعيد بن جبير بعد أن فشلت
حركة ابن الاشعث (3) وكان سعيد بن جبير قد شارك فى ثورته .

قال له الحجاج : يا شقى بن كسير ، أما قدمت الكوفة وليس يؤم
بها الا عربى فجعلتك اماما ؟

(1) الاغانى 9 : 15 — 16

(2) الاغانى 9 : 23

(3) خرج عبد الرحمن بن الاشعث عن طاعة الحجاج فى عهد عبد الملك
ابن مروان ودانت له كرمان والرى لولا ما بذله عبد الملك من جهد
وما ارسله من مدد للحجاج الى ان دارت الدائرة على ابن الاشعث
فى موقعة دير الجماجم بعد اكثر من ثمانين وقعة تساجل الفريقان
فيها .

قال : بلى

قال : أفما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء
الا لعربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته ألا يقطع
أمرا دونك ؟

قال : بلى

قال : او ما جعلتك في سمارى وكلهم من رؤوس العرب ؟

قال : بلى

قال : أو ما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها في أهل الحاجة ثم لم
أسألك عن شيء منها ؟

قال : بلى

قال : فما أخرجك على ؟ (1)

وذكر صاحب العقد الفريد أن نافع بن جبير بن مطعم قدم رجلا من
الموالي يصلى به فلامه رجل من العرب فقال : انما أردت أن أتواضع لله
بالصلاة خلفه واذا مرت به جنازة قال : من هذا ؟ فان قالوا قرشى قال :
واقوماه ، واذا قالوا : عربى قال : وابلوتاه ، واذا قالوا : مولى قال : هذا
مال الله يأخذ ما شاء ويدع ما شاء (2) .

وقال مولى لخالد بن صفوان : زوجنى امتك فلانة ، قال : قد
زوجتكها قال : أفأدخل الحى حتى يحضروا الخطبة ؟ قال : أدخلهم ، فابتدأ
خالد فقال : أما بعد ، فان الله أجل وأعز من أن يذكر فى نكاح هذين
الكليين وقد زوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة (3) .

(1) الكامل للمبرد 1 : 297 ط الخيرية سنة 1308 هـ ، 2 : 81 ط
الازهرية

(2) العقد الفريد 2 : 63

(3) البيان والتبيين 2 : 250 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
سنة 1367 هـ 1948 م .

تبقظت النزعات القومية كرد فعل لمسلك الأمويين ، وعبر أكثرهم
عن هذا الضيق شعرا - كان اسماعيل بن يسار النسائي منقطعا لآل الزبير،
فلما أفضت الخلافة الى عبد الملك مدحه ومدح بنيه من بعده - تقيّة
وتصنعا - استأذن على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يومها فحجبه سناعة
ثم أذن له فدخل يبكي ، فقال له الغمر : مالك يا أبا فائد تبكى ؟ قال :
وكيف لا أبكى وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أجحِب عنك ! فجعل الغمر
يعتذر اليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج
من عنده فلاحقه رجل فقال له : أخبرني ويلك يا اسماعيل اي مروانية كانت
لك أو لأبيك ؟ ! قال : بغضنا اياهم ، امرأته طالق ان لم يكن يلعن مروان
وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن ابوه حضره الموت فقليل له : قل
لا اله الا الله فقال : لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى وابدالا له
من التوحيد واقامة له مقامه ! • وهو القائل في ذم العرب وفخره بالعجم
في قصيدته التي أولها :

ما على رسم منزل بالجناب
لو أبان الغداة رجع الجواب
يقول :

رب خال متوَّج لي وعم
ماجد مجتدى كريم النصاب
انما سمي الفوارس بالفر
س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا أمام علينا
واتركي الجور والنطق بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم
كيف كنا في سالف الاحقاب

اذ نربى بناتنا ، وتدسو
ن سفاها بناتكم فى التراب.(1)
وبلغت الجرأة باسماعيل بن يسار أن يستنشده هشام بن عبد الملك
فينشده قصيدته :

يا ربع رامة بالعلياء من ريم
هل ترجعن اذا حييت تسليمى
وفيها يفخر بنفسه وبالأعاجم فيقول :
انى وجدك ما عودى بذى خور
عند الحفاظ ولا حوض بمهدوم
أصلى كريم ، ومجدى لا يقاس به
ولى لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد اقوام ذوى حسب
من كل قرم بتاج الملك معوم
ججاجح سادة بلج مرازية
جرد عتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا
والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع ان زحفوا
وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون فى حلق الماذى " سابعة
مشى الضراغة الأسد اللهاميم
هناك ان تسألى تنبى " بأن لنا
جرثومة قهرت عز الجرائيم

(1) الاغانى 4 : 411 ط دار الكتب

فغضب هشام وقال له : يا عاض بظر امه ، أعلىّ تفخر ، واياي تنشد
قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟! (1)
وكان ابنه ابراهيم على ارث من طبيعة والده فقد شرب حب العجم
وكراهة العرب (2) .

ووفد يزيد بن ضبة موالى ثقيف على هشام بن عبد
الملك أيضا فلم يحسن لقاءه ، ويبدو أنه كان يشعر بهذه النزعة فيهم وكانت
نفسه غير مهيئة للتسامح مع الموالى بصفة عامة فخرج يزيد يفخر بالعجم
فى قصيدة بدأها بقوله :

أرى سلمى تصد وما صددنا
وغير صدودها كنا أردنا
وفيها يقول مفتخرا :

ولينا الناس أزمانا طوالا
وسسناهم ، ودسناهم ، وقدنا
وأتلد مجدنا اننا كرام
بحمد المشرفة عنه ذنا (3)

ومال بعض الموالى الى ابن الزبير ضيقا من معاملة الامويين فوجدوه
على عادته شحيحا — وهو القائل : انما بطنى شبر — فنفروا منه وعرض
به الضحاك بن فيروز الديلمى فقال :

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة
وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت اذا ما نلت شيئا قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب السدر

(1) الاغانى 4 : 423

(2) الاغانى 4 : 327

(3) الاغانى 6 : 96 — 97

فلو كنت تجرى أو تبیت بنعمة
قريباً لردتك العطوف على عمرو

وكان بشار بن برد (1) وهو من مخضرمى الدولتين يقول الشعر وهو
فى العاشرة من عمره ، وقد شب على بغض العرب وتفتحت أحاسيسه على
هجاء الناس مذ كان طفلاً فكانوا يأتون أباه ويشكونه اليه فيضربه - فقال
له : يا أبت ، ان هذا الذى يشكونه منى اليك هو قول الشعر ، وانى ان
الممت عليه أغنيتك وسائر أهلى فان شكوى اليك فقل لهم : أليس الله
يقول : (ليس على الأعمى حرج) فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله
بشار فانصرفوا وهم يقولون : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار (2) .

وكان الرجل قلقاً متبرماً فى ولائه للعرب كثير التلون ، مرة يفتخر
بولائه فى قيس فيقول :

أمنت مضرة الفحشاء أنى
أرى قيساً تضر ولا تضار
كأن الناس حين تغيب عنهم
نبات الأرض أخطأ القطار (3)
وقد كانت بتدمر خيل قيس
فكان لتدمر فيها دمار
بحى من بنى عيلان شوس
يسير الموت حيث يقال ساروا

(1) هو بشار بن برد بن بهمن بن ازد كرد بن شروستان بن بهمن

ابن دارا بن فيروز

(2) الاغانى 3 : 208 ط دار الكتب

(3) جمع قطر وهو المطر

وما نلقاهم الا صدونا
برىّ منهم وهم حرار (1)
ومرة يفتخر بولاء بنى عقيل فيقول :
اننى من بنى عقيل بن كعب
موضع السيف من طلى الاعناق
ومرة تغلب عليه طبيعته الكارهة للعرب المنتفضة من الولاء لهم
فيقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم
مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها
أهل الفحال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع
سبحان مولاك الأجل الأكبر (2)

ولما كان الشعر فن العربى وبضاعته كان على الموالى أن يأخذوا
أنفسهم به والمران عليه للحاق بالعرب أو الظفر بالمجد الأدبى ، ولقد حاول
بشار التعلق بشاعر مرموق هو جرير لينشب الهراش بينهما فيسمو بهذه
المقارنة ولكن جريرا اعرض عنه امتهانا له (3) لا امتهانا لشعره فيما نعتقد.
ويبدو أن الامويين كانوا يدركون فيه صفته المتقلبة الكارهة للعرب
فكانوا يسكون أيديهم عنه — قصد سليمان بن هشام بن عبد الملك فى
حرّان ومدحه فلم يحظ منه الا بقدر ضئيل رفضه ، وذهب الى العراق
معرضا ببني مروان قائلا :

(1) ' حرار بالحاء شديدو العطش

(2) الاغانى 3 : 139

(3) الاغانى 3 : 143

فلقرب من تهوى وأنت متيهم
أشفي لدائك من بنى مروان (1)

ولم يكن حظه مع العباسيين بأحسن من حظه مع الامويين ، فحين
قامت الدولة العباسية لم يمنحها اخلاصه شأنه فى ذلك شأن اكثر البصريين
الذين شايعوا العلويين فناوأها بقصيدته المعروفة :

أبا جعفر ما نزل عيش بدائم
ولا سالم عما قليل بسالم
ولقد تركت هذه القصيدة اثرها السيئ فى نفس رجال الدولة فلما
حاول الاتصال بأخى الخليفة العباس بن محمد أعرض الأخير عنه فقال
بشار يهجو :
ظل اليسار على العباس ممدود

وقلبه أبدا فى البخل معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم
تقذر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما
ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تسنك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود (2)

(1) الاغانى 3 : 218 — 219

(2) الاغانى 3 : 159

فاذا اضطرته الحاجة عدل عن التصريح بهذه العداوة الى الكذب
والمداهنة ، زعم أبو العالية أن بشارا قدم على المهدي فلما استأذن عليه
قال له الربيع : قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئا من الغزل والتشبيب ،
فادخل على ذلك . . . ثم انشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يعطه
شيئا ، فقليل له : انه لم يستحسن شعرك ، فقال : والله لقد مدحته بشعر
لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنه كذب أملئ لأنى كذبت
في قوالى (1) .

ثم لا يلبث أن يفخر بالفرس فى قصيدة تكشف عن أعماقه :

هل من رسول مخبر
عنى جميع العرب
من كان حيناً منهم
ومن ثوى فى التراب
بأنسى ذو حسب
عال على ذى الحساب
جدى الذى اسمو به
كسرى ، وساسان أبى

وهو لا يقف عند الفرس وحدهم ، وإنما يفخر بأى عظيم غير العرب
فيقول وهو يدرك ما كان بين الفرس والروم :
وقيصر خالى اذا
عددت يوما نسبى
كم لى ، وكم لى من أب
بتاجه معتصب

أشسوس فى مجلسه
يُجشى له بالركب
ويقول فى ذم العرب :
ولا حدا قسط أبى
خلف بعير أجرب
ولا أتى حنظلة
يثقبها من سغب
ولا أتى عرفطة
يخطها بالخشب
ولا شوينا ورا
منضضا بالذنب
الى أن يقول :

انا ملوك لهم نزل
فى سالفات الحقب
ولا أحسبه قال بيته المشهور :
الارض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار

وهو يدين بالرجعة ، ويكفر الائمة كما يحكى الجاحظ (1) ولكنها
مجوسية الفرس التى آمن بها فرارا من ولائه للعرب .

ونلمح هذا الاتجاه فى شعر أبى نواس ، فكل جميل عنده آت من
ناحية العجم يستوى فى ذلك المعنوى والمادى ، وأحيانا يضع مقارنة بادية
التحيز بين ما هو عربى وما هو أعجمى ، ولا بأس أن نضع أمامك شيئا من

(1) الاغانى 3 : 145

هذا تاركين أكثره للإيجاز - ففي الوصف يشرب الخمر في كأس جميلة
محلاة بصورة فارسية ، ترى في قاعها كسرى ، وفي جنبات الكأس لوحة
بديعة وفيها وقف الرجال بعصيتهم يتحينون غفلة من مها لصيدها :

تدار علينا الكأس في عسجدية
حبثها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى ، وفي جنباتها
مها تدريها بالقسى الفوارس

واذ سمع صوتا في غمرة الصفو والسرور تمناه فارسيا لا عريبا
يجرى في وصف دمنة او في زجر طير :

فاسقنيها ، وغن صو
تا - لك الخير - أعجما
ليس في نعت دمنة
لا ، ولا زجر أشاما
وهو لا يرى فيما أبقت العرب بديلا عن ميراث الأكاسرة :
تراث أبي ساسان كسرى ولم يكن
مواريث ما أبقت تميم ولا بكر
الى غير ذلك (1) *

(1) انظر مختارات الاغانى في الاخبار والتهانى ، اختيار ابن منظور
محمد بن مكرم 3 : 25 - 26 في اخبار ابي نواس سلسلة تراثنا
ط الحلبي سنة 1385 هـ 1966 م

الشعر السياسي

أما الشعر السياسي في العصر الاموي فقد تشعبت به السبل بعد أن فرق معاوية الكلمة ، وأعاد العصبية القبلية ، وأصهر الى اليمينين ليشد بهم ازره ، وتتابعث الأحداث السياسية التي عصفت ببيت سفيان وكادت تعصف بالبيت الاموي كله لولا أن سنده مروان وبنوه ، وكان الشعر لسان الأحداث كلها ، ونحن نوجز القول في هذا المقال ونشير الى بواعث الشعر ومصادره لمن أراد المزيد والسعة .

لم يترك الامويون بابا للترغيب فيهم أو الحط من خصومهم الا طرقوه ، وكان الشعر من هذه الأبواب ، وكان سبيل الاخطل اليهم من هذا الوجه ، فقد اوعزوا اليه بهجاء الانصار وكان مجموعهم الى جانب العلويين فقال فيهم الأخطل :

لعن الاله بنى اليهود عصابة

بالجزع بين جلاجل وصوار

وأشار في هذه القصيدة الى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بقوله :

واذا نسبت ابن الفريعة خطته

كالجحش بين حمارة وحمار

فهاج الانصار ودارت معركة شعرية اشترك فيها جمع منهم رد عليهم الاخطل جميعا وكان النعمان بن بشير أشدهم غضبا لا سيما انه كان قريب الصلة من معاوية ومن مؤيديه فذهب اليه مطالبا بقطع لسان الاخطل وهدد بنقض البيعة ، ومن كلامه :

معاوى الا تعطنا الحق نعرف

لحي الأزد مشدودا عليها العنائم

فما لى ثأر دون قطع لسائه
فدونك من يرضيه منك الدراهم
فما أنت والأمر الذى لست أهله
ولكن ولىّ الحق والأمر هاشم

ففزع الأخطل الى يزيد واستجار به ، فدخل يزيد الى أبيه فقال : يا
أمير المؤمنين هجوني وذكروك فجعلت له ذمتك وذمتى على أن رد عني •
فقال معاوية للنعمان : لا سبيل الى ذمة أبي خالد فقال الأخطل فى مدح
يزيد :

أبا خالد دافعت عني عزيمة
وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

الى آخر القصيدة (1) •

ولم يقف الأخطل عند هجاء الأنصار وهو ينافح عن البيت الاموى
بل هجا قيسا أيضا - لا للعداوة بين قيس وتغلب كما تحكى بعض الأخبار،
ولكن لان القيسية رفضت البيعة لروان بعد مؤتمر الجابية سنة ٦٤ هـ على
النحو الذى سنوضحه بعد قليل • تناول الأخطل فى قصيدته الطويلة :

الا يا اسلمى يا هند - هند بنى بدر
وان كان حيانا عدى آخر الدهر

معظم القبائل القيسية وهجاها واحدة واحدة فمن ذلك قوله :

وقد سرنى من قيس عيلان انسى
رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

(1) طبقات فحول الشعراء 398

يريد أن الأمر قد انقلب رأسا على عقب ، فبنو العجلان من قيس ،
وبنو بدر من قيس فأصبح ضعفاؤهم سادة على كبارهم ، ويوجع بنى
العجلان بقوله :

وكنتم بنى العجلان ألام عندنا
وأحقر من أن يشهدوا على الأمر
بنى كل دسماء الثياب كأنما
طلاها بنو العجلان من حمم القدر

ثم تعرض لسليم ، وعامر ، وغيرهم (1) . وبالاختصار اتصل سبب
الاخلط بالامويين وأصبح شاعرهم يرى رأيهم ويمتدح فعالهم ، وظل
كذلك في عهد يزيد ، ومعاوية الثانى ، ومروان بن الحكم ثم ادناه عبد
الملك وقربه . فاذا تركنا الاخلط - وشعره في السياسة وفير - مكتفين
بهذا الايجاز وجدنا في الأحداث المتلاحقة التى صاحبت الدولة الاموية ما
يدلك على بواعث الشعر فى عهدها ، ونحن نعلم أن كل حادثة سياسية لا
تكاد تمر دون أن تعبر عن نفسها شعرا ، تأييدا لها أو نقضا عليها .

الاختلاف حول البيعة ليزيد

زين المغيرة بن شعبة لمعاوية أن يأخذ البيعة ليزيد ، وبايع رجال
الكوفة تحت ضغط المغيرة ، وحمل لواء المعارضة فى المدينة عبد الرحمن
ابن أبى بكر ، والحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير ، فذهب معاوية الى

(1) القصيدة فى اكثر من خسين بيتا يمكن مراجعتها فى كتاب نقائض
جرير والاخلط لابی تمام من ص 28 — 37 وقد نقضها عليه نقيع
ابن صفار القيسى بقصيدته :

الا حى هندا بالنبي الى البشر
وكيف تحيىها على النأى والهجر
نقائض جرير والاخلط 38 ، النبي : الرابية . البشر . اسم جبل

المدينة ، وخطب الناس وأوهدهم أن أقطاب الرجال فى المدينة قد بايعوا ،
فبايع الناس •

ومات معاوية وخلفه يزيد فكتب الى الوليد بن عتبة واليه على المدينة
أن يأخذ البيعة ممن حبسها عنه فبايعه عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن
عمر وامتنع عبد الله بن الزبير وفر الى مكة يعمل لنفسه ، وتلقى الحسين
ابن على رغبات أهل الكوفة بالخروج اليهم وكان فى ذلك نهايته وأصحابه
فى العاشر من محرم سنة 61 هـ فى كربلاء وترك موته اثرا سيئا معاديا
للامويين حين توحدت صفوف الشيعة •

ولم يمض عامان حتى ثار أهل المدينة فأرسل يزيد قائده مسلم بن
عقبة فنكل بأهل المدينة وخربها ثم توجه الى مكة حيث لاذ بها ابن الزبير •
ولم تخل هذه الاحداث من النشاط الشعرى تعبيرا عنها وعن آثارها •

نهاية بيت أبي سفيان وظهور بيت مروان

وتولى معاوية الثانى الحكم أربعين يوما واعتزل زاهدا فى الدنيا ،
وبموت معاوية الثانى انقسم الامويون فى دمشق لولا أن انعقد مؤتمر
الجابية سنة ٦٤ وقر قرارهم على أن تتم البيعة لمروان بن الحكم ، ثم لخالد
ابن يزيد ، ثم لعمر بن سعيد فاتحدت كلمة اليميين ورفضت قيس هذه
البيعة وآزرت ابن الزبير برئاسة الضحاك بن قيس الفهرى ، فسار مروان
الى الضحاك وأوقع به فى مرج راهط فاحتدم الخلاف بين اليمية والقيسية
فى كل البلاد الاسلامية وترك أثره الضخم فى الشعر فقال أبو ثمامة الكلبى
يظهر مروان بن الحكم :

اشهدكم أنى لمروان سامع

مطيع ، وللضحاك عاص مجانب

الى غير ذلك •

وقال مروان حين بويع له مشيرا الى الذين آزرروه من اليمنيين :

لما رأيت الامر أمرا نهبا يسرت غسان لهم وكلبا
والسكسكين رجالا غلبا وطيشا تأباه الا ضربا
والقين تمشى في الحديد نكبا ومن تنوخ مشخرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا وان دنت قيس فقل لا قربا (1)

وعلت أصوات اليمنيين ولكل قبيلة منهم شاعر أو شعراء يتحدثون
بهذا النصر ومن ذلك ما يقوله عويج الطائي يمتدح كلبا وحميد بن جحدل
في عصبية كعصبية الجاهلية :

لقد علم الاقوام وقع ابن جحدل
واخرى عليهم ان بقى سعيدها

يقودون أولاد الوجيه ولاحق
من الريف شهرا ما ينى من يقودها
فهذا لهذا ثم أنى لناقض
على الناس اقوالا كثيرا حدودها

فلولا أمير المؤمنين لأصبحت
قضاة أربابا ، وقيس عبيدها (2)

وما كادت قيس تجمع شتاتها تحت رئاسة زفر بن الحارث بعد
هزيمتهم في مرج راهط حتى أطلق شيطان الثأر لسانه قائلا قصيدته
المشهورة :

(1) تاريخ الطبرى سنة 65 ، نقائض جرير والاخلط 17

(2) تاريخ الطبرى سنة 65

أرينى سلاحى - لا أبا لك - اننى
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
وفيهما يعتذر عن فراره يوم مرج راهط :
فلم تر منى نبوة قبل هذه
فرارى وتركى صاحبى ورائيا
عشية أعدو بالقران فلا أرى
من الناس الا من على ولا ليا
ويتوعد القبائل اليمينية فيقول :
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا
وتثار من نسوان كلب نسائيا
الا ليت شعرى هل تصيبين غارتى
تنوخا ، وحيى طيء من شفاءيا (1)
ويعجب أن انصرف القوم عن ابن الزبير متجهين الى هذا الحى من
اليمينية :
أفى الله - أما بحدل وابن بحدل
فتحيى وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونہ
ولما يكن يوم أغر محجل
ولما يكن للمشرفية فوقكم
شعاع كقرن الشمس حين ترجل (2)
فأجابه جواس بن قعطل ، وكان الثار الأدبى لا يقل حرقة عن ثار
الدم :

(1) تاريخ الطبرى سنة 65 ، نقائض جرير والاخلط 25

(2) تاريخ الطبرى سنة 65

لعدري لقد أبقت وقية راهط
على زفر داء من الداء باقيا
الى آخر القصيدة (1) .

ونحن لا نبعد اذا قلنا أن الشعر الذي صدر حول قصور الامويين
كان له أكبر العون في انتصارهم على عدوهم الأكبر عبد الله بن الزبير ،
لقد كانوا مبسوطي اليد يتألفون الشعراء بالمال كما يتألفون قبائلهم
بالمناصب ولك ان تتمثل هذا الاثر الضخم في جانب الامويين لاننا لا نملك
حصره ولا ذكر اكثره اذا عرفنا ان عبيد الله بن قيس الرقيات كان الشاعر
الوحيد من مشاهير الشعراء الذي كان يؤازر الزبيريين ، وحتى هذا
الشاعر الواحد اضطرته الحاجة بعد مقتل مصعب بن الزبير الى مدح عبد
الملك ، ولم يتقبله عبد الملك قبولا حسنا لان شعره في مصعب بن الزبير
كان من غرر القصائد وعيونها (2) .

وكان تعصب بعض الامويين لليمنية مسلكا من مسالك السياسة ،
وهي مسالك وعرة ذات حدين لذلك لم ينسوا في يوم من الايام عصبيتهم
المضرية فما كاد الوليد بن يزيد يسمع أن واليه على العراق قتل خالد
القسري اليمنى حتى سر بذلك وانطلق لسان الوليد يفخر بمضريته ويعبر
عن فرحته بذلك ويقول من قصيدة له :

شددنا ملكنا يبنى نزار
وقوّمنا بهم من كان مالا

-
- (1) تاريخ الطبري سنة 65
(2) راجع هذه القصائد في الكامل للمبرد : 1 : 190 ط الازهرية ،
وتاريخ الطبري في حوادث سنة 71

وهذا خالد فينا قتيلا
الا منعه ان كانوا رجالا ؟
ولو كانت بنو قحطان عربا
لما ذهبت صنائعه ضللا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا
فحمله سلاسلنا الثقالا
ولكن المذلة ضعفتهم
فلم يجدوا لذتهم مقالا (1)

ولكن تعصبت اليمنية ، وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،
وخلعوا الوليد بن يزيد وقتلوه ، وتشفى فيه محمد بن خالد قائلا :

قتلنا الفاسق المختال لما
أضاع الحق واتبع الضللا
يقول لخالد : الاحتمه
بنو قحطان ان كانوا رجالا
فكيف رأى غداة غدت عليه
كراديس " يشبهها الجبالا
الا ابلغ بنى مروان عنى
بأن الملك قد أودى فزالا (2)

واستمرت السلسلة الى آخرها تحمل الدماء والشر فجمع المضيرون
جمعهم وذهبوا الى مروان بن محمد وطالبوه بأن يثار لابن عمه الوليد بن
يزيد وأمدوه بجنود من تميم وقيس وكنانة .

(1) الاخبار الطوال 348 فى قصيدة طويلة

(2) الاخبار الطوال 367 ،

وجرت هذه العدوى من الحاكمين الى الافراد فكان الكميت يفخر
بقومه من نزار ويعمز القحطانيين :

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه ايدي المهتديننا
وجدت الله اذ سمى نزارا
وأسكنهم بمكة قاطنيننا
لنا جعل المكارم خالصات
وللناس القفا ولنا الجينا
الى أن يقول :

وما وجدت بنات بنى نزار
حلائل أسودينا وأحمرينا
يشير بذلك ان اليمنية أصهرت الى الأحباش والى الفرس حين نزلوا
بها • فيجيبه دعبل الخزاعي يشيد باليمنية ويعمز النزارية :
أفيق من ملامك يا ظعينا
كفالك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالى
يشيبن الذوائب والقرونا
وما طلب الكميت طلاب وتر
ولكننا لنصرتنا هجيننا
لقد علمت نزار أن قومي
الى نصر النبوة فاخرينا

هذه نماذج من الشعر السياسى فى العصر الاموى ، أما حصره فأمر
لا نستطيع دركه الا أن نخلص له ، أما حصيلة الشعر – كما رأيت – وهى
عدة الرواة فهى ضخمة نكتفى منها بما أشرنا لنجلس الى محمد بن سلام
الجمحى لنرى رأيه فيما يقول من ذهاب الشعر وروايته •

مناقشة ابن سلام الجمحي

يحسن بنا أن نعرف بابن سلام قبل أن تأخذ في مناقشة القضية التي أثارها والتي أشرنا إليها في صدر هذا البحث حين علق على قول عمر بن الخطاب (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه) بقوله :

(فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهمت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب والقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير) (1) .

فمن هو ابن سلام ؟

هو ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي ، ولد بالبصرة في سنة مائة وتسع وثلاثين من الهجرة ، في بيت غلم ، فوالده من رجال الرواية وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث ، ومن هذا البيت أبو خليفة الجمحي ابن اخت محمد بن سلام .

سمع الجمحي من الأصمعي ، وأبي البيداء الرياحي الأعرابي ، وخلف الأحمر وأبي زيد الأنصاري ، وأبي سرار الغنوي الأعرابي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبي الغراف الأعرابي ، والمفضل الضبي . ومعاوية بن أبي عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب - وتلمذ

(1) طبقات فحول الشعراء للجمحي 2

للجمحي شيخ الكوفيين احمد بن يحيى ثعلب ، ومن البصريين أبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل الرياشي ، وأبو عثمان المازني وهؤلاء الثلاثة يمثلون الطبقة الثانية من رواة اللغة بعد الاصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد . وترك من الكتب كما يحكي ابن النديم كتاب الفاضل ، وبيوتات العرب ، وطبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين ولعله يعنى بالكتابين الأخيرين كتاب فحول الشعراء الموجود بأيدينا الآن ، وعن ياقوت انه ترك كتابا في غريب القرآن .

والرجل على هذا الوجه من كبار الرواة ، وعاش قرب الفترة التي يدور حولها البحث في كنه الشعر الاسلامي وروايته ، وصاحب تصنيف في آثار الشعراء جاهليين واسلاميين فكان لا بد من الوقوف أمام التعليق الذي نسب اليه دون أن نجح الى تأويل قريب نعلل به هذا التعارض بين رأى ابن سلام ووفرة الشعر الاسلامي . والامر الذي يسترعى الانتباه في تعليق ابن سلام هو ما يتبادر الى الفهم من أن العرب شغلوا عن الشعر وروايته بالجهاد والفتح ولم يعودوا الى طبيعتهم منه الا بعد ان اطمأنت العرب بالأمصار .

وابن خلدون يرى هذا الرأى في جزئية منه ، وعبارة ابن خلدون كما جاءت في الفصل الخمسين من المقدمة كما يلي :

(..... ثم انصرف العرب عن ذلك - أى عن قول الشعر - أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم

والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في
تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه
فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه (1) •

أما المحذثون فلم يستريحوا الى ذلك • منهم الأستاذ كارلو نالينو
المستشرق الايطالى الذى رفض قول ابن سلام وقول ابن خلدون ، وقال
بالحرف الواحد : (هذان القولان لا يوافقان حقيقة الأمر البتة) ويقول .
(فاذا طالعتم كتب التاريخ القديمة المطولة مثل سيرة الرسول لابن هشام ،
وكتاب المغازى للواقدي ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى وجدتم كثرة
ما يرددونه من أشعار صدر الاسلام • ثم اذا تصفحتم كتب الادب القديمة
مثل كتاب الاغانى وغيره ألفتكم أن الآداب العربية لم تزل فى ذلك العصر
زاهية وأن الشعراء لم ينصرفوا عن أنواع قريضهم) (2)

ومن الباحثين المعاصرين الدكتور ناصر الدين الأسد ، ناقش كلام
ابن سلام وقسمه الى ثلاث قضايا :

- الصحيح منها أن القوم حفظوا أقل الشعر وذهب عنهم أكثره •
- والثانية قول ابن سلام انهم لم يؤولوا الى ديوان مدون ولا
كتاب مكتوب حين راجعوا رواية الشعر ، وهذه — فى نظر الدكتور
الأسد — قضية باطلة استنادا الى ما أشار اليه من مدونات •

ورأيئنا أنها حالات فردية لا تقيم عمادا لتقرير رأى خطير كهذا ولم
يثبت ان هذه المدونات كانت سندا فى الرواية •

(١) مقدمة ابن خلدون 530 ط بيروت سنة 1886 م

(٢) تاريخ الآداب العربية لكارلو نالينو 86 — 87

ـ والثالثة فهي تلك التى نناقشها الآن وقول ابن سلام (فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم) فقد افترض لصواب هذا الرأى أن يكون ابن سلام قد اراد الرواية العلمية المنظمة ـ والا ـ فهو لا يقبل دعواه مستندا فى ذلك على وفرة الشعر الذى ساق أمثلة كثيرة له •

والقول عندنا أن الشعر الذى صدر فى الفترة الاسلامية الاولى كان غزيرا ، فنوازه فى البادية ظلت كما كانت فى الجاهلية • وفى القرى كانت الدعوة وملابساتها من الحوافز على انشاده كدوافع جديدة على النحو الذى بسطنا القول فيه منذ قليل •

ولكن الرواية هى التى تسهلت بشواغل الجهاد والفتح ، فلقد كانت الرواية قديما شغلهم الشاغل وعلمهم الذى ليس عندهم علم أصح منه • وكان فى الجاهلية منزعان يلحّان فى أداء الرواية :

ـ العصبية القبلية •

ـ والاشباع الفنى •

اما العصبية القبلية فقد فقدت حداثتها ، وما تبقى منها بقى فى محيط مجتمع اسلامى لم يعد فيه الشيخ مطلق التصرف ، وأما الاشباع الفنى فقد أذهلهم أسلوب القرآن الكريم وأصاب حاستهم اللغوية ، واذا ارادوا أن يجتروا أشعار الاوائل على النحو الذى كانوا عليه فى الجاهلية صرفهم عن ذلك مجالس العلم ، وجهاد الفتح ، وفوق هذا ما تتصوره من طاقة للعقل الانسمانى يعنى فيه ما أدرك من شعر قديم ، فاذا أضاف اليه ما هو أحدث منه أثقل بذلك طاقته ولم يعد لتقديم لمعانه السابق فلا يلبث ان تضعف صورته أو ينسى ، فاذا أضفنا أن الزمان عفى عن الجاهلية ومحا بعض

معالمها ، وجاءت تعاليم الاسلام تنسخ شيئا من عاداتها وتذكر مع كتب
التواريخ والسير ما هو أقرب الى المحدثين سببا ، والصق بهم نسبا وأدنى
الى ارحامهم قريبا كانت الدواعى الى حفظ الجديد أقوى من الاستمسك
بالقديم فاذا أصر الراوية على أن يمسك باليدى ، ويحتفظ بما كان وما
هو كائن ثقلت عليه علة الطاقة فلا يلبث أن يرضى بالأهم عوضا عن المهم ،
وفى التاريخ الادبى آيات قلائل علت أجزاء منها بأذهان حفاظها وغابت
أجزاء أخرى •

جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبى سفيان لحاء بين يدى
معاوية فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية حتى أطال
وأكثر فالتفت اليه معاوية متمثلا وقال :

ورام بعوران الكلام كأنها
نوافر صبح . نقرتها المراتع
وقد يدحض المرء الموارد بالخنا
وقد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟

فقال : ذو الاصبع •

فقال : أترويه ؟

قال : لا •

فقال : من هاهنا يروى هذه الأبيات ؟

فقام رجل من قيس فقال أنا ارويه يا أمير المؤمنين

فقال أنشدنى • فأشده ، حتى أتى على قوله :

وساع برجليه لآخر قاعد

ومعط كريم " ذو يسار ومانع

وبان لأحباب الكرام وهادم
وخافض مولاها سفهاها ورافع
ومغض على بعض الخطوب وقد بدت
له عورة من ذى القرابة ضاجع
وطالب حوب باللسان وقلبه
سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع
فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟
قال : سبعمائة •
قال : اجعلوها الفا • (1)

والحافظ الواعى كما ترى قد حصل على جائزة لانه أدرك ما لم
يدركه الآخرون وهو بعد هذا رجل من قيس ، وصاحب الشعر قيسى •

وفى قصة لعبد الملك بن مروان وهو يستعرض أحياء العرب ، وحول
ذى الاصبع أيضا ما هو أكثر دلالة على ذهاب الشعر والأخبار عن أذهان
الناس • يقول ابو الفرج ان عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله
مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب وقال عدو بن شبه: ان مصعب
كان صاحب هذه القصة — فقام اليه معبد بن خالد الجدلى ، وكان قصيرا
دميما ، فتقدمه اليه رجل منا حسن الهيئة ، قال معبد : فنظر عبد الملك الى
الرجل وقال : ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل شيئا ، وكان منا •

فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة • فأقبل على الرجل
وتركنى •

فقال : من أيكم ذو الاصبع ؟

قال الرجل : لا أدري •

(1) الاغانى 3 : 100 — 101 ط دار الكتب

- قلت : كان عدوانيا ، فأقبل على الرجل وتركنى
وقال : لم سمى ذا الاصبع ؟
قال الرجل : لا أدري •
- فقلت : نهشته حية فى أصبعه فبيست ، فأقبل على الرجل وتركنى •
فقال : وبم كان يسمى قبل ذلك ؟
قال الرجل : لا أدري •
- قلت : كان يسمى حرثان ، فأقبل على الرجل وتركنى •
فقال : من أى عدوان كان ؟
فقلت من خَلْفِهِ : من بنى ناج الذين يقول فيهم الشاعر :
وأما بنو ناج فلا تذكرتهم
ولا تتبع عينيكَ ما كان هالكا
إذا قلت معروفًا لا صلح بينهم
يقول وهيب لا أسألم ذلكا
فأقبل على الرجل وتركنى ، وقال : أنشدنى قوله :
عذير الحى من عدوان
- قال الرجل : لست أرويه •
- قلت : يا أمير المؤمنين ، ان شئت أنشدتك
قال : ادن منى فانى أراك بقومك عالما •
فأنشدته فأقبل على الرجل وتركنى •
وقال : كم عطاؤك ؟
فقال : الفان •
فأقبل على فقال : كم عطاؤك ؟

قلت : خمسمائة •

فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الالفين لهذا والخمسمائة لهذا (1)
والذى نتصوره ان هذا الذى سئل ولم يجب ولم يدر كما يقول ،
مثل لجمهرة الناس ، والذى سئل أو تبرع بالاجابة هو الفرد فى افراد
عنوا بالحفظ لسبب أو لآخر كأن يكون معنيا بتاريخ قبيلته ، أو داعيا لها
مشيدا بشعرائها وأماثلها ووجه آخر تجدر الاشارة اليه بل تجب الاشارة
اليه هو ان هذا الحافظ الواعى لم يكن أمثل رجل فى قبيلته يدلك على
هذا أن عطاءه كان خمسمائة وكان عطاء الرجل الذى لم يدر الفين ، فان
تكن فى هذه القصة دلالة على ذهاب الشعر القديم وذبول الرواية فقد
أخذت مكانها بين الادلة على ذلك — وان كان فى نفسك منها شئ فقيما
يلى دليل آخر •

حكى عن الاصمعى أنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قول
الشاعر :

زعموا أن كل من ضرب العيب

— موال لنا وأنا الولاء

فقال : مات الذين يعرفون هذا — وأبو عمرو كما نعلم أستاذ
الاساتذة وشيخ الشيوخ فى الرواية ، وسئل مرة أخرى عن قول امرئ
القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة

كرّك لأمين على نابيل

فقال : قد ذهب من يحسنه (2) •

(1) الاغانى 3 : 91 — 93 ط دار الكتب واقرأ خبرا مماثلا فى معجم

البلدان 1 : 362 للقاضى سوار بن عبد الله بن سوار

(2) المزهرة 323 — 324

فالرواية على هذا الوجه قد ثقل عليها الحمل والاستظهار على النحو الذى كان سائدا فى الجاهلية عندما كان الشعر عندهم هو علمهم الأمثل ، أما وقد شارك هذا العلم علوم أخرى جاء بها القرآن والسنة ، وواجب أكثر شغلا وهو واجب الفتح فالقول ما قال ابن سلام حينما نعتقد أنه يعنى أن القوم شغلوا بالجهاد عن الرواية لا عن القريض •

وبعد • فإذا استتقر رأى الذى نراه تفسيرا لعبارة ابن سلام من أنه كان يعنى توقف الرواية لا توقف القريض استطعنا أن نعود الى عبارة ابن سلام تحت هذا التفسير فنجدها مستقيمة لا عوج فيها ، فكما قلنا ان الشعر كان على انطلاقه فى صدر الاسلام كما كان فى الجاهلية ، بل زيد بسبب الملابس الاسلامية ولدينا من أخبار الشعر فى الاسلام أنه كان من الكثرة بحيث يتعذر دركه - لضعف الرواية الادبية أيضا - من ذلك ما يقوله عبد الله بن أبى عبيدة (من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره •• وكان ابن ابى عبيدة يحكى شعر كثير بثلاثين دينارا (1) وفى أخبار السيد الحميرى يقول ابو الفرج (••• وكان شاعرا متقدما مطبوعا • يقال ان اكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وابو العتاهية والسيد فانه لا يعلم ان احدا قدر على تحصيل شعر منهم أجمع) (2) وكلهم كما ترى اسلامى •

أما ما يقول به الدكتور ناصر الدين الاسد وقد افترض لصواب رأى ابن سلام انه يعنى الرواية المنظمة فاننا لا نفهم ما يعنيه بالرواية المنظمة ، والذى نفهمه أن هناك نوعين من الرواية :

(1) الاغانى 9 : 5

(2) الاغانى 7 : 229

– الرواية الادبية •

– الرواية اللغوية •

الاولى هى التى يعينها ابن سلام وقد سارت على نهجها منذ كانت فى الجاهلية والتى أمكن تتبعها الى مائة وخمسين سنة تقريبا قبل الهجرة ، واستمرت بعد الاسلام على النحو الذى بيناه فى الباب الاول ، ناشىء يحس بالموهبة الفنية تربو فى صدره فيلزم شاعرا يتلمذ له ويروى شعره ، والى جانب هذا اللون افراد من القبيلة يرددون الشعر قصدا للمتعة الفنية، أما خارج نطاق القبيلة فكانت الاسواق محط أنظار الشعراء والرواة يعلنون فيها عن آثارهم وقد يتخذونها مادة للمخاصمة والمنافرة •

أما الرواية المنظمة فهى الرواية اللغوية وهذه نشأت عن دواع غير عربية فى أكثر الأحيان حين دخل العربى وغير العربى فى دين الله ووجدوا أنفسهم أمام اصول اجملها القرآن فعادوا يتعرفون على صحيح العربية من خلال الشعر ، ووضعت للرواية اللغوية الاصول والنظم فى التوثيق والسند الى غير ذلك ، وهذه كما قلنا لا يعينها ابن سلام لانها نشأت فى بداية القرن الثانى الهجرى •

الفصل الرابع

اتجاهات الرواة

والرواة هنا - حتى لا يلتبس عليك الامر - هم رواة اللغة ، فقديما سمعنا عن رواة الشعر ، منهم من كان يتبع شاعرا بعينه ، يحفظ اشعاره ويرددها على جهة التلمذة له ، ومنهم من كان يروي الشعر عامة - اشباعا لنزوع فنى او رغبة فى نقل هذا الفن •

وهناك رواة الحديث - حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اعدوا لهذا الوجه اصولا تتفق مع ما هم بسبيله على النحو الذى تحدثنا عنه فى باب الحديث •

ونحن الآن امام لون جديد ، فنى مجتمع جديد • امام صنف من الرواة يتجهون الى جمع اللغة وتوثيق صحيحها ، هم رواة اللغة لم يكونوا بالامس - فلقد كان القوم عربا يتحدثون العربية بفطرتهم تدور على السنة الخلف كما دارت على السنة السلف من غير عمد الى تعلم ، ثم

ما لبثت الارض ان رحبت وامتدت اطرافها وشملت الجزيرة وغير الجزيرة وخرج العربى مجاهدا الى هذه الاطراف او مهاجرا اليها وما لبث ان دخل غير العربى فى هذا المجتمع الجديد مسلما او غير مسلم ، وهو فى كل الاحوال ملتزم بلغة هذا المجتمع ، الاّ يقيم بها عباداته وصلاته فيها تدور أصول معاشه وحياته ، والعرب من وراء كل هذا أحرص الناس على لغتهم .

وجد رواية اللغة هذا الشعر الوفر يحمل اليهم الفاظ العريية وتراكيبها ، وكلما نسب الى القدم ازدادت الثقة به ، فأعلاه مرتبة هو ما أدركه التوثيق من شعر الجاهلية ، ثم ما جاء فى الصدر الاول من العهد الاسلامى ، ثم ما أحاطته البادية بسياجها الى غير ذلك من شروط تستهدف صحيح الشعر ليخلص لرواة اللغة صحيح العريية وكان لرواة اللغة فى هذا مذاهب وآراء تشتد حيناً وتلين حيناً على النحو الذى نبينه بعد .

ابو عمر بن العلاء

من آراء اللغويين أن العرب احتفظوا بسليقتهم حتى نهاية القرن الثانى للهجرة ، واتفق أكثرهم على أن يكون هذا التاريخ نهاية الاحتجاج حين ارادوا توثيق الفاظ العريية بشواهد من كلام العرب ، منهم من غالى فى هذا كأبى عمرو بن العلاء الذى كان يعد الشعر للمتقدمين وحصرهم بين امرئ القيس وذى الرمة كما يفهم من عبارته (ان الشعر فتح بامرئ القيس وختم بذى الرمة) (1) وقوله (ختم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة بن العجاج) (2) .

(1) البيان والتبيين 4 : 84 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بتحقيق عبد السلام هارون

(2) وفيات الاعيان 3 : 188 ط النهضة سنة 1948 بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد

ومع هذا كان يضيق على نفسه فى دائرة الاحتجاج كما شهد بذلك تلميذه عبد الملك بن قريـب الاصعـى فقال : جلست الى ابى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج بيت اسلامى ، وهو يعجب بشعر جرير والفرزدق وأمثالهما ولكنه مع هذا الاعجاب يراه شعرا مولدا بالاضافة الى شعر القدامى فيقول : (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته) (1) يعنى شعر جرير والفرزدق وأمثالهما .

ولكن أين جرير والفرزدق والراعى والأخطل وكلهم معاصر لذى الرمة ، لقد اختارهم محمد بن سلام الجمحى ووضعهم فى الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين بينما وضع ذى الرمة فى الطبقة التالية لهم (2) كانت أكثر الاحاديث عن جرير والفرزدق والأخطل والراعى ومن سار سيرهم تشير الى المفاضلة بين اثنين أو أكثر منهم فى هذا الفن الذى عرفوا به — وهو الهجاء — وفى بعض الاحيان كان يرجح احدهم على الآخر بسببه فى الفصاحة ، وتشبيهه بالجاهليين ، من هذا ما جاء فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة من ان جريرا كان من فحول الشعراء ، ويشبهه بالاعشى (3) وكان ابو عمرو يشبه الفرزدق بزهير (4) ويقول ابو عبيدة عن الاخطل انه اشبه بشعراء الجاهلية وأشدّهم أسر شعر وأقلهم سقطا (5) وذكر ابو الفرج خبرا يجمع فيه اللغويون على تفضيل الاخطل يرويه أبو عبيدة فيقول :

(جاء رجل الى يونس فقال له : من اشعر الثلاثة ؟ : قال الاخطل ،

(1) البيان والتبيين 1 : 32 ، العمدة 1 : 57 ط هندية سنة 1925

(2) طبقات فحول الشعراء 248 وما بعدها

(3) الشعر والشعراء 1 : 437

(4) الشعر والشعراء 1 : 448

(5) الاغانى 8 : 292 ط دار الكتب

قال : من الثلاثة ؟ قال أى ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم • قلنا : عن تروى هذا ؟ قال : عن عيسى بن عمر ، وابن أبى اسحق الحضرمي ، وأبى عمرو ابن العلاء ، وعنبسة الفيلى ، وميمون الاقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه ... لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون • قلت للرجل : سله وبأى شىء فضلوه ؟ قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياذ ليس فيها سقطة ولا فحش ، وأشدهم تهديبا للشعر • فقال أبو وهب الدقاق اما ان حمادا وجنادا كانا لا يفضلانه ، فقال : وما حماد وجناد ، لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان وأنا أحدثك عن ابناء تسعين أو أكثر ادوا الى امثالهم ، ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيتهم فلم تشذ عنهم زنة كلمة ، وألحقوا السليم بالسليم ، والمضاعف بالمضاعف ، والمعتل بالمعتل ، والاجوف بالاجوف ، وبنات الباء بالياء ، وبنات الواو بالواو فلم تخف عليهم كلسة عربية (1) وفي فصاحة الفرزدق يقول يونس (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) (2) •

هذه المجاورة وهذا التقريظ يتصلان بالمجال اللغوى والخبر على هذا الوجه يغطى جانباً من سؤالنا لماذا توقف أبو عمرو عن الاحتجاج بشعرهم وهم على ما ترى من المعرفة باللغة والاحاطة بخصائصها ، وكان أبو عمرو نفسه أحد اللغويين الذين شهدوا لهم بهذا السبق ، واذا كان أمر جرير والفرزدق والراعى والاخلط على ما رأيت فلماذا دنوا بالاضافة الى ذى الرمة فى رأى أبى عمرو بن العلاء ؟ •

يبدو أن هؤلاء المشاهير قد تبوأوا أمكنتهم بسبب المعركة الشعرية التى طيرتها الراوية فى كل مكان ، وشغل الناس بأخبارهم ، وعنوا بما

(1) الاغانى 8 : 283

(2) الاغانى 19 : 48 ط ساسى

أحدث جرير في هجاء الفرزدق وبسا عارض الفرزدق جريرا وكيف تدخل
 الاخل والراعى وشغلوا بهذا الخوض في اللغة اما أبو عمرو - وكان على
 رأس اللغويين - فانه كان يدرك الوجه اللغوي الموثق عند ذى الرمة ولا
 يهمله الا أن يضع الجميع أمام اعتبارات علمية وأقيسة خاصة للرواية
 والاحتجاج ليس من بينها الكثرة وطول القصائد ولا شهرة الشاعر ، وانما
 كان مقياس الفصاحة عنده هو مدى قربه من البدايعة . لقد سلم أول
 الامر للجاهليين ، ثم أطال الحبل للبدو حتى وصل الى ذى الرمة . وكان
 ذو الرمة شاعرا فصيحاً بدوياً ، وكان بصفته هذه الأخيرة أكثر بداوة من
 رجال الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين . لقد قرنه حماد الراوية
 بامرئ القيس فقال : أحسن الجاهليين تشبيها امرؤ القيس ، وذو الرمة
 أحسن أهل الاسلام تشبيها (1) ووصفه زرعة بن أذبول فقال : كان ذو
 الرمة مدور الوجه . . مفوها اذا كلمك كلمك ابلى الناس يضع لسانه
 حيث يشاء (2) وروى محمد بن صالح عن نخبة من العلماء والاعراب لهم
 اقدارهم في فهم الشعر وتذوقه منهم خالد بن كلثوم وابو عمرو بن العلاء ،
 وابو حزام ، وأبو المطرف قالوا : لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من
 ذى الرمة ، ولا أحسن جوابا ، وكان كلامه أكثر من شعره (3) .

فلم يكن ذو الرمة شاعرا فحسب ، ولكنه كان ذا لسان ، وصاحب
 كلام ، ويحسن النقاش في غير مكابرة كما يحكى ابو عبيدة اذ يقول : ذو
 الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ،
 ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف وعفاف في الحكم (4)

(1) الاغانى 16 : 109 ط ساسى (2) الاغانى 16 : 108 ط ساسى

(3) الاغانى 16 : 109 (4) الاغانى 16 : 109

ولم يستطع الفرزدق وجريير وكانا يحسدانه (1) أن يخفيا رأيهما في هذا الرجل عندما طلب خليفة من بنى أمية - هو الوليد بن عبد الملك - كما يبدو من خبر مماثل أن يقول كل منهما رأييه في ذى الرمة على انفراد فكلاهما قال : أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه اليه غيره ، فقال الخليفة : أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعا (2) .

ويروى عن أبي عدنان عن ابراهيم بن نافع أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك - أو غيره - الشك من أبي الفرج - فقال له : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قال : افتعلم أحدا أشعر منك ؟ قال : لا ، إلا أن غلاما من بنى عدى بن عبد مناة يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات . ثم أتاه فسأله فقال له مثل ذلك (3) .

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي : سعت أبى يقول دخل جدى على بعض ملوك بنى أمية فقال : ألا تخبرنى عن الشعراء ؟؟؟ وسأله عن ذى الرمة فقال : قدر من طريف الكلام وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد حتى صنف الشعر (4) .

فاذا تركنا هذا الجانب بعد أن اعترف الفرزدق وجريير بسبق ذى الرمة الى جانب آخر وهو البداوة وجدنا ذا الرمة أسبق من أصحابه . كان الرواة يأخذون عن الاعراب فى المربد ، ثم ذهبوا اليهم فى البادية التماسا للعريية التى لم تشبها شوائب الحضارة وكان ذو الرمة أعراييا بدويا يرعى ويجود شعره فيها وفى وصف البادية ، وامه من بنى أسد (5) وهى من القبائل التى اشتهر أمرها بالفصاحة ، فاذا قدم البصرة او الكوفة

(2) الاغانى 16 : 109
(4) الاغانى 8 : 199 ط دار الكتب

(1) الاغانى 16 : 108
(3) الاغانى 16 : 114
(5) الاغانى 16 : 107

تلقاه الرواة ليفيدوا من لسانه وخلوص عريته • قال حماد : قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه (1) • كما أعجب به الكميت وبشعره (2) • ويتفق رجالان على رأس الرواة على تقديم ذي الرمة أولهما أبو عمرو بن العلاء الذي وصف أقرانه بأنهم محدثون ، والثاني حماد الراوية الذي يقول في ذي الرمة : (ما آخر القوم ذكره إلا لحدثه سنه وأنهم حسدوه) (3) •

ونستطيع بشيء من الاطمئنان أن نحدد وجهة أبي عمرو بأنه كان لا يرى الشعر إلا للجاهليين ، أو البدو من المسلمين ، نلج هذا في قوله : لو أدرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا (4) والمقصود بالشعر هنا هو الشعر الذي يتفق وطبيعة أبي عمرو كعالم لغة وكرجل رواية لغوية يستخدم الشعر ليحتج به ويوثق به بضاعته من مفردات وتراكيب وصيغ ، ولعلك تدرك في تقريره للاخطل أنه لا يعيب شعره كفن ، ولا يتهمه بالقصور في الفصاحة ، ولكنه لا يقع تحت شرطين عرفا لأبي عمرو – لا هو جاهلي ولا هو من الاعراب البداة •

وذو الرمة في نظر أبي عمرو من الاعراب على شاكلة أولئك الذين كانوا يأتون من البادية الى سوق المربد ثم يتجاوزونها الى البصرة فلا يطول مكثهم بها حفاظا على سليقتهم ، وكان طلاب اللغة يتعلقون بهم يسمعون من أفواههم مصادق العربية فاذا طال مكثهم في الحضر زيفوهم • والذي يدرك على أن ذا الرمة كان كذلك ، من الاعراب الذين تؤخذ عنهم اللغة الموثقة ، أن أبا عمرو دهش حين رآه يجلس في دكان طحان في

(1) الاغانى 16 : 109

(2) الاغانى 16 : 108

(3) الاغانى 16 : 109

(4) الاغانى 8 : 285

البصرة يكتب فقال له : ما هذا يا ذا الرمة !! قال : اكتم على يا أبا عمرو (1)

والعبارة الصادرة عن كل منهما تشهد بصفة ذي الرمة كأعرابي فليس لأبي عمرو أن يدهش ، وليس لذى الرمة أن يرجو أبا عمرو أن يكتفم موقفه إذا لم يكن كذلك ، وكانت صفة الاعرابي كصاحب فطرة وسليقة هي كل بضاعته في الحضر حين رأوا حاجة الطلاب اليهم .
ومن هذا الوجه عابه الاصمعي الذي كان ينظر اليه كأعرابي يجب أن تصان سليقته ، يقول أبو حاتم : كان الاصمعي ينكر (زوجة) ويقول انما هي (زوج) ويحتج بقوله تعالى (أمسك عليه زوجك) قال فأشددته قول ذي الرمة :

أذو زوجة في المصر أم ذو خصومة

أراك لها بالبصرة العام ثاويا (2)

فقال : ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين (3) أي شبيت سليقته ، والذي نعرفه أن كثرة من اللغويين يقرون صحة (زوجة) أيضا ، ولكن الاصمعي كان يضع اللغة التي لها نظير من القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة — ومن ناحية أخرى فانه لا يعيب ذا الرمة على جهة الاطلاق ولكن ذا الرمة كان أعرايا فصيحاً موثقاً لدى الاصمعي قبل أن يقيم بالبصرة وتفسد بهذه الإقامة سليقته ، يدلك على ذلك أنه احتج بشعر ذي الرمة في أكثر من موضع في كتاب النبات والشجر (4) .

(1) الخصائص 3 : 296 ط دار الكتب

(2) من قصيدة له في مدح بلال بن أبي بردة ، وقد اشار السي عجز
تقول له : ماذا أقعدك في البصرة ، الك زوجة فيها ؟ ام لك قضية
ينظرها القاضي

(3) الخصائص 3 : 295 ، الموشح 180

(4) النبات والشجر للاصمعي ص 7 و 8 و 23 و 36 و 37 و 43 ط.
بيروت سنة 1898

ونلاحظ في أبي عمرو بن العلاء اطمئنانه الى البيئات التي بعدت عن
شبهات الحضرة فأفصح الناس عنده أهل السروات (1) * وكان يتزود من
اللغة في الحجاز اذا حج ، فاذا تخلف عن الحج أرسل أخاه الى الحارث بن
خالد المخزومي يسأله عن الحروف (2) *

ولو لم يحرق ابو عمرو كتبه لوجدنا فيها وجهته في الرواية على
نطاق اوسع ولكن بحسبنا ما وجدناه منشورا في بطون كتب اللغة *
ومن تلامذة أبي عمرو ثلاثة رجال يعتبرون بحق رجال الرواية ،
وأصحاب منهجها العلمي هم الاصمعي ، وابو عبيدة ، وابو زيد *

عبد الملك بن قريب الأصمعي

وشخصية الاصمعي أكثر وضوحا من استاذة أبي عمرو ، لان بعض
مؤلفاته بقيت الى الآن ، ووجه عنايته الى تحصيل الشعر كما كان له في
هذا التحصيل ذوق واختيار ونظر ، قال : ما بلغت الحلم حتى رويت اثني
عشر ألف أرجوزة * ويقول عمر بن شبة : سمعت الاصمعي يقول :
(أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة) ، كأنه استمر في حفظ الارجيز بعد أن
بلغ الحلم ، ويبدو أن الخبرين مبالغ فيهما فليس في الشعر العربي كله
— بحسب تقديرنا — هذا العدد الضخم من الارجيز والاسماء لنا : فكم
من القصيدة اذن ؟ على كل حال سنأخذ من مدلول الخبرين مجرد الاخبار
عن الكثرة الكاثرة للحصيلة التي استظهرها من الشعر ، ولعلك تجد ما
يوضح هذا الوجه في خبر يحكيه التوزي عن المبرد يقول :

(1) | الاغانى 1 : 384 ط دار الكتب — والسروات ثلاث : الجبال المطلقة

على تهامة مما يلي اليمن ، اولها هذيل وهي تلى السهل من تهامة ،
ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ،
ثم سراة الازد — ازد شنوءة — وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب .

(2) | الاغانى 3 : 458 ط دار الكتب

كنا عند الاصمعي ، وعنده قوم قصدوه من خراسان وأقاموا على
 بابه فقال له قائل منهم : يا أبا سعيد ، خراسان يرجف بعلم البصرة
 وعلمك خاصة ، وما رأينا أصح من علمك فقال لا عذر لي ان لم يصح
 علسي ، دع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث والمحدثين ،
 ولكن قد لقيت من الشعراء الفصحاء وأولاد الشعراء : رؤبة ، ومسرود بن
 اللعين ، وبلالا ونوحا ابني جرير ، ولبطة بن الفرزدق ، ومحمد بن علقمة
 النيسبي ، وأبا بابل اهاب بن عمير ، وقطينة اللخسي ، وحطاما المجاشعي ،
 وابن ميادة ، والحسين بن مطير ، وابن هرمة ، وابن اذينة ، والحكم
 الخضري ، ودكينا العذري ، وابن شوذب المدني ، وأبا الاخضر الجماني ،
 وجندل بن المثني ، وأبا لحيانة ، والذي هاجاه — وهو الابرش — ولقيت أبا
 الزحف ، ومقاتل بن أبي داوود ، وأبا خيرة ، وأبا العراف ، وأبا العذافر ،
 وعسارة بن عطية ، وطفيل الكناني ، وقتادة بن يعرب اليشكري ، وابن
 الدميني ، وأبا حية أنس ، وابن الطثرية ، وأبا ترسيب وبفصاحته يضرب
 المثل ، والموار ، ومصرف بن الحارث ، وابنه الحارث بن مصرف ، وأبا
 العيثل ، ومحبس بن أرطاة ، وعريفا الكلبى ، وعلاكم بن نهير ، وابن
 شراد الغطفاني ، والعجيف العجلي ، وأبا القرين الفزاري وحفظت عنهم
 وسمعت منهم ، وسبقني أبو النجم ، وذو الرمة ، ومعبد بن طوق ، والوعيل
 ابن كليب ، وزياذ الاعجم ، ونهار بن توسعة ، وصخر ومغيرة ابنا حبناء ،
 وابن عرادة تعليل — وبى بعضهم رواية لا رواية وما عرف هؤلاء غير
 الصواب فمن اين لا يصح علسي ؟ والخبر يشير كسا ترى الى شعراء وابناء
 شعراء وأعراب .

وكان صاحب نظر في الشعر لا مجرد ناقل ، واختياره لطريقة التحصيل
 تؤدي الى هذه النتيجة بالاضافة الى طبيعته كعربي ، والى تكوينه العقلي ،
 فقد سعى الى الشعر في اماكنه ، وطوف في البادية ، وسمع من أعراب

رأى العين وناقشهم أو أطال معهم سبب الحديث ومن أعراب يعرفهم
بأسمائهم ، وأعراب يعرفهم بالشخص فيقول : سمعت فتى فى أرض كذا
أو أعرابية فى طريق كذا فإذا عاد الى البصرة جلس الى خلف الأحمر وكان
شيخ الرواة فى الشعر فتذاكرا القصائد والمقطعات وعرفا مذاهب الشعراء ،
واتجاهاتهم ، وأساليبهم وعاشا فى أخيلتهم ، فإذا ذكر البيت من الشعر
فطنا الى قائله أو رجحا نسبته اليه ، كان الإصمعى يسمع الشعر أحيانا
فيقول : ليس هذا الشعر لفلان انه أشبه بشعر فلان ، من ذلك انه سمع
البيتين التاليين منسويين الى امرئ القيس :

لنا غنم نسوقها غزار
كأن قرون جلثها العصى
فتسلا بيتنا أقطعا ، وسمنا
وحسبك من غنى شبع ورى

فقال : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا ، وأحسبه للحطيئة (1) لأن
الرجل كان يعرف من طبيعة امرئ القيس تطلعه الى الملك والسيادة فكيف
يرضيه من الدنيا شبع ورى وهو القائل :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى - ولم أدرك - قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل
وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى

وكان الإصمعى يعرف الكثير عن الحطيئة ، فمع نفوره من شعر
الهجاء - وأكثر بضاعة الحطيئة من هذا اللون - فإنه كان يحرص على
شعره حتى كتب له فى ليلة واحدة أربعين قصيدة (2) ويبدو أن الرجل كان

(1) الحيوان للجاحظ 5 : 495

(2) الأغاني 2 : 174 ط دار الكتب

يفرق بين العلم وبين التأثم فدراسة شعر الحطيئة شيء ، ورواية ما فيه من هجاء شيء آخر فى نظر الاصمعى - أما رأينا نحن فيختلف ، مما جعلنا نعيب على الاصمعى توقفه عن رواية شعر الهجاء •

ومنازل الشعراء عند الاصمعى لا تستند الى القرب والبعد عن البادية فحسب ، كما كان يرى أبو عمرو ، وانما كان يضيف الى هذا عوامل أخرى كالجودة والاكثر ، وله كتاب باسم (فحولة الشعراء) يذكر فيه الشعراء بأوصاف منها فحل ، وليس بفحل ، ويقول فى هذا :

الاعشى ، أعشى قيس بن ثعلبة ليس بفحل ، وعلقمة بن عبدة فحل ، والحرث ابن حلزة فحل ، وعمرو بن كلثوم ليس بفحل • وسئل عن مزرد أخى الشماخ قال : ليس بدون الشماخ ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس ، وكان الكتاب كله مساءلة بين أبى حاتم السجستاني وبين الأصمعى على هذه الصورة ، وأورد صاحب الموشح مثل هذه المناقشة عن الاصمعى فاذا استحثه أبو حاتم على التوسع فى رأى فانه كان يشير الى الشاعر الجيد المقل على أنه غير فحل فيقول عن الحويدرة : لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته العينية كان فحلا ، ومثل هذا الحكم أيضا قوله عن ثعلبة بن صغير المازلى ، ومعقر بن جمار البارقى ثم يزيد هذا العدد عندما يسأل عن أوس بن مغراء الهجيمى فيقول : لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول •

وهو قصير العبارة فى مقارنته بين شاعر وشاعر فقد سئل من أشعر : الراعى أم ابن مقبل ؟ فقال : ما أقربهما ، فلما ألح عليه أبو حاتم قال : الراعى أشبه شعرا بالقديم وبالأول - والاصمعى يستجيد أحيانا قصيدة واحدة أو بعض القصائد للشاعر فيعده من الفحول عند هذه القصائد وحدها • كما يقول وقد سئل عن كعب بن سعد الغنوى : ليس من الفحول

الا فى المراثية فانه ليس فى الدنيا مثلها — يعنى مراثيته التى قالها يرثى اخاه
أبا المغوار والتى مطلعها :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا
كأنك يحميك الطعام طيب

أما شعراء الحرب فانه كان يطلق عليهم اسم الفرسان وكأنها تقابل
الفحول ولا يجمع بين الفارس والفحل ، فقد سئل عن زيد الخيل فقال
هو من الفرسان ، وعن عمرو بن معد يكرب قال : من الفرسان، وعن خفاف
ابن ندبة ، وعنترة والزبرقان بن بدر قال : هؤلاء اشعر الفرسان فلما سئل
عن سليك بن السلكة قال : ليس من الفحول ولا من الفرسان (1)

وللاصمعى عبارات تكشف عن اتجاهاته فيقول عن بشار : لولا أن
أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم (2)

ويستمع من التوزى الى شعر السيد الحميرى فيطرب له ويستزيده
ثم يقول : قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ، ولولا ما فى
شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته (3) او يقول : ما أطبعه وأسلكه لسبيل
الشعراء ، والله لولا ما فى شعره من سب السلف ما تقدمه من طبقته
أحد (4) .

وكان الاصمعى يستجيد شعر نصيب ويقول اذا انشد هذه الايات :

-
- | | |
|-----|-----------------|
| (1) | الموشح 81 |
| (2) | الاغانى 3 : 143 |
| (3) | الاغانى 7 : 23 |
| (4) | الاغانى 7 : 236 |

فإن يك من لوني السواد فأننى
لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى سوادى وتحتها
لباس من العلياء بيض بنائقه
قاتل الله نصيبا ما أشعره •
ويعلق على قول ابن هرمه :

لا أمتع العوذ بالفصال ولا
اتباع الا قريية الأجل
بقوله : أما ترون كيف قال ، والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكن
كثيرا • ثم يقول : ما يؤخره عن الفحول الا قرب عهده •
ويقول فى شعر الحسين بن مطير : لو كان شعر العرب هكذا ما أثم
منشده (1) •

وهذه أحكام ليست كلها خالصة للغة ، وأكثرها يتجه الى النقد
الادبى أو يشير الى المكثرين والمقلين من الشعراء ، ولما كانت اللغة تؤخذ
عن الشعراء كما تؤخذ عن غيرهم ، بل انها كانت تؤخذ عن المجانين والاطفال
أحيانا استنادا الى الثقة فى سليقتهم ، فانه لا يعنينا فى كل هذه الاحكام
الا ما يقوله عن بشار : لولا ان ايامه تأخرت لفضائه على كثير منهم ، وعن
ابن هرمة : ما يؤخره عن الفحول الا قرب عهده ومعنى هذا أن أوثق
الشعراء عنده أقربهم عهدا بالعربية الفصيحة والتي انتهت اتفاقا بنهاية القرن
الثانى كمصدر موثق للاحتجاج •

كان الاصمعى فى هذا اذا أضفناه الى استاذه أبى عمرو بن العلاء

(1) الاغانى 1 : 354 ط دار الكتب ، معجم الادباء 10 : 473

يتجاوز ذا الرمة الى بشار بن برد ، فبينما كان الأول خاتم الشعراء عند أبي عمرو كان بشار خاتم الشعراء عند الاصمعي (1) .

واحتج في كتبه بالشعراء الذين كان يراهم أبو عمرو مولدين بالاضافة الى القدامى ، احتج بشعر الأخطل في كتاب الابل عندما فسر (العيشوم) بأنها الناقة اذا كانت كثيرة اللحم والوبر ، وجمل (عيشوم) اذا كان كذلك وأنشد له :

وملحَّب خضل الثياب كأنما

وطئت عليه بخفها العيشوم (2)

وفى كتاب خلق الانسان فسر الاصمعي كلمة (الجئل) بأنه الشعر الكثيف المتلف ، وكذلك من النبت والشجر واحتج بقول الأخطل :

غداة غدت غراء غير قصيرة

تذرى على المتنين ذا عذر جثلا (3)

وقال في نفس الكتاب (الصبحة والملحة لوان) وهو يياض الى الحمرة وما هو كلون الطبى يقال : رجل أصبح اللحية ، وأملح اللحية ... وقال الأخطل في الملحة :

ملح المتون كأنما ألبستها

بالماء اذ ييس النضيج جلالا (4)

واستشهد بشعر جرير في كتاب الدارات وهو يسمى (دارة صلصل)
فأنشد له :

(1) الاغانى 3 : 143

(2) الابل للاصمعي 103 ط بيروت ضمن كتاب الكنز اللغوى

(3) خلق الانسان للاصمعي 172 ط بيروت سنة 1903 ضمن كتاب
الكنز اللغوى

(4) نفس المصدر ص 176

إذا ما حل أهلك يا سليمى
 بدارة صلصل شحطوا مرارا (1)

وفى كتاب الابل يذكر الاصمعى من ولد الناقة (الربع) اذا كان
 من نتاج الربيع والأم مربع ويستشهد بقول جرير :
 قد أطلب الحاجة القصوى فأدركها
 ولست للجارة الدنيا بزوار
 الا بغر من الشيزى مكللة
 يجرى عليها سديف المربع الوارى (2)

وفسر (هنيذة) بأنها مائة من الابل وهى معرفة غير منونة واحتج
 بقول جرير :
 أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية
 ما فى عطائهم من ولا سرف (3)

وفى كتاب خلق الانسان قال : يقال جدع أنفه ، وكشم أنفه ، ويقال :
 عبد أجدع وعبد أكشم ، قال جرير :
 هذى التى جدعت تيماء معاطسها
 ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى (4)

وفسر الجوانح بأنها الضلوع الصغار التى تلى الفؤاد ، والواحدة
 جانحة وذكر لجرير :
 تبكى على زيد ولم تر مثله
 برىا من الحمى سليم الجوانح (5)

-
- (1) الدارات للاصمعى 8 ط بيروت سنة 1898
 (2) الابل للاصمعى 74 ضمن كتاب الكنز اللغوى
 (3) كتاب الابل للاصمعى 116 ضمن كتاب الكنز اللغوى
 (4) كتاب خلق الانسان للاصمعى 190 ضمن كتاب الكنز اللغوى
 (5) كتاب خلق الانسان للاصمعى 216 ضمن كتاب الكنز اللغوى

واستشهد بشعر الفرزدق ايضا - ففي كتاب القلب والابدال لابن
السكيت يروى عن الاصمعي في تبادل الميم والنون (يقال للبعير اذا قارب
الخطو وأسرع : بعير دهامج ، وبعير دهانج - وقد دهمج يدهمج دهمجة
- دهنج يدهنج دهنجة وأنشد للفرزدق :

وعير لها من بنات الكداد
يدهنج بالقعو والمزود

ويروى يدهمج (1) *

وفى كتاب الابل للاصمعي يقول : اذا درت الناقة على الجوع والقر
فهي مجالح بغير هاء * ويقال قد جالحت الناقة تجالح مجالحة شديدة ***
وأنشد للفرزدق :

مجاليح الشتاء خبعثات
اذا النكباء ناوحت الشمالا

وكل غليظ الجسم من الابل وغيرها خبعثن (2) *
وقال : شرح الشباب : النتاج الذى ولد مع الشباب * قال الفرزدق :

ناتنى الغانيات فقلن هذا
أبونا جاء من تحت السّلام
ولو جداتهن سألن عنى
رددن على أضعاف السّلام
رأين شروخهن مؤزرات
وشرح لِدِىَّ أسنانِ الهرام (3)

(1) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 20

(2) كتاب الابل للاصمعي 89

(3) كتاب الابل للاصمعي 91

وفى كتاب خلق الانسان للاصمعى ، ذكر الاذن وقال : وفى الاذن الصماخ وهو الخرق الباطن الذى يفضى الى الرأس وفيه السّم • يقال فى مثل : سُدَّ سمك عنا ، قال الفرزدق :
ونفّستُ عن سُمِّيهِ حتى تنفّسا
وقلت له لا تخش شيئا ورائيا (1)

واحتج بشعر الراعى فى كتاب النبات والشجر فذكر من اسماء النبات السبط ، والنصى يكون فى السهل والرمل - فما دام رطبا فهو نصى فاذا يبس فهو حلى ، فاذا تحطم واسود فهو الدويل • قال الراعى :
شهرى ربيع ما تذوق لبونهم
الا حموضا ، وحمّة ، ودويلا (2)

وذكر ابن السكيت فى تبادل السين والزاي قول الاصمعى
ويقال قد تسلع جلده ، وقد تزلع جلده أى تشقق وأنشد للراعى :
وغملى نصى بالمتان كأنها
ثعالب موتى ، جلدها قد تسلعا (3)

وفى كتاب الابل يقول الاصمعى : اذا لقيت الناقة عراضا من الفحل - والعراض أن يعارضها الفحل فيتتوخها فيضربها فذلك الضراب يسمى العراض ، ويقال لقيت الناقة يعارة كما ترى ، قال الراعى :
نجائب لا يلحقن الا يعارة
عراضا ، ولا يشربن الا غواليا (4)

(1) كتاب خلق الانسان للاصمعى 170 ضمن كتاب الكنز اللغوى

(2) كتاب النبات والشجر للاصمعى 32 ط بيروت سنة 1898 م

(3) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 43

(4) كتاب الابل للاصمعى 66

وكان الراعى قد اشتهر أمره بذكر الابل وأوصافها ولذلك احتج
الاصمعى بشعره كثيرا فى كتاب الابل (1) •

وفى كتاب خلق الانسان للاصمعى : (يقال لشخص الرجل سماوته)
وأنشد للراعى :

كأن على اذنانها حين أبصرت
سماوته فيثا من الطير وقعا (2)

وفى كتاب خلق الانسان أيضا يصف الاصمعى (الارحاء) بأنها
ثمانية اضراس من كل شق من اسفل القسم وأعلاه ، وقال الراعى يصف
السيوف ويذكر الارحاء :

وبيض رقاق قد علتهم كبرة
يداوى بها الصاد الذى فى النواظر
إذا استكرهت فى معظم البيض أدركت
مراكز أرحاء الضروس الأواخر (3)

والاصمعى صاحب رأى واسع فى مجال الرواية لا يقف عند القرب
أو البعد من البادية كأستاذة ابنى عمرو ، بل ربما عاب الأعرابى القح
لأسباب اثرت فى سليقته ، وربما اطمأن الى رجل من الموالى عاش فى
البادية واكتسب لسان اهلها • ويحكى الاصمعى فى خبر يزيد بن
ضبة فيقول انه مولى ثقيف ولكنه كان فصيحاً وقد أدركته بالطائف ،
وقد كان يطلب القوافى المعتاصة والحوشى من الشعر • وقال
ابو حاتم فى خبره - وأبو حاتم احد تلامذة الاصمعى - (وحدثنى غسان

(1) انظر كتاب الابل ص 96 و 97 و 100 و 113 و 126 و 140

(2) كتاب خلق الانسان 163

(3) كتاب خلق الانسان 191

ابن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشايخ الطائفتين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبة الف قصيدة فاقسمتها شعراء العرب واتحلتها فدخلت في أشعارها (1) •

ويدلك على أن الرجل كان صاحب منهج منظم انه :
— كان يضع القرآن الكريم في أعلى مراتب الفصاحة ، وفي ذلك يقول أبو حاتم : كان الاصمعي ينكر (زوجة) ويقول انما هي (زوج) ويحتج بقوله تعالى (امسك عليك زوجك) قال : فأشدته قول ذي الرمة :

أذو زوجة في المصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا (2)

فقال : ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل فسي حوانيت البقالين أي أن عربيته شيبت بمجالسته لغير الأعراب في هذه الحوانيت • والحقيقة أن الاصمعي لم ينكر صواب (زوجة) ولكنه كما قلنا كان يتشبث بالافصح ، قرىء عليه شعر عبدة بن الطبيب وهو شاعر ادرك الاسلام :

ولقد علمت بأن قصرى حفرة
غبراء يحملني اليها شرجم
فبكي بناتي شجوهن وزوجتي
والطامعون السي ثم تصدعوا
وتركت في غبراء يكره وردها
يسفى على الترب حين أودع

فلم ينكره (3) •

(1) الخبران في الاغانى 9 : 103 ط دار الكتب

(2) طبقات الزبيدي 190

(3) النوادر لابي زيد 23 — 24

— وكان لا يقبل الشعر لمجرد صدوره عن بدوى بل لا بد من وضعه
تحت اختبار ذوقى يتصل بالفهم الدقيق للعربية فعاب ذا الرمة فى قوله .
حتى اذا دوّمت فى الارض راجعه
كبر ، ولو شاء نجى نفسه الهرب

قال الاصمعى : لا يكون التدويم الا فى السماء دون الارض فيقال
دوى فى الارض ودوّم فى السماء (1) وان الصواب انما هو قوله :
والشمس حيرى لها فى الجو تدويم (2)

وسمع قول أبى النجم :
وهى على عذب روى المنهل
دحل ابى المرقال خير الأدحل
من نحت عاد فى الزمان الاول

فقال الاصمعى : الدحل لا تورده الابل ، انما تورده الركيا (أى
الآبار) والدحلان لا تحفر ولا تنحت انما هى خروق وشعاب فى
الارض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه وهى هوة فى الارض
يضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء (3) . ويحكى مرة فيقول : سألت
أعرابيا ونحن بالموضع الذى ذكره زهير فى قوله :
ثم استمروا وقالوا ان موعدكم
ماء بشرقى سلمى فيد أو ركك

(1) الخصائص 3 : 296 وكان الاخفش وابن الاعرابى يفسران اللفظ
بأنه من دام يدوم فتكون دوّمت يعنى ابعّدت لا بمعنى الدوران
وذهب الازهرى فى التهذيب مذهب الاصمعى ، انظر اللسان : دوم .

(2) الاقتضاب 159

(3) الاغانى 10 : 161

اتعرف ركاكا هذا ؟ فقال : قد كان ههنا ماء يسمى ركا ، فعلمت أن
زهيرا احتاج اليه فحركه ، أى أنه ضرورة شعرية ، وقد يجوز أن يكونا
لغتين - رك وركك (1) •

ولم يسترح حين سمع أبا عبيدة ينشد قول حاجب بن زرارة :
شتان هذا والعناق والنوم

والمشرب البارد فى ظل الدوم

فقال : حاجب نجدى ، والدوم شجر ينبت بالحجاز وكان ينشده :
الطل الدوم ، أى الدائم (2) •

- وكانت روايته عن خلص الاعراب ، وطول مكثه فى البادية قد
أعانه على مهمته كراوية يحفظ ، ويتذوق ، ويعى ، وينقد ، ويستبقى ما
يعتقد انه صحيح ، ويجحفل - على حد تعبيره - بما عداه ، كان على علم
واسع بخلق الفرس ، وكانت تذكر امامه الاوصاف فينقدها نقد الخبير
العارف ، سمع قول امرئ القيس :

وأركب فى الروع خيفانة

كسا وجهها سعف منتشر

فقال : اذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريما ، والجيد
الاعتدال كما قال عبيد :

مضبر خلقها تضبيرا

ينشق عن وجهها السبيب (3)

وكان من حقه بعد أن ترس فى هذا اللون أن يخرج بعض الشعراء

(1) المحتسب لابن جنى 2 : 27

(2) نزهة الالباء 148 - 149

(3) الموشح 25 والمضبر = المجتمع الخلق موثقه

من عداد الفحول فى وصف الفرس فكان يقول : لم يكن النابغة وزهير
وأوس يحسنون صفة الخيل ، ولكن طفيل الغنوى فى صفة الخيل غاية
النعث (1) .

ورأيه حسن فى أبى النجم ، قيل له يوما يا أبسا سعيد : أى الرجز
أحسن وأجود ؟ فقال : رجز أبى النجم (2) ومع هذا فقد عابه حين وصف
فرسه بقوله :

تسبح أخراه ويطفو أوله

وقال : أخطأ فى هذا لانه اذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع
منه . . . وانما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، وقال :
وخير عدو الذكور أن تشرف ، وخير عدو الاناث أن تنبسط وتصفى كعدو
الذئب (3) .

— ولا أعرف حجته فيما انفرد به من خلاف فى صيغه فعل ، وأفعل ،
فلقد طعن فى بيت زهير :

حتى اذا أنبت البقل

لانه يجيز (فعل) من هذا الفعل ، ولا يجيز أفعل (4)

ولم يلتفت الى قول رؤبة بن العجاج :

يعرضن اعراضا لداء المتفتن

لا يجيز أفعل من (فتن) (5) .

(1) الموشح 41

(2) الاغانى 10 : 158

(3) الاغانى 10 : 161

(4) الجماهرة فى اللغة لابن دريد 3 : 438

(5) الجماهرة فى اللغة لابن دريد 3 : 436

وله كتاب فى صيغة فعل وأفعل يتجه فيه الى تغليب لغة القرآن الكريم ويستضعف ما عداها ، كان ابو زيد يقول : أهل نجد يقولون أكننت اللؤلؤة والجارية فهى مكنة ، وكننت الحديث ، وكل صواب ، ولكن الاصمعى كان يفرق بين الصيغتين ، فيستعمل للشئ فى معنى الصون (فعلت) تقول كننت الدر والجارية وكل شئ صنته فأنا أكنها ، وأنا كان" ، وهى مكنونة ، وفى القرآن (كأنهم لؤلؤ مكنون) . وصيغة أكننت تستعمل لاختفاء الحديث والشئ فى النفس وفى القرآن (أو أكننتم فى أنفسكم) وقال جل شأنه (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) (1)

ومن تضيق الاصمعى ما حدث به أسيد بن خالد الانصارى قال : قلت لابی زيد النحوى : ان الاصمعى قال : لا يقال شتان ما بينهما انما يقال : شتان ما هما وأنشد قول الأعشى :

شتان ما يومى على كورها

فقال : كذب الاصمعى ، يقال شتان ما هما ، وشتان ما بينهما وأنشدنى لربيعه الرقى :

لشتان ما بين اليزيدى فى الندى

يزيد سليم ، والأغر بن حاتم (2)

وذكر عمر بن أبى ربيعة فقال : (عمر حجة فى العريية ولم يؤخذ عليه الا قوله :

ثم قالوا تحبها : قلت بهرا

عدد الرمل والحصى والتراب

(1) فعلت وأفعلت للاصمعى

(2) الاغانى 16 : 255

لانه حذف همزة الاستفهام (1) فى تحبها . ومن الناس من يزعم
أنه انما قال :

قيل لى هل تحبها ؟ قلت بهرا - أى بهرنى بهرا

واحتج بشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات فى كتاب الابل (2) وعابه
فى مكان آخر (3) واحتج بشعر الكميت فى كتاب خلق الانسان (4) وفى
كتاب القلب والابدال لابن السكيت (5) ثم وصفه بأنه جرمقانى من أهل
الموصل عندما احتج ابو حاتم بشعره فى جواز فعل وأفعل من برق
ورعد (6) .

ومجمل القول فى الاصمعي أنه نهج فى الشعر المتصل برواية اللغة
منهجاً علمياً فكان :

- لا يعطى كل الاطمئنان واليقين لمجرد أن الشعر منسوب الى شاعر
جاهلى ، وقد وجدناه يشك فى نسبة أبيات الى امرئ القيس لمجرد أنها
لا تأتلف مع طبيعة رجل يرتفع قصده عن مجرد الشبع والرى لأنه يطلب
ملكاً .

- ويسع شعر حاجب بن زرارة ، وفيه كلمة (الدوم) يفسرها
ابو عبيدة على انها شجر الدوم ، فيأبى الاصمعي ذلك ، لان حاجبا نجدى
والدوم شجر ينبت بالحجاز ويفسر الدوم بالدائم (7)

(1) الاغانى 1 : 79

(2) كتاب الابل للاصمعي 125 ، 148

(3) الموشح 186

(4) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 37

(5) كتاب خلق الانسان 182

(6) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 37

(7) الامالى للقالى 1 : 96

— ويسمع البيت :

فما برحت فى الناس حتى تبينت

ثقيفا بزيزاء الاساة قبابها

أى ما زالت هذه الخمرة فى الناس حتى أتوا بها ثقيفا • فيقول
الاصمعى متعجبا : كيف تحمل الخمرة الى ثقيف وعندهم العنب ؟! (1)

— وذو الرمة والكميت موثقان عنده حتى اذا طال مكثهما بالحضر
عبر عن زيفهما بقوله عن الاول (أكل البقل والملوح فى حوائت البصرة)
وعن الثانى (جرمقانى من اهل الموصل) •

عرف عن الاصمعى هذه الملاحظ الدقيقة كما عرف عنه أيضا سعيه فى
الحصول على أشعار بعينها كأنه يجد فيها جانبا خاصا من جوانب اللغة ،
فقد وجدناه يعنى بشعر الحطيئة ويكتب منه أربعين قصيدة فى ليلة واحدة
مع نفوره من شعر الهجاء ، وهو شديد العناية بشعر الهذليين ، فحصله ،
وعقد له المجالس يرويه الناس ، فلما سمع بمحمد بن ادريس الشافعى
وكان أحسن الناس معرفة بأشعار هذيل رحل اليه وصحح عليه اشعار
هذيل (2) واذا كانت نسخة الهذليين الموجودة بأيدينا هى رواية ابن سعيد
فقد اعتمد السكرى على رواية الاصمعى فى خمسة أجزاء من ثمانية منها
كما كان يعود الى رأى الاصمعى فى أكثر من مقارنة ، فيقول مثلا :
والاصمعى يروى هذا البيت متأخرا عن الذى يليه ، او يحذف هذا البيت ،
او لم ترد هذه الايات فى رواية الاصمعى ، وعلق السكرى على قصيدة
ابى ذؤيب التى مطلعها :

يا بيت خثماء الذى يتحب

ذهب الشباب وجبها لا يذهب

(1) كتاب 'الصناعتين لابی هلال العسكري 71

(2) معجم الادباء 17 : 286 و 299

بقوله : ان الاصمعى لم يعرف هذه القصيدة ، ويعزز رأى الاصمعى
فى عدم نسبتها الى ابى ذؤيب بقوله : ان كلثوم بن خالد ينسبها لرجل من
خزاعة ، وان الزبير ينسبها الى ابن أبى دياكل (1)

والاعلم بن يوسف الشنتمرى وهو اندلسى من رجال القرن الخامس
حين جمع اشعار ستة من القدماء فى ديوان واحد وهم ، امرؤ القيس ،
والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، بدأ فى كل ديوان برواية
الاصمعى حتى اذا استوفاهما ، ميز آخرها وقال : اعتمدت فيما جلبته من
هذه الاشعار على اصح رواياتها وهى رواية عبد الملك بن قريب الاصمعى
لتواطىء الناس عليها واعتيادهم لها واتفاق الجمهور على تفضيلها .

وهو ان وسع دائرة الاحتجاج بالاضافة الى ابى عمرو بن العلاء
واحتج بن رفضهم استاذهم ، فلقد ضيق هذه الدائرة بالنسبة لمن عاصره أو
جاء بعده ، فكان ابو زيد وابو عبيدة يتفقان ويختلف الاصمعى الذى كان
يضيق ولا يجيز الا اصح اللغات ويلج فى دفع ما سواه (2)

ابو عبيدة

ابو عبيدة معمر بن المثنى — احد كبار الرواة بالغ فى التحصيل
مدفوع بعقدة الموالى — فيما اعتقد — ليحقق بذلك مجدا علميا ، ولقد
وقف موقفا معاديا لكثير من معاصريه من العلماء ، وأعطى جزءا من عنايته
للتأليف فى مثالب العرب .

ولقد تنبأ بمكائنه العلمية مكانا مرموقا حتى قال عنه الجاحظ : (لم

(1) ديوان الهذليين 1 : 63

(2) العمدة 2 : 57

يكن في الارض خارجي ولا جماعى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة (1) ولكن الخصومة التى نشأت بينه وبين معاصريه ربما نشأت من أمرين هامين ، ومن أمور أخرى جانبية ، وأكثر الاسباب وضوحا فى هذه الخصومة هو التحصيل الغزير الذى عرضه على عقل غير ملتزم بالناحية النقلية ، وحيث اختلفت عقليته عن كثير من معاصريه — وخاصة رواة اللغة — كانت الخصومة تتجه الى الناحية الثانية ، الى شعوبيته ، فقل انه كان يخطئ اذا قرأ القرآن نظرا ، أو انه كان لا يقيم اعراب البيت من الشعر الى غير ذلك مما يتهم به الاعاجم ، وحين بدت الروح المتحررة فى مؤلفات أبى عبيدة وخاصة فى كتاب مجاز القرآن ثار عليه اهل المصيرين : الكوفة والبصرة على السواء ، وكل ما اتهم به أنه فسر القرآن بعقله .
أما اعتماده على الشعر الموثق فى سياق احتجاجه للعربية فأمر واضح فيما وقع الينا من مؤلفاته وكل ما استرعى نظرى أنه احتج بزياد الاعجم فى شعره .

فسر أبو عبيدة فى كتابه مجاز القرآن قوله تعالى من سورة التوبة (ومنهم من يلمزك) ففسر اللمز بأنه : العيب واحتج بقول زياد الاعجم :
إذا لقيتك تبنى لى مكاشرة

وان اغيب فأنت العائب اللمزة (2)
كما احتج به فى كتاب القلب والابدال لابن السكيت فى باب تبادل اللام والنون بقوله :

إذا تعشوا بصلا وخلا

وجوفيا وسمكا قد صلا (3)

(1) البيان والتبيين 1 : 331 ط السندوبى ، و 1 : 347 ط عبد السلام هارون

(2) مجاز القرآن 1 : 262 — 263 والبيت فى الطبرى 10 : 108 ط بولاق غير منسوب

(3) القلب والابدال لابن السكيت ص 6

والرواية عن زياد الاعجم والاحتجاج بشعره أمر يثير الانتباه ويدعو الى التريث والتأمل ، فزياد - كما يحكى أبو الفرج - نشأ مولى لعبد القيس فى اصبهان ، ثم انتقل الى خراسان فلم يزل بها حتى مات ، وقيل ايضا انه كان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه (1) .

دعا غلاما له ليرسله فى حاجة فأبطأ فلما جاء قال له : منذ لدن دأوتك الى أن قلت لبسّى° ما كنت تسناً ؟ يريد : منذ لدن دعوتك الى أن قلت لبسك ماذا كنت تصنع ؟ (2) وكان لا يستطيع نطق الحاء أيضا ، ذكروا أنه رثى المغيرة بن المهلب فقال :

ان الشجاعة والسماحة ضمتا

قبرا بدرو على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به

كوم الهجان وكل طرف سابح

فقال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامة ، أفعرت أنت عنده ؟ قال : كنت على بنت الهمار ، يريد الحمار (3) .

وذكر الجاحظ عن أبي عبيدة أنه كان يجعل السين شيئا ، والطاء تاء فكان ينشد قوله :

فتى زاده السلطان فى الود رفعة

اذا غير السلطان كل خليل

فيقول : فتى زاده الشلتان (4) .

(1) الاغانى 15 : 380

(2) الاغانى 15 : 380 ط دار الكتب

(3) الاغانى 15 : 382

(4) البيان والتبيين 1 : 71 ط عبد السلام هارون

وكان ابن قتيبة يعده لحانا وذكر قوله ليزيد بن المهلب :
 هل لك فى حاجتى حاجة
 أم أنت لها تارك طارح
 أمتها - لك إلخير - أم أحيها
 كما يفعل الرجل الصالح
 اذا قلت : قد أقبلت أدبرت
 كمن ليس غاد ولا رائج
 وكان ينبغي أن يقول غاديا ولا رائحا - وقال : وهو كثير اللحن فى
 شعره ، ولهذا قيل له الأعجم لفساد لسانه فى فارس (1) *
 ولقد عيره بهذه العجمة ، المغيرة بن حبناء عندما طلبت ربيعة من
 زياد أن يذب عن أعراضها فقال :
 يقولون ذب يا زياد ولم يكن
 ليوقظ فى الحرب الملمة نائما
 ولو أنهم جاءوا به ذا حفيظة
 فيمنعهم ، أما ماجدا ، أو مراعما
 ولكنهم جاءوا بأقلف قد مضت
 له حجج سبعون يصبح رازما
 لئما ذمما أعجيبا لسانه
 اذا نال دنا لم يبال المكارما
 كما وصف المغيرة بنات زياد بأنهن ولائد جاريات لا يختتن كالهجينات
 يقمن فى اصطخر :
 فأصبحت علجا من يزرك ومن يزر
 بناتك يعلم أنهن ولائد

(1) الشعر والشعراء 398

وأصبحن فلقا يغتزلن بأجره
حواليك لم تجرح بهن الحدائد
تقرن من موسى ، وأقررن بالتى
يقر عليها المقرفات الكواسد
باصطخر لم يلبسن من طول فاقة
جديدا ولا تلقى لهن الوسائد (1)
وفى مرة أخرى يهجوهم المغيرة بهذه العجمة أيضا فيقول :
أزياد انك والذى أنا عبده
ما دون آدم من أب لك يعلم
فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم
ما لا يطيق وأنت عالج أعجم (2)

ويبدو أن المغيرة قد لاحظت عقدة فى لسان زياد ، فقد اجتمع هو
والمغيرة بن حبناء وكعب الاشقرى عند المهلب ومدحوه فأمر لهم بجوائز
وفضل زيادا عليهم ووهب له غلاما فصيحاً ينشد شعره (3) وقد غضب
المغيرة أن فضل المهلب زيادا عليهم فقال : اصلح الله الامير ، ما السبب فى
تفضيل الامير زيادا علينا ، فوالله ما يغنى غناءنا فى الحرب ، ولا هو
بأفضلنا شعبا ، ولا أصدقنا ودا ، ولا أشرفنا أبا ، ولا أفصحنا لسانا (4).

هذا وجه لزياد الاعجم أمدتنا به الاخبار ووضعتنا فى تأمل طويل أو
على الأصح فى حيرة . أما الوجه الثانى فهو شديد القرب من طبيعة الشاعر
الذى يعتمد على شعره فى الاحتجاج — ووجود هذين الوجهين لزياد

(1) الاغانى 13 : 94 — 96 ط دار الكتب

(2) الاغانى 13 : 92

(3) الاغانى 13 : 89

(4) الاغانى 13 : 90

الاعجم يجعلنا نقلب الامر لنرى رأيا فيما ذهب اليه ابو عبيدة من الاحتجاج
بشعره •

هذا الوجه الثانى يتمثل فى شهرة زياد بالفصاحة وقوة العارضة ،
وقد تعجب ان يوصف الرجل مرة بالعجمة ومرة بالفصاحة ، وقد يزداد
عجبك أن تجد الوصفين فى مصدر واحد ، فلقد وصفه ابو الفرج أيضا
بقوله :

(..... وكان شاعرا ، جزل الشعر ، فصيح الالفاظ على لكمة
لسانه) ووصف قصيدته فى رثاء المغيرة :
قل للقوافل والقرى اذا غزوا
والباكرين وللمجد الرائح

بأنها طويلة ومن نادر الكلام ونقى المعانى ، ومختار القصائد وهى
معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومقدمها (1) •

ويبدو أنه لسبب لكمة زياد قد ارتابوا فى نسبة هذه القصيدة له فقال
أبو الفرج : أخبرنى على بن سليمان الاخفش عن السكرى عن محمد بن
حبيب أن من الناس من يروى هذه القصيدة للصلتان العبدى ، وقال :
وهذا قول شاذ ، والصحيح أنها لزياد قد دونها الرواة غير مدفوع عنها (2)

ولقد بلغ من أمر هذا الرجل أن خافه الفرزدق ، وخاف لسانه بعد أن
سمع شعره ، والفرزدق له لسان فى الشعر واللغة شهد بذلك يونس (3)
والجاحظ (4) لقيه يوما فقال له الفرزدق : لقد هممت أن أهجو عبد

(1) الاغانى 15 : 381 ط دار الكتب و 14 : 99 ط بولاق

(2) الاغانى 15 : 381

(3) و (4) البيان والتبيين للجاحظ 1 : 381 ط عبد السلام هارون

القيس قال له زياد : كما أنت حتى اسمعك شيئاً ثم قال : قل ان
شئت أو أمسك ، قال : هات ، قال :

وما ترك الهاجون لى ان هجوته
مصحا أراه فى أديم الفرزدق
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا
لكالبحر مهما يلق فى البحر يغرق

فقال له الفرزدق : هلم نتتارك ؟ قال : ذاك اليك وما عاوده بشيء (1)

وتعرض لكعب الاشقرى ، وكان رابع أربعة هم شعراء الاسلام فسى
نظر الفرزدق ، ومن كلام زياد يهجو الاشاعر :

نبئت أشقر تهجوننا فقلت لهم
ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثرون وان طالت حياتهم
ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة
كالفقع بالقاع لا أصل ، ولا ورق
ان الأشاعر قد أضحوا بمنزلة
لو يرهنون بنعلى عبدنا غلقوا
غلق الرهن = استخفه المرتهن

ثم شكاه كعب الى المهلب عندما هجا الازد بقوله :

هل تسمع الازد ما يقال لها
فى ساحة الدار أم بها صمم

(1) الافانى 15 : 392 ط دار الكتب

اختتن القوم بعدما هرموا
واستعربوا ضلة وهم عجم (1)

ونكتفى بهذا القدر من التعريف بزياد الأعجم لئلا نقش الوجه ففى
احتجاج أبى عبيدة بشعره •

أميل، وقد رأيت أبا عبيدة يحتج بشعر زياد أن أفسر هذه العجمة بأنها
لا تعدو أن تكون عيبا خلقيا يصيب أعضاء النطق ، ويحصل للعربى وغير
العربى دون أن يؤثر فى السليقة ، ولكن قد يشاع عن الانسان هذا العيب،
ويتندر به الناس ، وتكثر فى هذا التندر الروايات والاقاويل • ولعلك
لاحظت اختلاف الرواة فى الحرف الذى لا يستطيع زياد نطقه ففى مراجعته
لخادمه قائلا « منذ لدن دأوتك الى ان قلت لبي ما كنت تسنا » وهو الخبر
الذى ذكره أبو الفرج نرى زيادا لا يستطيع نطق العين فيقلبها همزة ، ولا
يستطيع نطق الصاد فيقلبها سينا • وفى الخبر الذى يليه - وقد ذكره أبو
الفرج أيضا - يقول زياد : كنت على بنت الهمار ، يريد الحمار ، كأنه لا
ينطق الحاء ، وذكر الجاحظ عن أبى عبيدة ان زيادا كان يجعل السين
شينا والطاء تاء فكان يقول فى السلطان : الشلتان •

ولعل فى هذا الاضطراب ما يقوى يقينك ان زيادا كان يعانى من
عقدة فى لسانه بالغ شائثوه فى تصويرها حتى عده أكثرهم أعجميا بالمعنى
المقابل للفصيح ، فالسين التى فى السلطان ونطقها شينا (الشلتان) قد
نطق بها صحيحة وهو يقول لخادمه : ماذا كنت تسنا - والحاء التى لم
يستطيع النطق بها فقال (الهمار بدل الحمار) كانت قافية القصيدة التى رثى
بها المغيرة بن المهلب ، أى كانت قصيدة حائية ، بل ربما كانت أخف القوافى

(1) الاغانى 14 : 288 ط دار الكتب ، 13 : 56 ط ساسى . الضلة =
الحيرة

عنده فقد رأيناه مرة أخرى وقد أعد قصيدة حائية يهجو بها يزيد بن حبناء
الضبي مطلعها :

يحذرنى الموت ابن حبناء والفتى
الى الموت يغدو جاهدا ويروح
الى آخرها (1) •

ولو أن الرجل كان مصابا حقيقة (بالحاء) لهرب منها ، أو على الأقل
لم يتخذها قافية تطارده عند نهاية كل بيت ونحن نعرف أن القافية هي
أحسن مكان يستريح عنده الشاعر فكيف وضع نفسه في هذا المأزق ان
كان لا يحسن الحاء وهو الشاعر المشهود له بالقدرة على الشعر والتصرف
فيه حتى لجأت اليه ربعة كلها تقول له : « يا زيادا أنت لساننا فاذب عن
أعراضنا بشعرك وان سيوفنا معك » (2) •

ومما ذهبنا اليه أيضا أن وجود الرجل في خراسان أو في مرو أو في
اصبهان ونشأته في قبيلة عربية لا ينتج مثل هذه العجمة التي أفاض الناس
في تجسيمها ، فلقد ذهبت القبائل العربية الى هذه البلاد ومدت سكنائها
فيها قبيل الفتح الاسلامي وفي ابانه ، وأشار الى ذلك المثنى بن حارثة
الشيباني وهو يحسن جنوده قائلا : لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فانتا قد
تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقى السواد وشاطرناهم ونلنا منهم
واجترأ من قبلنا عليهم (3) ثم تلاحق دخول القبائل العربية هذه البلاد ،
ومدت سكنائها الى أقصى الشرق في أرض فرغانة والشاش (4) في مطلع

(1) الاغانى 14 : 103 ط ساسى

(2) الاغانى 13 : 94 ط دار الكتب

(3) تاريخ الطبرى 2 : 631 ط الاستقامة

(4) فتوح البلدان للبلاذرى 437 ط الموسوعات

القرن الأول من الهجرة وفي ضواحي أصبهان نزلت بطون من ثقيف ، وتميم ، وبنى ضبة ، وخزاعة ، وبنى حنيفة وبنى عبد القيس (1) (قبيلة زياد) كما نزلت بطون من عبد القيس في مرو (2) وكان من سياسة الولاة في هذه البلاد الاستكثار من العنصر العربي ، فحين ولي زياد بن أبى سفيان الربيع بن زياد الحارثي خراسان حول معه من أهل المصريين : البصرة والكوفة خمسين ألفا بعيالاتهم وأسكنهم دون النهر (3) .

وفي أصبهان كان للسان العربي القح مكان فيها ، أشار الى ذلك ياقوت الحموي وهو يترجم للحسن بن عبد الله الاصبهاني المعروف بلغة فنقل عن حمزة بن حسن الاصبهاني في كتاب اصبهان : (وقد تقدم من أهل اللغة في اصبهان ، وصار فيها رئيسا يؤخذ عنه ، جماعة منهم أبو علي لغدة ، وكان رأسا في اللغة والعلم والشعر والنحو ، حفظ في صغره كتب أبي زيد ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، ثم تتبع ما فيها ، فامتحن بها الأعراب الوافدين أصبهان ، وكانوا يقدون على محمد بن يحيى بن أبان ، فيضربون خيمهم بفناء داره في باغ سلم بن عود ، ويقصدهم أبو علي كل يوم فيلقى عليهم مسائل شكوكة من كتب اللغة ...) (4) فأنت ترى للسليقة العربية مكانها في أصبهان لم تفقد دورها بعدها عن البادية الفصيحة .

ونشأة زياد وسط بطون عبد القيس لا يعطى بالضرورة سببا لهذه العجمة ، فأمره امرهم ، ونشأته نشأتهم ، وحديثه حديثهم — بل كان

(1) البلدان لليعقوبي 51

(2) معجم الادباء 8 141

(3) فتوح البلدان 410 ط ليدن

(4) معجم الادباء 16 : 71

أشعرهم — وألفاظه العريية. الصريحة الصحيحة الفصيحة لا يمكن صدورها
عن أعجمي — وإذا تحدثنا عن عبد القيس وجدناها تحتل المرتبة الثانية في
عداد القبائل الشاعرة كما يقول أبو عبيدة (اتفقت العرب على أن أشعر
أهل المدن أهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف) (1) .

وكل ما تفترضه ونراه قريبا هو إصابة الرجل بعيب من عيوب النطق
لا يرقى الى حالة العجمة ، والا فكيف احتج به ابو عبيدة وهو عمدة من
عمد الرواية اللغوية .

ثم ما رأيك في سيبويه هذا الرجل الذي قعد العريية معتمدا على
السنة اهلها ، قد وجدت سيبويه يحتج به في باب الساكن الذي تحركه
في الوقف اذا كان بعده هاء لمذكر الذي هو علامة الاضمار ، يحتج بقوله :
عجبت والدهر كثير عجيبه

من عنزى سبنى لم أضربه (2)

وها هو اللغوي المفسر المؤرخ محمد بن جرير الطبري يحتج بشعر
زياد الاعجم في سياق تفسير قوله تعالى (ومنهم من يلزك في الصدقات) (3)
ونحن لا ننسى للطبري مكانه العلمي حتى لو افترضنا انه نقل عن أبي
عبيدة .

وأبو الفتح عثمان بن جني الذي يرجح برأيه أي معترك لغوي نراه
يحتج بزياد الاعجم ويخرج بهذا الاحتجاج شواذ القراءات (4) .

يبدو أننا أطلنا الحديث في منعطف جرننا اليه زياد الاعجم ، ونسينا ،

(1) الاغانى 3 : 180 ط ساسي

(2) الكتاب لسيبويه 2 : 287

(3) تفسير الطبري 10 : 108 ط بلاق سنة 1337 هـ

(4) النظر المحتسب لابن جني 1 : 168 و 196

أبا عبيدة ودوره فى الشعر ، والكلام، عن زياد واختلاف الناس فى أمره قريب من اختلافهم فى أمر أبى عبيدة ، الأول لكلمة الأعجم التى لحقت بأسسه ، والثانى لشعوبيته — فلقد كان الثانى على علم غزير باللغة والأدب، والاخبار ، والانساب — والشعر عصب هذه المواد جميعا ، ويبدو أنه كان أغزر مادة من الأصمعى الذى عرف بسعة علمه بالشعر وتصرفه فيه ، ولكن حين يجتمع الرجلان تهبط كفة أبى عبيدة لشعوبيته ، وعبر العلماء عن ذلك بأكثر من مناسبة ، قيل لأبى نواس : قد أشخص أبو عبيدة والأصمعى الى الرشيد قال : أما أبو عبيدة فانهم ان امكنود من سيفرِه قرأ عليهم أخبار الأوائن والآخرين ، وأما الأصمعى فبلبل يطربهم بنغماته (1) وزعم الباهلى صاحب كتاب المعانى أن طلبة العلم كانوا اذا أتوا مجلس الأصمعى اشتروا البعر فى سوق الدر ، واذا أتوا أبا عبيدة اشتروا الدر فى سوق البعر ، والمعنى أن الأصمعى كان حسن الانشاد والزخرفة لردىء الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح ، وأن الفائدة عنده مع ذلك قليلة وأن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة وفوائد كثيرة والعلوم عنده جمة (2) وقال الخشنى : كان أبو عبيدة أكثر علما من الأصمعى وأكثر أخبارا وكتبا، وكان الأصمعى احضر جوابا وأرضى عند الناس (3) .

ولدينا مقارنة موضوعية لها وجهان ، الأول هذا الخبر الذى يرويه الأصمعى فيقول : (حضرت أنا وأبو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لى : كم كتابك فى الخيل ؟ فقلت : مجلد واحد ، فقال لأبى عبيدة عن كتابه فى الخيل فقال : خمسون مجلدا ، فقال له : قم الى هذا الفرس وامسك عضوا عضوا منه واذكر ، فقال : لست ببيطار وإنما هذا الشئ أخذته عن العرب،

(1) انباه الرواة 2 : 202

(2) انباه الرواة 3 : 279

(3) طبقات الزبيدى 188

فقال لى : قم يا أصمعى وافعل ذلك • قال : فقمى وأمسكت ناصية الفرس وشرعت أذكر منه عضوا عضوا ويدي على ذلك العضو وأنشد ما قالت العرب الى أن فرغت منه • فقال : خذه ، فكنت اذا أردت أن أغيط أبا عبيدة ركبته اليه (1) •

فحصيلة أبى عبيدة من شعر العرب ، ومن المادة التى جمع منها خمسين مجلدا اكبر من حصيلة الأصمعى ولكن معرفة الاصمعى بالدلالات كانت ميزة على صاحبه - وفى رواية أخرى لهذا الخبر أن المقابلة كانت عند الرشيد ، فلما انتهى الأصمعى من مهمته سأل الرشيد أبا عبيدة : ما تقول فيما قال ؟ قال : قد أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض ، فالذى أصاب فيه تعلمه منى والذى أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به (2) •

أما الوجه الآخر فى هذه المقارنة فنظرة فى كتابى الرجلين وهما - لحسن الحظ - تحت ايدينا ، نلمس فيهما اعتماد أبى عبيدة على حسن الترتيب ، وغزارة الشعر فقد بدأه بمقدمة تبين عناية العرب بالخيال ومدى صيانتهم لها لما كان لهم فيها من العز والمنعة والجمال ، وحكى عن العرب بعض ما قيل فى من يكرّم الخيل ، ومن يؤثرها على أهله ونفسه ، وفى ذم من يسىء اليها ثم أخذ فى تسميه خلق الفرس ، وما يوصف من أمر الخيل وفحولها واناثها وحال أولادها الى أن تنتهى أسنانها ، وذكر أسماء الطير فى الفرس ، وما يستدل به على جودة الفرس وجودة خلقه وعيوبه ، وما يخالف الذكر فيه الاثنى ، وتكلم عن الوانها ، وانواع مشيها وأصواتها ، وهو فى كل هذا يجد متسعا لقول الشعر استشهادا أو استطرادا حتى اذا فرغ من الكتاب عقب عليه بباب طويل مما قالت العرب فى أشعارها من صفة الخيل ، ذكر فيه قصائد لعلقمة بن عبدة ، وامرئ القيس ، وأبى

(1) انباه الرواة 2 : 201 ط دار الكتب 1369 هـ - 1950 م

(2) انباه الرواة 3 : 297 ط دار الكتب 1371 هـ - 1952 م

دؤاد الايادى ، وعبيد بن الابرص وعدى بن زيد العبادى ، وعوف بن
الخرع التيسى ، وبشر بن أبى خازم الاسدى ، وعروة بن سنان العبدى ،
وعروة بن مكرم التغلبى ، وعقبة التغلبى ، وغيرهم ممن عرف بجودة شعره
فى الخيل .

اما كتاب الاصمعى فقد تناول فيه ما يستحب من الخيل وما يكره
منها ، وصفة مشيها وعدوها والوانها الى غير ذلك ، وجعل وجهته خالصة
للغة فلم يتجه الى الشعر الا لغرض الاستشهاد فجاء كتابه دون كتاب أبى
عبيدة كما كان الكتابان يعبران عن الفرق بين الرجلين فى حصيلة الشعر
ودرجة الانتفاع به .

ولابى عبيدة كتاب (النقائض) يشهد بعلو كعبه فى ربط الاشعار
بدواعيها ولم يقتصر على ما جاء بعنوان الكتاب من نقائض بين جرير
والفرزدق وانما على قصائد ومقطعات اقتضاها السياق ، ولم يكتف فيه
بالناحية الاخبارية ولا جمع المادة الشعرية ولكن الكتاب فى مجموعه كتاب
لغة اعتمد على هذا المتن الواسع من الشعر .

أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري

كانت علاقة ابى زيد بالشعر تختلف عن زميليه الاصمعى وأبى عبيدة
الذين حضلا واستظهرا منه قدرا كبيرا ، وجاءت بعض مؤلفاتهما نتيجة
لهذا الحفظ كالاصمعيات وكتاب الارجيز ، ومعانى الشعر للاصمعى ،
والنقائض ، والشعر والشعراء لأبى عبيدة . وكان الأول يتجه اتجاها
لغويا فى تفسير مختاراته ، ويتجه الثانى اتجاها تاريخيا ولغويا وهو يقيم
كتاباه الأول على نقائض جرير والفرزدق . أما أبو زيد فقد جعل اختياره
الشعر والرجز بمثابة متن يشير من خلاله الى فرائد العربية ومع ذلك فقد
كانت القاعدة العامة التى بدت فى محاولة جمع الشعر تفرض نفسها أحيانا

على منهج أبى زيد فكان يورد بعض المقطعات القصار لا يتبعها بشرح ولا بيان لغوى كأن ذلك من (النوادر فى اللغة) وهو الاسم الذى اختاره لكتابه .

وحيث أقام هذا الكتاب على مختارات من الشعر والرجز يجعلها متنا يقضى عليه بشروح لغوية لم يجد ضيرا أن يجمع هذا المتن سماعه عن المفضل الضبى وهو رجل كوفى ، ومن غير المفضل لأنه سيدير دراسته اللغوية على مذهبه البصرى ، ويحتج لها ويوثقها على طريقته هو - ويجعل للعرب الكلمة المثلى فيما يرويه من لغات ولقد جاء ذلك واضحا فيما أخبر به أبو حاتم قال : قال لى أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعى من المفضل بن محمد الضبى ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعى من العرب - وجاء فى المقدمة أيضا عن التوزى أن أبا زيد قال : ما كان فيه من رجز فهو سماعى من المفضل ، وما فيه من قصيد أو لغات فهو سماعى من العرب - والقولان وان اختلفا فى مصدر الرجز والقصيد - يجمعان على أن اللغات كانت سماع أبى زيد عن العرب .

وأكثر الذين عنوا بالشعر من اللغويين لم يذهبوا فى جمعه الى مجرد الاختيار بمعنى استحسان القصائد والمقطعات وانما جعلوه سببا لمعرفة العربية ، أو التعريف بسائلها كتوضيح الغريب والوحشى من الالفاظ ، وبيان لهجات القبائل ، وفرائد العريية ، وبعض الخصائص كالاشتقاق ، والقلب والابدال ، والاضداد الى غير ذلك ونحن نعرف بكتاب أبى زيد كما بدا لنا من هذا الوجه .

روى كتاب (النوادر فى اللغة) فى عصر متأخر، فأضيفت اليه شروح وزيادات لم تكن من عمل أبى زيد اذ جاء بعضها متأخرا عن العصر الذى عاش فيه ، والحقيقة ان الكتاب يشل الرواية فى بغداد حيث نزع اليها

رجال من الكوفة ، والبصرة ، ونشأ جيل على مزاج من الثقافتين ، واشترك كل أولئك في شرح الكتاب وتحشيثه بفضل أبي الحسن علي بن سليمان الاخفش ، والاخفش وان نسب الى البصريين فانه زاوج بين الثقافتين ، وروى عن أبي العباس المبرد ، وثعلب ، ولذلك جاء كتاب النوادر لابن زييد صورة بغدادية ترى فيه الى جانب البصريين علما عن ابن الاعرابي ، والقراء وثعلب من رجال الكوفة ، فاذا استطعنا أن نستخلص مادة أبي زييد وهو عمل شاق ومتداخل رأينا في مسلك أبي زييد أكثر من وجه في وضع الكتاب ، منها :

— أن يأتي بمقطوعات غير مشروحة وكأنها مجرد اختيارات كقوله تحت باب شعر :

لا أرضع الدهر الا ثدي واضحة
أو واضح الخد يحمي حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها
تحت العجاجة ضرب غير عوار
يا ليتني — والمنى ليست بنافعة
لمالك أو لحصن أو لسيار
طوال أنضية الاعناق لم يجدوا
ريح الاماء اذا راحت بأذفار (1)

ويمكنك أن ترى صوراً من هذا الوجه في أبواب متفرقة من الكتاب (2) •

— وكانت الصورة الثانية ابياتا من القصيد أو الرجز ذيلت بشروح وتفسير لغريبها كروايته لقول عبدة بن الطبيب :

(1) النوادر 22

(2) النوادر 45 و 91 و 109 و 111

ولقد علمت بأن قصرى حفرة
غبراء يحملنى اليها شرجع
فبكى بناتى شجوهن وزوجتى
والطامعون الىّ ثم تصدعوا
وتركت فى غبراء يكره وردها
يسفى علىّ التراب حين أودع

ومن تفسيره لهذا الشعر قوله : الشرجع السرير الذى تحمل عليه
الموتى ، وقوله : قصرى اى قصارى اى آخر أمرى الموت والقبر ،
والشجو : الحزن — ولو قال فبكت لكان جيدا — وأشار الى كلمة زوجتى
فى الايات فقال : ويقال : هى زوجى (1) وهذه الصورة متكررة فى
الكتاب .

وفى التعريف بغريب الكلام ما يورده تحت باب شعر ، منسوباً الى
غامان بن كعب بن عمرو بن سعد :

الا قالت بهان ولم تأبق
نعمت ، ولا يليط بك النعيم
بنون وهجمة كأشاء بئس
صفايا كثة الاوبار كوم
تبك الحوض علاها ونهلى
وخلف ريادها عطن منيم
اذا اصطكت بضيق حجرتها
تلاقى السجدة واللطم

(1) النوادر 23 — 24

قال : يليط مثل يليق ، بهان اسم امرأة مثل حذام ، وتأبق تباعد
أخذه من اباق العبد أى لم يقر (1) . واتسع الشراح فى تفسير وشرح
هذا الشعر ولم نشأ أن نعرض لهم فنتشاغل بهم عن أبى زيد .

— ويشير ابو زيد الى كلمات تحذف ، وكلمات تأتى زائدة ، من
ذلك حذف المضاف اذا دل الكلام عليه . قال ابو زيد : أنشدنى المفضل
لرجل من بنى ضبة هلك منذ أكثر من مائة سنة :

ان لسعدى عندنا ديوانا
يخزى فلانا وابنه فلانا
كانت عجوزا عمرت زمانا
وهى ترى سيئها احسانا
أعرف منها الالف والعينانا
ومنخران أشبهها ظيانا

قال : ظيان : اسم رجل ، أراد منخرى ظيان فحذف ، كما قال عز
وجل (واسأل القرية) يريد أهل القرية (2) .

ومن الكلمات التى تأتى زائدة كلمة (كذب) ذكر أبو زيد شعر
لخداش بن زهير العامرى :

كذبت عليكم أوعدونى وعللوا
بى الأرض والأقوامَ قردانَ موظبا

وقال : معنى كذبت عليكم ، أى عليكم بى ، وتجىء (كذب) زائدة
فى الحديث والشعر قال عمر : كذب عليكم الحج فرفع الحج بكذب ،
والمعنى عليكم الحج أى حجوا وقال : نظر أعرابى الى فلان يعلف بعيرا

(1) النوادر 16

(2) النوادر 15

فقال : كذب عليكم البزر والنوى ، وفى الحديث ثلاثة اسفار كذب
عليكم (1) •

— وكان أبو زيد عالما بالنحو ويفضل الاصمعى وأبا عبيدة فكان
يأنى بملاحظ نحوية ويتلمس الاسباب للقول فيها : ذكر قول ضابىء بن
الحارث :

من يك أمسى بالمدينة رحله
فانى وقيارا بها لغريب

وقال : قيار : جملة — أراد فانى غريب ، وان قيارا أيضا لغريب ، ولو
قال : لغريبان لكان أجود — ويجوز وقيار بالرفع على الابتداء (2) •

وفى فعل وأفعل يروى قول الأسود بن يعفر :
أجد الشباب قد مضى فتسرعا
وبان كما بان الخليل فودعا

قال أبو زيد : جد فى الأمر وأجد (3)
— ومن لهجات القبائل أشار الى رواية المفضل الذى قال : أنشدنى
أبو الغول هذه الايات لبعض أهل اليمن :

يارب ان كنت قبلت حجتج
فلا يزال شاحج يأتيك بـج
أقمر نهات ينزى وفرتج

اراد حجتى ، ووفرتى ، وبى

وجاء فى كتاب القلب والابدال، ليعقوب بن السكيت فى باب الجيم

(1) النوادر 17 — 18

(2) النوادر 20

(3) النوادر 162

والياء هذا الشعر مرويا عن الفراء — وقال الأصمعي : حدثني خلف الأحمر
عن رجل من أهل البادية يقول :

المطعمون اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج
هلع بالود وبالصيصج

يريد بالعشى ، وقدر البرنى ، والصيصى وهو قرن البقرة •

وقال ابو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بنى حنظلة ممن أنت ؟
قال : فقيمج ، قال : وقلت : من أيهم ؟ قال : مرج • يريد فقيمي ، ومرى
وأنشد لهميان بن قحافة السعدى :

تطير عنها الوبر الصهايجا

يريد الصهاى من الصهبة — قال : وبعض العرب اذا شدد الياء
جعلها جيما وأنشد عن ابن الأعرابى لابی النجم :

كأن فى أذنا بهن الشوئل
من عبس الصيف قرون الأجل

يريد الأيتل — وقال ابو زيد : هو الصهريج والصهاريج ، وبنو
تميم يقولون : الصهرى والصهارى وهو الذى يجعل للماء يجتمع فيه (1)
وفى لهجات القبائل أيضا يقول أبو زيد : أنشدنى أبو الغول لبعض
أهل اليمن :

أى قلو ص راكب تراها
طاروا عليها فشل علاها
واشدد بمثنى حقب حقواها
ناجية وناجيا أباهـا (2)

(1) القلب والابدال لابن السكيت 28 — 29 ط بيروت سنة 1903

(2) النوادر 164

ويشير أبو زيد الى طريقة نطق أهل البدو فيما رواه عن رجل زعموا
أنه من كلب :

أرسل فيها بازلا يقرمه
وهو بها ينحو طريقا يعلمه
باسم الذى فى كل سورة سُمِّه

اراد اسمه ، وأنشد أعرابى :

أنا الحباب الذى يكفى سُمى نسبى
إذا القميص تعدى وِسْمَة النسب

وقال أيضا :

فدع عنك ذكر اللهو وأعمد بمدحة
لخير يمان كلها حيث ما اتنى
لأوضحها وجهها وأكرمها أبا
وأسمحها كفا ، وأعلنها سما

ثم قال - اى أبو زيد : يقال : سُمِّه ، وسِمِّه يريد الاسم (1)

ويعنى أبو زيد بالشعر أكثر من عنايته بالشاعر أو بتحقيق السند كأن
يقول : قال رجل زعموا أنه من كلب - أو - وأنشد أعرابى ، أو قال
الراجز ، وفى الكتاب الذى وضعه باسم (كتاب المطر) يحتج لكثير من
المسميات بأشعار غير منسوبة ويكتفى بقوله : قال الراجز (2) أو قال
الشاعر (3) ولم يجيء منسوباً فى هذا الكتاب كله الا بيت كثير عزة :

كساع الى ظل الغيابة يبتغى
مقيلاً فلما أن أتاها اضمحلت

(1) النوادر 166

(2) كتاب المطر 6 و 11 و 12 و 16 و 17 و 19

(3) كتاب المطر 6 و 7 و 14

يحتج به على أن الضيافة هي ظل السحابة عند بعض العرب ، وعند البعض الآخر الغيابة (1) بالياء •

وفى كتاب اللبأ واللبن لابي زيد أيضا رواية أبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل الرياشي لم يجيء فيه من الشعر منسوباً إلا بيت أعشى بنى عكل :

وان لم تقدر خمرة من ثمالها
فانك عن ألبانها سوف تسمن

محتجاً لكلمة ثماله بمعنى رغوة (2) •

هؤلاء الثلاثة : الأصمعي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد هم أهم رجال الرواية اللغوية في القرن الثاني وواضعو نهجها •

(1) كتاب المطر 15

(2) كتاب اللبأ واللبن 2 ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة ص 143 ط.
بيروت سنة 1908

الصف الثاني في البصرة - وعنايته بالشعر

ترأس من بعد الاصمعي ، وأبى زيد ، وأبى عبيدة ثمر من العلماء في
البصرة عنوا بالشعر عناية ملحوظة على أنه وعاء العربية وجامع متونها
فتكلموا في معانيه ، وغريبه ، وعروضه وقوافيه ، ومروا في أبحاثهم من
الأهم نازلين إلى المهم ، إلى ميادين لا تتصل برواية اللغة اتصالاً وثيقاً
كالكلام في القوافي والعروض ، ويسدو أن الذين ألفوا في القوافي
والعروض من رجال اللغة لم يبدأوا مؤلفين في هذا الغرض ولا هادفين إليه ،
ولكنهم استبانوا علماً به بعد أن قتلوا الشعر بحثاً عن معاني اللغة ،
ومفرداتها ، وخصائصها ، ولهجات القبائل فيه ، فجاءت معرفتهم بالقوافي
والعروض من وراء هذه السعة ، ولا تكاد تخلو ترجمة واحدة من تراجم
لغويي هذا العصر من دليل اتصالهم الوثيق بالشعر والتأليف فيه فلعبد الرحمن
ابن أخي الاصمعي كتاب معاني الشعر بالاضافة إلى عنايته بشعر الشماخ (1)
وكان الأثر يملأ شعر الراعي ويفسره واشتهر أمره بذلك حتى كان ثعلب
وابن السكيت وهما من رؤساء البغداديين على المذهب الكوفي يسألانه
عن غريبه (2) وعمل كل من الجرمي والمازني كتابين أحدهما في القوافي
والآخر في العروض (3) ويوصف الرياشي بأنه كان عالماً باللغة والشعر (4)
وكان أبو حاتم السجستاني عالماً باللغة والشعر حسن العلم بالعروض وإخراج
المعنى (5) وللمبرد شرح شواهد كتاب سيبويه ، والقوافي ، وكتاب ضرورة
الشعر ، وكتاب قواعد الشعر ، وكتاب العروض (6) وعمل تلميذه أبو
ذكوان كتاب معاني الشعر رواه ابن درستويه (7) وللأشنان كتاب

معاني الشعر *

(1)	طبقات الزبيدي 197	(2)	الفهرست 83 ط الرحمانية
(3)	الفهرست 84 و 85	(4)	الفهرست 86
(5)	انباء الرواة 2 : 59	(6)	الفهرست 88
(7)	الفهرست 88		

وحين انتقل رجال المذهب البصرى الى بغداد بقى هذا الاثر فيهم
فكتب في الشعر والشعراء ابن السراج وكان من تلامذة المبرد (1) ولابن
قتيبة كتاب الشعر والشعراء أيضا ولابن درستويه كتاب معانى الشعر (2) *
ونستطيع أن نمر مرورا هينا على أدوار الشعر المتصلة بالرواية
اللغوية الى أن نعيش مع أصحابنا رجال القرن الثالث على النحو التالى :

فهم ألفاظ القرآن الكريم

بدأ ذلك من عصر مبكر ابن عباس وعكرمة ، روى طلحة بن عمرو
عن عطاء قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عريية القرآن أنشد الشعر ،
ف قيل له ما زعيم ؟ فقال :

زعيم تداعاه الرجال زيادة

كما زيد فى عرض الأديم الاكارع

وعن ابن أبى مليكة قال : سئل ابن عباس عن (الليل وما وسق)
فقال وما جمع ، ألم تسمع قول الشاعر :

ان لنا قلائصا حقائقا

مستوسقات لو يجدن سائقا

.... الى غير ذلك (3) *

فاذا شذت كلمة عن مداركه تلمسها فيما يأتى الى سمعه من لهجات
القبائل الاخرى ، جاءه رجل يخاصم أخاه فى مال له فأشده :

تخوفنى مالى أخ لى ظالم

فقال : تخوفك ، تنقصك ؟ الله أكبر (أو يأخذهم على تخوف) أى

على تنقص من خيارهم *

(1) الفهرست 93

(2) النهرست 94

(3) مقدمتان فى علوم القرآن 198 نشرهما ارثر جفرى ط القاهرة
سنة 1945 م

وروى عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم فقال : هو ولد الزنى ، وتمثل
بقول الشاعر :

زنيم ليس يعرف من أبوه

بغى الأم ذو حسب لثيم

كان هذا الوجه يجرى على ندرة وقلة حين كان الناس على ارث من
سليقتهم اللغوية ويردهم الشعر الى ذاكرتهم ان كانت الآفة من النسيان أو
يحملهم الى لهجة أخرى لم يألفوا سماعها ، واجتمعت القبائل في البصرة
تألف لهجاتهم في أكثر الأحيان وتختلف أحياناً ويأتى اليها غير العرب
مستعربون ، ويدخل في دين الله فارسيون وهنود وزط وسبابجة ، وتشتد
الحاجة الى العربية فيبرز دور آخر للشعر هو :

التأديب فكنت تجد عند ابن عباس مجلساً للشعر (1) ، وعند ابن أبي
اسحاق مجلساً يصف مهمته فيه بقوله : (تفتى فيما استتر من معانى الشعر
وأشكل من غريبه واعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا أو اجتهدنا فيها
آراءنا) (2) •

ثم يتخصص هذا التعميم وتضييق دائرته ويتجه في فرع منه الى :
توثيق الفاظ العربية فلقد اتجه رجال اللغة الى جمع مفرداتها ، وتبويب
حصيلة هذا الجمع تحت موضوعات معينة كالدارات ، والوخوش ،
والنبات ، وخلق الانسان الى غير ذلك وكان على جامع هذه المفردات أن
يتسلح لما يأتى به بشواهد من كلام العرب وكانت أمثل الشواهد ما
صدرت عن عربى خالص العروبة فوضعوا لذلك الضوابط والحدود ،
وحرصوا في أكثر الأحيان على نسبة الشعر لقائله فتظهر فيه لهجة قبيلته •
وكان القرن الثانى موعداً لجمع اللغة وشواهدا من الشعر ، واستطيع فى
اطمئنان القول بأن عملية الجمع انتهت فى هذا العصر فى تلك الرسائل

(1) الاصابة 4 : 809 ترجمة رقم 9149 ط الهند

(2) انباء الرواة 2 : 106

والمجاميع التى وضعها الرواة وتبع ذلك أو سار مع نفس المسار جمع المعاجم ثم اتجه العلماء الى بيان خصائص العريية ومسائلها كالقلب والابدال والترادف والتضاد واعتمدت هذه الخصائص فى جوانبها الفنية على الشعر ايضا ، ولم يقف دور الشعر عند الدراسات اللغوية وانما وسع دائرة التوثيق الى :

الاتجاه التعليمى

وأقدم صورة لذلك فيما يبدو هى - رواية كتاب النوادر لأبى زيد - أقول رواية الكتاب لا الكتاب نفسه فلقد صدرت هذه الرواية عن أبى الحسن على بن سليمان الاخفش وأضاف شروحا لرجال جاءوا بعد عصر أبى زيد فبرزت هذه الصورة التعليمية التى استهدفت بيان ما غمض من ألفاظ الكتاب ، بالإضافة الى ابراز نوادر العريية فيه .

وربما سأل سائل عن الفرق فى دور الشعر فى مجالس الأدب عند ابن أبى اسحق فى القرن الأول ، ودوره فى توثيق ألفاظ العريية فى القرن الثانى ، وفى الاتجاه التعليمى فى القرن الثالث فنقول : ان دوره فى القرن الأول والثالث يتشابهان ووجهتهما واحدة ودواعيهما واحدة من حيث التعريف بالعريية بشرح غريبها ، يفصلهما هذا الدور الذى صاحب جمع اللغة والذى كان لا يقبل فيه لفظ غريب غير معتمد على شعر موثق لان اصحاب هذا الدور كانوا يجمعون أصولا فكان الشعر الموثق سند هذه الاصول ، فطلب الشعر الموثق لتأصيل الكلمة وبيان وجهها العربى غير طلب المعانى لتفهم الشعر ، الأول ينتجه اتجاها لغويا والثانى ينتجه اتجاها أدبيا .

وفى القرن الثالث اختلط الوجهان على أيدي اللغويين ، والفراغ الذى كان يشغل جمع اللغة قد اتسعت باحته باتتهاء هذا الجمع ، فأتسع الكلام فى الشعر وفى ألفاظه ، ووضعت فيه الكتب واختلفت وجهات التأليف باختلاف طبائع المؤلفين ، فقد يكون نحويا فتراه يحرص على بيان

هذا الوجه ويعنى باعراب الكلمات ، وقد يكون اخباريا فينحو بك ناحية التاريخ ، والاخبار والوقائع ، وقد يستعين اللغوى القح بمادة الشعر ليتكلم فى خصائص العريية ومسائلها فيوقفك على الاضداد ، والترادف ، والابدال ، والقلب الى غير ذلك ، وكلهم لغوى على كل حال ، ولكل وجهه البارز الذى عرف به .

أشار ابن النديم الى عالم بصرى ضمن اللغويين والتحويين هو سعيد ابن هارون الأشنادانى ، وذكر من كتبه : كتاب معانى الشعر ، وكتاب الأبيات ، ولعله يعنى أبيات الشعر ، والكتاب الأول وصل الينا رواية أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، وبالرغم من الاشارة الى الرجل بأنه لغوى كبير كما ورد فى بغية الوعاة للسيوطى فان العمق اللغوى فى كتاب معانى الشعر ضحل لا غور فيه ، ويكاد يقتصر على تفسير العبارات .

جعل الكتاب فى مقاطع بلغت مائة وأحد عشر مقطعا ، نكتفى بعرض المقطع الأول منه كتعريف بمسلك الاشنادانى ، يقول :

وشعشاء غبراء الفروع منيفة

بها توصف الحسناء ، أو هى أجمل

دعوت بها أبناء ليل كأنهم

وقد أبصروها — معطشون قد انهلوا

فقال : يصف نارا ، جعلها شعشاء لتفرق أعاليها بالدخان كأنها شعشاء الرأس ، و (غبراء) يعنى غبرة الدخان — وقوله : بها توصف الحسناء ، فان العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شعلة نار ، وكأنها بيضة فى روضة — ويقول (بها توصف الحسناء أو هى أجمل حسنا منها) — والمنيفة : المشرفة ، والمعطش : الرجل الذى عطشت ابله ، وقوله (دعوت بها أبناء ليل) يعنى أضيافا ، دعاهم بهذه النار ، وليس هناك دعاء وإنما دعاهم

بضوئها فلما رأوها كانوا من السرور بها كأنهم معطشون قد أوردوا إبلهم،
والناهل أيضا الذي سقى إبله أول سقية ، وهو من الاضداد (1) .

وللمبرد وجه آخر في تناوله للشعر ، وكان لغويا نحويا ، أدبيا
ذا تصرف في المعارف (2) ومؤلفاته التي حرصت على ذكرها في الهامش
تدلك على أن الرواة في هذا العصر — وقد انتهى جمع مفردات اللغة —
قد ذهبوا الى تشقيق فصولها ، فالذين التزموا بالجانب اللغوي كتبوا في
خصائص العربية ، وانتقلوا من معاني المفردات الى التراكيب ، وآخرون
جمعوا الى ذلك مادة الأدب والخبار ، وكان المبرد يجمع كل هذا ويضيف
الى ذلك سعة في النحو ، قدم لكتاب الكامل فقال :

(هذا كتاب الفناء يجمع ضروبا من الادب ما بين كلام منشور ،

-
- (1) معاني الشعر لالشنانداني 7 ط دمشق سنة 1922
(2) له من الكتب : الكامل ، الروضة ، المقتضب ، الاشتقاق ، الانواء
والازمنة ، القوافي ، الخط والهجاء ، المدخل الى سيبويه ، المقصور
والممدود ، المذكر والمؤنث ، معاني القرآن ويعرف بالكتاب التام ،
احتجاج القراء ، الرسالة الكاملة ، الرد على سيبويه ، قواعد
الشعر ، اعراب القرآن ، الحث على الادب والصدق ، قحطان
وعدنان ، الزيادة المنتزعة من سيبويه ، المدخل في النحو ، شرح
شواهد كتاب سيبويه ، ضرورة الشعر ، ادب الجليس ، الحروف
ومعاني القرآن الى طه ، معاني صفات الله جل اسمه ، الممادح
والمقابح ، الرياض المونقة ، اسماء الدواهي عند العرب ، الاعراب ،
التعازي ، الوشي ، فقر كتاب سيبويه ، الناطق ، معنى كتاب
الايوسط للاخفش ، كتاب البلاغة ، العروض ، شرح كلام العرب
وتلخيص الفاظها ، ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه في القرآن ،
الفاضل والمفضول ، طبقات النحويين البصريين وخبارهم ، كتاب
العبرة عن اسماء الله تعالى ، الحروف ، التصريف — انباء الرواة
3 : 251 — 252

وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة ،
والنية فيه أن تفسر لكل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى
مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحا شافيا) •

فلا تتوقع اذن أن ترى الشعر شاهدا او اداة احتجاج فحسب ولكنه
أيضا اثر يحتاج الى شرح واعراب وغير ذلك - وكان بالنفس أن ننقل
نموذجا ترى فيه المبرد وهو يعالج معارفه المختلفة لتلمس دور الشعر فيها
فخفت التطويل ، وهممت بالاحالة الى فقرات اخترتها من كتاب الكامل
فخفت التقصير - ولا بأس أن نذكر لك شيئا ونوجز فيه •

قال أبو العباس : (وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة عند ولايته
العراق وفى ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان :

أمير المؤمنين وأنت بر
أمين لست بالطَّبع الحريص
أأطمعت العراق ورافديه
فزاريا أحباء يد القميص (1)
تفهق بالعراق أبو المثنى
وعلم قومه أكل الخبيص
ولم يك قبلها راعى مخاض
ليأمنه على وركى قلوص

قوله : لست بالطَّبع الحريص ، فد (الطَّبع) الشديد الطمع الذى
لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذ هذا من طبع السيف ، يقال : طبع السيف ،
أو هو سيف طبع اذا ركبه الصدا حتى يغطى عليه ، والمثل من هذا فى الذى
طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال : طبع الله على قلب فلان كما

(1) فى بعض النسخ أطمعت ، وفى بعضها اوليت

قال عز وجل (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) هذا الوقف – ثم قال :
(وعلى أبصارهم غشاوة) وكذلك (رين على قلبه) و (غين على قلبه)
فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه ! قال الله عز وجل (كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وأما (غين على قلبه) فهي غشاوة تعتريه ،
والغينة : القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر :

كأنى بين خافيتى عقاب
أصاب حمامة فى يوم غين

وقال بعضهم : أراد : فى التفاف من الظلمة ، وقال آخرون : أراد فى
يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون فى الغنة ، كما يقال
للحية : أيم ، وأين ، واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون فى القوافى
لما ذكرت لك من اجتماعهما فى الغنة قال الراجز :

بنى ان البر شيء هين
المنطق اللين والطعيم

وقال آخر :

ما تنقم الحرب العوان منى
بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى أمى

والعراقان : البصرة والكوفة ، والرافدان : دجلة والفرات – وقوله :
« أخذ يد القميص » الأحذ : الخفيف ، قال طرفة :
وأتلع نهاض أحذ ململم

وانما نسبه بالخفة فى يده الى السرقة ... الى آخر الخبر (1) •

(1) الكامل 3 : 808 وما بعدها ط الحلبي سنة 1937

وتستطيع فيما قرأت أن ترى فى المبرد رجلا قوى العارضة ، واسع
التناول للغة حسن الاستفادة من الشعر - مضى عهد جمع اللغة بمفرداتها،
ولكن التراكيب التى كانت تجرى على ألسنة العرب تحتاج الى مناسبات
لتبرز ، وتحتاج الى حسن استعمال لتدور فى مسامع الناس ، فالسيف اذا
ركبه الصدا هو سيف طبع ويمكن أن يشبه به الرجل الذى لا يفهم لشدة
طبعه أو طبعه .

ثم يستطرد فيفرق بين الرين والعين - الاولى من أشياء تألف عليه
فتغطيه ، والثانية غشاوة تعتريه ، ثم يدخل فى قضية الابدال بين الميم
والنون ويعلل لها - وكل اولئك من تراكيب العريية وصيغها وخصائصها
ومسائلها .

وأميل الى أن أقف بالبصرة عند هذا الحد فالبصرة كبيئة علمية قد
ضعف أمرها بعد ثورة الزنج (1) ولننظر فى علاقة الشعر باللغة فى
الكوفة .

(1) راجع كتابنا رواية اللغة 144

الشعر في الكوفة

تأثرت كل من البصرة والكوفة بـماضيها ، كانت البصرة مرفأ ترتاده السفن التواجد ، ويجمع أشتاتا تختلف ألسنتهم وأمزجتهم ، وأتيح للجنس اليوناني حين فتح الاسكندر هذه البلاد أن يعيش في جماعات تعمل في البحرية التجارية ، وكانت هذه الجماعات تدين بالمسيحية ويصطنع رؤساؤها الجدل معتمدين على الفلسفة اليونانية بمنهجها المنطقي المعروف - وكانت المؤلفات العربية التي ظهرت في البصرة تدل على مدى تأثير علمائها بالفلسفات الواردة الى هذا المرفأ ككتاب سيبويه ومعجم العين (1) فكان جمع اللغة تحت كليات عامة وأقيسة يعود الى هذا الأصل من ماضي البصرة .

أما الكوفة ، فكانت وريثة الحيرة والانبار ، وظل العنصر العربي بها محتفظا بفطرته وتقاليده البدوية ، ومن ثم كان الشعر العربي ميراثا أصيلا في الكوفة ، يجري على السنة اهلها ، وكان على بن أبي طالب يلحح فيهم هذه النزعة ، فخطبهم يوما فقال : اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقا عزيزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار ، تربت ايديكم . وكان للشعر دوره اللغوي ولكن على خلاف من دوره في البصرة - كان الشعر في البصرة وسيلة لاستنباط العربية ، وكان في الكوفة ارضاء لنزوع العنصر العربي فيها حتى كان جمع الشعر بادىء الامر غاية ، ثم كان البحث اللغوي من خلاله استطرادا وامتدادا من هذه الغاية ، فلا عجب أن ترى أربعة رجال من الرواة يتصل سببهم بجمع الشعر .

حماد بن ميسرة

كان حماد بن ميسرة - أو ابن سابور - من أعلم الناس بأيام العرب ، وأخبارها ، وأشعارها ، ، وأنسابها ، ولغاتها كما يحكى أبو الفرج

(1) راجع كتاب رواية اللغة للمؤلف فيما كتب عن البصرة

حتى عرف بالراوية وسأله الوليد بن يزيد يوما : بم استحققت هذا اللقب
فقل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو
سمعت به - ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف انك لم تعرفه ولم تسمع به ،
ثم لا أنشد شعرا قديما ولا محدثا الا ميزت القديم منه من المحدث . فقال :
ان هذا العلم وأبيك كثير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ فقال : كثيرا ،
ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى
المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ،
وأمره بالانشاد فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن
يصدق به ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين
وأخبر الوليد بذلك (1) وكانت ملوك بني أمية تستزيده لتفيد من علمه ،
فيأخذ مكانه على مقربة من الخليفة ، ويوقعه على قيم الشعراء الوافدين ،
يحكى بعض هذا ، مروان بن أبي حفصة فيقول :

(دخلت أنا وطريح بن اسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي
في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، وإذا رجل عنده كلما
أنشد شاعرا شعرا وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال :
هذا أخذه من موضع كذا كذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا كذا من
شعر فلان حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد
الراوية (2) ونراه في يوم آخر عند المهدي وهو يحكى الخبر بنفسه
فيقول : دخلت على المهدي فقال : أنشدني أحسن أبيات قيلت في الشعر
ولك عشرة آلاف درهم ، وخلعتان من كسوة الشتاء والصيف فأنشدته
قول الأخطل (3) وكان انقطاعه الى يزيد ، فلما ولي هشام الأمر
أرسل في طلبه (4) ولما ذهبت دولة الأمويين رأينا أبا جعفر يجد في طلبه (5)

(1) الاغانى 6 : 70 — 71 ط دار الكتب

(2) الاغانى 6 : 71 (3) الاغانى 6 : 88

(4) الاغانى 6 : 72 (5) الاغانى 6 : 80

ويستدعيه •

وحسن فيه رأى البصريين ، فكان أبو عمرو بن العلاء وهو شيخ
رواة البصرة يقدمه على نفسه (1) وقال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس
إذا نصح (2) •

ولم يكن الرجل راوية للشعر فحسب ، ولكنه راوية للغة أيضا ، بدا
ذلك في مواقف عديدة له ، ومن شهادة العلماء فيه ، فهذا أبو الفرج يصفه
بأنه من أعلم الناس بأيام العرب ولغاتها (3) ، وفي مجلس الوليد
أنشد مروان بن أبي حفصة من شعر ابن مقبل :
سل الدار من جنبى حبراً فواهب

إذا ما رأى هضب القلب المضيق

فسأله حماد : ماذا يقول الشاعر ؟ فلم يدر ما يقول ، فقال له حماد :
يا ابن أخى ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان إذا
تقابلا (4) •

وكان الهيثم بن عدى صاحبه وراويته ، ويبدو أنه أحس بأنه أفاد
علما باللغة بسبب صحبته لحماد ، فقال له يوما : ألق على ما شئت من
الشعر أفسره لك فضحك حماد ، وقال : ما معنى قول ابن مزاحم الثمالى :
تخوف السير منها تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن

فلم يدر ما يقول • فقال حماد : تخوف : تنقص ، قال الله عز وجل
(أو يأخذهم على تخوف) أى على تنقص (5) •

والذين اتهموا هذا الرجل اتهموه جملة من غير تفصيل ، ولم يأتوا
بشواهد أو قضايا محددة ، فالأصمعي يتهمة اتهاماً ضمنيًا بقوله : كان

(1) الاغانى 6 : 73 ط دار الكتب

(2) الاغانى 6 : 70 نفس المصدر والصفحة

(4) الاغانى 6 : 72 (5) الاغانى 6 : 72

حماد اعلم الناس اذا نصح ، وكان لحماذ منهجا آخر غير النصح . ويأتى
المفضل يريد ذمه فيمدحه والا فماذا تفهم من الخبر التالى :

يقول ابن الأعرابى ، سمعت المفضل الضبى يقول : قد سلط على
الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقل له : وكيف ذلك ؟
أيخطئ فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فان أهل العلم يردون
من أخطأ الى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها
ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل
ويدخله فى شعره ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا
يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد وأين ذلك ؟ (1) .

فالرجل بلغ بعلمه بلغات العرب ومذاهب الشعراء فى شعرهم حدا
جعله يقول الشعر فينسبه الى شاعر فيكون أشبه بشعره ، وتستعصى
التفرقة بين ما يقوله وبين ما ينسب اليه .

وليس عندنا عن نشأته كبير علم ، والخبر الذى أورده الأغاني لا يصلح
أن يكون اساسا لنشأة رجل كبير كهذا ، وأميل الى القول بأنه حكاية عن
رجل نجح فذهبوا يتلمسون له بداية ، يقول أبو الفرج : كان حماد الراوية
فى أول أمره يتشطر ، ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على
رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه
وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك
وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ (2) .

ولكن يبدو أن موهبة حماد ومقدرته على الحفظ والاستظهار ، وبيئة
الكوفة التى تطن اصدااء الشعر فيها قد أسهما فى تكوين هذا الراوية ،
كانت هذه البيئة معنية بجمع اشعار القبائل ، ترى مصداق ذلك فيما يحكيه
حماد ، وما يروى عن أبى عمرو الشيبانى فى هذا السياق .

(1) الأغاني 6 : 89

(2) الأغاني 6 : 87

يقول حماد : أرسل الوليد بن يزيد الى " بمائتي دينار ، وأمر يوسف ابن عمر بحملى اليه على البريد ، قال : فقلت : لا يسألنى الا عن طرفيه قریش وثقیف فنظرت فى كتابى قریش وثقیف ، فلما قدمت عليه سألتنى عن أشعار بلى ، فأشددته منها ما استحسنه (1) أما الخبر عن أبى عمرو الشيبانى فنذكره فى حديثنا عنه .

اذن ، فكان من الاتجاهات فى الكوفة العناية بأشعار القبائل ، وجمعها ، وتصنيفها والتعريف بشعرائها على الوجه الذى ندرکه من كلام حماد فقد نظر فى شعر قریش وثقیف لصلتهما بالوليد بن يزيد ، وتوقع أن يقف منهما موقف الامتحان فاذا هو يسأل عن شعر قبيلة أخرى فيروى من شعرها ما استحسنه الوليد .

بزرج العروضى

وكان فى الكوفة رجل آخر عالم بالشعر هو بزرج بن محمد العروضى ، وكان يسرف فى الرواية حتى تشكك الناس فيه فذهبوا يسألونه عن سنده وعن مصداق ما يقول (2) وعرف به القفطى فقال : كان حافظا راوية ، وكان كذابا يحدث بالشئ عن رجل ثم يحدث به عن غيره ، وكان حكم يونس عليه مزاجا من الاعجاب والشك فقال : ان لم يكن بزرج أروى الناس فهو أكذب الناس (3) .

أبو عمرو الشيبانى

وكان أبو عمرو الشيبانى يعطى جزءا من عنايته لقيد الشعر . قال عمرو بن أبى عمرو : ولما جمع أبى أشعار العرب كانت نيفا وثمانين قبيلة فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس ، كتب مصحفا وجعله فى مسجد الكوفة حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه (4) .

(2) معجم الادباء 7 : 73

(4) انباه الرواة 1 : 221

(1) الاغانى 6 : 94

(3) انباه الرواة 1 : 241

هذا وجه من تكوين أبي عمرو لأن الشعر وعاء العربية كما قلنا ، أما الوجه الآخر فكان ذهابه الى البادية يسمع من الاعراب ويكتب هذا السماع ، ومن حق أبي عمرو بعد هذا الجهد أن يمسك بزمام الشعر واللغة ، وأن يوصف بصاحب ديوان اللغة والشعر ، وأن يكون في نظر رجل كأبي العباس ثعلب في مصاف كبار رجال البصرة وفي مقدمتهم ، يقول أبو العباس : كان مع أبي عمرو من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ، ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم (1) وكان عند أبي عمرو ما يحتاج اليه وما لا يحتاج اليه لكثرة ما طلب وجمع كما يحكى ثعلب (2) ولكنه كان يضعها تحت الاختبار والتصنيف ولا يقيد منها في كتبه الا ما يثق فيه . دخل عليه يونس بن حبيب البصري فوجد بين يديه قمطرا فيه اليسير من الكتب فقال متعجبا منه : أيها الشيخ : هذا جميع علمك ؟ فتبسم قائلا : انه من صدق كثير (3)

المفضل الضبي

وهذا لغوى آخر كانت همته جمع الشعر ، وظهرت أول مجموعة كبيرة في الشعر على يديه وسميت بالمفضليات ، وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة قد تزيد وتنقص بحسب الروايات . قيل في سبب جمعها أنه جمعها للمهدي ، وفي خبر آخر يقول العباس بن بكار الضبي ، قلت للمفضل الضبي : ما أحسن اختيارك للأشعار ، فلو زدتنا من اختيارك ؟ فقال : والله ما هذا الاختيار لي ، ولكن ابراهيم بن عبد الله بن حسن استتر عندي فكنت اطوف وأعود اليه بالأخبار فيأمرني ويحدثني ، ثم حدث لي

(1) انباه الرواة 1 : 221

(2) انباه الرواة 1 : 229

(3) انباه الرواة 1 : 223

خروج الى ضيعتي أياما فقال لي : اجعل كتبك عندي لأستريح الى النظر فيها ، فجعلت عنده قمطرين فيهما أشعار وأخبار فلما عدت رجدته قد علم على هذه الأشعار وكان أحفظ الناس للشعر ، وأعلمهم به فجمعته وأخرجته فقال الناس اختيار المفضل •

وشواهد الحال تشير الى عنايته بالشعر وجمعه — وله من هذا الوجه بالاضافة الى المفضليات : كتاب القصائد المختارة ، والعروض ، ومعاني الشعر ، واستحق بهذه الصفة ثناء علماء البصرة عليه مع وجود العداوة التقليدية بين البلدين فكان محمد بن سلام الجمحي يقول : أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقه من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي (1) •

توثيق اللغة في الكوفة

الفرق بين البصرة والكوفة يتضح في مجال التوثيق والتفصيل ، ويكاد ينحصر في العناية بالاسناد في البصرة ، وتركه في الكوفة ، والذين تناولوا هذا الوجه ذهبوا مذاهب متعددة في التعليل له ، من ذلك ما ذكرنا من الافادة من الفلسفة اليونانية في البصرة ، ووضع اللغة تحت كليات لتعذر الجمع المطلق الشامل ، كان لا بد من انتقاء الاعم الأغلب وطرح الشواذ ، ومن الشاذ ما هو عربي خالص العروبة ولكنه محدود الدوران على اللسان ، فاكتفى البصريون بالأهم عن المهم ، وعنوا بالاحتجاج بالشعر منسوباً الى شاعر موثق ، ولم يهتد البصريون ما بقي بعد هذا الاقتناء والغربة ، فبقيت الكليات مطلب الجمهور ووضعت الباقيات تحت دراسات خاصة — تسمى أحيانا لغات — يقول ابن نوفل لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميت عريية ، أي دخل فيه

(1) طبقات فحول الشعراء 21 ط دار المعارف

الكلام كله ؟ فقال : لا ، قال : فما تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات (1) وكل ما هنالك أنهم أشاروا بحفظ الشاذ وتواصوا بعدم القياس عليه •

أما فى الكوفة فبحسبهم أن يجدوا شاهدا من شعر العرب ، وجوزوا القياس على كل ما سمع منهم ولو كان بيتا واحدا ولم يعد يهمهم اسناد الشعر لصاحبه ، تحدث ابو زكريا الفراء فى ابدال التاء والطاء فقال : التخوم ، والطخوم بالضم والفتح ، قال : وسألت الكسائى عن فتحها فلم يعرفه ، قال : وأنشدنى أعرابى من بنى سليم :

فان أفخر بمجد بنى سليم
أكن منها التخومة والسرارا (2)

وفى ابدال الهمزة والعين يقول : سمعت بعض بنى نبهان من طيء يقول : دأنى يريد دعنى (3) وفى أكثر الأحيان تقرأ فى مروياته مثل هذه العبارات : سمعت اعرابيا • أنشدنى بعض العرب لامرأة من بنى الحارث بن كعب ، وقال الآخر (4) وقال بعض بنى تميم (5) وقال بعض بنى غنم بن أسد (6) •

وفى كتاب (معانى القرآن) يحتج الفراء بالشعر فينسبه أحيانا

(1) طبقات الزبيدى 24

(2) القلب والابدال لابن السكيت 46

(3) القلب والابدال 24

(4) القلب والابدال 60

(5) القلب والابدال 45

(6) القلب والابدال 16

ويترك نسبته أحيانا ، ففي تفسيره لقوله تعالى (بثسما اشتروا به أنفسهم)
يقول : سمعت أبا ثروان يقول لرجل : بع لي تمرا بدرهم ، يريد اشتر لي ،
وأنشدني بعض ربيعة :

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتا ، ولم تضرب له وقت موعد

على معنى لم نشتر له بتاتا (1) وأمثال هذا كثير في كتابه معاني
القرآن كأن يقول : قال الشاعر ، أنشدني بعض بني عقيل ، أنشدني بعض
بني أسد ، أنشدني بعضهم الى غير ذلك (2) .

ومن أجل هذا كان أبو عبيدة البصري قليل الثقة في المفضل الكوفي ،
قال المفضل أنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن :

أى قلووص راكب تراها
طاروا عليهن فحشلت علاها

علاها : أراد عليها ، ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا
انفتح ما قبلها ، قال أبو حاتم : سألت عن هذه الأبيات أبا عبيدة فقال :
انقط عليه ، هذا صنعه المفضل (3) .

ومن مطاعن التوثيق في الكوفة أن علماءها أخذوا عن أعراب فسدت
سليقتهم في نظر البصريين ، فكان اليزيدي يغمز الكسائي بأنه يأخذ عن
أشياخ قطربل (4) ورماء أبو زيد بأنه لقي أعراب الحطمية فأخذ عنهم
الفساد والخطأ (5) .

(1) معاني القرآن للفراء 1 : 56

(2) انظر صفحات 66 و 67 و 91 من كتاب معاني القرآن

(3) النوادر في اللغة لأبي زيد 58

(4) أخبار النحويين البصريين للسيرافي

(5) معجم الادباء 2 : 182

والرأى عندى أن الحياة العلمية اللغوية فى الكوفة كانت من القصر بحيث لم تتمكن من استكمال مناهجها ، وما كادت الدولة العباسية تتخذ عاصمتها فى بغداد حتى ذهب اليها رجال الكوفة فى أعقاب رجال الدولة . وبالرغم من أن الكوفيين قد استأثروا بالأمكنة فيها قرابة ربع قرن فقد دعت الحاجة الى جمع حصيلة العلم البصرى على يد رجلين من رجال المذهب الكوفى هما :

ابو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو يوسف يعقوب بن السكيت (1) •

والذى يذكر بالفضل حقيقة للكوفيين أنهم جمعوا الثقافة البصرية ومكنوا لها فى بغداد حين لاحظوا ان البصريين يأنفون من البقاء فى عاصمة الخلافة ، ولم يأنف رجال المذهب الكوفى فى بغداد من محاولة الجلوس والافادة من رجال البصرة ما وجدوا الى ذلك سبيلا - رأينا أبا عبيد القاسم بن سلام يأخذ عن أبى زيد الأنصارى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى، وأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (2) كما أخذ عن اليزيدى (3) والنضر بن شميل (4) وكان ابن السكيت حريصا على روايات الأصمعى حتى رجح الأزهرى صاحب التهذيب التقاء به (5) وسمع ثعلب وهو شيخ المذهب الكوفى فى بغداد من محمد بن سلام الجمحى ، وعلى بن المغيرة الاثرم ، وأحمد بن حاتم (6) صاحب الأصمعى ، وهم بالسفر الى البصرة للقاء أبى حاتم السجستاني •

(1) انظر تفصيل ذلك فى الباب الثالث من كتابنا (رواية اللغة)

(2) نزهة الالباء 189

(3) نزهة الالباء 104

(4) نزهة الالباء 111

(5) تهذيب اللغة 1 : 23 ط دار القومية سنة 1964

(6) مجالس ثعلب 1 : 10

ابن جنى كصورة بغدادية

كان ابن جنى ، وهو من لغويى القرن الرابع ، صاحب آراء واتجاهات يبدى فيها مرونة واضحة أمام القيد الزمنى لمن يحتج بكلامهم ، فمن المسلم به ، والمجمع عليه تقريبا أن أبا تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى سنة 231 هـ من المحدثين ، وأن البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى المتوفى سنة 284 هـ أكثر منه حداثة ، وأن أبا الطيب المتنبى أحمد بن محمد بن الحسين المتوفى سنة 354 هـ أحدث من الاثنين ، ولكنه يعرض لأشعارهم بوجه يتجاوز مجرد الاعجاب وكأنه يبحث عن مخرج من القيد الزمنى ليحتج بأشعارهم ، ومع تسليمه للقدامى فإنه كان يرى لهؤلاء المحدثين وجها أو وجوها للاحتجاج بأشعارهم ، من ذلك أنه رأى رأى المبرد حين احتج بشيء من شعر أبى تمام فى سياق المعانى ، وأوماً الى عمل المبرد فقال (وقد كان أبو العباس — وهو الكثير التعقيب لجلة الناس — احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائى فى كتابه فى الاشتقاق لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه) (1) .

وكان أبو الفتح ، وهو يؤيد رأى المبرد ، وينهج نهجه ، كان من غير شك يدرك سعة هذه الخطوة ، وعدم تقبل الناس لرواية اللغة عن طريق التوسع فى المعانى وفتح هذا الباب لشعر أبى تمام ولمن جاء بعد أبى تمام ، ترى هل كان اعجاب ابن جنى بأبى تمام ، والبحتري ، والمتنبى دافعا له على توسيع باب الرواية ليدخل هؤلاء بعد أن أوجد القيد الزمنى أمامهم أبوابها ففتح لهم ثغرة المعانى ؟ — اننا نعلم ان رواية اللغة تعنى ألفاظها

(1) الخصائص 1 : 42 ط دار الكتب سنة 1952

المجردة ، تعنى متن العربية بمدلولها المتفق عليه عند الناطقين الاول ، أما المعاني ، وقد تلونها الأخيلة ، والأخيلة لا سلطان عليها فلا تدخل فى باب الرواية . لقد قارب ابن جنى بين المتن والشرح أو المعنى ، ولا بأس أن نقرأ معا طرفا مما أثاره هذا اللغوى الكبير بعد أن ربط بين الذهب والفضة والغرب بسبب وثيق فقال :

(... قالوا للجام من الفضة «الغرب» وهو فعل من الشيء الغريب ، وذلك انه ليس فى العادة والعرف استعمال الآنية من الفضة ، فلما استعمل ذلك فى بعض الاحوال كان عزيزا غريبا ، هذا قول أبى اسحق ، يعنى الزجاج - وان شئت ... قلت : ان هذا الجوهر غريب من بين الجواهر لنفاسته وشرفه ، الا تراهم اذا اثنوا على انسان قالوا : هو وحيد فى وقته ، وغريب فى زمانه ، ومنقطع النظر ، ونسيج وحده ، ومنه قول الطائى الكبير يعنى أبا تمام :

غربته العلا على كثرة النا

س ، فأضحى فى الأقربين جنيا

فليطل عمره ، فلو مات فى مر

و ، مقيما بهامات غريبا

..... وعاد الى ذكر اسماء الذهب فقال (ويدلك على انهم قد تصوروا هذا الموضع من امتزاجه بتراب معدنه أنهم اذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسما من ذلك المعنى فقالوا له : الخِلاص ، والابريز ، والعقيان - فالخِلاص : فعال من تخلص ، والابريز : افعال من برز يبرز ، والعقيان : فعالان من عقى الصبى يعقى وهو أول ما ينجيه عند سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل وهو العقى فليل له ذلك لبروزه كما قيل له البرّاز) .

ويبدو أن أبا الفتح قد أحس بأنه قد شقق الكلام ، وفلسف الشرح ،
وأدرك أن المستمع قد لا تواتيه الرغبة في الربط بين اللفظ والمعنى على هذا
الوجه فقال معقبا :

(فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها
هو خاص اللغة ، وسرها ، وطلاوتها الرائقة ، وجوهرها ، فأما حفظها
ساذجة وقمشها محطوبة هرجة منعوذ بالله منه ونرغب بما آتانا سبحانه
عنه) (1) •

وابن جنى رئيس من رؤساء اللغويين يعرف أن رواية اللغة التي تعنى
جمع الالفاظ والاحتجاج لها ليس من منهجها التعريف بالمعاني على جهة
المجاز ، فالالفاظ مجمع عليها - الا يكن بين العرب جميعا - فبين قبيلة
بعينها ، وتظل الكلمة في هذه الحال مقرونة بناطقيها فيقال : أزدية ، أو
تميمية ، أو حجازية الى غير ذلك وأما المعاني التي يلهث وراءها التخيل
فهى كلوحات الفنان تنسب لصاحبها اذا كان أول مبتكر لها • ولأبى تمام
كلمات لها معان مستمدة من الظلال المجازية والأخيلة استحوذت على
اعجاب الادباء أحيانا وغربت أحيانا •

وابن جنى يحتج بأبى تمام ، وهو يدرك أنه حديث العهد ، فيأتى
بشعره في أعقاب الاحتجاج بشعر القدامى ، فقد عرض لقراءة أبان بن
تغلب لقوله تعالى من سورة الشعراء : (خطايانا ان كنا) بالكسر ، وأوضح
الشرط للماضى فى (أن كنا) بمعنى (كما أن) واحتج بقول أبى تمام :
ومكارما عتق النجار تليدة

ان كان هضب عمايتين تليدا

اى فكما أن هضب عمايتين تليد لا محالة ، فكذلك هذه المكارم

(1) الاقتضاب 324

تليدة (1) وبالرغم من وضوح بيت أبى تمام وتغطيته الاحتجاج لهذه القراءة ، الا أن أبا الفتح قد احتج لها بيت من أبيات كتاب سيبويه ، وآخر أشده أبو غلى الفارسى ، وكان بيت الكتاب هو قول الفرزدق :

أتغضب ان أذنا قتيبة حزتا

جهارا ، ولم تغضب لقتل ابن خازم

ولكن تقبله له ، واعجابه به قد فتح بابا واسعا أمام اللغويين من بعده ليدخلوا أبا تمام فى دائرة الاحتجاج ، من ذلك : ميل البطليوسى الى الاحتجاج بشعره فى مادة لم يجمع عليها القدامى ، فلقد شرح البرد ، والبردة فقال (قال أبو حاتم : لا يقال للشوب برد حتى يكون فيه وشى ، وقال الخليل : البرد ثوب من ثياب العضب والوشى ، وأما البردة فكساء كانت العرب تلتحف به ولذلك قال حبيب :

فهم يمسون البختريه فى

برودة ، والأيام فى برده) (2)

ولقد تعجب من أمر البطليوسى حين يذّر بيت حبيب كأنه يحتج به فى حين يجمع ابن منظور فى هذه المادة اقوال القدامى — ويكتفى بهذا الجمع — فلا يقطع فيها برأى انظره يقول :

(والبرد من الثياب ، قال ابن سيده البرد : ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشى ، والجمع : ابراد ، وأبرد وبرود .

والبردة : كساء يلتحف به ، وقيل : اذا جعل الصوت شقة وله هذب فهى بردة ... قال شمر : رأيت أعرابيا بخزيمية وعليه شبه منديل من صوف قد اتزر به فقلت : ما تسميه ؟ قال : بردة ، قال الأزهرى : وجمعها

(1) المحتسب لابن جنى 2 : 128

(2) الاقتضاب 324

برد وهى الشملة المخططة • قال الليث : البرد : معروف من برود العصب
والوشى ، قال : وأما البردة فكساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب •
وقولهم : هما فى بردة أخماس فسرهما ابن الأعرابى فقال : معناه انهما
يفعلان فعلا واحدا فيشتبهان كأنهما فى بردة ••• وقول يزيد بن المفرغ :
معاذ الله ربنا أن ترانا

طوال الدهر نشتمل البرادا

قال ابن سيده: يحتمل أن يكون جمع بردة كبرمة وبرام، وأن يكون جمع
برد كقرط وقراط ••• (1) فكيف استراح البطليوسى فاحتج بأبى تمام
أو رجع به رأيه وفى اقوال القدامى من الاحتمالات ما رأيت ؟

واحتج الزمخشري بشعر حبيب فى تفسير أوائل سورة البقرة فى
قوله تعالى : (يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا
أظلم عليهم قاموا) ويخلق الزمخشري وجها للاحتجاج بأبى تمام فيقول :
(وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية
فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء : الدليل عليه بيت
الحماسة فيقتنعون بذلك لو ثوقهم بروايته واتقانه) (2) واقتنع الزمخشري
برأيه هذا فاحتج بأبى تمام فى أكثر من موضع فى الكشف كما احتج
بقوله فى أساس البلاغة :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى

فالسيل حرب للمكان العالى

كاستعمال مجازى لكلمة الحرب بمعنى العداوة والغضب (3)

(1) انظر اللسان مادة ب ر د

(2) الكشف 1 : 43 ط مصطفى محمد سنة 1354 هـ

(3) أساس البلاغة مادة ج ر ب ص 163

وفي مادة م هل قال اتمهل الرجل : طال واعتدل ، وانه لمتمهّل^١
القيام واحتج بقول أبي تمام :

ان الأشياء اذا أصاب مشدّب

منه اتمهل^٢ ذرى وأث أسافلا (1)

هذا رأى الزمخشري حين يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ولو أنه
قال : ان أبا تمام قريب العهد بعصر الاحتجاج لكان وجهها .

ولأبي تمام وان لم يكن فى عداد الرواة فى رأى الجمهور فله مواقف
تشهد بعلو كعبه فى الرواية ، من ذلك ما يروى أن ابن قتيبة عاب أبا تمام
فى قوله :

ألا ويل الشجى^٣ من الخلى^٤

فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟ قال : لأن يعقوب قال : شج
بالتخفيف ولا يشدد فقال له أبو تمام : من أفصح عندك ابن الجرمقانية
يعقوب أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى^٥ من الخلى^٦ فإنه

نصب الفؤاد لشجوه مغموم

فأجاز البطليوسى قول أبي تمام وأيده بقول أبي دؤاد الايادى :

من لعين بدمعها موليّة

ولنفس مما عناها شجيّة

وفسر ذلك بقوله : قد أكثر اللغويون من انكار التشديد فى هذه
اللفظة وذلك عجب منهم لأنه لا خلاف بينهم أنه يقال : شجوت الرجل أشجوه
اذا أحزنته ، وشجى يشجى شجيا اذا حزن ، فاذا قيل شج بالتخفيف كان

(1) اساس البلاغة 84 ط دار الكتب

اسم فاعل من شجى فهو شج كقولك عمى يعمى فهو عم ، واذا قيل شجى
بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته اشجوه فهو مشجوه وشجى
كقولك مقتول وقتيل ، ومجروح وجريح (1) .

وأبو الفتح يعجب بالطائى الصغير أبى عبادة البحتري أيضا فى
سياق المعانى ، اقول يعجب ولا أقول يحتج ، فقد عقد أبو الفتح فى كتاب
الخصائص بابا فصل فيه الكلام والقول ، واعتمد على نظريته فى الاشتقاق
الكبير فأبان أن ق و ل أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها
على بعض ، وتأخره عنه انما هو للحفوف والحركة . وأما ك ل م فأنها حيث
تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة ، وتمثل بيت الأخطل :

حتى اتقونى وهم منى على حذر
والقول ينفذ ما لا تنفذ الابر

وذكر قول الطائى الصغير :

عتاب بأطراف القوافى كأنه

طعان بأطراف القنا المتكسر (2)

يتمثل بهذا على أن مادة ق و ل تدل على القوة والشدة .

وفى أساليب العرب (غلبة الفروع على الأصول) تأتي أحيانا هذه
الأساليب لأغراض بلاغية كالمبالغة وذكر ابن جنى من ذلك شعرا لذى الرمة
وغيره كما ذكر قول البحتري :

فى طلعة البدر شىء من ملاحظتها
وللقضيب نصيب من تشنيها

(1) الاقتضاب 197

(2) الخصائص 1 : 15

ولا يدخل شيء من هذا فى رواية اللغة - العلم الذى يعتمد على نقل الألفاظ والاسماء والتراكيب بوضعها المجرد - لا المجازى - وانما جئنا بها لنشير الى أن ابن جنى كان يأنس بالبحترى ويأتى بأقواله فى أعقاب الشعراء الذين يحتج بأقوالهم •

أما ابن جنى والمتنبى فهما صديقان جمعهما قصر سيف الدولة فى حلب ، وقصر عضد الدولة البويهى فى شيراز ، وأعجب كل منهما بصاحبه ، وإذا قال أبو الفتح : صاحبنا او شاعرنا فانه كان يعنى المتنبى •

والحقيقة أن المتنبى كان أهلاً لصداقة واعجاب أبى الفتح لأن المتنبى صانع فى تحصيل اللغة فكان من المكثرين نقلاً لها ، ومن المطلعين على غريبها وحوشيتها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر (1) | وله مع شيوخ العربية جلسات ومساجلات ، سألته أبو على الفارسى يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى (بكسر الفاء وسكون العين) فقال المتنبى فى الحال : حجلى ، وظريى • قال الشيخ أبو على : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد (2) ومع هذا فقد ساءت علاقته مع أبى على الفارسى كما وقعت مشادة بينه وبين ابن خالويه ترك على أثرها بلاط سيف الدولة •

ولكن أيا كان اطمئنان أبى الفتح على مقدرة المتنبى اللغوية فان الاحتجاج بشعره امر يخالف الاجماع • ففى جمع ثمر على ثمرات علل أبو الفتح لهذا الجمع بضعف غير العاقل فيلحقه التأنيث كقولهم : يا لثارات فلان جمع ثار ، وذكر من قول المتنبى :

أسد تهد بالزئيرات الصفا

(1) | وفيات الاميان 1 : 102 ترجمة رقم 49

(2) | المصدر السابق - نفس الصفحة

جمع زئير - ثم يقول أبو الفتح : وقد ذكرنا هذا في تفسير ديوان
المتنبى عند قوله :

ففى الناس بوقات لها وطبول (1)

وقرأ ابراهيم فى سورة الأنعام فى الآية السابعة والثلاثين (وليلبسوا
عليهم دينهم) بفتح الباء فقال أبو الفتح فى تخريج هذه القراءة : المشهور
فى هذا (لبست) بكسر الباء - الثوب البسه بفتح الباء ، ولبتست (بفتح
الباء) عليهم الامر البسه (بكسر الباء) فاما أن تكون هذه لغة لم تتأد
الينا (لبست) - بكسر الباء - عليهم الامر البسه - بفتح الباء فى معنى
لبسته بفتح الباء البسه بكسر الباء - واما أن تكون غير هذا وهو أن
يراد به شدة المخالطة لهم فى دينهم ولقد مر به لفظا البته شاعرنا
- يقصد المتنبى - فقال :

وانا اذا ما الموت صرح فى الوغى

لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

بكسر الباء ، وعقب أبو الفتح : فاما أن يكون هذا الشاعر نظر الى
هذه القراءة - واما أن يكون أراد المراد بها فسلك سنة قارئها (2) .

ويبدو أن أبا الفتح قد أحس بالخروج على الاجماع حين احتج
بالمتنبى وهو رجل متأخر فأخذ يدافع عن هذا المسلك بقوله (..... ولا
تقل ما يقوله من ضعفته نحيزته وركت طريقته ، هذا شاعر محدث وبالأمس
كان معنا فكيف يجوز أن يحتج به فى كتاب الله جل وعز ؟ فان المعانى لا

(1) المحتسب 2 : 153

(2) المحتسب 1 : 231

يرفعها تقدم ، ولا يزرى بها تأخر ، فأما الألفاظ فلعمري ان هذا الموضع
معتبر فيها ، وأما المعانى ففائتة بأنفسها الى مغرسها ، واذا جاز لأبى العباس
أن يحتج بأبى تمام فى اللغة كان الاحتجاج فى المعانى بالمولد الآخر
أشبه (1) •

فهل احتج ابن جنى بالمتنبى فى سياق المعانى فحسب حتى يجوز له
أن يخفف من ملامة اللائم له على احتجاجة بالمحدثين ؟ ان كانت اللغة لم
تتأد اليه ونظر الشاعر الى قراءة القارىء للآية فهذا احتجاج فى اللغة لا فى
المعانى ، ثم ما معنى قول أبى الفتح (فأما الألفاظ فلعمري أن هذا الموضع
معتبر فيها) الا أن يكون أبو الفتح قد أراد الاحتجاج باللغة صراحة ،
وأوضح من هذا أنه يحتج ببعض المولدين دون أن يسميهم فى قراءة
الحسن (أهدنا صراطا مستقيما) (2) •

ولقد ترك ابن جنى هذا الباب مفتوحا فدخل منه رجل كالبطليوسى ،
يعرف تماما ان المتنبى من المحدثين ، ويعرف أنه لا يجوز الاحتجاج بشعره ،
ومع هذا يحاول خلق مبرر للاحتجاج به ، كان البطليوسى يناقش فى كتاب
الاقتضاب الذى جعله فى شرح كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة - أو أدب
الكتّاب كما يسميه - كان يناقش قضية اضافة الاسماء الظاهرة والمضمرة
الى (آل) وذكر من أقوال أبى جعفر النحاس أن (آلا) يضاف الى
الاسماء الظاهرة ، ولا يجوز أن يضاف الى الاسماء المضمرة ، فلم يجوز أن
يقال : صلى الله على محمد وآله • قال : وانما الصواب : وأهله ••••• ثم
أخذ فى مناقشة آراء اللغويين الى أن احتج بقول أبى الطيب المتنبى فى
قوله :

(1) المحتسب 1 : 231

(2) المحتسب 1 : 24

والله يسعد كل يوم جده
ويزيد من أعدائه فى آله

وقال - أى ابن السيد البطليوسى - (وأبو الطيب وإن كان من
لا يحتج به فى اللغة فإن فى بيته هذا حجة من جهة أخرى ، وذلك أن
الناس عنوا بانتقاد شعره ، وكان فى عصره جماعة من اللغويين والنحويين
كابن خالويه وابن جنى وغيرهما ، وما رأيت منهم أحدا أنكر عليه إضافة
(آل) الى المضمرة (1) .

وكان ابن السيد البطليوسى لا يرى بأسا من الاحتجاج بشعر
المتنبى ، فلقد توفر لشعره ما توفر لهذه الجزئية وهو عناية اللغويين بنقد
شعره ، ولكن الذى يدل على تردد البطليوسى أنه كان يحتج أو يتشكك
بشعر المتنبى منسوبا الى ابن جنى وكأنه يستأنس بهذه النسبة - عرض
لقول ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب (قنع يقنع قناعة اذا رضى) (وقنع
يقنع قنوعا اذا سأل) فيختلف المصدران لاختلاف المعنى . فقال البطليوسى
إن ابن الاعرابى حكى قنوعا فى الرضى ، وكذلك حكاه ابن جنى وذكر
أن أبا الطيب المتنبى كان ينشد :

ليس التعلل بالآمال من أربى
ولا القناعة بالاقلال من شيمى

قال : وكان مرة ينشد :

ولا القنوع بضنك العيش من شيمى (2)

وروى ابن قتيبة فى وصف الخيل قول خالد بن الصقب :

(1) الاقتضاب 8 ط بيروت سنة 1901

(2) الاقتضاب 181

ملاعبة العنان بغصن بسان الى كتفين كالقنب الشميم

وفسره ابن السيد البطليوسي فقال : قوله ملاعبة العنان يريد أن
عنقها لينة غير كزة كأنها غصن بان فهي تلاعب عنانها وتطوى عنقها كيف
شاءت ، ثم قال : وقد أفرط ابو الطيب المتنبي في هذا المعنى فقال يصف
مهرة :

يحك أنى شاء حك الباشق
قوبل من آفقة وآفق
بين عناق الخيل والعنائق (1)

وعرض البطليوسي لكلمة : (أسحم داج) من شعر الأعشى فى
المحلق بن حنتم الكلابى :

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا
بأسحم دامج عوض لا تفرق

فكان فيها سبعة أقوال : الرماد ، والليل ، والرحم ، والدم وهذه
الأقوال الأربعة ليعقوب ، وقال غيره : يعنى حلمة الثدى ، وقيل يعنى :
زق الخمر ، وقيل : يعنى دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام ، وجعله
أسحم لان الدم اذا يبس اسود ، وقال : (وأبعد هذه الأقوال قول من قال
انه أراد الرماد لان الرماد لا يوصف انه أسحم ولا داج ، وأما الدم فلا
ينكر وصفه بالسواد لأنه يسود اذا يبس وقد وصف المتنبي الدم
بالسواد فقال :

(1) الاقتضاب 328

وربّما حملة فسي الوغى

رددت بها الذبّل السر سودا (1)

اتصال ابن جني بالأعراب

ولم يكن أبو الفتح ناقلا ، ولا ملتزما بآراء القدامى جامدا ، ففي عصره هذا لم يجد مانعا من أن يستنطق أحد الأعراب ليفيد من سليقته - أو على الأصح ليختبر سليقته ، فلقد كان يسمع من العقيلين بعامة ، ومن أبي عبد الله الشجري العقيلي بخاصة كرجل تشيع فصاحته وتقوى لغته ، ففي قراءة محمد بن السميّفع من سورة (آل عمران) (قَرَّح) بفتح القاف والراء تردد أبو الفتح في أن تكون لغة ، أو لأن الحاء حرف حلقى يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها ... ومن كلامه في هذا (.... ولعمري أن هذا عند أصحابنا ليس أمرا راجعا الى حرف الحلق ، لكنها لغات ، وأنا أرى في هذا رأى البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدّا معتمدا فلقد رأيت كثيرا من عقيل لا أحصيه يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق وسعت الشجري يقول في بعض كلامه : أنا محموم (بفتح الحاء) (2) .

ويقول في هذه الظاهرة فسي سياق قراءة سهل بن شعيب النّهمي (جَهْرَة) في سورة البقرة و (زَهْرَة) في سورة طه بفتح الهاء في كل : (مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح : أنه لا يحرك الا على انه لغة فيه ... ومذهب الكوفيّين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعه ... وما ارى القول من بعد الا معهم ، والحق فيه الا فسي أيديهم ، وذلك

(1) الاقتضاب 391

(2) المحتسب 1 : 167

اننى سمعت عامة عقيل تقول ذاك *** حتى لسمعت الشجرى يقول : أنا
محموم) - بفتح الحاء * (1)

وهذا فتح جديد يثيره أبو الفتح ، وعودة الى الاحتجاج بالاعراب ،
وتقبل لشعر المحدثين *

كان ابن جنى - العالم الفذ - الذى يعد أعجوبة خارقة بين علماء
اللغة ينظر الى العربية ببصيرته لا ببصره فحسب ، ويعرضها على عقله المميز
لا على ذاكرته الحافظة ، كان عقليا لا نقليا ، كان يدرك أن استقاء العربية
من أفواه الاعراب وجه من وجوه الرواية ، وأن هذه الطريق هى التى
سلكها أوائل الرواة ، وحصلوا بها علمهم ، ووثقوا بها ما حصلوه عن
شيوخهم ، وكان الجيل الثانى والثالث يتقبل ما نقل اليه حين يطمئن الى
صحة السند عن القدامى ، ويكف عن الاستماع الى الاعراب بعد أن اتهمهم
الأوائل بفساد الفطرة بطول المكث فى الحضر * ولكن ابن جنى كان يدرك
أن الآراء العلمية لا يمكن ان تتقبل هكذا بهذا الشمول ، وأن فساد سليقة
أعرابى لا تعنى فساد سليقة الأعراب جميعا وألا تفسر الظواهر فى الكوفة
بظروف البصرة ، والميزان الذى يجرى فى البلدين لا يوزن به فى بغداد *

ترى ما الوجه ونحن نرى ابن جنى يلتقى بأعراب من بنى عقيل ،
ويعول أحيانا على ما يصدر من أعرابى تردد اسمه كثيرا فى كتابى
الخصائص والمحتسب وهو أبو عبد الله الشجرى العقيلى بعد ان توقف
الأخذ عن الأعراب بصفة عامة *

الرأى عندى أن قضية الاعراب قد شابها الشمول ويقتضى الأمر
تفصيلها ، فبعض اعراب البصرة قد رموا بالافتعال لأنهم وجدوا أنفسهم

(1) المحتسب 1 : 84 وانظر ايضا المحتسب 2 : 166

أمام من يشتري العربية ، وكان الطلاب يذهبون اليهم فى المربد يعرضون عليهم ما سمعوه من شيوخهم فى البصرة ، ويستمعون الى احاديثهم ، ويلحظون مخارج الحروف من أفواههم ، ولما أحس الاعراب بحاجة الطلاب اليهم انتقلوا الى البصرة فضعفت سليقتهم أو سليقة البعض منهم - واضطر علماء البصرة الى وضع الاسئلة لهم يمتحنون بها طبيعتهم ، وباتوا يفاضلون بين أعرابى وأعرابى ، فلما تزعزعت الثقة بهم اتجه العلماء الى البادية فى طلب اللغة - كان هذا يجرى فى البصرة .

وكان الأمر فى الكوفة يخالف هذا النهج ، كان العنصر العربى البدوى فى الكوفة أكثر منه فى البصرة ، وكان ميراثهم من الشعر كثير ، وكان رواة الكوفة لا يجدون غضاضة فى الاستماع الى كل ما هو عربى فكان من اعراب الكوفة الذين اصطنعوا رواية اللغة : أبو المجيب الربعى ، وهو من بنى ربيعة بن مالك بن تميم ، وأبو الجراح العقيلي ، وأبو ثروان العكلى . والاخيران لهما ذكر فى بغداد وكانا يشهدان مع الكسائى على سيبويه فى المسألة الزنبورية كما روى القراء عن رجل اسمه أبو دثار ، والتقى أبو عمرو الشيبانى بأبى مسلم العاصى .

ذهب أكثر هؤلاء الاعراب الى بغداد سعيا وراء العيش ، فقد انتقل اليها رجال الدولة وفى أعقابهم من يلوذ بهم من العلماء والاعراب ، وبقي فى الكوفة العنصر البدوى بفطرته وسليقته يدلك على ذلك أن الكسائى حين ذهب الى البصرة عجب منه رجل من الاعراب وقال له : تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة . (1)

وحين اشتدت الخصومة بين البلدين ذهب البصريون يوهنون رجال

(1) انباه الرواة 2 : 258

الكوفة بأنهم يستمعون الى أعراب قطربل - وقطربل هذه بلد ينسب اليها الخمر ، ويذهب اليهان مجان الأعراب طلبا فسي خمرها - ومن أقوال البصريين للكوفيين : نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز والكوامخ (1) وقال أبو عبيدة : أخذنا اللغة عن الاعراب البوالين على أعقابهم (2) وعاب اليزيدي الكسائي فقال له :

كنا نقيس النحو فيما مضى
على لسان العرب الأول
فجاء قوم يقيسونه
على لفي أشياخ قطربل
ان الكسائي ، وأشياعه
يرقون في النحو الى أسفل (3)

أما بنو عقيل الذين تردد ذكرهم في كتب ابن جنى فهم طبقة متأخرة من بنى عامر بن صعصعة، وكانت منازلهم بالبحرين، واضطروا الى الالتجاء للعراق حين غلبت عليهم بنو تغلب ، فملكوا الكوفة والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل • (4)

وجدير بالملاحظة أن نظرة ابن جنى الى المحدثين من الاعراب والشعراء تختلف عن نظرة قدامى الرواة ، فقدامى الرواة ، ورواة البصرة بخاصة كانوا ينفضون أيديهم من الاعراب حين يكشفون سقطهم ، كان

(1) معجم الادباء 2 : 205

(2) طبقات الزبيدي 194

(3) اخبار النحويين للسيرا في 62

(4) صبح الاعشى 1 : 342

أبو عمرو بن العلاء تهتز ثقته فـى أبـى خـيرة الأعرابي حين سمع قوله
(استأصل الله عرقاتهم) بنصب التاء لأنه كان سمعها منه بالجر ، فقال له :
هيهات يا أبا خيرة ، لأن جلدك ! (1)

ولحظ الجاحظ فى يزيد بن كثوة بعض الهنات بالرغم من أنه كان
يسكن بين البادية والبصرة فقال فيه (كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا
البصرة وبينه يوم مات بون بعيد على أنه قد كان وضع منزله فـى آخر
موضع الفصاحة وأول موضع العجمة) • (2)

ولكن أبا الفتح كان يأنس بالأعراب يستمع الى أحاديثهم ، ويوجه
اليهم الاسئلة ، لا ليكشف سقطهم ولكن ليتبين أثر الحضارة فى سليقتهم،
وأثر العامل الزمنى على اللغة نفسها ، ومن من الأعراب يستمسك على
بداوته الى غير ذلك • وجدنا أبا الفتح يتناول هذا ويقيم عليه دراسة علمية
غزيرة ، فالأعرابي عنده مادة لا يجوز تركها بعيدة عن عناصر الرواية ،
وكان فى الأعراب من يتصف بالفصاحة لم تتغير طبيعته فى كثير كما يتضح
لك من كلامه :

(حضرني قديما بالموصل أعرابي عقيلى جوثنى تيمى يقال له : محمد
ابن العساف الشجرى ، وقلما رأيت بدويا أفصح منه فقلت له يوما شغفا
بفصاحته والتذاذا بمطاولته وجريا على العادة معه فى ايقاظ طبعه واقتداح
زند فطنته :

كيف تقول : أكرم أخوك أباك •
فقال : كذلك •

(1) نزهة الالباء 32 — 33

(2) البيان والتبيين 1 : 174

فقلت له : أف تقول : أكرم اخوك أبوك ؟

فقال : لا • لا أقول أبوك أبدا •

فقلت : فكيف تقول : أكرمني أبوك ؟

قال : كذلك •

قلت : أأست تزعـم أنك لا تقول أبوك أبدا •

فقال : أأش هذا ، اختلفت جهتا الكلام •

فـعجب أبو الفتح من تعبـيره قائـلا : فهل قوله : اختلفت جهتا الكلام
الا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولا ؟ فأنظر الى قيام هذا
الامر فى أنفسهم وان لم تقطع به عبارتهم) • (1)

وفى مرة أخرى يقول : سألتـه يوما يا أبـا عبد الله كيف تجمع
مـحـرنـجـمـا - وكان غرضى من ذلك أن أعلم ما يقوله ألكسر فيقول حـراجـم
أم يصحـح فيقول مـحـرنـجـمـات فذهب هو مذهبا غير ذين فقال : وأش !
فرقه حتى أجمعه - قال أبو الفتح : وصدق وذلك أن المـحـرنـجـم هو المـجـتمـع
يقولها مارا على شـكـيمته غير محسن لما أريده منه ، والجماعة معى على غاية
الاستغراب لفصاحته • قلت له : فدع هذا ، اذا أنت مررت بابل مـحـرنـجـمة ،
وأخرى مـحـرنـجـمة ، وأخرى مـحـرنـجـمة تقول مررت بابل ماذا ؟ فقال وقد
أحس الموضع : يا هذا ، هكذا أقول : مررت بابل مـحـرنـجـمات ، وأقام على
التصحيح البتة استيحاشا من تكسير ذوات الاربعة لمصاقبتها ذوات الخمسة
الذى لا سبيل الى تكسيرها • (2)

ولم يطع لسان الأعرابى حين جره أبو الفتح الى دائرة الاستطراد
فيما لا يجرى على النسق ، قال : سألتـه يوما : كيف تجمع سرحانا ؟

(1) معجم الادباء 12 : 105

(2) معجم الادباء 12 : 108

قال : سراحين •

قلت : فدكانا ؟

قال : دكاكين •

قلت : فقرطانا ؟ (1)

قال : قراطين •

قلت : فعثمان ؟

قال : عثمانون •

قلت : هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟

فأباها البتة — وعلل لذلك أبو الفتح فقال : استوحش من تكسير العلم لا سيما وفيه الألف والنون اللتان بابها فعلان الذى لا يجوز فيه فعالين نحو سكران وغضبان • (2)

وقال : سألت الشجرى كيف يا أبا عبد الله تقول : اليوم كان زيد قائما ؟

فقال : كذلك •

فقلت : فكيف تقول : اليوم ان زيدا قائم ، فأباها البتة •

أباها الاعرابى ، وأنكرها بفطرته ، وعللها أبو الفتح فقال : ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها لأنها انما تأتى أبدا مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها ، وما بعدها عما قبلها • (3)

(1) الاصمعى : من متاع الرجل البرذعة وهو الحلس للبعير ، وهو للبعير ، وهو لدوات الحافر قرطاط وقرطان بكسر القاف وضمها — وهو أيضا الداهية ، والشئ اليسير وهو من الاضداد — انظر اللسان ق ر ط

(2) معجم الادباء 12 : 109 (3) معجم الادباء 12 : 106

والأعراب — فى عصر ابن جنى — كطبيعتهم السابقة لا يعرفون الأقيسة والتعاريف وانما يتكلمون بنحيزتهم فيجد أبو الفتح فى ذلك مدخلا لتعليل نظرياته وما هداه اليه القياس والتحليل ، قال : أنشدنا مرة أبو عبد الله الشجرى شعرا لنفسه فيه بنو عوف فقال له بعض الحاضرين : أتقول بنو عوف أم بنى عوف ؟ — شكا من السائل فى بنى وبنو — فلم يفهم الشجرى ما أراده وكان فى ثنايا السائل فضل فرق فأشبع الصوت الذى يتبع الفاء فى الوقف فقال الشجرى مستنكرا لذلك : لا أقوى فى الكلام على هذا النفخ • وفى هذا السياق يقول : سألت غلاما من آل المهيا فصيحاً عن لفظة من كلامه لا يحضرنى الآن ذكرها فقلت : أكذا أم كذا ؟

فقال : كذا بالنصب لأنه أخف فجنى الى الخفة ، وعجبت من هذا مع ذكره (النصب) بهذا اللفظ ، وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم فى الانشاد الذى يقال له النصب مما يتغنى به الركبان • (1)

وابن جنى لا تعوزه الدقة والمقدرة فى كشف طبيعة الأعرابى فللمرجل معرفة بأسرار العربية وخصائصها يستطيع بها التفرقة بين أعرابى فصيح ، وأعرابى أقل فصاحة ، ويعرف أيضا كيف يفيد من الاثنين على السواء ، فهو يقيم دراسة قائمة على التوثيق مستعينا بالأعرابى الفصيح ، كما يقيم دراسة على الأعرابى الآخر ليرى أثر التطور على لسانه ، وهو يروى موقفا كهذا فيقول :

قلت له يوما (أى لأبى عبد الله الشجرى) ولابن عم له يقال له : غصن ، وكان أصغر منه سنا وألين لسانا ، كيف تحقران حمراء ؟

فقالا : حمراء

قلت : فصفراء •

(1) الخصائص 1 : 78

قالا : صفراء •

قال : واستمرت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دست بين ذلك (علباء) فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : عليباء ، وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكرا — أو تراجع كالمذعور — فقال اه عليبي • (1)

وهكذا ، كان الشعر القديم ، والشعر الذى يليه ، والاعراب القدامى ، والاعراب المتأخرون موضع عناية ابن جنى ، يوثق اللغة بالاولائل ويدرّس التطور اللغوى فى أشعار المحدثين وألسنة المتأخرين •

(1) معجم الادباء 12 : 106 — 107 والخصائص 2 : 26

الفصل الخامس

مأخذ حول الشعر

شعراء في ميزان الرواية

يطمئن الرواة الى الشعراء القدامى ، والذين عاشوا فى قلب البادية
بخاصة ، هذان القيدان ، الزمانى والمكانى ، يختلفان حدودا وتحديدا
بحسب وجهات نظر الرواة .

كان ابو عمرو بن العلاء لا يحتج بيت اسلامى. كما يحكى وان اعجب
بشعر جرير والفرزدق واضرابهما ، وخالفه كثرة من الرواة فاحتجوا بشعر
الاسلاميين ، وقد يكون الشاعر موضع ثقة الراوية فى خصوصية من شعره
ولا يكون كذلك فى موقف آخر ، وقد يكون ثقة فى جل شعره ولا يكون
كذلك فى خصوصية واحدة . فالاصمعى يحتج بشعر الكميت بصفة عامة
— وحينما يراه جرمقانيا من أهل الموصل لا يحتج بشعره — وذو الرمة من
الشعراء البداءة ، وموضع ثقة الرواة ، وفى موقف من المواقف لا يراه
الاصمعى كذلك ، ويعلل ذلك بأنه طالما أكل البقل والملوح فى حوانيت

البصرة ، يعنى انه بعد عن البادية •

والشعر الجاهلى لم يكن كله متقبلا عند كل الرواة ، فلقد عاب ابن قتيبة عدى بن زيد ، وأبا دؤاد الايادى فقال عن الاول (كان يسكن الحيرة ويدخل الارياض فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جدا وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة (1) وقال عن الرجلين : عدى بن زيد وابى دؤاد الايادى (ان الفاضل ليس بنجدية) ولم يشفع لهما عند ابن قتيبة ان كثرة من الرواة كانوا يوثقون الرجلين •

كان ابو دؤاد الايادى فى نظر الاصمعى أحد ثلاثة لا يقاربون فى وصف الخيل : طفيل ، وابو دؤاد ، والجعدى (2) وكان أبو عبيدة يحتج به ويذكر كثيرا من شعره فى كتاب الخيل • وحسن فيه رأى الحطيئة فلقد تذاكر الناس الشعراء عند سعيد بن العاص الى ان سأل عن أشعر الناس ، فقال الحطيئة : هو الذى يقول :

لا أعد الاقتار عدما ولكن

فقد من رزئته الاعدام

وحين فخرت اباد على العرب قالت : منا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنا اشعر الناس ابو دؤاد • (3)

وحين رجح البطليوسى رأى أبى تمام لما شدد ياء الشجى احتج بقول ابى دؤاد الايادى :

من لعين بدمعها موليئة

ولنفس مما عناها شجيئة

(1) الشعر والشعراء 1 : 176

(2) الاغانى 16 : 375

(3) الاغانى 16 : 378

وقال : وناهيك به حجة • (1)

وكان ابن السكيت يوثق بأشعار عدى بن زيد اصلاح المنطق ،
عرض لكلمة « الفلح » مصدر فلحت الارض اذا شقققتها للزراعة ، قال :
والفلح (بفتح الفاء واللام) والفلاح بمعنى البقاء وأنشد لعدى بن زيد :
ثم بعد الفلاح والملئك والام
ة وارثهم هناك القبور (2)

وقال : وما جاء صحيحا بالواو : قد عنت الارض بالنبات تعنوا عنوا
اذا ظهر نبتها وأنشد لعدى :

فياكلن ما أعنى الولى فلم يلبث
كأن بحافات النهاء المزارعا

قوله : أعنى الولى أى ابنته الولى وهو المطر الذى بعد الرسمى (3)
وفى تأنيث الدلو يقول ابن السكيت : الدلو ، الغالب عليها التأنيث ،
وتصغيرها دليّة ، وقد تذكر ويتمثل بقول عدى :

فهو كالدلو بكف المستقى
خذلت منه العراقى فانجذم (4)

وابن احمر الباهلى :

أعرابى جاهلى ادرك الاسلام ، وكان يعيش كما يقول ابو عمرو بن

(1) الاقتضاب 198

(2) اصلاح المنطق 92

(3) اصلاح المنطق 209

(4) اصلاح المنطق 397

العلاء فى أفصح بقعة من الارض : يذبل والقعاقع (1) ذكر ذلك ابن قتيبة
حين ترجم لهذا الشاعر فى كتاب الشعر والشعراء وقال : أتى ابن أحمـر فى
شعره بأربعة الفاظ لا تعرف فى كلام العرب ، سمى النار مأنوسة وقال :

تطايح الطل عن أعطافها صعدا

كما تطايح عن مأنوسة الشرر (2)

ذكرها ابن منظور فى لسان العرب ، ونسبها الى ابن أحمـر .

وجاء فى شعر ابن أحمـر (البابوس) بمعنى ولد الناقة فقال :

حنت قلوصى الى بابوسها طربا

فما حنينك أم ما أنت والذكر

وفسرها ابن منظور بولد الناقة ، وفسره الأزهري فى التهذيب بأنه
الصبى الرضيع فى مهده ، وفى حديث جريج الراهب حين استنطق الرضيع
فى مهده مسح رأس الصبى وقال له : يا بابوس ، من أبوك ؟ فقال : فلان
الراعى . قال : فلا ادري أهو فى الانسان أصل أم استعارة ، وقال
الأصمعى : لم نسمع به لغير الانسان الا فى شعر ابن أحمـر ، ومعنى هذا
ان الأصمعى قد سمع (البابوس) لولد الانسان . وقيل : هو اسم للرضيع
من أى نوع كان واختلف فى عريته . (3)

(1) يذبل : جبل فى نجد ، وقال ابو زياد : يذبل جبل لباهلة وله ذكر
فى شعرهم . والقعاقع : جمع قعقاع للمكان اذا كان بعيدا والسير
فيه متعبا ، وربما قصد ان ابن أحمـر عاش فى مكان لا يسهل
الوصول اليه والخروج منه فاحتفظ فيه بالعربية الفصيحة لعدم
المخالطة - وقال البكرى : هما جبلان لباهلة التنبيه 60

(2) رواية الخصائص (كما تطاير عن مأنوسة الشرر) 2 : 23

(3) مادة ب ب س فى اللسان

وفى شعر لابن أحمر يذكر فيه البقرة يقول :

وبنس عنها فرقد خصر

أى تأخر - فقال ابن قتيبة ، ولا يعرف التبليس - وشرحها ابن منظور بمعنى التأخير محتجا لذلك بقول ابن أحمر المذكور ، وقال الأصمعى : هى أحد اللفاظ التى انفرد بها ابن أحمر ، وكذلك قال شمر : لم اسمع بنس اذا تأخر الا لابن أحمر •

ويبدو ان للكلمة أصل عربى قريب من معنى التأخير ، لا يغير من ذلك عدم سماع الأصمعى لهذا اللفظ الا لابن أحمر ، وأن شمرا تبعه فى ذلك ، فقد أورد صاحب اللسان حديث عمر رضى الله عنه (بنسوا عن البيوت لا تطم امرأة ولا صبى يسمع كلامكم) أى تأخروا لئلا يسمعوا ما يستضرون به من الرفث الجارى بينكم ، كذلك حكى ابن منظور عن كراع فعل الامر من هذه المادة بنس بمعنى اقعد ، وكذلك رواها اللحيانى بالسين والشين بمعنى القعود • (1)

وفسر ابن قتيبة (الأرنه) بأنه ما لف على الرأس ، وقال : ولا يعرف ذلك فى غير شعره أى شعر ابن أحمر فى قوله :

وتقنع الحرباء أرتنه

متشاورسا لوريده نقر (2)

ومن الكلمات التى انفرد بها ابن أحمر (الجبر) بمعنى الملك فى قوله :

(1) اللسان ب ن س

(2) اللسان ا ر ن

اسلم براووق حُبيت به
وانعم صباحا ايها الجبر (1)
ومنها : (كأس رنونة) أى دائمة فى قوله :
بنت عليه الملك أطنا بها
كأس رنونة وطرف طمر

ومنها (الديدبون) بمعنى اللهو فى قوله :
خلوا طريق الديدبون وقد
فات الصبا وتنوزع الفخر (2)

وفى معنى أخذ الشيء كله أخذه بزوبره ، أنشد يعقوب لابن أحمر :
وان قال غاو من تنوخ قصيدة
بها جرب عدت على بزوبرا (3)

وأنت ترى بسبب البقعة التى عاش فيها ابن أحمر ، واكتسب بسببها
ثقة الرواة لم يتجه اللغويون الى انكار ما ورد فى شعره حتى ولو لم يسمع
من غيره ، بل ذهب ابن جنى يعلل لتوثيق ابن أحمر بأنه ربما أخذه عن
ينطق بلغة قديمة لم يشارك فى سماع ذلك منه واما ان يكون شيئا ارتجله
ابن أحمر (فان الاعرابى اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل
ما لم يسبقه أحد) * (4)

(1) الخصائص 2 : 21

(2) الخصائص 2 : 22

(3) امالى القالى 1 : 244

(4) الخصائص 2 : 24 — 25

وقد نسب الى رؤبة وأبيه انهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها ، وكانت حجة الفرزدق في خصومته مع ابن ابي اسحق أنه أعرابي عليه ان يقول وعلى الآخرين أن يقعدوا ، كل ما فسى الامر ان ابن احمر ، ورؤبة وأباه قد ارتجلوا أصولا وارتجل الفرزدق صيغا أو كابر في تبديل الصيغ المسموعة استنادا الى اعرابيته ، كل أولئك متقبل في نظر ابن جني الا أن يأباه قياس العربية • والرأى عندي مختلف فلقد كان يشفع لابن أحمر هذه البقعة التي عاش فيها في يذبل والقعاقع اما الفرزدق ورؤبة فقد تغشاهما شوب الحواضر •

امية بن ابي الصلت

والرواة عندما يذكرون ابن احمر ويكتفون بقولهم ان بعض الالفاظ التي صدرت عنه لم تصدر عن غيره دون تشكيك في صحتها فانهم وقفوا متشككين أمام الفاظ صدرت عن أمية بن أبي الصلت وقالوا في وضوح : (كان أمية بن ابي الصلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الاول ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب) فمنها قوله :

قمر وساهور يسل ويغمد

وكان يسمى الله عز وجل في شعره (السليط) فقال :

هو السليط فوق الارض مقتدر

وسماه في موضع آخر (التغرور) فقال : (وأيده التغرور) •

قال ابن قتيبة : وعلمائنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة (1)

ويقول فى كتاب الشعر والشعراء : وهذه أشياء منكّرة وعلماءنا لا يرون
شعره حجة فى اللغة • (1)

والفرق بين ابن أحمر وبين أمية لا يأتى من جهة الفصاحة فكلاهما
نشأ فى بيئة فصيحة ، وكان أمية فى نظر أبى عبيدة من أشعر أهل المدن
ويقول فى هذا (اتفقت العرب على ان اشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد
القيس ثم ثقيف ، وان أشعر ثقيف أمية بن أبى الصلت) (2) ولكن يبدو
أن الرواة لم يحتجوا بشعر أمية ، أو أن كثرة منهم كانت كذلك بسبب لا
يتصل بالفصاحة ، ولا بسبب سفره الى الشام ولكن بسبب الغيبيات التى
يأتى بها المتنّبون ، فمثل هذه الغيبيات قد تلقى قبولا من الناس قال
الكُميت : أمية أشعر الناس قال كما قلنا ولم نقل كما قال (3) وقال الحجاج
وهو ثقفى مثله : (ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام) (4)
— وقد تقابل بالرفض والاستنكار ، وكان أمية قد نظر فى الكتب وقرأها ،
ولبس المسوح تعبدا ، وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرّم
الخنزير ، وشك فى الاوثان والتمس الدين وطمع فى النبوة (5) ولكنه كان
يأتى أيضا بما يأتىه السحرة والكهان من الافعال الغريبة ، فلقد زعموا انه
كان جالسا فى قوم فمرت بهم غنم فتغت منها شاة فقال للقوم : هل تدرون
ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا • قال : انها قالت لسختها : مرّى لا يجىء
الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أول فى هذا الموضع فقام بعض القوم
الى الراعى فقال له : أخبرنى عن هذه الشاة التى ثغت ، ألها سخلة ؟ فقال :
نعم ، هذه سخلتها • قال : أكانت لها عام أول سخلة ؟ قال : نعم ، وأكلها

(1) الشعر والشعراء 1 : 431

(2) الاغانى 4 : 122

(3) الاغانى 4 : 122

(4) الاغانى 4 : 123

(5) الاغانى 4 : 122

الذئب في هذا الموضع (1) الى غير ذلك من أفعال على هذه الشاكلة رواها أبو الفرج في كتاب الاغانى وهو يترجم لأمية ، واذا كان الرواة يأخذون عن الاطلاق والمجانين لعلمهم اننا يصدر عن فطرة وسليقة لا يشوبها تميل ، فان من حقهم أن يرفضوا الأخذ عن متنبىء يأتي بالغيبيات عن اعراب متعمد لا عن فطرة وسليقة ، والمحاولات التي بذلها اللغويون بشأن هذه الألفاظ التي شابت شعر أمية لم تكشف الا عن شكوكهم فيها ، فقد جاء ابن منظور بشعر أمية في مادة س ل ط وقال : والفعل سلط ، سلاطة وسئل بقول أمية :

ان الانام رعايا الله كلهم
هو السليط فوق الارض مستطر

وحاول ابن جنى أن يجد له مخرجا ونحن نعلم انه صاحب الابتكار الواسع الذي أطلق عليه «الاشتقاق الاكبر» وأداره على الاوزان والأقيسة فلم يجد له قياسا ، قال ابن جنى في البيت السابق : هو القاهر من السلاطة وروى السليط* (بتشديد السين وفتحها ، وفتح الطاء الاولى) ثم قال : وكلاهما شاذ .

وفي التهذيب ، يقول الازهرى : سليط جاء فى شعر أمية بمعنى السلط ، ولا ادري ما حقيقته . (2)

ومع هذه الاعتبارات فقد احتج ابن جنى بشعر أمية فى كتاب المحجب . (3)

(1) الاغانى 4 : 125

(2) اللسان مادة س ل ط

(3) انظر المحجب فى القراءات الشاذة لابن جنى 1 : 366 ، 2 : 288

شعراء إسلاميون

وفى عصر الاحتجاج الذى اتفق عليه أكثر الرواة ، وهو نهاية القرن الثانى ، كثير من الشعراء مشهود لهم بالفصاحة ، ووقف عندهم الرواة مترددين •

من هؤلاء بشار بن برد ، وكان الاصمعى يضعه فى مقارنة مع الاعشى والنابعة الذبياني (1) وكان الرجل حقيقة يملك حسا دقيقا يدرك به خصائص الشعر الجاهلى ، ويحكى ذلك أبو عبيدة معجبا به فيقول : سمعت بشارا يقول وقد أنشد فى شعر الاعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت

من الحوادث الا الشيب والصلما

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الاعشى ، فعجبت لذلك ، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال : حدثنى أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله فى شعر الاعشى فجعلت حينئذ ازداد عجبا من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر • (2)

وكانت جلة الرواة تعظم بشارا ، وتدهش لمجيئه بالغريب فى شعره والذى لا يظن اليه الا خلص الأعراب ، ويقول الاصمعى : كنت أشهد خلف بن أبى عمرو بن العلاء ، وخلفا الأحمر يأتیان بشارا ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما

(1) الاغانى 3 : 149 ط دار الكتب

(2) الاغانى 3 : 143 — 144

ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتى وقت الظهر ثم ينصرفان عنه
فأتياه يوما فقالا له : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى سلم بن قتيبة ؟ قال :
هى التى بلغتكما ، قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب فقال نعم ،
بلغنى أن سلما يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه . قالا :
فأنشدناها فأنشدهما :

بكرا صاحبى قبل الهجير
ان ذاك النجاح فى التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان (ان ذاك
النجاح) (بكرا فالنجاح فى التبكير) كان أحسن ، فقال بشار : بنيتها
أعرابية وحشية فقلت كما يقول الأعراب البدويون * (1)

وحدث أحمد بن المبارك قال : حدثنى أبى قال : قلت لبشار ، ليس
لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من
ألفاظهم وشكّ فيه ، وانه ليس فى شعرك ما يشكّ فيه .

قال : ومن أين يأتينى الخطأ ، ولدت ها هنا ، ونشأت فى حجاز
ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان
دخلت الى نسائهم فنسأؤهم أفصح منهم وأيفعت فأبديت الى أن أدركت ،
فسن أين يأتينى الخطأ ؟ (2)

ولبشار ألفاظ وحشية كأنها صدرت عن أجلاف الأعراب ، فكان
الرواة يقصدون شيوخهم يسألونهم عنها ، كان بشار كثير الولوع بديسم

(1) الاغانى 3 : 189 — 190

(2) الاغانى 3 : 149 — 150

العنزي وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه ، قال فيه يوما :

أديسم يابن الذئب من نجل زارع
أتروى هجائي سادرا غير مقصر

قال أبو حاتم : فأشددت أبا زيد هذا البيت وسألته ما يقول فيه
فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لبشار يقول في ديسم العنزي فقال : قاتله
الله ، ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال : الديسم : ولد الذئب من الكلبة ،
ويقال للكلاب اولاد زارع * (1)

الا أن للرجل وجوها أخرى ربما كانت هي السبب في توقف أوائل
الرواة عن الاحتجاج بشعره ولعل على رأسها :

— اسرافه الشديد في الشعوية *

— انطلاقه في القياس *

— وتأخر أيامه في نظر أوائل الرواة *

اما اسرافه في الشعوية ، فقد سبق أن أوضحنا جانبا منه ، ولكن
لم يصرح أحد من الرواة في شعوبيته ما يجنح به الى الزيف في الرواية ،
الا أن تكون قد تركت اثرها في نفوس العرب فعزف روايتهم عن
الاحتجاج بشعره *

ولكنهم أخذوا عليه تصرفه في القياس واتيانه بموازين لم تصدر عن
العرب ، ذكر ذلك أبو حاتم فقال : طعن الاخفش على شعر بشار قوله :

(1) الاغانى 3 : 152

فَالآنَ أَقْصِرُ عَنْ سَمِيَّةٍ بِاطْلَسِي
وَأُشَارُ بِالْوَجَلَى عَلَى "مَشِيرِ

وَقَوْلِهِ :

عَلَى الْغَزَلَى مِنْى السَّلَامِ فَرَبِمَا
لَهَوَتْ بِهَا فِى ظِلِّ مَرْؤُومَةٍ زَهْر

وَقَوْلِهِ فِى صَفَةِ سَفِينَةٍ :

تَلَاغِبُ نَيْنَانَ الْبَحُورِ وَرَبِمَا
رَأَيْنَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرَى

وقال : لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، ولم أسمع بنون وئينان (1)
وقال غير أبى حاتم إنما بلغه أن سيبيويه عاب هذه الأحرف فهجأه بشار
فكان سيبيويه يتقيه ويحتج بشعره ! وهذا الكلام ادعاء ضعيف ، وقد أجاز
ابن منظور فى اللسان جمع نون على ننان قائلًا : (وأصله نونان فقلبت
الواو ياء لكسرة النون) وقال : وفى حديث على عليه السلام (يعلم
اختلاف النينان فى البحار العامرات) واعتراض الاخفش قائم على أنه لم
يسمع بنون وئينان ، وعدم وصول اللفظ الى سجع الاخفش لا يقطع بخطئه
ولهذا - فيما نعتقد - ان صحت الرواية طلب بشار مواجهة الاخفش مهددا
له قائلًا (ويلى على القصارين ! متى كانت الفصاحة فى بيوت القصارين ،
دعوني واياه) (2)

ولكن يبدو أن السبب الثالث فى نظر قدامى الرواة كان هو المانع
الحقيقي من الاحتجاج بشعر بشار ولقد صدر هذا فى تصريح للاصمعى

(1) الاغانى 3 : 209

(2) الاغانى 3 : 209

يقول فيه : (بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم) (1) .

ابو نواس

وكان ابو علي الحسن بن هانيء من الذين نشأوا نشأة علمية دينية ، فقد نشأ بالبصرة ، واختلف في طلب الحديث ، وقرأ القرآن عسى يعقوب الحضرمي ، واختلف الى أبي زيد النحوي فكتب عنه الغريب والألفاظ . وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ونظر في نحو سيبويه .

ولقد تسلى بالرواية الغزيرة للشعر ، وهو يحكى بعض ذلك فيقول :
ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء ، ولبلى
فما ظنك بالرجال ؟! (2)

وكانت حصيلة ذلك من اللغة ما عبر عنه ابن خالويه في شرحه
لأرجوزته التي أولها :

وبلدة فيها زور

بقوله : لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهد بكلامه في كتاب
الله تعالى . وقد شهد له بالسبق في العربية ابو عثمان الجاحظ فقال : ما
رأيت أحدا كان اعلم باللغة من أبي نواس ، ولا أفصح لهجة ، مع حلاوة
ومجانية للاستكراه (3)

ولكن . هل المجون الذي عرف عن أبي نواس هو وحده السبب في

(1) . الاغانى 3 : 143 | أو 150

(2) تاريخ بغداد 7 : 437

(3) تاريخ بغداد 7 : 437

عدم الاحتجاج بشعره ؟ إن ابن الأعرابي يشارك ابن خالويه في هذا الرأي ويصرح بذلك قائلا : لولا أن أبا نواس وضع نفسه بهذه الأدناس والأرفاق لاستشهدت بشعره ولاحتججت به ، وقال معجبا : ختمت الشعر بشعر أبي نواس فلم أدوّن بعده لشاعر (1) .

عبيد الله بن قيس الرقيات

وعاب يونس عبيد الله بن قيس الرقيات حين قال في قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان (أو يالغان دما) بالالف ، ثم غيرته الرواة على الوجه التالي :

ما مر يوم الا وعندهما

لحم رجال أو يولغان دما

فقال يونس : يجوز يالغان فليل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حجازي فصيح فقال : ليس بفصيح ولا ثقة ، شغل نفسه بالشرب بتكرير (بلدة بين بغداد والموصل) (2) .

وهكذا كان أكثر ما وجه إلى الشعراء يتمثل في أنهم بعدوا عن البادية الفصيحة فشيبت السنتهم كما يقول الرواة . فالكثير جرمقاني من أهل الموصل ، وذو الرمة أكل البقل والملوح في حوانيت البصرة ، وابن قيس الرقيات يشرب في تكريت .

وحيث كانت البادية الفصيحة معقل العربية تعلق بهذه البداوة بعض الشعراء والرجاز حين اشتد الطلب على العربية الموثقة ، وعمد بعضهم إلى الغريب أو الأغراب أمعانا في هذه الغاية ، فأخذوا على الكثير والطرمح

(1) مختارات الأغاني لابن منظور 3 : 6 ط الدار المصرية للتأليف

والترجمة بتحقيق عبد العليم الطحاوي

(2) الأغاني 5 : 88 ط دار الكتب

استعمال الغريب تقليدا لشعراء البادية ، وفضحهما العجاج فقال فى شأنهما : كانا يسألانى عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير موضعه ، فقل له ولم ذاك ؟ قال : لأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه فى غير موضعه ، وأنا بدوى أصف ما رأيت فأضعه فى موضعه (1) وروى مضمون الخبر عن ابنه رؤبة ، فقال فيما يحكيه الأصمعى : كان الطرماح والكميت يصيران الىّ فيسألانى عن الغريب فأخبرهما به فأراه بعد فى أشعارهما (2)

وهذا الخبر كما رأيت ينسب مرة الى العجاج ، ومرة الى ابنه رؤبة ، يباهيان انهما يعرفان الغريب كشيء ثمين تسأل عنه الشعراء والرواة ، ويبدو انهما أوغلا فى هذا الميدان وجنحا فيه الى ما يشبه التزييف والوضع فقال فيهما ابن جنى : (كان قدماء أصحابنا يتعقبون رؤبة وأباه ويقولون : تهضما اللغة وولداها وتصرفا فيها غير تصرف الاقحاح فيها وذلك لا يغالهما فى الرجز وهو مما يضطر الى كثير من التثريح والتوليد) (3)

والقضية كما ترى تكشف عن بداية لتصنيع اللغة ، ولم يكن وزر المدعى لخف من وزر المدعى عليه ، فكلمة الغريب التى يباهى بها رؤبة وابوه لم تتحقق لها هذه الدلالة الا عند تعذر ادراك معناها ، وهى تأتى لذلك من قبل الغير لا من قبل قائلها اذ المفروض على هذا القائل انه يدرك دلالتها بدليل استعمالها ، وحينئذ لا تعد غريبة ، فالغريب كلمة يطلق عليها هذا التعبير عندما تختفى دلالتها ولا تكون كذلك عند من يدرك هذه الدلالة • (4)

(1) الاغانى 2 : 97

(2) الاغانى 12 : 36

(3) الخصائص 3 : 298

(4) راجع ما كتبناه عن الغريب فى كتابنا (رواية اللغة) ص 89

هناك حول مبنى الشعر

الشعر أكثر فنون القول علوقاً بالأذهان لوزنه وقافيته ، واتصاله بحياة العرب ، وهو بذلك أوسع الأوعية التي حملت ألفاظ العريية ، ولكنه ليس أوثقها بسبب الوزن والقافية أيضاً . ذلك ان الشاعر قد يضطر الى وضع كلمة لا تتفق تمام الاتفاق مع الدلالة المطلوبة ، فهو يختار من الكلمات التي تعنى العسل مثلاً كلمة من الكلمات التي ترادفه والتي ذكرت منها كتب اللغة نحو ثمانين كلمة من بينها : الضرب ، والضربة ، والضرب ، والشوب ، والمذوب ، والحमित ، والشهد ، والغرب ، والصبيب ، والرضاب ، والسلاف ، والرحيق ، الى آخر ما ذكره صاحب القاموس ونقل منه السيوطى فى كتاب المزهرة . وبين هذه الكلمات فروق من غير شك حتى بات نفر من علماء اللغة ينكر الترادف * ، ومجىء الشعر بها اضطراراً يغير الدلالة المقصودة احياناً .

وقد تأتى قراءة البيت من الشعر على معنى لم يردده الشاعر ، فاذا أخذت الفاظه منسوبة الى لهجته أو قبيلته كانت نسبة زائفة أو قد تكون كذلك ، قرأ الاصمعى على استاذة ابي عمرو بيت الحطيئة :

وغررتنى وزعمت أنى

لك لابن بالصيف تامر .

اى كثير اللبن والتمر فقرأها (لا تنى بالصيف تأمر) يريد لا تتوانى عن ضيفك تأمر القرى اليه ، فقال له أبو عمرو : أنت والله فى تصحيفك هذا اشعر من الحطيئة (1) ومع سلامة هذه المسألة فان الحطيئة لم يرد هذا .

★ انظر ما كتبناه عن الترادف فى كتابنا (رواية اللغة) ص 325

(1) المزهرة 2 : 355

وقد يداخل الشعر تصحيف خاطيء يدور فى الاسماع فيفسد اللغة ،
فالبكرة النخيس هى بكرة من خشب قد اتسع ثقبها من الاستعمال
فتوضع فيها خشبية تلتم فى ثقب البكرة ، ظل الجوهري صاحب الصحاح
ينردد فيها أهى بخاء مهملة ام بخاء معجمة الى أن وجد أعرابيا من تميم فى
نجد وهو يستقى ، وبكرته نخيس قال : فوضعت اصبعى على النخاس
وقلت : ما هذا ؟ وأردت أن أتعرف منه الحاء والخاء فقال (نخاس) بخاء
معجمة ، فقلت اليس قال الشاعر :

وبكرة نخاسها نخاس

فقال : ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين (1)

واكثر ما يكون التصحيف فى الحروف المتشابهة فى الشكل اشد
ابو عبيد القاسم بن سلام :

اشكو الى الله عيالا دردقا

مقرمين وعجوزا شملقا

بالشين • فاشار الى ذلك ابو على القالى ، وصوب رواية ابن
الاعرابى (سملقا) بالسين غير المعجمة (2) ونبه البكرى الى ان رواية ابي
عبيد فى الغريب المصنف تصحيف ، والصواب بالسين المهملة (3) •

وانشد ابو على فى أماليه لرؤبة :

(1) المزهري 2 : 312

(2) الامالى للقالى 2 : 246

(3) التنبيه على اوهام ابي على القالى فى اماليه للبكرى 125

أذمّه صياغة وارذله
أوقص يخزى الأقربين عيطله

وقال : والعيطل طول العنق •

فعلق البكرى بقوله : هذا وهم بين وتصحيف ظاهر كيف يكونه
(أوقص طويل العنق) وإنما يخزى الأقربين عطله دون ياء أى عنقه • يريد
يخزى الأقربين وفص عنقه ، والعطل : العنق (1) •

وقرىء يوما على الاصمعى فى شعر أبى ذؤيب :

بأسفل ذات الدير افراد جحشها

فقال أعرابى حضر المجلس : ضل ضلالك ايها القارىء انما هى ذات
الدبر وهى ثنية عندنا فأخذ الاصمعى بذلك فيما بعد (2) •

واذا احتاج الشاعر الى اقامة الوزن ربما مطل الحركة وأنشأ عنها
حرفا من جنسها كقول الفرزدق يصف سرعة ناقته فى المهاجرة :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة

نفى الدراهم تنقاد الصياريف (3)

وبسبب الوزن والقافية يأتى الشاعر بما لا يجوز فى عموم اللغة
كقوله :

عجبت والدهر كثير عجه

من عنزى مبنى لم أضربه

(1) التنبيه للبكرى 127

(2) المزهرة 2 : 355

(3) الكامل للمبرد 2 : 491 ط الحلبى سنة 1356 هـ 1937 م

اراد لم أضربه ، فلما اسكن الهاء القى حوكتها على الباء (1) ولا يجوز في مثل هذه الحالة قياس اللغة في عمومها على شعر عيب بضرورة شعرية ولذلك لم يستسخ ابن جنى قراءة أبى عبد الرحمن فى سورة الفيل (الم تر كيف) باسكان الراء فقال ابو الفتح : هذا السكون انما بابه الشعر لا القرآن ، ولقد ورد فى الشعر فى مثل قول الشاعر :

قالت سليمة اشترى لنا سويقا (2)

وقول الراعى :

تأبى قضاة ان تعرف لكم نسا

وابنا نزار فاتهم بيضة البلد (3)

بتسكين الفاء •

ومما ورد فى الشعر ولا يجوز ان يحتذى فى عموم اللغة دخول (ال) على الفعل المضارع فى مثل قول ذى الخرق الطهوى :

يقول الخنا وأبغض المعجم ناطقا

الى ربنا صوت الحمار اليجدع (4)

وقول الفرزدق :

ماأنت بالحكم الترضى حكومته

وبعض الاينات التى وردت كشواهد على قضايا النحو ينظر اليها

بشيء من الارتياب •

(1) الكامل للمبرد 2 : 508 ط الحلبى

(2) المحتسب لابن جنى، 2 : 373

(3) الخصائص 2 : 341

(4) النوادر فى اللغة لابی زيد 16 ، 17

وقد يضطرك المنطق الى التوقف عند بعض قضايا الابدال ، وقد
تضطر الى رفضها حتى في سياق الشعر ، وبالتالي لا يجوز القياس عليها في
عموم اللغة فهذا قول علباء بن أرقم :

يا قبح الله بنى السعلات
عمرو بن يربوع شرار النات
غير اغفاء ولا أكيات

وذكر أبو زيد في كتاب النوادر وقال : الناث : أراد الناس ،
وأكيات : أراد أكياس وقال أبو الحسن (على بن سلمان الأخفش) هذا
من قبيح البدل ، وانما ابدل التاء من السين لان في السين صقيرا فاستثقله
فأبدل منها التاء . وهو من قبيح الضرورة .

وهذا - عندي - شيء غير متقبل ، وانما هي ضرورة القافية التي
الجأت الشاعر الى هذا المركب الصعب ، وتركت للرواة مهمة أصعب في
تقبله ومحاولة التخريج له .

وفي مثل آخر يروي عن الاصمعي قال : أنشدت الخليل بن أحمد
قول السمرأل :

ينفع الطيب القليل من الرز
ق ، ولا ينفع الكثير الخبيث
ولكل من رزقه ما قضى الله
ولو حك أنه المستميت

فقال لي : ما الخبيث ؟ فقلت اراد الخبيث ، وهذه لغة لليهود يدلون

من الثاء تاء • قال : فلم لم يقل الكثير ؟ ! فلم يكن عندي فيه شيء (1)
وقد يضطر الشاعر - بسبب الوزن والقافية - الى الزيادة والنقص ،
ولا يصح القياس على ذلك في عموم اللغة • انظر قول قعنب :

مهلا اعاذل قد جربت من خلقي
ان اوجود لأقسام وان ضننوا

وانما الكلام ضننوا

وقول ابي النجم الراجز :

الحمد لله العلى الاجل

والصحيح العلى الاجل (2)

ولا يصح فسي عموم اللغة حذف النون من ليتنى ، ولا احسب
الشاهد الذي جاء به سيوييه في هذا السياق الا مصنوعا :

كمنية جابر اذ قال ليتنى
اصادقه وافقد بعض مالى

وفي جموع التكسير ما جاء به الشاعر لتستقيم القافية والوزن ثم
ترك النحاة يمللون له على استكراه في اكثر الاحايين • نسب الى ابي
كبير الهذلي :

لو كان في قلبي كقدر قلامه
حبا لغيرك قد اتاها أرسلنى

(1) النوادر في اللغة 104 .

(2) الموشح للمرزبانى 94 ط السلفية 1343 وانظر تنبيه البكرى على
امالى القالى 70 والخصائص 2 : 437 وما بعدها

قال ابن جنى : كسر رسولا وهو مذكر على ارسل وهو من تكسير المؤنث ، كأتان وآتن ، وعناق واعنق ، وعقاب واعقب لما كان الرسول هنا انما يراد به المرأة لانها فى غالب الامر مما يستخدم فى هذا الباب (1) .

وهذا تعليل لغوى لا أحسب الشاعر اراده وحدد رسله بالنساء ، ولكنها القافية قد الزمته هذا المركب الصعب . ومن جموع التكسير التى وردت فى الشعر ودار حولها الاختلاف ، قول الهذلى :

على أطرقا باليات الخيا
م ، الا الثمام والا العصي

فهل خطر على بالك ان (اطرقا) جمع طريق ؟ ان اللغويين انفسهم لم يتفقوا على هذا . قال ياقوت : وللنحويين كلام لهم فيه صناعة ، قال ابو الفتح : ويروى على أطرقا (فعلا) ففعل ماض ، واطرقا : جمع طريق فمن انث الطريق جمعه على أطرق مثل عناق واعنق ، ومن ذكر جمعه على أطرقاء كصديق وأصدقاء فيكون قد قصره ضرورة .

وهذا تخريج لم يقل به كثير من اللغويين فهو عند ابى عمرو : بلد بعينه من فعل الامر ، وفيه ضمير علامته الألف كأن سالكه سمع نبوة فقال لصاحبيه : أطرقا وقال الاصمعى : كان ثلاثة نفر بهذا المكان فسمعوا أصواتا فقال أحدهم لصاحبيه اطرقا ، فسمى بذلك وإنشد البيت وقال عبد الله بن أبى امية بن المغيرة المخزومى يخاطب بنى كعب بن عمرو بن خزاعة وكان يطالبهم بدم الوليد بن المغيرة أبى خالد بن الوليد لأنه مر برجل منهم يصلح سهامها فعثر بسهم منها فجرحه فانقض عليه فمات .

(1) الخصائص 2 : 416

انسى زعيم أن تسيروا وتهربوا
وان تتركوا الظهران تعوى ثعالبه
وان تتركوا ماء بجزعة أطرقا
وأن تسلكوا أى الأراك أطاسه
وانا اناس لا تطل دماؤنا
ولا يتعالى صاعدا من نحارب

وقالوا فى تفسير هذا : الجزعة ، والجزع بمعنى واحد ، وهو معظم
الوادي وقال ابن الأعرابي : هو ما اثني منه ، وأطرقا اسم علم
لموضع بعينه سمى بفعل الأمر كما قدمنا ، وهذا يؤذن بأن أطرقا موضع
من نواحي مكة ، لان الظهران هناك ، وهى منازل كعب بن خزاعة فيكون
أطرقا من منازلهم بتلك النواحي ، وهى منازل هذيل ايضا (1)

وأشيد عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة فيها « الارياح »
و « الامطار » فقال له ابو حاتم السجستاني : هذا لا يجوز ، ائما هو
الارواح فقال : لقد جذبنى اليها طبعى ، فقال له ابو حاتم : قد اعترضه
علمى . فقال : اما تسمع قولهم رياح . فقال له أبو حاتم : هذا خلاف
ذلك . قال صدقت (2)

وقال ابو منصور الازهرى : الريح : ياؤها واو ، صيرت ياء
لانكسار ما قبلها ، وتصغيرها رويحة ، وجمعها رياح وارواح (3)

(1) معجم البلدان 1 : 286

(2) الاغانى 20 : 185

(3) اللسان ر و ح

ومن الفرائد التي وردت في الشعر ولا تجد لها مثيلا في عموم اللغة
دخول الواو والنون على (من) في مثل قول الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون أتم ؟

فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلما (1)

ومن عيوب الشعر في المجال اللغوي جرأة الشاعر وتوهمه ان مراده
معروف للسامع فيقدم ما لا يجوز تقديمه ، ويفصل ما لا يجوز فصله
ويؤخر ما هو اولى بالتقديم . لقد اراد الشاعر مثلا ان يقول (فأصبحت
بعد بهجتها ققرا كأن قلما خط رسوما) فقال :

فأصبحت بعد خط بهجتها

كأن ققرا رسوما قلما

عرض ابن جني لهذا القبح وقال : ففصل بين المضاف الذي هو
(بعد) والمضاف اليه الذي هو (بهجتها) بالفعل الذي هو (خط)

وفصل ايضا بخط بين (اصبحت) وخبرها الذي هو (ققرا) .

وفصل بين كأن واسمها الذي هو (قلما) بأجنبيين أحدهما ققرا ،
والآخر رسوما وأغلظ من ذا انه قدم خبر كأن عليها وهو قوله :
خط ، فهذا ونحوه مما لا يجوز لأحد قياس عليه (2)

ومن الذي يستطيع ازالة الابهام في البيت التالي :

-
- (1) الخصائص 1 : 129. وفي نوادر ابى زيد ص 123
أتوا ناري فقلت : منون ؟ قالوا سراً الجن قلت : عموا ظلما
- (2) الخصائص 2 : 393

كأن بردون أبا عصام زيد حمار دق باللجام

الا بعد التنبيه البي أن همزة (أبا عصام) للمنادي يريد: كأن
بردون زيد يا أبا عصام (1) *
ومن ذلك قول ذي الرمة:

كأن أصوات من يغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريج (2)

أي كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من يغالهن بنا *

الوضع

ومن آفات الشعر أيضا هوانه وسهولة مركبه عند حذاق الرواية
يقولون عفو خاطرهم وينسبون به بعد ذلك لمن شاءوا تحت ظروف
واغراض تبدو أحيانا وتغمض أحيانا فرجل مثل حماد الرواية يروى
للجاهليين ، ولخلص البدو فلا يملك الرواة امام صنعته الدقيقة الا التسليم
بما يقول ، أشار اليه المفضل الضبي فقال : قد سلط على الشعر من حماد
الرواية ما أفسده فلا يصلح ابدا ، فقل له وكيف ذلك ؟ أخطىء فى رواية
ام يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فان أهل العلم يردون من أخطأ الى
الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء
ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله فى شعره ،
ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يميز الصحيح

(1) الخصائص 2 : 404

(2) الخصائص 2 : 405

منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ (1)
ولأبى عمرو بن العلاء — وهو عالم ثقة — قضية فى الوضع لم أعرف
دوافعه اليها ، ذكر أبو عبيدة أنه أنشد شعر الأعشى
وأنكرتنى وما كان الذى فكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

فأنكره ، وقال هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى . قال أبو
عبيدة : فعجب لذلك ، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند
يونس فقال : حدثنى ابو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله فى
شعر الأعشى (2)

واذا كنا لا ندرى وجهة أبى عمرو فى البيت الذى ينسبه للأعشى ،
فان استكراه الحكم على الهوى فى القصة التالية شيء كنا ننزه عنه شيخ
الرواة وأشدّهم تحرجا وأكثرهم نسكا . كتب صاحب طبقات فحول
الشعراء :

(حدثنى ابو الغراف قال : دخل ذو الرمة على بلال بن أبى بردة ،
وكان بلال راوية فصيحاً أدبياً ، فأنشد بلال ابيات حاتم طيء :

لحا الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما
يرى الخمس تعذيبا ، وان يلق شعبة
بيت قلبه من قلة الهم مبهما

(1) معجم الادباء 10 : 265 — 266

(2) الاغانى 3 : 143 ومجاز القرآن لأبى عبيدة 1 : 293

فقال ذو الرمة : يرى الخمص تعذيبا ، وانما الخمص للأبل ، وانما هو خمص البطون فمحك بـلال ، وكان محكا . وقال : هكذا أنشدنيها رواة طيء •

فرد عليه ذو الرمة • فمحك • فدخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بـلال :

• كيف تنسدهما ؟

وعرف أبو عمرو الذي به فقال : كلا الوجهين

فقال : أتأخذون عن ذي الرمة ؟

قال : انه لفصيح ، وانا لنأخذ عنه بتمريض • وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو : والله ، لولا أنى أعلمك خططت فى حبله وقلت فى هواه لهجوتك هجوا لا يقعد اليك معه اثنان (1) •

وكما كان حماد فى الكوفة يقول الشعر وينسبه لمن شاء بلغات العرب وأشعارها كان خلف الأحمر فى البصرة كذلك ، وبلغ من حدقه واقتناده ان يشبه شعره بشعره القدماء حتى يغمض ذلك على جلة الرواة ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم (2)

ولا أحسب أن حمادا وأبا عمرو بن العلاء وخلفا الأحمر قد تعمدوا افساد اللغة العربية أو جنحوا الى خلق شواهد تعين النحاة على ما هم

(1) طبقات فحول الشعراء 483 — 484 — الخمس ان تشرب الأبل

يوم وردها ثم تظل فى مرعاها ثلاثة أيام تعود بعدها — وخمص البطون = ضمير البطون • بتمريض أى على وهن

(2) ذكر القفطى امثلة عديدة • انظر انباه الرواة 1 : 348 وانظر ايضا

معجم الادباء 11 : 68 وامالى القالى 1 : 156

بسيطة من تعقيد العربية ولكن قد داخل اللغة حين جد النحاة في طلب
الشاهد والمثل فوضعوه ، أو وجدوا من يضعه لهم ، من ذلك ما أشيع
عن المفضل انه قال : أنشدني أبو الغول لبعض اليمن :

أى قلو ص راكب تراها
طاروا عليها فشل علاها

علاها : اراد عليها

قال : ولغة بنى الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما
قبلها الفا ، فيقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام
علاكم . قال أبو حاتم : سألت عن هذه الأبيات أباعبدة فقال : انقط
عليه ، هذا صنعه المفضل . (1)

وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسان :
من يفعل الحسنات الله يشكرها
والشر بالشر عند الله بيان

في الاضطرار لحذف الفاء في جواب الامر ، وأنشدها الاصمعي :
من يفعل الخير فالرحمن يشكره
فلما سئل عن الرواية الاولى قال : ان النحويين صنعوها . (2)

وقال البكري في التنبيه (أنشد اللغويون في سوى بمعنى قصد)

(1) النوادر في اللغة لابی زيد 58

(2) سيبويه (الكتاب) 1 : 435 ونوادر اللغة 31 — 32

فلأصرفن سوى حذيفة مدحتي
لفتى العشى وفارس الاجراف

وقال : وانا اشهد ان قائل هذا البيت انما قال :

فلأصرفن الى حذيفة مدحتي (1)

وقال ابو حسن الاخفش : سألتني سيبويه عن تعدى (فَعِلَ)
فوضعت له :

حَذِرَ "أمورا لا تضير وآمن
ما ليس منجيه من الأقدار (2)

اصبح الرمي بالافتعال يوجه الى المشتغلين بالنحو واللغة ، ودار
حول هذا الموضوع (وضع) جديد . روى المفجع البصري قال : كان
المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يتهم بالوضع فيها ، فتواضعنا على مسألة
نسأله عنها لا أصل لها لننظر ماذا يجب ، وكنا قبل ذلك قد تمارينا فى
عروض بيت الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال البعض : هو من البحر الفلانى ، وقال آخرون : هو من البحر
الفلانى ، فقطعناه ، وتردد على افواهنا من تقطيعه (قر بعضنا) ثم ذهبنا

(1) التشبيه على اوهام ابى على القالى فى اماليه 67

(2) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات
العرب . ليوسف الشنتمرى على كتاب سيبويه 1 : 58 ط بولاق
و 1 : 74 ط الاعلامى بيروت

الى المبرد فقلت له : ايدك الله تعالى ما القبعض عند العرب ؟

فقال : هو القطن وفى ذلك يقول الشاعر :

كأن سنامها حشى القبعضا

قال : فقلت لأصحابى هو ذا ترون الجواب والشاهد فان كان

صحيحا فهو عجب وان كان مختلعا على البديهة فهو أعجب (1)

واضطر المبرد يوما الى اختلاق الشاهد ، حذر الحرج • روى
ابن خلدون فى خزائن الادب ان ابا العباس المبرد ورد الدينور زائرا ليعسى
ابن ماهان فأول ما دخل عليه ، وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ،
ما الشاة المجثمة ؟ التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اكل لحمها ؟

فقال : هى الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة •

فقال : هل من شاهد ؟

قال : نعم ، قال الراجز

لم يبق من آل الحميد نسمة

الا عينز لجة مجثمة

فاذا الحاجب يستأذن لابی حنيفة الدينورى فلما دخل عليه قال : ايها
الشيخ ، ما الشاة المجثمة التى نهينا عن أكل لحمها ؟

فقال : هى التى جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها

فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق يقول : هى مثل اللجبة

وانشده الشعر

(1) معجم الادباء 19 : 112 — 113

فقال ابو حنيفة : ايمان البيعة تلزم ابا حنيفة ان كان هذا التفسير
سمعه هذا الشيخ او قرأه ، وان كان الشعر الا لساعته هذه .

فقال أبو العباس : صدق الشيخ فأنسى أقمت ان ارد عليك من
العراق ، وذكرى ما قد شاع فأول ما تسألنى عنه لا أعرفه فاستحسن منه
هذا الاقرار . (1)

وبعد . فاذا كان عيسى بن ماهان قد سر لاقرار المبرد، فانه لا يسرنا ان
تهتز ثقتنا فى الشعر كمصدر من مصادر العربية بعد ان رأينا علما جليلا
كأبى العباس محمد بن يزيد المبرد يجنح الى هذا المسلك فرارا من موقف
حرج — وكم من مواقف معرجة اسدل الكتمان عليها ستاره ودارت
الشواهد فى فلك العربية منسوبة لاعلامها الشوامخ .

(1) خزانة الادب 1 : 36 — 37

البَابُ الرَّابِعُ

الْعَرَبِيُّ وَالْمُعَرَّبُ مِنَ الْكَلَامِ

الفصل الأول

كلام الأعراب

مصادر العربية هي القرآن الكريم ، والشعر ، وما صدر عن خلص الاعراب من أنواع القول ، ولعلك تلاحظ في رواة اللغة أن أكثرهم من انقراء ، او الذين ربطوا سببهم بالقرآن على وجه من الوجوه ، وأنهم وجهوا جزءا من عنايتهم الى الشعر تقييدا له ، او بحثا عن الالفاظ والتراكيب فيه وخاصة الغريب والنادر منها .

وكلام الاعراب ، رافد ضخمة في الحقيقة ، وهو أنقى الروافد بعد القرآن الكريم اذا ادركه التوثيق وسلم من شوب الرواية ، وللجاذب في كلام الاعراب رأى حسن اذ يقول : انه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آتق ، ولا ألد في الاسماع ، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفنق

للسان ، ولا أحوذ تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء
الفصحاء ... (1)

ولكن الباحث عن مصادر العربية لا يقف عند كلام الأعراب العقلاء
الفصحاء وإن مازة عن غيره ، ومن حق الباحث أن يجمع كل ما صدر عن
خلص الأعراب ، العقلاء وغير العقلاء ، الرجال والنساء والصبية حين
يفصح كل أولئك بمنطق العربية •

فحين دعت الدواعي لرواية اللغة وجمعها تطلع الطلاب إلى أصحاب
هذه اللغة ، وظهرت هذه البداية أول أمرها في البصرة ، فكانوا يتلقون
عن شيوخهم في المسجد الجامع ، ثم يجدون في طلب الأعراب في دروب
البصرة وأحيائها يستمعون منهم •

وللأعراب نبي هذه الحاضرة مآرب شتى ، يأتونها للبيع والشراء ،
أو للجب والميرة كما يحكى أبو عبيدة في شأن ابن داود بن متم بن
نويرة (2) أو يرفعون مظالمهم إلى قضاتها كما يبدو من قول امرأة لذي
الرمة وقد لمحته بالبصرة :

أذو زوجة في المصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويًا

كما كان لبعضهم بيوت بها •

كان طلاب اللغة يتلقون بهؤلاء الأعراب ، ويسلكون معهم كل
مسلك لحملهم على الكلام - إلى حد المشاكسة - ودار حول هذا الأمر

(1) البيان والتبيين 1 : 145 بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون

(2) طبقات فحول الشعراء للجمحي 40 ط دار المعارف

طرف الحكايات والاخبار من ذلك قول الاصمعي : كنت أغشى بيوت
الاعراب أكتب عنهم كثيرا حتى الفونى وعرفوا مرادى ، فأنا يوما ماراً
بعذارى البصرة ، قالت لى امرأة ، يا أبا سعيد : أت ذاك الشيخ فان
عنده حديثا حسنا فسلمت عليه فرد على السلام وقال : من أنت ؟
قلت : أنا عبد الملك بن قريب الاصمعي ، قال : ذو يتبع الأعراب فيكتب
الفاظهم * (1) .

والتقى أبو زيد بأعرابى فسأله : ما المتكأكىء ؟

قال : المتأزف * .

قال : وما المتأزف ؟

قال : المحببى ؟

قال : وما المحببى ؟

قال : أنت أحقق ، ومضى * (2)

كان أبو زيد والاصمعي - فيما يبدو - فى مرحلة التحصيل ،
فكانا يكتفيان بمثل هذا اللقاء العاجل وهذه الاسئلة الساذجة ، ولكن
الأعراب كانوا قد احتلوا فى نفوس كبار الشيوخ منزلة جليلة ، كان شبيل
ابن عزرة الضبعى الاعرابى اذا حضر مجلس أبى عمرو بن العلاء تقبله
بقبول حسن ، وأنزله مكانا حسنا ، وقام له وقدم له لبد بغلته ليجلس
عليه (3) وكان شبيل هذا يعرف عند علماء العربية بصاحب الغريب * (4)

(1) المزهري 2 : 308

(2) نزهة الالباء 174

(3) طبقات الزبيدي 49

(4) الحيوان للجاحظ 1 : 313 بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

وسئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمر أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الاعرابي ، فقال له أبو عمرو : دعنى فأنا ألطف بسؤاله وأعرف ، وسأله ، فقال الاعرابي : اشتقاق الاسم من فعل المسسى . فلم يعرف من حضر ما أراد الاعرابي ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال : ذهب الى الخيلاء التي فى الخيل ، والعجب ، الا تراها تمشى العرضة خيلاء وتكبرا ؟ (1)

وبلغ الأمر فى البصرة - هذه البيئة العلمية - أن كان يؤمها رجال من الأعراب تلتبس عندهم الفروق الدقيقة فى اللغة ، ولا يكفى لبلوغ هذه الغاية أن يكون مجرد أعرابي يتمتع بعمومية الصفة ، وانما كان منهم من يتكلم على لهجة بنى تميم ومن يتكلم بلسان الحجازيين كما يتضح ذلك من قول الاصمعى : جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو بن العلاء ، فقال يا أبا عمرو : ما شئ بلغنى عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى عنك أنك تجيز ليس الطيب الا المسك (بارفع) فقال ابو عمرو : نمت يا أبا عمر وأدلىج الناس ، ليس فى الأرض حجازى الا وهو ينصب وليس فى الأرض تميمى الا وهو يرفع ، ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى - يعنى اليزيدى - وانت يا خلف - يعنى خلفا الأحمر - فاذهبا الى أبى المهدي فانه لا يرفع ، واذهبا الى المنتجع ولقناه النصب فانه لا ينصب . فذهبا ، وسمعا من أبى المهدي بالنصب ثم أتيا المنتجع وجهدا فى النصب فلم ينصب وأبى الا الرفع . (2)

وكان أبو الوجيه العكلى ، يتحدث فى خصائص البادية ، وفى

(1) طبقات الزبيدى 29

(2) امالى القالى 3 : 39

صفات السحاب ، وأحوال الضباب ، والعقارب ، والقنفاذ الى غير ذلك • (1)

بقيت الثقة فى الأعراب ما بقيت لهم تلك السليقة التى كان من علاماتها التزامهم بأسباب البداوة لا يشاركون فيما يأتية الحضرى من تحديث مخافة أن يدور فى مسامعهم أو يجرى على ألسنتهم ، وهم ان اضطروا الى المكث فى الحواضر تعجلوا العودة الى البادية حفاظا على السنتهم ان يدركها الشوب •

كانت تهمة ذى الرمة لدى الأصمعى أنه — أكل البقل والمسلوح فى حوانيت البصرة ، وعند أبى عمرو بن العلاء أنه رآه فى دكان طحان بالبصرة يكتب ، قال : ما هذا يا ذا الرمة ؟ فقال : اكتم على يا أبا عمرو • ولما قال ذو الرمة :

كأننا عينها منها وقد ضمرت

وضمها السير فى بعض الاضى ميم

قيل له : من أين عرفت الميم ؟

فقال : والله ما أعرفها ، الا أنى رأيت معلما خرج الى البادية فكتب حرفا فسأته عنه فقال : هذا الميم ، فشبهت به عين الناقة • (2)

كان : عرفته لحرف الميم — ومعرفة الكتابة وجه شائع فى الحضرة — ينتقص من بداوته •

(1) . الحيوان الجاحظ 4 : 194

(2) الخصائص 3 : 296

أحسن الأعراب أن صفة البداوة يمكن أن تكون سببا فى التماس
الرزق ، او مجلبة للاحترام فى الحاضرة ، فأضاف الاعرابى مهمة الرواية
الى مآربه عندما يحضر البصرة ، وحام حول حلقات العلم ، وشاعت لهم
فى هذا السياق صور طريفة اليك بعضها :

وقف أعرابى على حلقة أبى زيد فظنه جاء يسأل عن شىء فى النحو
فقال : سل يا أعرابى حاجتك ، فقال على البديهة :

لست للنحو جثكم
لا ، ولا فيه أرغب
أنا مالى ولا مرىء
أبد الدهر يضرب
خل زيدا لشأنه
أينما شاء يذهب
واستمع قول عاشق
قد شجاه التطرب
همه الدهر طفلة

فهو فيها يشب (1)

يبدى عجه مما يدور فى هذه الحلقة ، والامثلة التنى يدور عليها
درس النحو •

وفى مثل هذه الصورة أيضا ، وقف أعرابى على حلقة الأخفش
يستمع الى حديثهم فى النحو ، وأخذ يعجب مما يسمع فقال له الاخفش .
ما تسمع يا أخا العرب ؟ فقال : تتكلمون بكلامنا فى كلامنا بما ليس من
كلامنا • (2)

(1) نزهة الالباء 178

(2) الامتاع والمؤانسة 2 : 139

وهذا أعرابي ثالث يحكى عنه أبو عشان الاشناندانى فيقول : كنا
يوما فى حلقة الأصمعى اذ أقبل أعرابي يرفل فى الخزوز فقال : أين
عبيدكم ؟ فأشرنا الى الاصمعى فقال : ما معنى قول الشاعر :

لا مال الا العطاف توزره
أم الثلاثين وابنة الجبل
لا يرتقى النز فى ذلذله
ولا يعدى نعليه عن بلل

قال : فضحك الاصمعى وأكمل القصيدة فأدبر الاعرابى وهو يقول :
تالله يا رأيت كاليوم عضلة • (1)

وجاء الى حلقة الاصمعى أعرابي متحد متعجرف فقال : أيكم
الاصمعى ؟

قال : أنا ذاك •

قال : أنت الذى يزعم هؤلاء النفر انك اثقبهم معرفة بالشعر والعريية
وحكايات الاعراب ؟

قال الاصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن هو دونى •

قال : أفلا تنشدوننى من شعر أهل الحضر شيئا حتى أقيسه على
شعر أصحابنا ؟

(1) الامالى 2 : 265 قال ابن دريد : هذا يصف رجلا خائفا لجأ الى
جبل وليس معه الا قوسه وسيفه ، والسيف هو العطاف (ام
ثلاثين وابنة الجبل) يعنى كنانة فيها ثلاثون سهما ، وابنة الجبل :
القوس لانها من نبع والنبع لا ينبت الا فى الجبال

فأنشده الأصمعي في خبر طويل • (١)

ومنهم من كان يجلس في حلقات الدرس فتجبره المناسبة الى
الاشتراك ، وتمضي كل حادثة بفائدتها ، قرىء يوما على الأصمعي في
شعر أبي ذؤيب ، وكان الأصمعي أمثل من يشرح شعر الهذليين :

بأسفل ذات الدير أفرد جحشها (بالياء)

فقال أعرابي حضر المجلس : ضل ضلالك أيها القارئ ، انما هي
ذات الدبر (بالياء) ، وهي ثنية عندنا فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد • (2)

تكاثر الأعراب في البصرة ، وطال مكثهم بها ، فكان لذلك رد فعل
مزدوج لدى الطالبين ، ولدى الأعراب ، أما الطالبون فما لبثوا أن
استبانوا لين الأعراب وتطرق الفساد الى سليقتهم ، وراحوا يضعون لهم
الاسئلة ليكشفوا سقطهم ذهب منهم فريق الى أبي ضضم الأعرابي بعد
العشاء فقال لهم : ما جاء بكم يا خبيثاء ؟ ، قالوا جئناك نتحدث اليك •
قال : كذبتكم ، بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى ان نأخذ عليه
سقطه •

وسأل أبو عمرو بن العلاء أبا خيرة الأعرابي عن قولهم (استأصل
الله عرقاتهم) فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو : هيهات
يا أبا خيرة ، لان جلدك • ذلك ان أبا عمرو استضعف النصب لانه كان قد
سمعها منه بالجر • (3)

(1) زهر الاداب 2 : 101

(2) المزهر 2 : 355

(3) نزهة الالباء 32 — 33

ولم تكن سليقة الاعرابى وحدها هى التى اصببت بالاهتزاز والشوب ، بل فسدت بعض الالسنه عن عمد وتزيد وتمويه ارضاء للسامعين أو مباهاة بسعة المعرفة . ولقد ضاق رؤبة بيونس بن حبيب فقال له : حتى متى تسألنى عن هذه الاباطيل وازوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ فى رأسك ولحييتك ؟ (1)

وكشف أبو عبيدة معمر بن المثنى مسلك ابن داود بن متم بن نويرة قال : اتيت أنا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيه فجعل يزيد فى الاشعار ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام متم ، واذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متم والوقائع التى شهد بها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله . (2)

وشهد الاعراب على أنفسهم بالفساد أمام طلاب العربية حين اختلفوا واحتاجوا الى من يفصل بينهم فى هذا الخلف ، قال المنتجع : كمء للواحدة وكساء للجميع - وقال أبو خيرة : كمأة واحدة ، وكمء للجميع مثل ثمرة وشر فاحتكوا الى رؤبة فقال كما قال المنتجع - وقال أبو زيد كمأة وكمء كما قال أبو خيرة . وقال الرياشى : سمعت أبا زيد يقول : قال المنتجع : أغسى على المريض وقال أبو خيرة غسى عليه فأرسلوا الى ام أبى خيرة فقالت غسى على المريض فقال لها المنتجع : أفسدك ابنك . (3)

وما لبث الجاحظ ان استبان ضعف الأعراب أيضا ، وأنهم لا يستسيكروا على بداوتهم طويلا وعبر عن ذلك بقوله : كان بين زيد بن

(1) طبقات فحول الشعراء للجهمى 581.

(2) طبقات فحول الشعراء للجهمى 40.

(3) الخصائص 3 : 305

كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد * (1)

وأما الاعراب - وقد أحسوا أنهم يحملون « بضاعة » تلتبس لها سبل « الرواج » كان عليهم أن يقنعوا الطالبين أن هذه « البضاعة » آتية من البادية لم تشبها شوائب العجمة في الحاضرة لتظل لهم صفة المعلمين أو صفة القضاة في مجالس الامراء على النحو الذي قرأنا عنه حين تناظر الاصمعي والمفضل الضبي في منزل الامير سليمان بن علي في البصرة وقد احتكما فيها الى غلام من بنى أسد ، وحين تناظر الكسائي وسيبويه واحتكما فيها الى بعض الاعراب ، وتناظر الكسائي واليزيدي في حضرة المهدي وحكم بينهما أبو المطوق الاعرابي ، ولم تكن حكومتهم خالصة لوجه العلم فيما يقال *

كان من هذه المظاهر - فيما أرى - مسلك أبى مهدية الاعرابي ، وقد صور نفسه مثالا لأجلاف الاعراب ، وأتى من الافعال ما كانت ضعفة الاعراب تفعل ، كان يعلق على ملابسه صوفا وقذرا فإذا سئل عنها قال : أنجاس حتى يتنجس منى الموت فلا يقدر على " ، (2) وكان اذا اراد الاذان قال : الله أكبر مرتين ، اشهد ان لا اله الا الله مرتين ثم كذاك الى آخره ، فإذا قيل له : ليست السنة كذلك انما هي : الله أكبر الله أكبر ، أشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله ، الى آخره يقول : قد عرفتم ان المعنى واحد والتكرار عي " (3) والرأى عندي انها لافتعال الخبل لا الخبل ذاته ، حتى يظن أنه لم يتحضر ثم أخذ يردد في أجواء البصرة أنه ثابت على لحنه ولحن آبائه ، ولن يطوع لسانه بهذه اللهجات التي سادت

(1) البيان والتبيين 1 : 174 في بعض المراجع يزيد بن كثوة

(2) طبقات الزبيدي 175

(3) الخصائص 2 : 466 — 467

البصرة وهبت رياحها من الفارسية من شرق العراق :

يقولون لى (شنبذة) ولست (مشنبذا)
طوال الليالى ما أقام ثبير
ولا قائل (زوذا) ايعجل صاحبى
(وبستان) فى صدرى على كير
ولا تاركنا احنى لأحسن لحنهم
ولو دار صرف الدهر حيث يدور (1)

ترى كيف دارت فى مسامعه هذه الألفاظ مرتبطة بمعانيها وهو يوهم
أنه لن يترك لحنه ولا لحن آبائه ليتبع لحن الآخرين؟!*

وهذا أعرابى تميمى ، يبرأ من الحضرة ، ويعلن أنه وإن قدم البصرة
حقيقة إلا أنه ليس منهم فى كثير فيقول فيما يرويه عنه أبو حاتم
السجستاني :

ما أنا بالبصرة بالبصرة
ولا شبيه زيهم بزى (2)

وحديث أم الهيثم الاعرابية ، لا يدعو الى الاطمئنان ، وأفضل أن
نعرضه قبل أن نأخذ فى مناقشته . يقول عمر بن خالد العثماني : قدمت
علينا عجوز من بنى منقر تسمى أم الهيثم ، فغابت عنا ، فسأل عنها أبو
عبدة فقالوا : انها عليلة . فقال : هل لكم أن نعودها ، فجئنا ، فاستأذنا ،
فقال : لجوا . فسلمنا عليها ، فاذا هى عليها أهدام وبجد وقد طرحتها
عليها فقلنا : يا أم الهيثم ، كيف تجدينك ؟

(1) الخصائص 1 : 239 وطبقات الزبيدي 39

(2) امالى القالى 3 : 21

قالت : كنت وحمى بالدكة ، فشهدت مأدبة ، فأكلت جبجبة ، من
صنيف هلعة ، فاعترتنى زلخة •

فقلنا : يا أم الهيثم : أى شىء تقولين ؟

فقلت : أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم الا بالعربى الفصيح (1)
وجاء ذكرها فى خبر آخر ينسب الى ابى حاتم السجستاني • سألها
عن حب يقال له بالفارسية اسفيوش • قالت أرنى منه حبات ، فأراها
فأفكرت ساعة ثم قالت : هذه البخدق وقال ابن خالويه : البخدق
نبت ولم يعرف الا من ام الهيثم • (2)

وفى خبر ثالث يرويه المبرد فيقول : كانت أم الهيثم من أفصح من
رأيت وسمعتها تقول من كلامنا (لا ترضى الشائنة الا بجرزة) والشائنة
المبغضة وهى التى لا ترضى ممن أبغضته الا باستئصال ، ومنه قيل جرار
الذى يقطع كل ما يمر به ، ورجل جروز اذا قعد على الزاد فأفناه ،
وأنشدنى :

كانت عجوزا خبة جروزا

تأكل فى مقعدها قفيزا

تشرب حبا ، وتبول كوزا

لا تنكحن بعدها عجوزا

كما سمعها تقول : جاء فلان يضرب أصدرية ، وأزدريه ، وأسدريه ،
وينفض مذرويه اى هو فارغ • (3)

(1) امالى القالى 3 : 69 والمزهر للسيوطى 2 : 540

(2) اللسان ب خ ق - ب ح د ق

(3) الفاضل للمبرد 22 - 23 بتحقيق الاستاذ عبد العزيز الميمنى ط
دار الكتب 1956

وفى كلام رابع ينسب لأبى حاتم السجستاني أنه سألها : هل تبدل
العرب من الجيم ياء فى شىء من الكلام ؟ قالت : نعم وأنشدت :
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
فأبعدكن الله من شيرات (1)

أما الخبر الأول - والذي تنسب روايته الى عمر بن خالد العشاسى
فانى لم اجد تعريفا بهذا الرجل فيما بين يدي من مراجع ، ولا هو ممن
يجرى ذكرهم مع أبى عبيدة ، ولا مع أصحابه - وجبات البخدق فى
الخبر الثانى لم تذكر الا عن أم الهيثم كما يحكى ابن خالويه .

والخبر الثالث ، يحتاج الى تمهل ان كانت أم الهيثم هذه هى هى
التي يحكى عنها المبرد فى كتاب الفاضل وقد سمعها تقول (لا ترضى
الشائنة الا بجزرة) كما سمعها تقول : جاء فلان يضرب أصدريه ، وأزدرية .
وأصدريه - فانها تكون شخصية خرافية تركب عليها الروايات ، فلقد
كانت فى زمن أبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ عجوزا ، فكيف سمعها المبرد
الذى ولد فى نفس السنة التى مات فيها أبو عبيدة - كما أن الابدال بين
الزاي ، والسين ، والصاد فى (أصدريه) واخواتها - وتبادل الجيم والياء
فى شجرات وشيرات لا يصدر عن ناطق واحد ، ولكن شاع ذلك فى
اعقاب جمع اللغة من قبائل متعددة ، وبهذا أيضا ما كان لها أن تفهم كلسة
(الابدال) على الوجه الذى اراده علماء اللغة والنحو .

فهل هذا نسق من التأليف ركب عليه السند ليسهل تقبله
واستظهاره ، وكان ابو على القالى ممن ينشطون لهذا النهج فى أماليه ؟
أم ايهام بأعراية أم الهيثم المغرقة فى البداوة تنفى بها شبهة التحضر

(1) المزمهر | 1 : 146

مفترضين أم هيشم أخرى فى زمن المبرد ؟

الوجه الحضري السافر للاعراب

على كل حال لم يطل الزمن حتى كشف الأعراب عن الوجه الحضري ، وبدأ الكاتب منهم يصطنع الرواية أو التعليم أو التأليف على طريقته طلاب الرواية وعلمائها فكان أبو البيداء الرياحى يعلم الصبيان بأجر (1) واستهوى العلم أبا محلم الشيباني فسعى إليه وتناول الكتب واستظهرها بشراة ، أشار إليه أبو فيد مؤرج السدوسي ، وقرظه لقوة حفظه فقال : استعار منى جزءا ، وردده من الغد وقد حفظه فى ليلة وكان مقداره نحو خمسين ورقة (2) وكتب أبو خيرة كتاب الحشرات (3) وكتاب الصفات (4) ثم اصطنع الوراقة (5) وكتب الحرمازى الأعرابى كتابا فى خلق الانسان (6) وترجم ابن النديم لدلامز البهلول وقال رأيت له كتاب النوارد والمصادر بخط السكرى (7) ووصف ابن النديم كتابا فى النوارد لدهسج ابن محرز وقال : رواه عنه محمد بن الحجاج بن نصر الانبارى وقال : رأيتة نحو مائة وخمسين ورقة وفيه اصلاح بخط أبى عسر الزاهد (8) وكتب أبو المضرخى كتابا فى النوارد رآه ابن النديم بخط ابن أبى سعد وعرف بريعة البصرى فقال : بدوى تحضر وله من الكتب كتاب ما قيل فى الحيات من الشعر والرجز ، وكتاب خنين الابل الى الأوطان (9) .

-
- (1) البيان والتبيين 1 : 252 (2) الفهرست 69
(3) الفهرست (4) ذكره احمد بن محمد الخارزنجى
البشتى ضمن مصادره لكتاب
التكملة . انباه الرواة 1 : 8 .
(5) الخصائص 3 : 365 (6) الفهرست 72
(7) الفهرست 71 (8) الفهرست 68
(9) الفهرست 74

واصطنع الوراقه أبو مالك عمرو بن كركرة (1) وهكذا انتهت
صورة الأعراب الرواة في البصرة •

وفي الكوفة

كانت صورة الاعراب الرواة تختلف عن هذه الصورة التي رأيناها
في البصرة لسببين :

الاول : ان الجنس العربى فى البصرة كان واحدا من الأجناس العديدة التى
اجتذبتها مرفأ العراق ، كما أن اصطناعه لمهن وصناعات تختلف عن طبيعة
العربى قد مسخت صورته البدوية ، لذلك كان ظهور الاعراب الرواة
بالبصرة واضحا مميزا •

اما الكوفة — وهى وريثة الحيرة والانبار فقد كانت عربية الوجه
فى مجموعها وذهب بعض المؤرخين الى انها ائشنت أول أمرها ليجتمع فيها
الأعراب وكانوا يقدمون على أهل هذه البلاد بالتجارات والبياعات
ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب ، فاتخذوا حيرا على النجف —
وبعض العرب كانت تضيق بهم المعيشة فيخرجون الى ريف العراق وينزلون
الحيرة على ثلاثة ائلاث : ثلث تنوخ وهو من كان يسكن المظالم ويوت
الشعر والوبر غرب الفرات فيما بين الحيرة والانبار وما فوقها — والثلث
الثانى العباد وهم الذين كانوا سكنوا الحيرة وابتنوا بها ، — والثلث
الثالث الأحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم ممن لم يكن
من تنوخ الوبر ولا من العباد الذين دانوا لأردشير (2) فكان العنصر
العربى فى الكوفة عنصرا غالبا ، ومن بينهم من اشتهر امره بالفصاحة

(1) الفهرست 66

(2) تاريخ الطبرى 1 : 480

كأعراب أسد وتميم وأهل العالية من كنانة ، وقد عجب رجل من الكسائي أن رآه ينزل البصرة يسأل الخليل عن اللغة فقال له : (تزكت اسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة ؟) •

الثاني : ان الرواية اللغوية لم تعبر طويلا بالكوفة اذ نشأت الدولة العباسية بها (1) ثم انشئت بغداد لتكون عاصمة الخلافة العباسية فانتقل اليها رجال الكوفة في اعقاب رجال الدولة •

ومع ذلك فأنت تسمع عن أعراب يصطنعون الرواية ، تجدهم في الكوفة حيناً ، وفي بغداد حيناً • نعرف منهم أبا المجيب الربيعي وهو من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (2) وأخذ الفراء عن أبي الجراح العقيلي وأبي ثروان العكلى (3) وستجدهما أيضاً في بغداد يشهدان مع الكسائي على سيبويه في المسألة الزنبورية كما روى الفراء عن أبي دثار ، وروى أبو عمرو الشيباني عن أبي مسلم العاصمي (4) وحضر مجلس الكسائي أعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك ، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد الى ما يقولون ففارقهم وهو يقول :

ما زال أخذهم في النحو يعجبني
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

(1) هرب اليها السفاح والمنصور وجماعة من اقاربهم بعد ان قبض مروان بن محمد على اخيهما ابراهيم الامام فأخلى لهم ابو سلمة الخلال داراً وكتب امرهم الى ان وصل ابو مسلم بالجنود من خراسان فاشتدت به شوكة العباسيين فأعلنت الخلافة . الفخرى في الآداب السلطانية 130

(2) مجالس ثعلب 1 : 356

(3) المزهري 2 : 410

(4) الفهرست 71

بمفعول فعل ، لا طاب من كلم
كأنه زجل الغربان والبوم (1)

وفي بغداد

"وأستأذنك أن تنتقل فجأة - كواقع الحال - تسمع عن الأعراب ،
ولكن بوجه غير الوجه البدوي الذي يمنحك الطمأنينة ، تجدهم في بغداد
وقد ثارت حولهم الشكوك ، وجاء أكثرهم من الكوفة في أعقاب الكسائي
والفراء لما نالا من الحظوة في دار الخلافة - كما تجد أكثرهم يكتبون -
كان أبرز الأعراب في بغداد يزيد بن عبد الله الحر المعروف بأبي زياد
الكلابي ، وفد من الكوفة في مجاعة ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام
بها أربعين سنة ومات بها ، وعمل أبو زياد على شاكلة علماء الرواية في
عصره ، فألف في النوادر ، والفرق ، والابل ، وخلق الانسان ، وكلها
بمفقودة - على ما أعلم - واعتمد ياقوت الحموي على نوادر هذا
الأعرابي في كتاب معجم البلدان وذكره في مصادره فقال (..... وأما
الذين قصدوا ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية وهم وأبو زياد
الكلابي ذكر في نوادره من ذلك صدرا صالحا وقفت على أكثره) ومن
خلال كتاب ياقوت وجدت هذا الاعرابي يخص قبيلته بني كلاب بالكثير
من عنايته *

ومن أعراب بغداد أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش (2) من بني
ربيعة من بني عامر بن صعصعة ، منازلهم في نجد - نزل الكوفة
تسده فطرته بأسباب العربية ، وجلس في حلقة الكسائي فلم ينفر كما نفر

(1) معجم الادباء 13 : 193 - 194

(2) في طبقات الزبيدي عبد الله بن حريش

زملاء له من قبل مما يدور في هذه الحلقات من أوجه القراءات ، والنحو ،
والشواهد ، والتصريف بل اعجبه ما سمع فأقبل عليه ، ونحن لا نعجب أن
يأخذ أبو مسحل عن الكسائي شيئا من القراءات ، أو ضروبا من النحو
وأقيسة التصريف - ولكننا نعجب إذ نراه يروي عنه اللغة - انظره يقول
في (أما والله) ويسند قوله الى الكسائي :

(ويقال : أما والله - وهما والله - وحما والله - وعما والله -
وعما والله - وعمرمي والله - وعمرمي والله - وحرمي والله ، سبع
لغات حكاهما الكسائي) (1) .

ولم تشر عبارة اللسان في (أما) الا بما يلي (أما بالفتح معناها :
الاستفتاح بمنزلة : ألا ، ومعناها : حقا ، وحكى بعضهم : هسا والله أي
أما ، والهاء بدل من الهمزة وتكون أما تأكيدا للكلام واليمين) (2) .
ويقول ايضا : حكى لنا الكسائي أربع لغات في الاسم : (هذا
اسمك ، وهذا سيمك ، وسيمك ، وأسمك . ويقال اذا ابتداء : أسم ،
واسم ، وسم ، وسيم) وأنشد :

سبحان من في كل سورة سيمه

وسمه (3)

وجلس الى الفراء أيضا ، وسمع منه قوله : (سمعت ظفر -
وظفر - وأظفور - وأظفورة - وسطر - وسطر ، وأسطورة -
حكاهما يونس) (4) .

(1) نوادر أبي مسحل 52 ط دمشق سنة 1961

(2) لسان العرب 58 : 46 ط دار صادر

(3) نوادر أبي مسحل 95 (4) نوادر أبي مسحل 251

ورحل الى بغداد ، وان تعجب أن يأخذ هذا الأعرابي عن الكسائي
والقراء فعجبك لا شك أكثر عندما تعرف في هذا الأعرابي رغبته الجامعة
في التحصيل ، وأن يروى في سبيل ذلك عن رجل نوبى كان يقف على
باب الرشيد هو على بن الحسن المعروف بابن المبارك الأحمر ، فجمع
بذلك الدراية والرواية • يقول ابن الأنباري : (كان أبو مسحل يروى عن
على بن المبارك أربعين ألف شاهد في النحو ، وكان ثعلب يندم أن فاتته
سماعها منه) (1) •

ومن أعراب بغداد محمد بن عبد الملك الفقعسي راوية بني أسد
وصاحب أخبارها - جلس إليه القراء - وكان الفقعسي من المتهمين ، مدح
الفضل بن الربيع وشهد مع الكسائي حين ناظر سيبويه •

واذا كان الكسائي قد وجد من يشهد له لدنوه من الأمراء في دار
الخلافة فلقد شهد الأعراب عليه من قبل - والحكم على الهوى شائع في
سير الأعراب - والأعراب أشد كفرا وتفاقا - لقد اختلف الكسائي
واليزيدي في حضرة المهدي فقال المهدي : قد اختلفتما وانتما عالمان فمن
يفصل بينكما ؟ فقال اليزيدي : فصحاء العرب المطبوعون فبعث الى أبي
المطوق الأعرابي • قال اليزيدي فعملت أبياتا الى أن يجيء ، وكان المهدي
يميل الى أخواله من اليمن فقلت :

يا أيها السائلى لأخبره
عما بصنعاء من ذوى الحساب
حسير ساداتها ، تقر لها
بالفضل طرا ججاج العرب

(1) طبقات الزبيدي 148

فان من خيرهم وأفضلهم
أو خيرهم بقية أبو كرب

فلما جاء أبو المطوق أنشدته الأبيات وسألته عن المسألة فوافقنى (1)

ومما رأيت - لا تكاد صورة الأعراب الرواة تتضح الا فى البصرة
وقد بهتت هى الأخرى عندما فسدت سليقتهم وزيفهم طلابهم - وتعين على
طلاب العريية أن يلتمسوا الفصحى فى منازلها ، فاتجهوا أول أمرهم الى
المربد ثم طوفوا فى البادية - ولهذا حديث طويل *

(1) امالى الزجاجى 41 ط السعادة سنة 1324 هـ

طلب العربية من المربد والبادية

الاتجاه الى المربد

اهتزت ثقة الطالبين فى أعراب الأمصار ، ورأوا ألسنتهم قد شيبت
بآفة الحضارة ، واختلف المنتجع وأبو خيرة فى المفرد والجمع فى كسم
وكمأة، وغمى وأغمى على المريض واحتاجوا الى من يفصل فى هذا الخلف،
وشهدوا على أنفسهم بالفساد (1) فذهب الطالبون الى المربد يلتمسون
بغيتهم من أعرابها .

كانت المربد على مقربة من البصرة ، وهى سوق للابل ، يأتى اليها
الأعراب ويخرج اليهم أهل البصرة يبيعون ويشترون ، فلا يكاد يجمعهم
المكان حتى تنتضح الصورة التى نعرفها لاسواق الجاهلية : أعرابى جاء
ينشد ضالته ، وآخر يرتجز على بارز من الارض ، أو تهدر اشداقه
بالقصيد على ظهر دابته ، وفتيان يظاهرون شاعرا من ذوى قرابتهم ، وفى
المربد دارت المعركة الأدبية الكبرى ، والتى لم يشهد التاريخ الأدبى مثيلا
لها ، وهى المعركة التى دارت بين جرير والفرزدق وتدخل فيها الراعى
والاخطل وسراقة البارقى . وكان رؤبة ينشد اشعاره وأراجيزه فيلتف
حوله شباب من بنى تميم ، وكان لذى الرمة حلقة فى المربد ينشد فيها
والناس مجتمعون اليه (2) .

ذهب طلاب العربية الى المربد يلتقون بالاعراب ، يسمعون منهم ،
ويلحظون مخارج الحروف من أفواههم ، ومنهم من يقيد ما يسمع من
غريب العربية . ويشير الى ذلك عبد الملك بن قريش الاصمعى فيقول: جئت

(1) الخصائص 3 : 305

(2) الاغانى 16 : 114 ط ساسى

الى أبى عمرو بن العلاء فقال : من اين جئت يا أصمعى ؟ قلت من المربد ، قال : هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فأخذ يعدو فى الدرجة قائلاً : شمرت فى الغريب يا أصمعى (١) •

وفى هذا المكان ، كان تمام الجاحظ بعد أن تزود فى البصرة ، وسمع من أبى عبيدة والاصمعى وأبى زيد وأخذ الكلام عن النظام فتلقف الفصاحة شفاها بالمربد (٢) ومعنى هذا أن المربد ظلت له مكائنه اللغوية انى وقت متأخر ، ونحن نعلم ان الجاحظ قد كمل تمامه فى بداية القرن الثالث ، لا يغير من هذا ان الرواة قد اخذوا سبيلهم الى البادية قبل ذلك •

الرحلة الى البادية

لم يعد طالب العربية الذى يصطنع الرواية يكتفى بالمربد ، وأعرابه فى أغلب الاحوال يمثلون بقعة من الارض قربت من الحاضرة ، وتعاقب الايام لا بد ان يترك أثره فى هذه السوق التى يؤمها فى كل يوم أخلاط من البدو والحضر ، كما أن المنافسة العلمية كانت تدفع بالطالين الى البحث عن البادية الفصيحة ، وقد فرض عليهم هذا السعى بعض المعايير الملزمة — من ذلك أنهم أنكروا على بكر فصاحتها لاتصالها بالفرس والنبط ، كما رفضوا الاخذ عن تغلب لقربهم من حواضر العراق وتأثرهم بالفارسية . ولم يأخذوا عن قضاة ومن بهراء بخاصة ، ولا من كلب وغسان ولخم لتأثرهم باللغات التى سادت الشام •

وقديما كانت بعض القبائل تخشى مثل هذا التأثير فكانوا يرسلون

(١) معجم البلدان ٢ : 202 ، امالى القالى 3 : 182

(٢) معجم الادباء 16 : 75

ابناءهم الى قبائل بعينها عرفت بالفصاحة في حمى البادية البعيدة ، كان الشافعي - فيما يحكى - يلزم هذيل في البادية يتعلم كلامها ويأخذ طبعها وكانت أفصح العرب (1) ، ويقول : أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها (2) وكان بهذه الصنف أحسن من يروى شعر الهذليين فكان الاصمعي يقول : صححت شعر الهذليين على فتى يقال له محمد ابن ادريس (3) • وندم عبد الملك بن مروان ان استثنى الوليد من هذه العادة فقال : أضرّ بنا في الوليد حبنا له فلم نلزمه البادية (4) •

بدأ البصريون سعيهم نحو البادية ، ورأى الكوفيون أثر هذا السعى فيهم فشدوا رحالهم اليها ، والغريب في موقف الكوفيين ان فصحاء القبائل كانت عندهم في الكوفة • لقد ذهب الكسائي الى البصرة ، وجلس الى الخليل يسأله عن اللغة ، فقال له رجل يتعجب من أمره : تركت أسد الكوفة وتميسها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة ؟ • فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ قال : من بوادي الحجاز ، ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ (5) ومن رجال الكوفة الذين سمعوا من أعراب البوادي ابو عمرو الشيباني ، فقالوا : دخل البادية ومعه دستيجان حبرا فما خرج حتى أفناهما يكتب سماءه عن العرب (6) •

-
- (1) معجم الادباء 17 : 286
(2) تاريخ بغداد 2 : 63 (3) معجم الادباء 17 : 299
(4) العقد الفريد لابن عبد ربه 2 : 480 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1359 هـ - 1940 م
(5) انباء الرواة 2 : 257 - 258 ، معجم الادباء 13 : 169
(6) انباء الرواة 1 : 224

أبعدوا تاركين العراق وراءهم حتى وصلوا في طلب العريضة التي
أقصى ما يحتمله الجهد والطاقة • وبحسبنا الأصمعي تتبعه في بعض
سفراته في البادية كمثال على هذا السعي في الطلب :

بين اليمامة والبصرة تجد الأصمعي في القصيم يستنشد رجلاً من
بنى أسد (1) وفي حمى ضرية (2) يداعب غلاماً من بنى أسد حتى يظفر
منه بالكلام ، ويأخذ منه بغيته ثراً وشعراً (3) وينتقل إلى بعيد في البادية
فإن وجد من البيان ما ترتاح إليه النفس هوّن عليه متاع السفر ومشقة
الاغتراب ، وإن صادف غريباً من اللّججاء دونه أو استظهره على أنه لون
من التحصيل العلمي ، عليه أن يحيط به وهو يذكر بعض هذا :

وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ تسجج
أذناه كلامي ، وقدم معاذة من سوء مقامي ، فإن البلاد مجدبة ، والحال
مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر عاذر يدعو إلى اخباركم ،
والدعاء أحد الصدقتين فرحم الله امرأ أمر ببر أو دعا بخير •

قال : من أنت يرحمك الله ؟

فقال : اللهم غفرا ، سوء الاكتساب يمنع من الانتساب (٤) •

وفي واد موحش يعجب من عجوز قد كرهت من الدنيا بهجتها التي

(1) الامالي 1 : 170 ، ومادة ق ص م في القاموس المحيط

(2) الأصمعي : الحمما : حميان ، حمى ضرية وحمى الربدة ، والاولى
اشهرها في بادية طيء انظر معجم البلدان 3 : 346 والامالي

1 : 66 — 67

(3) كتاب الصناعتين 10

ان تقول له : انى لآنس بالوحشة ، وأستريح الى الوحدة فأتذكر
من عهدت فكأنى اخاطب أعيانهم ، وأترأى أشباحهم ، وتتخيل لى أنديّة
رجالهم ، وملاعب ولدانهم ، ومندى أموالهم ، والله يابن أخى لقد
رأيت هذا الوادى بشع اللديدين ، بأهل أدواح وقباب ، ونعم كالهضاب ،
وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ييارون الرياح انصرف راشدا
رحمك الله (1) .

ويفيد من نساء بنى تميم فرائد لغوية فيقول : رأيت امرأة من بنى
تميم لم ار افصح منها ، فسمعتها تدعو على أخرى وتقول : ان كنت كاذبة
فحلبت قاعدة قال : رعية الغنم عندهم ضعة فانها تتسنى لها ذلك (2) .

وكان الأعراب يلغزون فى المزاح أحيانا فلا يفهم عنهم الا بدوى
على شاكلتهم من ذلك ما يرويه الاصمعى فيقول : بينا أنا فى طريق مكة
ومعى أصحابى اذ مر بنا أعرابى وهو يقول : من أحسنّ من بعير بعنقه
علاط ، وبأنفه خزامة ، تتبعه بكرتان سسراوان ، عهد العاهد به عند البيئر .
قلنا : حفظ الله عليك يا هذا ، والله ما أحسننا جملا على هذه
الصفة .

قال : وجويرية من الاعراب على حوض لها تسوره ، فأعاد الكلام
عليها .

فقلت : اعزب ، لا حفظ الله عليك يا فاسق .

(1) الامالى 2 : 6

(2) الفاضل للمبرد 114 تحقيق عبد العزيز الميمنى ط دار الكتب

سنة 1375 هـ - 1956 م

فقلنا لها : ما تريد من رجل ينشد ضالته ؟

فقلت : انما ينشد أيره وخصيتيه (١) .

وهو يفر من حر مكة فيذهب الى الطائف ويتنفس بها شهر رمضان (١)
ويحكى مناقشة مع اعراية ذات جمال بمنى وقد رآها تسأل ، قال :
فقلت لها : تسألين ولك هذا الجمال :

قلت : قدر الله ، فما أصنع ؟

قلت : فمن أين معاشكم ؟

قلت : هذا الحاج ، نسقيهم ، ونغسل ثيابهم .

قلت : واذا ذهب الحاج فمن أين ؟

فنظرت الى وقالت : يا صلت الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم
ما عشنا (٣) .

وبحسبك هذه الأمثلة ، فقد عادوا بعلم غزير ، وملاحظ دقيقة ،
ومعرفة بما يحيط بالجزيرة من معالم الطبيعة ، من جبال تحفها ، ومن نبت
يجود فيها ، وآخر لا يجود ، وثالث لا يكاد حتى يخبو ، رأوا وسمعوا
ما لا يقع تحت حصر ولا عد .

رأوا وسمعوا عن وحوش الصحراء التي يتعرض لها المارون ، ومن
أجل هذا أسموها مفازة تيمنا بنجاة المسافر .

رأوا وسمعوا عن جبالها ووهادها وأوديتها وداراتها ومياهها وآبارها

(١) الامالى 3 : 168 (النوادر)

(٢) العقد الفريد 6 : 251

(٣) العقد الفريد 3 : 210

وعيونها فرصدوه وحددوه ، وقالوا : كان هنا يسكن فلان قبل فلان ،
ودارت هذه القبيلة فى هذا المسار وهاجرت الثانية فجاءت بنى فلان •

سمعوا عن الانساب فاستظهروها وتتبعوها الى آجال بعيدة ، والى
الآجال قبل الآجال وأمدتهم النسابون وابناء النسابين بالعجب العجيب ،
وكان فى قلوب الشعوبيين حفيظة من العرب فجمعوا مثالبهم يعيرونهم بها،
مشافهة أول الامر وتدوينا من بعد ذلك • وكما نسبوا الناس ، نسبوا
الخيول لما للخيل من مكانة عند العربى وبينوا دورها فى حروبهم وأيامهم،
والسوابق منها فى مرحهم اللاهى او لهوهم المرح •

عرفوا أطعمتهم فى حنان الطبيعة وغب الغيث ، وعرفوها فى الشظف
والاعسار وأدركوا أن الكرم عندهم ضرورة لا عادة ، فكريم اليوم قد
تضيق به الأرض فى غد ويحمله التيه الى قرار سحق •

عرفوا من عاداتهم هذه النار التى توقد فى عل يتهدى بها المسافر
التائه ، فاذا لم يجد نارا وهام على وجهه فى هذه المفازة بخلع جلبابه وأعاده
مقلوبا حتى يعرف من رآه أنه يسأل الطريق •

سمعوا أناشيد الأحياء فى أسلافهم يرددون همم الفوارس وتاريخهم،
وأسماء دروعهم وأسلحتهم واثار ذلك على خصومهم ، وهم فى غالب
الاحيان يشيدون بهؤلاء الخصوم ، ويذكرون بأسهم ، فتعوه تلك المفاخر
اليهم ، لأنهم فوق الأقوياء ، وهم بذاك اولو بأس شديد •

رأوا وسمعوا هذه الوحدة الحازمة والعروة الوثقى حين تجمعهم
كلمة القبيلة ويحزبهم أمر الشيخ ، فلا مخرج ولا مهرب من دستور أجمعوا
عليه وارتضوه وتنادوا به ، وتناهوا عن عصيان وخلافه - انصر أخاك
ظالما أو مظلوما •

عادوا بعلم غزير ، بعضه لطبيعة الارض ، وبعضه للتاريخ ، وبعضه
لمتن اللغة وأكثره للذوق اللغوى •

كان من حق أبى عمرو بن العلاء أن يقف حين أنشده الاصمعى
قصيدة نسبت للمخبل السعدى مطلعها :

ذكر الرباب وذكرها سقم

فلما وصل الى قوله :

وأرى لها دارا بأغدره الـ

سيدان لم يدرس لها رسم

قال أبو عمرو : قد رابنى هذا ، وكيف يكون هذا المخبل وأغدره
السيدان وراء كاظمة - وهذه ديار بكر بن وائل • ما أرى هذا الشعر
الا لطرفة (١) •

ولم يستسغ الاصمعى نسبة البيتين التالين لامرئ القيس :

لنا غنم نسوقها غزار

كأن قرون جلتها العصى

فتملاً يبتنا اقطا وسمنا

وحسبك من غنى شبع ورى

لانه كان يدرك ان امرأ القيس طالب ملك لا يكفيه شبع ورى • بل
كانت حاسة الاصمعى ومعرفته بالمذاقات اللغوية ترجح نسبة البيتين
للحطيئة (٢) وكان من حق الرواة ان يتوقفوا عند نسبة البيت التالى لتأبط
شرا :

(١) انظر معجم البلدان 1 : 294

(٢) الحيوان للجاحظ 5 : 495

ان بالشعب الذى دون سلع
لقتيلا دمه ما يطل
لان سلعا ليس دونه شعب (١) *
وسمع الاصمعى قول الشاعر :
فما برحت فى الناس حتى تبينت
ثقيفا بزياء الاساة قباها

فقال متعجبا : كيف تحمل الخمرة الى ثقيف وعندهم العنب ؟! (٢)
وكان يدرك الفرق بين العدو والرواح وما الذى يستحب عمله فى كل
وقت ، ولذلك علق على قول النابغة فى وصف النعام :
مثل الاماء الغواذى تحمل الحزما

فقال : انما توصف الاماء فى هذا الموضع بالرواح ، لأنهن يجئن
بالحطب اذا رحن (٣) *

عادوا بملاحظ دقيقة عن القبائل ، وعن اللهجات لا بأس أن نوقفك
على بعضها :

— سمعوا خثعم وزبيد — أو أكثرها — يحذفون نون (من)
فيقولون أتيت ملمنزل *

— وسمعوا الامالة فى بنى أسد ، ومنهم من يكسر حرف المضارعة

(١) معجم البلدان 1 : 5

(٢) كتاب الصناعتين 71

(٣) الموشح 44

فيقول تسمعون في تسمعون ، وهى مع ذلك أفصح القبائل كما يبدو
فى كلام الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز : ما كلنى رجل من بنى أسد
الا تنيت أن يد له فى حجته حتى يكسر كلامه فأسمعه • ويذكرهم يونس
فيقول : ليس فى بنى أسد الا خطيب أو شاعر أو زاجر أو كاهن أو
فارس (١) •

— ومن المنطوق عند بعض هذيل قلب الحاء عينا فى أول الكلام
فيقولون « عتى حين » ويعربون الذين فيقول شاعرهم :
نحن اللذون صبحوا الصباح

وهذيل بعد هذا فى عداد القبائل الفصيحة

— وطبىء فصيحة ، مع قربها من جبلى أجأ وسلسى • ومن لسانها —
أو بعضها — جعل الهاء بدل الألف فى الوقف ، وابدال الزاي من الصاد ،
وبهذا عرف حاتم الطائى فى غير بلاده — فقالوا : مر حاتم بن عبد الله
الطائى ببلاد عنزة فناده أسير لهم : يا أبا سفانة : أكلنى الاسار والقسل •
فقال له : ويحك ! والله لقد أسأت بى اذ نوهت بى فى غير بلاد قومى ،
قال : فنزل ، فشد نفسه فى مكانه فى القد ، وأطلقه حتى عرف مكانه
فندى فداء كثيرا •

وفى كلام آخر — أن امرأة أسرته أتنه والحي خلوف بيعير قد نيط ،
وبشفرة فقالت له : أفصده ، فقام فنجره ، فلطمته

فقال : لو غير ذات سوار لطمتنى

فقالت : أمرتك أن تفصده فنجرته

(١) البيان والتبيين 1 : 174

فقال : هكذا فزدي أنه ، فبذلك عرف (١) •

— ولحظ الفراء أن كثرة من العرب تؤنث الابهام فيرى هذا الرأي ويقول : الاصابع اناث كلهن الا الابهام فان العرب على تأنيثها الا بنى أسد أو بعضهم فأنهم يقولون : هذا ابهام — والتأنيث أجود وأحب الى

— وكان ابن دريد معنيا بلغات اليمن فذكر من ذلك قدرا ملحوظا في كتاب الجماهرة ونأمل ان نبسط القول في ذلك عندما نتحدث عن جمع اللغة في باب قادم — من ذلك ترجيحه لما تردد فيه الأصمعي مستندا الى سبأه من فصحاء جرم ، قال : (اي ابن دريد) سألت أبا حاتم عن باع وأباع فقال : سألت الأصمعي عن هذا فقال : لا يقال أباع فقلت قول الشاعر (الاجدع بن مالك الهمداني) :

ورضيت الاء الكسيت فسن يبيع

فرسا فليس جوادنا بمباع

قال الأصمعي : لعلها لغة لهم ، وعقب ابن دريد بقوله : وقد سمعت جماعة من جرم فصحاء يقولون : أبعث الشيء ، فعلت أنها لغة لهم (٢) • — وكان ابو زيد شديد العناية بجمع اللغات واللهجات (٣) ، يقول : طفت في عليا قيس وتسيم مدة طويلة اسأل عن فعل يفعل لاعرف ما كان منه بالضم أولى ، وما كان منه بالكسر أولى فلم اجد لذلك قياسا ، وانما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف (٤) •

(١) الامالي 3 : 187

(٢) الجماهرة في اللغة لابن دريد 3 : 436

(٣) تاريخ الادب العربي • بروكلمن ، ترجمة الدكتور النجار 2 : 145 ط دار المعارف

(٤) المزهر 1 : 207 — 208

ونلمح فيه هذه العناية اذا نظرنا فى كتابه (النوادر فى اللغة) وفيه :
قال رجل من بكر بن وائل : أخذت هذا منه يا فتى ، ومنهما ، ومنهم
فكسر الاسم المضمر فى الادراج والوقف . قال : وقال : ولم أعرفه ، ولم
أضربه فكسر الهاء مع الباء وسمعت أعرابيا من أهل العالية
يقول : هو لكه° وعليكه° هذا فى الوقف ويلقيها فى الادراج .
وسمعت نميرا يقول : ما أحسن وجهكه° فى الوقف ، وما أكرم
حسبكه° فى الوقف ويطرحها فى الادراج (١) وسمعت بعض بنى
كلاب يقول : غلام يفعة° وبعضهم وفعة (٢) وسمعت من بنى ضبّة (٣)
او يجمل فيقول : بعض العرب (٤) .

وفاضل ابو زيد بين قبيلة وأخرى فى درجات الفصاحة وحدد
اختياراته فى قوله : لست أقول قالت العرب الا اذا سمعته من هؤلاء : بكر
ابن هوازن ، وبنى كلاب ، وبنى هلال أو من عالية السافلة (نجد) أو
سافلة العالية (المدينة) وقد فصلنا هذا الايجاز فى كتابنا رواية اللغة
ص ٨٣

— وكلما ذكرت جرهم ذكرت على انها افصح العرب (٥) .

— ولاحظ الرواة الامالة فى تسيم ، وفى بعضهم عننة حين يقلبون
الهمزة فى الأول عينا كقول ذى الرمة :

أعن ترسنت من خرقاء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم

-
- | | |
|---------------------------|---------------------------------|
| (١) النوادر فى اللغة 171 | (٢) النوادر فى اللغة 191 |
| (٣) النوادر فى اللغة 240 | (٤) الامالى للقالى 2 : 280 |
| (٥) الكامل للمبرد 2 : 582 | ط الحلبى والفائق فى غريب الحديث |
- 2 : 459

اراد ان • وفى لسان بنى العنبر ، أو بلعنبر وهم من تميم بادلوا بين
السين والصاد سأل يونس ، ابن أبى اسحاق ، هل يقول أحد الصويق
يعنى السويق ؟ قال : نعم عمرو بن تميم يقولها (١) • وعن تميم وردت عامة
اللغة الفصيحة ، وقر فى اذهان الكثيرين أن سلامة العريية فى نجد ، ولم
يجدوا ما يعييون به عدى بن زيد ، وأبا دؤاد الايادى الا انها بعدا عن
هذه البقعة الى مشارف العراق فقالوا : ان الفاظهما ليست بنجدية •

— وربما اتجه ذهن عامة المتعلمين الى ان لغة الحجاز ، وكنانة .
وقريش واحدة ، ولكن الرواة بينوا كل اولئك بل فرقوا بين قريش البطاح
وقريش الظواهر •

ومن الفروق التى أثارها الرواة بين الحجازية والقرشية ما لوحظ فى
اختلاف القراء فى قراءة قوله تعالى (بين الصدفين) فابن كثير ، وابو
عمرو ، وابن عامر ، ويعقوب يقرأونها بضم الصاد والبدال — لغة قريش —
ووافقهم اليزيدى وابن محيصين والباقون بفتحهما — لغة الحجاز (٢) •

اتضحنت هذه الفروق بعد جمع اللغة ، وتنوع هذا الخلف فكان منه
ما يتعلق بالجانب الصوتى ، كالتفخيم والترقيق والامالة ، ومنه ما يتعلق
بمقدار الجهد فى النطق كالقلب والابدال وتغيير بنية اللفظ تبعا لذلك •

لاحظ أبو عبيدة أن أهل الحجاز يفخمون الكلام كله (٣) ولاحظ

(١) طبقات فحول الشعراء 15

(٢) اتحاف فضلاء البشر ، احمد بن محمد الدمياطى الشافعى
ص 356

(٣) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى 1 : 94 (قال : أهل الحجاز
يفخمون الكلام كله الا حرفا واحدا : عشرة فانهم يجزمونه ، وأهل
نجد يتركون التفخيم فى الكلام الا هذا الحرف فانهم يقولون
عسرة بالكسر)

الرواة انهم لا ينبرون فلما شد بعضهم عن هذا الاصل ادركهم رد الفعل فهمزوا ما لا يهمز ، وحققوه فى نبى وبرية فقالوا نبىء وبريئة وراآه سيبويه رديئا (١) ولاحظ الفراء ان بعض العرب أيضا قد همزت ما لا يهمز فقال : (وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز - ويقولون : سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج ، وحلأت السمويق - فيغلطون لأن حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الابل ، ولبأت : ذهبت الى اللبأ الذى يؤكل ، ورثأت زوجى : ذهبت الى رثئة اللبن ، وذلك اذا حلبت الحليب على الرائب) (٢) •

ثم انتهت التقاسيم فى رأى جمهرة الرواة الى عريية واحدة الا من فروق اخذت تضيق حتى انحصر امرها بين حجازية وتميمية ، وأطلقوا على هذه الفروق اسم الفرائد أو النوادر من ذلك ما نقله صاحب المزهرة عن نوادر يونس ، ونوادر أبى محمد اليزيدى نكتفى بالاشارة اليها لكثرتها ، وكلها فروق بين التميمية والحجازية (٣) •

(١) الكتاب لسيبويه 2 : 170

(٢) معانى القرآن للفراء 1 : 459

(٣) المزهرة 2 : 275 — 276

الفصل الثاني

الأمثال

دور الامثال في اللغة

تصدر الامثال عن الشيوخ والحكماء في أكثر الاحيان ، فتتوجز التجربة في كلمات وتغنى بهذا الايجاز عن سرد طويل ، وقد يكون التصريح غير مرغوب فيه ، أو يحسن مداراته فيقوم التلميح مقام التصريح كقولهم في مناسبات عديدة « اياك أعنى واسمعى يا جارة » وقد تكون في قصرها وايجازها باللغة الدلالة قوية كقول على رضى الله عنه « انما اكلت يوم اكل الثور الابيض » . و يروى في أصل المثل أن عليا رضى الله عنه قال : انسا مثلى ومثل عثمان كمثلى اثوار ثلاثة كن في أجمة - أبيض ، وأسود ، وأحمر . ومعهن فيها أسد فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه فقال للثور الاسود ، والثور الاحمر : لا يدل علينا في أجمتنا الا الثور الابيض فان لونه مشهور ، ولونى على لونكما فلو

تركتمانى آكله صفت لنا الأجمة • فقالا : دونك فكله ، فأكله • ثم قال
للأحمر : لوني على لونك فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة ، فقال :
دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر : انى آكلك لا محالة • فقال : دعنى
انادى ثلاثا ، قال : افعل •

فقال : ألا انى أكلت يوم أكل الثور الأبيض •
ثم قال على رضى الله عنه : « ألا أنى أكلت يوم أكل الثور
الأبيض » •

وكما تعلق الأشعار بالأذهان تعلق الأمثال ، الأولى بسبب الوزن
والقافية والثانية بسبب قصرها ، وتقبل الناس لها على انها اثر من الأجداد
وتتبع تجربة انحدرت من وراء الأجيال •

وقد يكون فى المثل غموض فيلقى كما وعته الاسماع اكتفاء بدلالته
التي يظهرها السياق او ما تضيفه من عون فى فهمه جملة دون وعى لمفردات
قد تكون أعلاما بَعْدَ بها الزمن لاناس او لأماكن ، فاذا تساءلت عن
بيانه وما كان من امره سمعت تاريخا من حياة الأعراب وعاداتهم ، قد
يكون صحيحا ، وقد يكون خلقا ادبيا ولد لساعته ، ولهذا جاء على السنة
الرواة اشتات من التفسير وخلف كثير •

وحديث الأعراب رافد من روافد العربية كما اسلفنا ، والأمثال فى
حديث الأعراب من أصل الكلام لعصمتها من التغير والتبدل ، ومجيئها
على سجيئها ممثلة لطباع أهلها وطباع بيئتها ، فان هذبت أو تحضرت
مسحت وخرجت عن أصلها وفقدت طلاوتها وربما ذهبت مع الرياح فلم
تجد من يسمع ومن يروى •

ولقد عنى رواية اللغة بجمع الأمثال والتأليف فيها لا طلبا للشاهد
والدليل ، ولا بحثا عن مفردات وتراكيب ، ولا لترجييع قياس أو اقامة
حجة ، فحفظ الأمثال من هذا قليل ، بل ربما خرجت عن نطاق الأعراب فى

سبيل إقامة المعنى • ولكنها المصدر الذي روى كما سمع لا كما يراد له
ان يسمع ، لا دخل فيه للنحاة ولا كلام فيه لأصحاب الكلام ، فعاش كما
خرج من المنجم من غير صقل ولا تبديل ولا تجميل ، فكانت الامثال بهذه
الصفة عوناً على معرفة الاعلام والتواريخ والوقائع التي جاءت بها الاشعار
والارانيز • لم يكن من السهل مثلاً ان نقرأ قول ابي اخزم الطائي :

ان بنى ضرجونى بالدم
شنشنة أعرفها من أخزم

قبل ان نعرف ان الشطر الاخير قد طار مثلاً بعد ان ذكر الرواة من
امره ان أبا اخزم كان يصف ابنه بالعقوق ، فلما مات أخزم هذا ، وثب
ابناؤه على جدهم فأدموه - فقال البيت السابق ، يصف عقوق الاحفاد
وقد ورثوه من أيهم أخزم •

والتأليف فى الامثال مرتبطة بدواعيها ليس بالامر الهين ، ولا يأتيه
كل من اراده الا على مشقة الاستقصاء والبحث والمذاكرة والتحقيق ، وكما
كان الرواة يجوبون البادية يتعرفون على طبائع اهلها وعاداتهم ، وما ينبت
فيها ، وما يعيش فيها من كائنات يستعينون فى ذلك كله فهم الكلام
العربى ، فقد وجدوا هذا فى الامثال ، وامتدتهم منه بمدد واسع •

سمعوا « اعق من ضب » و « أحن من ناب » وعرفوا ان الضب
يصل بها العقوق انها تأكل اولادها - وان الناب وهى الناقة المسنة شديدة
الحنو على وليدها ، وقالوا وسمعوا : « احمق من رجله » لان النبات
المعروف بهذا الاسم ينمو فى مسيل الماء ، فيأتى السيل فيجرفه ويقتلعه •
وفى ذكر الاماكن تروى الامثال ما يلقي الضوء على هذه الاماكن قالوا
« لا حر بوادى عوف » يقصدون منعة عوف بن محلم الشيباني والوادي

الذى يسكنه - ويذكرون من امره ان عمرو بن هند طلب من عوف ان يسلمه مروان بن الرظ ، وكان قد اجاره ، فمنعه عوف من الملك وأبى ان يسلمه فقال الملك هذا المثل • ويقولون فى ذكر الاماكن « ان اضاخنا منهل مورود » يضرب للرجل الجواد ، وأضاح موضع ، وكدى وكداء جبلان بمكة فاذا اراد الانسان أن يدل على أصالته قال : انا ابن كديها وكدائها •

وفى مجال الخلق الادبى ، تشير الامثال الى العقلية العربية المبدعة وقصة حنين صاحب الخفين أشهر من أن نعيدها ، ولكنها اجسل من أن تتركها بغير اشارة وتذكرة فى مقامها من الامثال •

الف من الامثال من قدامى اللغويين : يونس بن حبيب ، وأبو عبيدة ، والاصمعى (١) ولم تصل الينا هذه الكتب على ما اعلم - وبين ايدينا كتاب للمفضل الضبى ، وكتاب لابی فيد مؤرج بن عسر السدوسى . وجزء من كتاب ابى عبيد القاسم بن سلام ، وجزء لابن عبد ربه جعله الجوهرة الاولى فى العقد الفريد . وجمهرة الامثال لابی هلال العسكرى . وفى نهاية القرن الخامس نشط لهذا العمل الزمخشري والميدانى فعسل أولهما (المستقصى فى امثال العرب) وعسل الثانى (جمهرة الامثال) كما وقع الينا كتاب عنيت به دائرة المعارف العشانية فى حيدر آباد الدكن فطبعته دون ان توفق الى معرفة صاحبه •

(١) الفهرست ط الرحمانية 42 و 52 و 55 و 72

امثال العرب - للمفضل الضبي ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي ، راوية الاخبار والادب واللغة وصاحب المفضليات - أول مجموعة شعرية كبيرة في التاريخ الادبي - روى عنه قدامى رجال الكوفة ، وسمع منه أبو زيد البصري ، وقال عنه محمد بن سلام الجمحي : « أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقه من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي » •

جاء كتاب الامثال مرويا عن الطوسي ، عن محمد بن زياد ابن الأعرابي عن المفضل خاليا من المقدمة ، فأكثر الكتب في عصر المفضل كانت كذلك ، وكان معنيا في المقام الاول بالوجه التاريخي الذي نشأ عنه المثل فيروى قصته - وكرجل رواية - يروى معها أيضا ما يكتنفها من اراجيز وأشعار ويبين وجهها الصحيح من اللغة ما وسعته المناسبة • ينشد للفرزدق :

والولا أن يقول بنو عدى
الم تك أم حنظلة النوارا
اذن لأتى بنى ملكان قبول
إذا ما قيل أنجد ثم غارا

ويقول : ليس في العرب ملكان بالفتح الا ملكان هند بن جرم في قضاة • (١)

او يقول في شعر السليك بن السلكة التميمي :
يا صاحبي الا لا حى بالوادي
الا عبيد وآم بين اذواد

(١) امثال العرب للمفضل الضبي ص 11 ط الجوائب سنة 1300

ويقول : آم جمع أمة الى العشر ، ثم اماء لما بعد العشر • (١)
هذه أمثلة لملاحظة اللغوية وتستطيع ان تجد اخرى فى ثنايا
الكتاب • (٢)

وللمفضل ميل للغوص وراء الاحداث ، فلقد اتسع فى الكلام عن
« داحس » فنسبه الى ام يقال لها « جلوى » لقرواش بن عوف اليربوعى
التميمي ، واب اسمه « ذو العقال » كان لحوط بن أبى جابر اليربوعى .
واستطرد الى مراهقات ، وحرب وتاريخ اشترك فى كل اوائك فرسان
عبس وذبيان وشعراؤهم فى خبر طويل لم يخل من رجز وقصيد هذه
الاحياء وقليل من الامثال انتهت بقولهم « اشأم من داحس » الذى جلب
عليهم الحرب أربعين سنة •

ومن الاستطراد — ان يتناول قس بن ساعدة الايادى فيذكر خطبته
المشهورة التى عرفت عنه فى عكاظ : أيها الناس اجتمعوا ، ثم اسمعوا
وعوا ، كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت ...
الى آخره الا ان تكون هذه العبارات التى جاءت فى الخطبة — على شاكلة
الامثال فى نظر المفضل •

وذكر ما وصل الى علمه من قصة ابنة الزباء ، فزعم انها كانت امرأة
من الروم ، وأمها من العمالقة ، وكانت تكلم بالعربية ، وكانت ملكة على
الجزيرة وقنسرين ، ومدائنها على شط الفرات وذكر الامثال المشهورة
حول هذه القصة •

١١ امثال العرب 14

(٢) نفس المصدر صفحات 16 و 19 و 20

وتكثر الرواية فى كتاب المفضل عن القبائل الشرقية التى عاشت فى نجد ، وحول الخليج العربى ، وفى العراق ، فكان يروى عن المناذرة ، والغساسنة ، وقبائل تميم ، ويخص نضبة بالكثير من عنايته ، ويروى عن باهلة وبنى كلاب وبنى اسد . أما الرواية عن الحجاز فهى قليلة نسبيا .

وفى كتاب المفضل ما يساغ وما لا يستساغ من قديم الاخبار ، ولكنه صورة صادقة عن الرواية المنقولة والاخبار المتداولة فى عصر المفضل تضمنت اسير الامثال وأشهرها وهذا الكتاب مع قلة مادته فى الامثال فانه قد وضع اللبنة الاولى فى هذا البناء مدعمة بما يساندها من قصص وتاريخ وعادات وأيام العرب ، ولا يكاد يستقيم هذا اللون من التأليف الا بسند منها .

الامثال - لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي ١٩٥ هـ

ابو فيد ، من علماء البصرة تلقى عن ابي عمرو بن العلاء ، والخليل بن احمد ، وأخذ القياس عن أبي زيد سعيد بن أوس الانصاري ، وكان مؤرج من المبرزين في اللغة ذكر له ابن النديم كتاب الانواء ، وجماهير القبائل ، وغريب القرآن وكتاب المعاني ، كما ذكره صاحب الفهرست ضمن فصحاء الاعراب (١) كما يسيه القفطي بـ (صاحب العربية) * (٢)

ورد كتاب الامثال لابي فيد مرويا عن ابي علي الحسن بن عليل العنزي ، عن ابي علي اسماعيل بن ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عن ابي فيد ، من غير مقدمة ، ويحسن ان انقلك اليه حيث يقول في مادته الاولى :

تقول العرب : (اقدح وانت مسترخ ، اقدح بدفلى في مرخ)
قال : بلغ من كثرة نار المرخ ان الريح تهب ، فيحك بعضه بعضا
فيورى ، تخرج منه النار * ومثله العفار والدفلى قال الاعشى :
زنالك خير زناد الملو
ك وافق منهن مرخ عفارا
ولو كنت تقدح في صخرة
بنبع حصاة لأوريت نارا

والنبع اقل الشجر نارا * والزند : عود مثل السواك ، يفرض له في الزندة ، وهي عود عرضه اصبعان ، يفرض له فيه ، حتى يتمكن العود

(١) الفهرست لابن النديم 71 ط الرحمانية

(٢) انباه الرواة 3 : 327

الاعلى الذى يقال له الزند فى الزندة الاسفل ، فيقدح له فى الفرض ،
فياكل كل واحد منهما صاحبه ، حتى يحترق طرف الزند وما مس من
الزندة ، وينقص الاعلى حتى لا يستطيع أن يقدح به ، وذلك اذا الح
عليهما القادح ، وكثر استعماله اياهما • قال ابن حرد التغلبى :

يعلل والايام ينقصن عمره

كما تنقص النيران من طرف الزند (1)

هذه اول مادة فى كتاب المؤرج ، تحس معها ان الجوى الذى كنت
فيه مع كتاب المفضل الضبى قد تغير فجأة ، كنت مع رجل قاص ، فاذا بك
مع رجل لغوى ، يروى لك معيشة العرب ، ويعرفك بالمسميات ، ويأتيك
بها مذكورة فى أقوال الشعراء ، وهو شديد التجاذب الى اللغة ، يستطرد
اليها فى كل مناسبة •

يقف عند قولهم « لم يحرم من فُصْدَ له » فيقول : أكثر ما سمعنا
بتسكين الصاد ومنهم من يجرها فيقول : فُصِدَ له • والفَصْدُ أن
يملا المصير دما من وداج بعير أو فرس ثم يشوى فيؤكل ، وذكر قصة اسر
حاتم الطائي وقوله لأسرته : هكذا فزدي أنه ، بلهجة طيء •

وقد تنسيه اللغة أنه يضع كتابا فى الامثال فيأخذ فى تحرير الفاظ
تحريراً معجماً لا وجه للامثال فيها انظره يقول ابتداء ومن غير مناسبة :
— المُبْسَلُ : المُسَلَّم قال الله عز وجل (ايسلوا بما كسبوا)
قال الشنفرى الازدى :

(1) الامثال لابی فید مؤرج بن عمرو السدوسی 38 ط القاهرة 139 هـ
1971 م تحقيق د. رمضان عبد التواب

هنالك لا أرجو حياة تسرنى
سمير الليالى مبسلا بالجرائر
أو يقول بنفس الطريقة :

— الفَنَعُ : والفَنَعُ : الجدة والغنى ، قال عمران بن عصام
العزى :

ولا اعتل فى فنع بمنع
إذا نابت نوائب تعترينى

ويُفسر (الرعاء) تفسيراً معجماً فى مادة على حدة بأنها المشقوقة
الاذن • (1)

— و « الجُمَّة » الجماعة التى يحبل أصحاب الحسالة • قال ابن
مكعب :

أو الجُمَّة الراجين أقران قومهم
صروا بين قوم بالذى كان أكرما

صروا = منعوا

— و « العَرَضُ » نشاط البهم من المعزى ، ونشاط الحسيل من
اولاد البقر ، والواحدة : حسيلة • (2)

— و « السَّوَّاف » داء يأخذ الابل فيهلكها حتى تفنى ، وربما قالوا
« اساف » قال عمرو بن حسان الشيبانى :

أفى نابين نالهما لسَّوَّاف
تألى طلتى ما ان تنام

(1) الامثال لابی فيد 53

(2) نفس المصدر 57

وبعضهم يقول « اساف » فيجعله رجلا ، وبعضهم يجعله داء ، قال
الصناني بن عباد اليشكري :

فأصبحت طيبا مطلقا من حباله
صحيح الاديم بعد داء اساف
— و « المنجود » المغلوب • قال ابو زيد :

صاديا يستغيث غير مغاث
ولقد كان عصرة المنجود (1)

— ولقد يأتي المثل استطرادا من التفسير المعجمي للمفردات كأن
يقول : « يقال للعسل الشديد البياض » (الضَّرَبُ °) قال الشاعر :

وما ضَرَبَ في رأس صعب ممنع
بتيهاء يستنزل العفر نيقها
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه
وقد جف بعد النوم للنوم ريقها

ويقال للرجل السيء المرأة ، الكريم الخبر « ضربة ييضاء في ظرف
سوء » • (2)

— أو يأتي بعبارات تستعملها العرب فيفسرها ، يقول : يقال « انها
لسماء جدا » وهي السماء العامة التي لا يأتي احد من وجه الا خبر بأنها
أصابته • ويقال « ان خير فلان لجدا » قال الشاعر :

هو الغيث الجدا لا فتق فيه
إذا أكل العوارق كل مال

(1) المصدر السابق 80 — 81

(2) المصدر 64

يقول : اذا عرقت السنون الناس . كما يعرق العظم فيؤخذ كل ما عليه
من اللحم ، قال : جدا لا فتق فيه * (1)

ـ أو يأتي ببعض خصائص العريية كالاضداد ، من ذلك قوله :
« تقول العرب : « كريت ليلتي هذه كلها » فمنهم من يجعلها : نمت
كلها ، ومنهم من يجعلها سهرا ، وتقول : أصابني الكرى ، وأما الذين
جعلوها نوما فمنهم الذي قال :
ظلت على فراشها تَكَرَّرِي

يقول نائمة * وأما الذي جعله سهرا فالذي وصف ناقته بأنها تطيل
العشاء ، وهو مما توصف به الناقة ان تكون طويلة العشاء مصباح
البكر تصبح في مبركها وقال :

به كل مكراء العشاء مَدْلَسَةٌ
على الليل تأتي الصمد من كل جانب

وقال الحطيئة يصف ناقته :

*** معشاء الى السحر (2)

فأما بيت أبي نفيس من ولد يعلى بن منبه فانهم يختلفون فيه :

طال السفر عليهم

فكروا وملوا المركبا

(1) نفس المصدر 61

(2) تمام البيت كما أورده المحقق نقلا من الديوان :

قد يملأ الجفنة الشيزي فيترعها

من ذات خيفين معشاء الى السحر

يقول : ناموا ، ولو قال : سهروا لجاز • (1)

— او يأتى بعبارات الاتباع فيقول : وتقول العرب « حسن بسن »
و « مليح بليح » قال الصقب بن علقمة السعدى :

كأن لم أصادف أم قىء بموقف

مليح اصيلا العشى بليح (2)

— او يأتى بمجرد اختيار لأبيات كقوله : قال الراجز :

يا هندُ هندُ بين خلبٍ وكبدٍ

أسقاك عنى هزيم الرعد برد

من الثريا نوؤه غير جحد (3)

— أو يتكلم فى اللغة عفو خاطر كأن يقول : « أوشم البرق » .
يقال للعنب الاسود اذا لان وهم أن يطيب قد أوشم وذلك اذا لان بعض
الحبة وتلون ، وبعضها لم يلن ولم يسود وهو شىء واحد ، انما هو بدا
بعضه ولم يتم كله ، ولا يقولون للعنب الابيض : أوشم لأنه لا يحدث لونا
سوى لونه ولكنهم يقولون قد ارق اذا لان بعضه ، وبعضه غير لين (١)

هذا الفيض المتنوع من اللغة جاء نتيجة لامتلاء صدور الرواة بما
جسعوا من شيوخهم ، ومن الاعراب فى البادية وغير البادية ، ووجدوها
تتزاحم الى الافواه ، والذاكرة فقيدوها تحت موضوعات كما سنعرف
بذلك فى الباب القادم — أو تغلبهم الرغبة فى النفع بها حين لا تجد تبويبا

(1) الامثال لابی فيد 58 — 59

(2) المصدر 76

(3) المصدر 77

تندرج تحته ، فتأتى فى المجالس ، والاملاء ولو لم تخصص لها هذه المجالس ولا تلك الكتب وانما تأتى عفو البديهة – اما اطلاق اسم الامثال على هذا الكتاب وفيه ما ترى من النوادر والغريب ، واختيارات الرجز والقصيد ، وخصائص العريية من اضداد واتباع السى غير ذلك فهو من قبيل اطلاق اسم البعض على الكل وهى تسمية صحيحة فجعل الكتاب فى الامثال •

الامثال — عند ابى عبيد القاسم بن سلام 223 هـ

ابو عبيد — كما يحكى المرزبانى ، ممن جمع صنوفا من العلم وصنف الكتب فى كل فن من العلوم والادب روى عن ابى زيد الانصارى ، وعن ابى عبيدة ، والاصفى ، واليزيدى من البصريين — وروى عن ابن الاعرابى ، وابى زياد الكلابى ، والاموى ، وابى عمرو الشيبانى ، والكسائى ، والاحمر ، والفراء . وأشهر كتبه : الغريب المصنف فى اللغة . وغريب الحديث ، وله كتاب فى معانى الشعر ، وكتاب فى الامثال .

ويقول القفطى عن كتاب الامثال : « وقد سبقه الى ذلك جميع البصريين والكوفيين الا انه جمع رواياتهم فى كتاب ، وبوبه ابوابا ، وأحسن تأليفه » . (1)

ولم يقع الى كتابه فى الامثال كاملا ، وفى يدى جزء منه يشير الى تقاسيم الكتاب وقد جعل فى :

—

- التقسيم السادس : ذكر الامثال فى مكارم الاخلاق
- التقسيم السابع : ذكر الامثال فى المنجد والجود
- التقسيم الثامن : ذكر الامثال فى الاخاء
- التقسيم التاسع : ذكر الامثال فى الاموال والمعاش
- التقسيم العاشر : ذكر الامثال فى العلم والمعرفة
- التقسيم الحادى عشر : ذكر الامثال فى اهل الالباب والحزم
- التقسيم الثانى عشر : ذكر الامثال فى الحوائج وصنوف مطالبها

(1) انباء الرواة 3 : 11

التقسيم الثالث عشر : ذكر الامثال فى الظلم وانواعه
التقسيم الرابع عشر : ذكر الامثال فى المعاييب والذم
التقسيم الخامس عشر : ذكر الامثال فى الخطأ والزلل فى الامور
التقسيم السادس عشر : ذكر الامثال فى البخل
التقسيم السابع عشر : ذكر الامثال فى الجبن
التقسيم الثامن عشر : ذكر الامثال فى مرازى الدهر وحدثاته
التقسيم التاسع عشر : ذكر الامثال فى الجنايات
التقسيم الاخير :

وكان يلتزم فى كل تقسيم بتبويب داخلى يسهل معه البحث فكان من
التقسيم الثامن : امثال للمتصافيين اللذين لا يفترقان ، وفى عناية الاخ
بأخيه واشاره اياه على نفسه الى غير ذلك . حتى بلغت التقاسيم الداخلية
فى الباب الثامن ثلاثة عشر . بدأ اولها بالمثل « هما كندمانى جذيمة »
فأسنده الى ابن الكلبي وغيره من العلماء الذين روى عنهم قصة المثل (1)
وأشار الى مجيئه فى شعر متمم بن نويرة اليربوعي يحكى عن نفسه واخيه
مالك بن نويرة :

وكنا كندمانى جذيمة حقة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(1) فى قصة المثل ان جذيمة الابرش الملك قد فقد ابن اخته عمرو بن
عدى ، ثم ان رجلين من بلقين (بنى القين) يقال لاحدهما مالك
والاخر عقيل وجداه . فقدموا به على جذيمة فعظم موقعه منه وقال
سلانى ما شئتما فسألاه ان يكونا نديميه ما عاش وعاشا فأجابهما
الى ذلك .

كما تمثل به عمر بن الخطاب في نفسه واخيه زيد ، وذكرهما اسو
خراش الهذلي فقال :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا
نديما صفاء مالك ، وعقيل

والناظر في كتاب ابي عبيد يلح فيه طبيعته اللغوية فيقول في الباب
الذي عقده في عناية الاخ بأخيه واثاره اياه على نفسه : « ومن الاثار
قول الشاعر يخاطب امرأته وهو ابو خراش :
أرد شجاع الجوع قد نعلمينه
وأوثر غيري من عيالك بالطعم

شجاع الجوع : شديده من الشجاعة وهى شدة القلب ، يقال :
شجاع ، وشجيع ، واشجع ، وشجع من قوم شجيمان وشجعة (بكسر
السين) وشجعة (بضم السين) . والمرأة شجاعة ، وشجيعة ، وشجعى ،
وشجعة » .

وهو يروى غريب الامثال ، ويروى تأويله أيضا عن ابي زيد ،
وسلمة ، والرواية عن البصريين والكوفيين دون تحيز لبلد منهما طبيعة في
ابي عبيد وفضيلة فيه فعن ابي زيد البصرى يروى في سرعة اتفاق الاخوين
قولهم : كانت لقوة فصادفت قبيسا . . . وقال سلمة (الكوفى) وهى
عندنا لقوة ، مفتوحة ، وفسرها ابو عبيد فقال : اللقوة : السريعة الحمل ،
والقبيس : الفعل السريع الالتحاق .

والتقسيم السابع عشر جعله في الجبن وأنواعه - فى سبعة ابواب -
كان الباب الاول فى ذكر المثل فى الجبان وما يذم من اخلاقه فروى عن

هشام بن الكلبي قولهم : ان الجبان حثفه من فوقه ، فحكى عنه وعن
المفضل ان ذلك جاء فى شعر عمرو بن امامة :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه
ان الجبان حثفه من فوقه

قال ابو عبيد : أحسبه اراد ان حذره وجبته ليس بدافع عنه المنية اذا
نزل به قدر الله، وأورد ما يشابه ذلك فقال، وهذا شبيه المعنى بالذى يحدث
به عن خالد بن الوليد فانه قال عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما
فى جسدى موضع شبر الا فيه ضربة او طعنة او رمية ثم هأنذا اموت
حثف اتقى كما يموت العنز ويروى كما يموت البعير ، فلا نامت اعين
الجناء - يقول ابو عبيد فما لهم يجبنون عن القتال ولم امت انا به انما
اموت بأجلى ، ومنه الشعر الذى تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لبث قليلا يلحق الهيجا جمل
ما أحسن الموت اذا حان الاجل

ثم اورد ابو عبيد ما يشاكل ذلك من امثال ، وفسرها وأتبعها
بقصصها .

كتاب الفاخر - للمفضل بن سلمة

هو المفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة ٢٩١ ، تلمذ لوالده ،
ولابن السكيت ، ولأحمد بن يحيى ثعلب ، وهؤلاء الثلاثة من أعلام
الكوفيين .

وكتاب الفاخر — قد يتبادر الى ذهن القارئ ، أو لمن اطلع عليه في
عجلة أنه كتاب فى الامثال ، لا سيما وقد اعتمد عليه الميدانى حين أعد
كتابه (مجمع الامثال) .

والحقيقة انه كتاب لغة ، على نمط لم يسبق اليه — على قدر علمى —
بل دعت اليه ضرورة ظهرت لتوها فى عصر المفضل بن سلمة حين لاحظ
جمهرة المتعلمين فى المجتمع البغدادي لا يدرون معنى ما يتكلمون به مما
يجرى على سنتهم فى أمثالهم ومحاوراتهم ، والباحث عن مصادر اللغة
يستطيع ان يجد فى كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة وعاء يحمل تراكيب
وعبارات كانت تستعملها العرب فى مناسبات او ظروف خاصة لتعطى
دلالات خاصة ، قد تفهم بدلالة مفرداتها وقد لا تفهم ، ومثل هذه العبارات
يسكن ان تعيش ، ويستند بها الاجل ، وتعطى ثمارها من التبادل اللغوى فى
بيئة علمية كبغداد ، وكان من المستغرب ان يلحظ المفضل بن سلمة ان
المجتمع البغدادي بدأ يفقد سلطانه على اسرار العريية ، وتمر امامه
العبارات فلا يفهمها على ما وضعت وتواضعوا عليه ، ويضطر ان يجمع من
ذلك ما شاء له ان يجمع ، وأن يجلى غامضها ، وأن يبين الوجه العربى
فيها .

ولقد صادف المفضل فى هذا المسلك بعض المعاناة حين أخذ يبحث
عن دلالة العبارات فلا يجد اجماعا من جمهرة الباحثين فى اللغة وكان

عليه ان يذكر وجوه الاختلاف كما يبدو من كلامه فى المقدمة :

هذا كتاب معانى ما يجرى على السن العامة فى امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فبيناه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره ، ليكون من نظر فى هذا الكتاب عالما بما يجرى من لفظه ويدور فى كلامه .

والكتاب ليس كتاب أمثال وان كان فيه منها وما يجرى مجراها ، وكان فى النية ان اعرف به على انه مصدر من مصادر العربية ، فقد عنيت كتب الالفاظ بالالفاظ ، وجاء الشعر بالمفردات والتراكيب ، وحاولت المعاجم التعريف بالكلمات على جهة الاستقصاء ، وجمع الرواة من أحاديث الاعراب ما جمعوا ، وخلص الى الامثال بعض العلماء ييغنون جمعها والتعريف بها ، وبقيت التراكيب التى لا تقع تحت قسم من هذه التقاسيم الى ان جمع المفضل بن سلمة منها ما استطاع . ولكى اقرب على القارئ فساذكر له بعض ما يعرفه هو من هذه التراكيب ، اما ما لا يعرفه فلا بد له من عودة الى كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة .

— قولهم : بالرفاء والبنين

هذا مثل لما يجرى على السنتنا نحن ، وربما نستعمله فى اليوم الواحد أكثر من مرة مشافهة وكتابة ، ونبرق به الى اصديقائنا ، ونعرف من دلالة انه تبريك للزوجين ودعاء لهما ان ينجبا البنين فما الرفاء اذن ؟

يقول المفضل : يقال ذلك عند التزويج . والرفاء : الاتفاق والالتئام ، وهو مأخوذ من رفأت الثوب ارفؤه اذا لأمت بينه وضمت بعضه الى بعض وقال ابن هرمة :

بدلت من جدّة الشبية وال
أبدال ثوب المشيب اردؤها
ملاءة غير جدّ واسعة
أخطها تارة وارفعوها
وقال الاصمعي : يكون الرفاء من الهدوء والسكون من قولهم
رفوت الرجل اذا سكنته ، وأنشد لأبي خراش :
رفونى ، وقالوا يا خويلد لا ترع
فقلت وانكرت الوجوه هم هم

يريد : سكنونى
وقال أبو زيد : الرفاء : الموافقة ، وهى المرافاة بلا همز وأنشد :

ولما أن رأيت أبا رويم
يرافينى ويكره ان يلاما

وقال اليمامى : الرفاء : المال • (1)

وانت تسمع فى كل ساعة قولهم : وقع فى ورطة •

والكلمة عربية صحيحة ، ونقلتها الألسن والكتب إلينا ، ونقلناها
نحن بدورنا الى الآخرين نصيب مدلولها فى كثير من الاحيان على أنه
مأزق او موقف حرج • والامر كذلك حقيقة ولكن ما الورطة ؟ يحدثنا
المفضل بن سلمة فيقول :

قال ابو عمرو وغيره : هى الهلكة وأنشد :

ان تأت يوما مثل هذى الخطة

تلاق من ضرب نمير ورطة

(1) الفاخر 13 ط القاهرة 1380 — 1960 تحقيق عبد الحليم الطحاوى
ومراجعة محمد على النجار

وقال بعضهم : الورطة : الوحل والردغة يقع فيها الغنم ولا تقدر على التخلص • يقال : تورطت الغنم اذا وقعت فى الورطة ثم ضرب مثلاً لكل شدة وقع فيها الانسان •

وقال الأصمعى : الورطة أهوية منصوبة تكون فى الجبل يشق على من وقع فيها الخروج منها ، وأنشد لطفي يصف ابلاً :
تهاب الطريق السهل تحسب انه

وعور وراط وهو يبداء بلفع (1)

ومن الفروق الدقيقة اسماء الاطعمة بحسب مناسباتها وان كانت تجمعها كلمة وليمة اما بسبب المساهلة ، او لعدم المعرفة بالاسماء الصحيحة فذكر المفضل الوجه الصحيح فى استعمال العبارة : اولم فلان ، وكنا فى وليمة فقال :

قال الفراء : الوليمة : طعام الاملاك ، وأما طعام الزفاف فانه العرس ، وطعام الولادة : الخرس ، وطعام حلق الرأس : العقيقة ، وطعام الختان : العذيرة ، وطعام بناء الدار : الوكيرة ، وطعام القادم من سفر : النقيعة ، والدعوة التى يتخذها الانسان لأصحابه : المأدبة ، وأنشد :

كل الطعام تشتهى ربيعة

الخرس ، والاعذار ، والنقيعة

وأنشد لمهلل :

انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم

ضرب القدار نقيعة القدام

(1) الفاخر 18 — 19

القدار : الجزار ، النقيعة : الناقة التي ينحرها القادم للطعام يتخذه .
والقدام : جبع قادم . وقال دكين :

تجمع الناس وقالوا عرس
إذا قصاع كالأكف ملس
ففقئت عين ، وفاظت نفس

قال : وأنشدنا أبي في المأدبة :

قالوا : ثلاثاؤه خصب ومأدبة
وكل أيامه يوم الثلاثاء
وقال الهذلي يصف عقابا ؛

كأن قلوب الطير فى جوف وكرها
نوى القسب يلقي عند بعض المآدب

وأعود فأكبر عليك ، واشد انتباهك ان كتاب الفاخر ليس كتاب
امثال وان كان فيه منها كثير ، وان اعتمد عليه جل من كتب فى الامثال ،
ولقد اخترت ان اعرف به وانا اعرف بالامثال من طريق المشاكلة او اطلاق
اسم البعض على الكل ، ولذلك حرصت على ان اتخير بعض مواده ، والتي
تقنعك بأنها تراكيب لغوية قد يصل بها الامر ان تكون من كلمة واحدة
ظهرت فى المجتمع البغدادي فادرك دلالتها دون ان يدرك الاصل فيه ، من
ذلك قواهم :

الطفيلي :

هذه لفظة واحدة لا تقيم مثلا من الامثال . ولكنها توحى بصفة
نطلقها كثيرا على من يقتحم مجلسا أو دارا . أو مأدبة لم يدع اليها ،

وهكذا فهمها اكثر الناس دون رغبة فى فهم أصلها أو فهم المزيد عما القوم
يقول المفضل : قال الاصمعى : هو الذى يدخل على القوم من غير أ
يدعوه ، وهو مأخوذ من الطشفل ، وهو اقبال الليل على النهار بظلمة
وقال ابو عمرو : الطشفل : الظلمة بعينها وأنشد لابن هرمة :

سمعت فيها عزيف الجن ساكنها
وقد علانى من لون الدجى طقل

فيعنى بذلك انه يظلم على القوم امره فلا يدرون من دعاء ، و
كيف دخل عليهم •

وقال ابو عبيدة وغيره : الطفيلى : منسوب الى طفيل بن زلال
رجل من أهل مكة (1) من بنى عبد الله بن غطفان كان يأتى الولاثم
غير أن يدعى اليها ، وكان يقال له طفيل الاعراس والعرائس ، وكان يقول
وذدت أن الكوفة بركة مصورجة فلا يخفى على منها شيء ، وكان هو أو
من فعل ذلك ، فأما العرب فانها تسمى الذى يجىء الى الطعام لم يدع
« الوارش » وقال الراجز :

ولا تزال وُرْش " تأتينا
مهركلات ومهركلينا

فاذا كان يفعل ذلك على الشراب فهو الواغل وقال امرؤ القيس :

فاليوم فاشرب غير مستحقب

اثما من الله ولا واغل

قال ابو عمرو : يقال لذلك الشراب : الوغل وأنشد لعمرو بن قسيثة

ان أك سكيما فلا أشرب الـ

وغل ، ولا يسلم منى البعير

(1) فى اللسان : من اهل الكون

وقال ابن الاعرابي : يقال للطفيلي : اللعظمي ، والجمع : اللعامة
وأنشد :

لعامة بين العصا ولحائها

ادقاء نبالون من سقط السفر (1)

وسأكتفى بمثل هذه المواد التي نقلتها كاملة أو كالكاملة للتعريف
بجوهر الكتاب ، وبين سطوره من العزبية ما يجمل بك أن تنظر فيه
وتتعرف اليه . سأخذك معي لنمر سراعاً بين صفحات الكتاب .

— قولهم : فلان ظريف

الاصمعي وابن الاعرابي يقولان : لا يكون الظرف الا في اللسان
ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب : اذا كان اللص ظريفاً لم يقطع . اراد
انه يكون له لسان يحتج فيدفع عن نفسه ، وقال غيرهما : الظرف حسن
الوجه والهيئة . (2)

— قولهم : هو يتحداه

اي يبادره ، والتحدى المبادرة (3)

— اقاموا على فلان ماتماً

اصل المأتم مجتمع النساء والرجال على كل حزن أو فرح ثم كثر حتى
صيره في الموت خاصة . (4)

— دخل في غمار الناس

وهذه عبارة غير صحيحة ولكنها سارت في الناس على هذا الخطأ ،

(2) الفاخر 133

(4) الفاخر 144

(1) الفاخر 76 — 77

(3) الفاخر 136

والعرب تقول : دخل فى خمار الناس أى فى يواريه ويستتره منهم حتى
لا يبين وهو مأخوذ من خسر الوادى ، وخسره ما وارى من جرف او شجر
او غيره • (1)

— دمدم عليه

وأصل الدمدم الغضب • (2)

— هلم جرا

أى تعاوا على هيتكم كما يسهل عليكم من غير شدة وصعوبة .
وأصل ذلك من الجر فى السوق وهو ان تترك الابل والغنم ترعى فى
مسيرها ، وقال الراجز :

لطالما جررتكن جرا
حتى نوى الاعجف واستترا
فاليوم لا آلو الركاب شرا (3)

— لعنه الله

قال الاصمعى : معناه باعده الله ، واللحن : البعد وأنشد للشياخ :
ذعرت به القطا وثقيت عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين

أى المباعد ، وقال غير الاصمعى اللحن : الطرد ، ومعنى كالأرجل
اللعين كالرجل المطرود ، والمعنيان متقاربان • (4)

وهكذا تجد فى كتاب الفاخر معجما على نمط معين : مجمعا للامثال ،
ومعلما للمعبارات والمفردات التى تجرى على اللسان ، يذكر بها ، ويصحح
معناها ويورد أصلها •

(2) الفاخر 267

(4) الفاخر 8

(1) الفاخر 246

(3) الفاخر 32 — 33

الامثال في كتاب العقد الفريد - لابن عبد ربه

ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، ولد ونشأ وتعلم في قرطبة وتلمذ لعلمائها من امثال : الخشنى ، وابن وضاح ، وبقى بن مخلد واتصل بأدب المشاركة عن طريق ابى على القالى ومؤلفاته فظهر أدب المشرق في أدب ابن عبد ربه . والحقيقة ان العلم كله كان يرد من المشرق وكان لاساتذة ابن عبد ربه رحلات الى المشرق في طلب العلم وتحصيله .

صانع في الشعر والموسيقى والطرف وكل ما يصلح للمنادمة ومجالسة الأمراء ، وظل طول حياته يتصل بهم وينادهم ، صحب الامير عبد الله امير قرطبة ومدحه وظل معه قرابة ربع قرن فلما مات انصل من بعده بالخليفة عبد الرحمن الناصر .

وكتاب العقد ، كتاب مختارات متنوعة فيه : اللغة ، والادب ، والاخبار ، والسير ، والامثال الى غير ذلك . جعله صاحبه كالعقد ، وجعل ابوابه من خمس وعشرين حبة كريمة ، في كل ناحية اثنتا عشرة حبة ، وواحدة في الوسط فكان الباب الاول عنده كتاب اللؤلؤة في السلطان ، والثاني كتاب الفريدة في الحروب ، والثالث كتاب الزبرجدة في الاجواء والاصفاد الى غير ذلك ، وفي الناحية الاخرى امثال هذه الحبات فهي اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح ، والفريدة الثانية في الطعام والشراب ... وهكذا .

عقد الجوهرة الاولى في « الامثال » وقدم لهذا الكتاب بقوله :

(قد مضى قولنا في العلم والادب وما يتولد منهما وينسب اليهما من الحكم النادرة والفطن البارة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الامثال التي هي وشى الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعاني والتي تخيرتها

العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها فى كل زمان ، وعلى كل لسان فهى ابقى
من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شىء مسيرها . ولا عم عيومتها
حتى قيل : أسير من مثل وقال الشاعر :

ما أنت الا مثل سائر

يعرفه الجاهل والخابر

ثم قال : وقد ضرب الله عز وجل الامثال فى كتابه ، وضربها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى كلامه . . . فأول ما بدأ به أمثال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم امثال العلماء ، ثم امثال اكثم بن صيفى وبزر
جمهر الفارسي وهى التى كان يستعملها جعفر بن يحيى فى كلامه ثم امثال
العرب التى رواها ابو عبيد وما أشبهها من امثال العامة ثم الامثال التى
استعملها الشعراء فى اشعارهم فى الجاهلية والاسلام (1)

ونلمح فى هذه المقدمة دور الامثال عامة ، ويهمنى فى المرتبة الاولى
هذه الامثال التى صدرت عن العرب اذ المقصد من المقال هو البحث عن
مصادر العربية وترى ابن عبد ربه يخص ابا عبيد القاسم بن سلام - ولم
يذكر المفضل الضبى مع سبته مما أثار رغبتى فى رؤية كتاب ابي عبيد ولم
يقع الى الا وريقات منه لا تكفى للتعريف به .

ولأول مرة - اذا لم يكن ابو عبيد قد نهج نفس السبيل - نجد
تقسيمًا يشير الى امثال وردت فى القرآن الكريم ، ثم يذكر بعدها من
أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما بدا له امثالا أو كالامثال ، ثم
أمثال العلماء الى آخر النهج الذى رآه ابن عبد ربه وهذا ضرب من التنظيم
يعتبر تطورا اذا وضعناه الى جانب كتاب المفضل الضبى من ناحية الشكل
فهل كان له وجه أيضا فى الاختيار ؟

(1) العقد الفريد 3 : 63 ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

كان عجلاً وهو يورد أمثالا جاءت في القرآن والسنة ولو انه اراد استيفاء ذلك أو الاكثار منه لوجد معينا يسده بالمدد الواسع ، لا يبعد عن علمه ، ولكنها طبيعة الرجل غير المتفرغ ، والذي يأخذ من دل فن بطرف ، فهو يأخذ مكانه في مجلس السلطان ، وعليه الا يطيل الا بما يحتمله المقام ويتسع له صدر صاحب المجلس . والقاء القرآن والسنة وظيفة رجل آخر لم تكن من تكوين ابن عبد ربه الذي كان يعرف الموسيقى ويشير الى مواقع الجمال فيها ، ويرى للخمر الذي يؤتى به على حالة خاصة فتوى أو تصريحاً يسمح بشربها . وكانت حجته بعد أن ذكر جانباً يسيراً من الأمثال التي جاءت في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : (وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أمثال كثيرة غير هذه ، ولكننا لم نذهب في كل باب الى استقصائه ، وانما ذهبنا الى ان نكتفى ببعض ونستدل بالقليل على الكثير ليكون أسهل مأخذاً للحفظ وأبرأ من الملالة والهرب) .

وفي الفقرة الثالثة من ترتيبه أمثال روتها العلاء - اختيارات - صيغ بعضها في قصة فحسن رونقها وأعان على بيان الوجه العربي : طبيعة ، ولغة ، وذوقاً وحسبك ان تقرأ في هذا ما قاله النعمان بن بشير على منبر الكوفة ، وعبد الله بن الزبير لأهل العراق .

والجزء الذي هسنت أن أتركه لبعده عن منهجنا « مصادر العربية » وهو أمثال بزر جستر وجدته ومعه أمثال أكثم بن صيفي - الحكيم العربي - وأمثال الرجلين يجريان على العربية الفصحى لا اثر للفارسية فيها . وهذا الجزء بصفته العربية ما يحسن الاشارة اليه في هذا التعريف واكثر هذا النوع موجز معبر كثير التداول ومنه : العقل بالتجارب - القريب من قرب نفعه - في كل خبرة عبرة - من مأمنه يؤتى الحذر - لا يعدو المرء رزقه وان حرص - اذا نزل القدر عمى البصر - القناعة مال لا ينفد - لن تعدم الحسناء ذاماً - اخر الشر فاذا شئت تعجلته - رب

كلام اقطع من حسام — البطنة تذهب الفطنة — النساء جبال الشيطان
— الشقى شقى فى بطن امه — كثرة الصياح من الفشل — مقتل الرجل
بين فكيه — ليس من العدل سرعة العذل * (1)

وحيث أفرد الجوهرة الاولى فى كتابه العقد الفريد للامثال ، لم يكن
بحاجة الى ما يقترن بها من قصص أو أدب ، ولذلك تناول كتاب ابى عبيد
فاستل امثاله وترك بقيته ونص على ذلك فقال : (ومن أمثال العرب مما
روى ابو عبيد ، جردناها من الآداب التى ادخلها فيها ابو عبيد اذ كنا قد
افردنا للادب والمواعظ كتباً غير هذا ، وضممنا الى امثلة العرب القديمة ما
جرى على السنة العامة من الامثال المستعملة وفسرنا من ذلك ما احتاج
الى التفسير) *

وبعض هذه الأمثلة نسب الى أصحابه فيقول فى حفظ اللسان :

لعمر بن عبد العزيز : التقى ملجم

لابى بكر الصديق : ان البلاء موكل بالمنطق

لابن مسعود : ما شئ أولى بطول سجن من لسان * الى غير ذلك (2)
ولكنه لم يسر على هذا النهج طويلاً فلم يعن بتدوين النسبة الا لمشاهير
الناس ، واكتفى فى بقية الامثال بكلمة : وقالوا — أو — وقال بعضهم ..

والعبارات التى كالامثال وليست فى الحقيقة كذلك تجرى على
طريقة المفضل بن سلمة كقولهم فى الدعاء بالخير :

(1) العقد 3 : 76 — 80

(2) العقد 3 : 81

خير مارءدّ فى أهل ومال
بلغ الله بك اكلا العمر
نعم عوفك — اى نعم بالك (1)
ومن تعبيرهم عن اللقاء وأوقاته :

— لقيت فلانا أول عين ، يعنى أول شىء ، وقال ابو زيد : لقيته أول
عائلة ، ولقيته أول وهلة ، ولقيته أول ذات يدين ، ولقيته أول صوك وأول
بوك (اى أول شىء وأول مرة) فان لقيته فجأة من غير أن تريده قلت
لقيته نقابا ، ولقيته التقاطا اذا لقيته من غير طلب ، وقال الراجز :
ومنهل وردته التقاطا

وان لقيته مواجهة قلت : لقيته صفاحا ، ولقيته كفاحا (صفاحا اى
بصفح وجهه) والمكافحة : (مصادفة الوجه للوجه) ولقيته كفة كفة ...
فان لقيته فى اليومين والثلاثة قلت لقيته فى الفرط ولا يكون الفرط فى
أكثر من خمس عشرة ليلة ، فان لقيته بعد شهر ونحوه قلت : لقيته من
غفر . فان لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لقيته عن هجر ، فان لقيته بعد
اعوام قلت : لقيته ذات العويم ، فان لقيته فى الزمان قلت : لقيته ذات
الزمين •

والغب فى الزيارة هو الإبطاء فيها ، والاعتسار فى الزيارة هو
التردد فيها • (2)

وجعل آخر الكتاب ابياتا مختارة من الشعر تستعمل أمثالا • وابن
عبد ربه شاعر ، ولذلك انتهر المناسبة فجعل لنفسه مكانا فى الكتاب فقال:
ومن قولنا الذى هو أمثال سائرة :

(1) العقد 3 : 87

(2) العقد 3 : 134 وما بعدها .

قالوا : شبابك قد ولى فقلت لهم
هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وان ابدى معاتبة
فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبال حل لا تلائمه
فربما ضاقت الدنيا على اثنين
الى غير ذلك • مما عمله هو (1)

(1) العقد 3 : 138 وما بعدها

جوهرة الامثال - لابي هلال العسكري 395 هـ

ابو هلال - الحسن بن عبد الله بن سهل صاحب كتاب الصناعتين ، وديوان المعاني ، وشرح الفصيح ، نشأ وتعلم في عسكر مكرم ، ذكرت له كتب الطبقات نحو من عشرين كتابا منها كتاب جوهرة الامثال الذي نعرف به الآن . وعسا قليل نعرف بكتاب آخر هو « المعجم في بقية الاشياء » .

اتجاه ابي هلال الى امثال العرب ، وعنايته بها آت من اقتناعه بأن هذا النوع من الدراسة جزء من عدة الاديب واللغوي وهو يذكر ذلك في مقدمة كتابه فيقول « ثم اني رأيت حاجة الشريف الى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته الى الشاهد والمثل ، والشذرة والكلمة السائرة فان ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب الى وعيه . . . ومن عجائبها انها مع ايجازها تعمل عمل الاطناب ، ولها روعة اذا برزت في اثناء الخطاب . والحفظ موكل بما راع من اللفظ ونذر من المعنى » .

وهو يرى تمام هذا الوجه بعرفة اصوله ، والسبب في المثل ابتداء فيقول « ولما رأيت الحاجة اليها هذه الحاجة عزمت على تقريب سيلها وتلخيص مشكلها وذكر اصولها وأخبارها ليفهمها الغبي فضلا عن اللقين الذكي ، فعملت كتابي هذا مشتتلا منها على ما لم يشتمل عليه كتاب اعرفه وضمنته اياها ملخصة لا يشينها الاهذار ولا يزرى بها الاكثار » .

قسم ابو هلال ابواب الكتاب على حروف المعجم ، وقدم للبواب بسجمل لمحتوياته ، فاذا انتهى منه فهرس للامثال المضروبة في التناهي والمبالغة لحسرة بن الحسن الاصفهاني فاذا فرغ من ذلك اعادها مفسرة ، مبينا بها اصلها وخبرها وهو طويل النفس واسع الاستطراد : يأتي بما يرادف المثل احيانا ففي قولهم : « أفرط فأسقط » قال : هو مثل قول

النبي صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه » (1) أو يروى من الملح ما يخفف به سأم القارئ كما جاء فى شرح المثل الرابع « أول العى الاحتلاط » .

وفى أحيان تدفعه طبيعته اللغوية الى الاستطراد اللغوى الواسع اذا جاءت مناسبتة ، فقد ذكر قولهم :

« ابن الأيام ، وما يجرى فى بابه »

قال : يقال للرجل الجلد المجرب : ابن الايام ، وابن الملمة ، وهو الذى يقوم بها ، وابن جلا ، وابن أجلى ، الى آخر ما ذكر من ابناء ، يفسرها ويحتج لها حتى كاد يعمل منها معجما ، فلما فرغ من الابناء ذكر البنات فكان منها : بنت الارض وهى بقلة من الرمث ، وبنت الجبل للصدى وهو الصوت الذى يرجع اليك من الجبل وانت على معنى الصيحة ، وبنت الشفة للكلمة الى آخر ما ذكر مفردا وجمعا ثم ذكر البنين جمعا مذكرا ، ثم عاد للابناء مفردا ثم للاباء فكان منها :

ابو الحارث للاسد ، وأبو جعدة للذئب ، وأبو الحصين للشعلب ، وما جاء من ذلك كناية عن المعانى فكان منه ابو زيد للكبر ، قال الشاعر :

اما ترى° شِكَّتِي رَمِيحَ أبى

زيد فقد أحمل السلاح معا

وأبو مالك وأبو عمرة : الجوع ، ويقال فى المثل (ابى ابو عمرة الا ما أتاه) يقوله الرجل قد سلم للدهر وقال الشاعر :

ان ابا عمرة حل حجرتى

وصار بيت العنكبوت بثرمتى

(1) جمهرة الامثال 1 : 19 لابی هلال العسكري بتحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم وعبد المجيد قطامش ط القاهرة 1384 هـ - 1964 م

ثم ذكر الامهات فكان منها : ام حلس كنية الاتان وام الهنبر ايضا ،
والهنبر الجحش وعند فزارة ان ام الهنبر الضبع ، وام حنين فيما
بقوله المنتجع بن نبهان هي الخمر فاذا كان لونها اسود فهي ام ليلي ذكر
ذلك ابو حنيفة الدينوري (1) .

وفي قولهم : برح الخفاء .

معناه : زال الستر وانكشف السر وهو من قولهم : برح الرجل من
مكانه اذا زال عنه وقال ثعلب : معناه صار في براح من الارض وهو ما
ظهر منها فأما قولهم : ما برح فلان يفعل كذا فمعناه ما زال يفعله . وفي
القرآن (لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين) اي لا أزال اسير حتى ابلغه ،
وأبرح الرجل اذا جاء بالبرحاء وهو الامر الجسيم قال الشاعر :
أبرحت ربا ، وأبرحت جارا

وبرح به الامر اذا صعب عليه واشتد ، وتباريح الشوق شدته (2)

وكان يسيل الى بيان اختلاف الرواة في الكلمة اذا كان الخلف ففى
قولهم : « اذا عز اخوك فهن » قال : هن من قولهم : « فلان هيّن ليّن »
اذا كان سهلا منقادا ، وليس من الهوان . ورجل هين لين ، وهيّن ليّن
لعتان قال الشاعر :

هيّنون ليّنون ايسار ذوو يسر

ارباب مكرمة ابناء ايسار

وقال الزجاج : قوله (فهن) بضم الهاء خطأ انما (فهن) بكسر
الهاء قال و (هن) بالضم من الهوان وليس له هاهنا موضع وليس كما

(1) راجع المثل رقم 21 فهو غنى في مادته

(2) جمهرة الامثال 1 : 205 - 206

قال انما هو من الهون بفتح الهاء وسكون الواو وهو الرفق واللين ، وفي القرآن (على الارض هونا) (1) .

وحظ الكتاب من اللغة عظيم ، وحظ الكتاب من الادب كحظه من اللغة وفيه أخبار وقصص وتاريخ وهو بهذا أوسع كتب الامثال استطرادا .

ولحمزة بن الحسن الاصفهاني ٣٦٠ هـ كتاب الدرّة الفاخرة في الامثال التي على وزن أفعل ، وقد وضعه ابو هلال او جزءا منه في كتاب الجمهرة ، وأشار الى ذلك في مقدمته بقوله : « وميزت ما أورد حمزة الاصفهاني من الامثال المضروبة في التناهي والمبالغة وهي الامثال على (افعل من كذا) فأوردت منها ما كان كان عرييا صحيحا وثقيت الموالد السقيم » .

(1) المثل رقم 41 ص 65 — 66

مجمع الامثال - للميداني 518 هـ

الميداني ، هو ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري - نسبة الى ميدان بجوار نيسابور ، من علماء اللغة والتفسير تلمذ لابى الحسن الواحدى المفسر . من كتبه جامع الامثال ، والسامى فى الاسامى ، والانموذج فى النحو ، والنحو الميداني ، ونزهة الطرف فى علم الصرف ، وكتاب شرح المفضليات .

وكتابه « مجمع الامثال » من أمثل الكتب فى هذا الفن ، فهو يحاول الاخبار والاستقصاء والترتيب ، ولا ننكر مع هذا فضل المفضل الضبى حين جمع القليل من الامثال ، وأطال البحث والكلام فى اسبابها فأضاف مادة واسعة جدا - صدقت أو لم تصدق - هي الزم ما تكون لمعرفة احوال العرب قديما ، ولا يتأتى فهم المثل الا بسند من تلك المعرفة ، بكل ظروفهم الاجتماعية والميتافيزيقية ايضا كما اوردها رجل كالمفضل .

ومجمع الامثال حلقة متطورة رأى مؤلفه حالة الباحث يعجله وقته ، فدله على بغيته . وقسم لذلك الكتاب الى ابواب بعدد حروف المعجم ، وأتبعه فيما جاء منه على « أفعل » من هذا الباب متأثرا فى ذلك كتاب حمزة بن الحسن الأصفهاني . ثم بأمثال المولدين .

ولا يقف فضل الميداني عند حد الترتيب والتبويب ولكنه فى الحقيقة قد جمع ما نشر فى بطون الكتب ، وأفاد من مؤلفات السابقين فكان عوننا على مغالبة الايام التى أطاحت بهذه الكتب والتى لم يبق الا بعضها فى كتاب الميداني وهو يشير الى مراجعه فيقول : « فطالعت من كتب الأئمة الاعلام ما امتد فى تقصية نفوس الايام مثل كتاب ابى عبيدة وابى عبيد . والاصمعى وابى زيد ، وابى عمرو وابى فيد ، ونظرت فيما

جمعه المفضل بن محمد بن سلمة حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابا ،
ونخلت ما فيها فصلا فصلا وبابا بابا » • ووضح فى مقدمته طريق الاستناد
فقال : « فاذا قلت المفضل مطلقا فهو ابن سلمه واذا ذكرت الآخر ذكرت
اسم ابيه » يعنى الضبى ، او ابن محمد •

وفى الباب الاول قدم لما جاء منه على « أفعل » بمقال لغوى بين فيه
الوجه اذا كان للتفضيل ، وأنه فى ذلك على ثلاثة أحوال :

- ان يكون معه « من » نحو : زيد أفضل من عمرو •
- أن تدخل عليه الالف واللام نحو : زيد الافضل •
- أن يكون مضافا نحو : زيد أفضل القوم •

فاذا كان مع « من » استوى فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر
والمؤنث وقد تأتى « من » مضمرة كما جاء فى قوله تعالى (هسن
أطهر لكم) أى من غيرها •

وإذا كان مع الالف واللام ثنى وجمع وأنث ، تقول : زيد الأفضل •
والزيدان الأفضلان ، والزيدون الافضلون وان شئت الافاضل • وهند
الفضلى ، وهندان الفضليان ، والهندات الفضليات وان شئت الفضل قال
تعالى : (انها لأحدى الكبر) — والالف واللام تعاقبان « من » فلا يجوز
الجمع بينهما، لا يقال : زيد الافضل من عمرو •

وقال: من شرط « أفعل » الا يضاف الا الى ما هو بعض منه كقولك:
زيد افضل الرجال ، وهند أفضل النساء ولهذا لا يجوز : زيد
افضل اخوته لأن الاضافة تخرج من جملتهم ، ويجوز : زيد افضل
الاخوة ، والاضافة فى جميع هذا ليست بمعنى اللام ، ولا بمعنى من ،
ولكن معناها ان فضل المذكور يزيد على فضل غيره •

وفرق بين قولهم « زيد افضل القوم » و « زيد افضل من القوم »
ففى الاولى كان زيد واحدا منهم ، وفى الثانية كان خارجا من جملتهم —
ولقد تناول هذه القضية من قبله ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى
فى مناظرة بينه وبين متى بن يونس • فقال ابو سعيد السيرافى : اذا قلت :
زيد افضل اخوته لم يجز ، واذا قلت : زيد افضل الاخوة جاز — والفصل
بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم •••• فاذا قلت :
زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة (1) •

وقال الميدانى : ومن شرط افعل ان يكون مصوغا من فعل ثلاثى •••
ذلك ان بعض ما زاد على ثلاثة احرف يمتنع ان يبنى منه افعل فبنوا من
الثلاثى لفظا ينهى عن الزيادة وأوقعوه على مصدر ما أرادوا تفضيله فيه
فقالوا : زيد اكثر فضلا ، وأعم احسانا الخ وضع الميدانى فى منهاجه
استقصاء الامثال بعجزها وبجرها حتى ما كان منها سىء الذوق ، وكنت
قديمًا أضيق بتعبير ابى عبيدة معمر بن المثنى وهو يدل على فصاحة اللغة
التي تلقاها بقوله : أخذنا اللغة عن الاعراب البوالين على اعقابهم ، فاذا
الميدانى يذكر فى امثاله قولهم :

— بقطيه بطبك • ويقول فى تفسيره : التبقيط : التفريق ، والبقط :
ماسقط وتفرق من التمر عند الصرام ، وقال ، وأصل المثل : ان رجلا اتى
عشيقتة فى بيتها فأخذه بطنه ، فأحدث فى البيت ، ثم قال لها : بقطيه بطبك
اى بحذقك وعلمك ، اى فرقة لثلا يظن اليه • (2)

— وقولهم فى عبارة عارية : ابنك ابن ايرك ليس ابن غيرك (3)

(1) معجم الادباء 8 : 213 — 214

(2) الامثال للميدانى 1 : 99 ، رقم 484

(3) الامثال للميدانى 1 : 107 ، رقم 543

وعندهم ما يغنى عن هذا ، عندهم قولهم : ابنك ابن بوحك ، وعندهم :
ولدك من دمي عقبيك •

— ولا ينتظر من اجلاف الاعراب مراعاة الذوق فى الدعاء ، فلا
يحتشم وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى ، ففي تفسير المثل « تربت يدالك »
يقول ابو غبيد : يقال للرجل اذا قل ماله قد ترب أى افتقر حتى لصق
بالتراب ، وهذه كلمة جارية على السن الناس يقولونها ولا يريدون وقوع
الامر ، الا تراهم يقولون : لا أرض لك ، ولا أم لك ويعلمون أن له أرضاً ،
وأما • وقال المبرد : سُمع اعرابى فى سنة فحط بمكة يقول :

قد كنت تسقينا ، فما بدا لك

رب العباد ، مالنا ، ومالك

انزل علينا الغيث ، لا أبا لك

قال : فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال : اشهد ان لا أبا له . ولا أم
ولا ولد • (1)

واذا ذكرت هذه الهنات ، مع أنها فى رأى الآخرين ليست كذلك ،
وانها آثار قوم يجب ان تجمع بقضها وقضيضها ، ففي الكتاب من اللغة
والادب واللغة ما هو متفق على جماله وكماله — ولقد كان هذا الاستقصاء
رغبة من الامير محمد بن ارسلان الذى اشار على الميدانى بجمع (كتاب
الامثال مبرز على ما له من الامثال ، مشتمل على غثها وسمينها محتو على
جاهليها واسلامها) •

(1) مجمع الامثال للميدانى. 1 : 133 رقم 662

الفصل الثالث

المعرب والدخيل

أولا - قبل الاسلام وفي طوره الاول

وهذا مصدر من مصادر العربية لم ينشأ في أرضها ابتداء ، وانما وفد اليها بحكم التأثير والتأثر بين اللغات ، فلم تكن العربية حبيسة منعزلة في هذه الجزيرة ، وانما كان للمجتمع المكي رحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام ، وكانت القبائل الشرقية على صلة وثيقة بالعراق وفارس ، وكان اقليم ميسان مكان البصرة الحالية ملتقى السفن التواجر الآتية الى الخليج العربي ، وكانت القبائل التي سكنت البحرين وعمان على صلة دائمة به وتذهب في سعيها اليه حتى ذهب بليزوس - في وسط القرن الاول المسيحي - الى أن هذا الاقليم كان خاضعا لبعض القبائل العربية ، وكذلك كان يحكمها قبائل من عمان حين أخضعها أردشير لحكمه في القرن الثالث الميلادي ، وفي حديث للمثنى بن حارثة الشيباني وهو يهوى رجاله

للحرب يشير الى صلة العرب بهذا الاقليم وبما وراءه من حدوده الشرقية فيقول : « أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم » (1) كما أن الفرس والأحباش وصلوا الى اليمن والحجاز غازين هذه البلاد .

ولا يمكن أن تمر هذه الصلات دون أن تترك أثرها في اللغة ، يشير الجاحظ الى نزول ناس من الفرس قبل الاسلام الى المدينة فعلق أهل المدينة بألفاظ من الفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السميط الرزدق ، ويسمون المصوص المزوز (2)

ولا تتشار اللغة الدخيلة ، أو ترك بصماتها أسباب ، قد يكون من بينها تخفيف الجهد ، أو التطرف ، أو الحاجة الى ألفاظ لا تستطيع البيئة الوفاء بها ، ويدلنا الاستاذ ج . برجستراسر في كتابه التطور النحوي على بعض الدخيل الذي تأثرت به العربية ، وعربته فيقول : (.....) ونحن نكتفى بذكر بعض ما دخل العربية قبل الاسلام أو في طوره ، منها اصطلاحات الادارة كالديوان ، والرزق ، والمرزبان ، والدهقان ، والفرسخ ، والتاج . ومنها ألفاظ دينية كالدين ، والجناح ، والمجوس ، والنيروز ، ومنها اسماء الاشياء الخاصة بالعجم أو المجلوبة من عندهم كالصنّج ، والصوايجان ، والفيل ، والجاموس ، والمسك ، وانواع النسائج كالديباج والاستبرق ، والابريس ، والطيلسان ، والقسط ، ومنها غير ذلك كالسراج والخندق (3)

(1) تاريخ الطبري 2 : 631 ط الاستقامة 1357 هـ - 1939 م

(2) البيان والتبيين 1 : 19 ط عبد السلام هارون

السميط = الآجر بعضه فوق بعض ، الرزدق اصله بالفارسية رسته أي السطر والصف من النخل وغيره

(3) التطور النحوي 144 للاستاذ ج . برجستراسر ط مصر سنة 1929

وذكر برجستراسر أن بعض هذه الكلمات قد تدخل العربية مباشرة، وقد تنأثر بها الآرامية ثم تنتقل ، وأحيانا لا تكون هذه الكلمة فارسية الاصل ، بل قد تكون منقولة من لغة أخرى قال : (ومشك ، أصلها هندي فدخلت الفارسية ، ثم الآرامية ، والعبرية وقد حدث ذلك مرارا) (1) •

وكثير من هذا الدخيل تعرب ، ككلمة (جناح) أصلها (كناه) فيقابل الكاف الفارسية الجيم العربية؛ وقال : ان الكلمات الآرامية المعربة كثيرة لا تكاد تحصى ، كما أشار الى الحبشية أيضا ونحن نكتفى بالاحالة الى كتابه •

وفى محاضرة القاها العلامة عبد القادر بن مصطفى المغربي صور وقوع المعرب على السنة العرب ، والتمثيل له نميلا يدينه من المشاهدة نقتطف منها ما يلى :

(..... كثيرا ما يلمح فى الألفاظ المعربة انها تدل على منازع اجتماعية وراء دلالتها على معانيها اللغوية الدالة عليها بالوضع ، ويظهر هذا بنوع خاص فى الكلمات التى اقتبسها العرب من جيرانهم الفرس •

فان العرب كانوا أكثر اختلاطا بالفرس من غير الفرس ، ومصالحهم السياسية والقبلية ومرافقهم الاقتصادية والمعاشية أعظم اشتباكا ، وأشد احتباكا •

وقد كانت المدائن عاصمة فارس والحيرة عاصمة العرب منتجع الفريقين ، وملتقى العقليتين أو الثقافتين (اذا صح هذا التعبير) وكان لعرب الجاهلية ثقافة يعتد بها •

ففى تينك الحاضرتين وغيرهما من قرى الحدود ودساكرها كان

(1) المصدر السابق 145

الفرس والعرب. يتقارضون الكلمات والعادات مثلما كانوا يتقايضون السلع وضروب البياعات وذلك بالقدر الذى تطيقه حالة عرب الجاهلية يومئذ ويتحملة محيطهم •

نزور مدينة الحيرة عاصمة العرب فى ذلك العهد ، ونجول فى ساحاتها وأرباضها فنرى هنا وفودا من العرب عقلوا أباعرهم ، ولاثوا عبائهم ، وتنكبوا قسيهم ، ومشوا الخيلاء بمطارف الخز ، وبرود اليمن ، وهم سمر صلع مسترسلو اللحي ، شم الأنوف من الطراز الاول •

ونرى هناك نساء من النصارى يرفلن فى الدمقس وفى الحرير ، يترافضن الى الكنيسة ليسمعن قداسا يقوم به جاثليقها (صبر يشوع) • وبجانبهن على برازيق الطريق أسراب من أولادهن يهرولن الى الكتائب يحملون الدفاتر والألواح ، وفى اعناقهم وأعناق أمهاتهم صلبان الفضة والذهب ، وفى أرجلهم النعال من جلد (الأرندج) وهو الجلد الاسود أو المدهون بالدهان. الاسود (البويا) •

ثم لا نلبث أن نسمع قعقعة اللجم ووقع حوافر خيل البريد قادمة الى الحيرة من (المدائن) عاصمة فارس تنهب الارض نهبا تحمل السى ملكها (النعمان بن المنذر) رسائل الملك (كسرى) يأمره فيها وينهاه ومع البريد أساورة ودهاقين من عظماء فارس حمر الوجوه صهب الشوارب مخلوقو اللحي على رؤوسهم القلائس البطح او الضاربة فى الهواء صعدا ، وقد أفرعوا على أبدانهم أقبية الحرير الملونة بالارجوان ، والمخوصة بالذهب ، وفى أوساطهم مناطق الفضة تتدلى منها السيوف والخناجر المرصعة •

واذا أحد هؤلاء الدهاقين يحاور رجلا فى أمر بيع وشراء ، وقد

ارتفع صوت الدهقان واحمر لونه ، فنسأل سوقيا من عرب الحيرة عن الخبر فيقول لنا :

ان الدهقان أعطى هذا (السفير) الذى يجادله (نُمِّيّا) لبيتاع له (فصافص) لفرسه وكأن (الفصافص) لم تعجب الدهقان فردها الى (السفير) واسترد منه (نُسِيَّة) • فقلنا للعربى الجيرى : ويحك ماذا تقول ؟ فاننا لم نفهم مما قلت شيئا • فتفرس فى وجوهنا قليلا ثم قال : السفير : كلمة فارسية بمعنى السمسار •

الفصافص : جمع فصفصة : القت أو الباقية التى تعلفها الدواب • وهى أى الفصفصة كلمة فارسية معربة من (اسفست) •

والنُمِّي : كلمة رومية تدل على ضرب من النقود يتعامل به أهل بلدنا •

فامتعضنا وقلنا له : ويلكم يا أهل الحيرة ، أوقعتمونا من أمركم فى حيرة ، تتكلمون بالكلمات الفارسية وأنتم عرب ؟ قال : وما علينا فى ذلك ، وهذا النابغة شاعر مليكنا النعمان يصف ناقته التى لم تجرب ، ويذكر شراء الفصفصة لها بالنمى بواسطة السفير فيقول :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها

من الفصافص بالنمى سفير (1)

لعل هذه الصورة الطريفة قد اعجبتك ، ورأيت فيها بعينى رأسك كيف يقع المعرب على لسان العرب ، وكيف يأخذ أمكنته فى شعر الشعراء •

ترى ما الفرق بين المعرب والدخيل

لقد تركتك يا سيدى القارىء عن عمد ، وجعلت أذكر كلمة المعرب

(1) الاشتقاق والتعريب 86 — 88 للعلامة عبيد القادر بن مصطفى المغربى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1366 هـ — 1947 م

مرة ، وكلمة الدخيل مرة لكى تدرك - ان شئت - كما أدركت أنا أن الفارق لا يكاد يبين فكلاهما آت أو دخيل من لغة أخرى ، أما أنه معرب فيعنى - كما أتصور - أنه هذب وشذب حتى أخذ هيكل العربية وطاع للاشتقاق فجاء من الفعل فاعل واسم فاعل ، وقد يأتى مفعول واسم مفعول ، وسار فى فلك العربية كما تسير الفاظ هذه اللغة ، وأما الدخيل فهو الذى دخل العربية على هيئته فى لغته او حرف قليلا ، ودخل على العربية حصنها ، ودار على ألسن أهلها بقوة الحاجة اليه . فاذا لم يكن كذلك فلك أن تفهم ما تشاء من أقوال العلماء السابقين وهذه بعضها :

يقول ابو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى
465 — 540 هـ فى كتاب المعرب ، فى باب ما يعرف من المعرب بأتلاف
الحروف :

- لم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية ، فمتى جاءتا فى كلمة فاعلم أنها معربة .

- ولا تجتمع الصاد والجيم فى كلمة عربية من ذلك الجص ، والصنجة ، والصولجان ونحو ذلك .

- وليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، فاذا مر بك ذلك فاعلم ان ذلك الاسم معرب نحو نرجس ، ونرس ، ونورج .

- وليس فى كلامهم زاي بعد دال الا دخيل من ذلك الهنداز والمهندز وأبدلوا الزاي سينا فقالوا (المهندس) .

- ولم يحك أحد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء ، فاذا جاء ذلك فى كلمة فهم دخيل (1) .

(1) المعرب للجواليقى 59 — 60 ط دار الكتب سنة 1389 هـ - 1969 م
تحقيق احمد محمد شاكر

فأنت ترى تعاقب الكلمتين : معرب ، ودخيل بمعنى واحد .

ويقول السيوطي 849 — 911 هـ تعريفا بالمعرب ، وقد عقد له الباب التاسع عشر من كتاب المزهري (هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها) ونقل عن صحاح الجوهري : (تعريب الأسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها تقول : عربته العرب ، وأعربته أيضا) (1)

ويقول شهاب الدين أحمد الخفاجي 977 — 1069 هـ في كتابه (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) :

(واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمية الى العربية ، والمشهور فيه التعريب ، وسماه سيبويه وغيره اعرابا وهو امام العربية ، فيقال حينئذ : معرب ومعرب (2) .

ويقول عبد القادر بن مصطفى المغربي (ليس التعريب في اللغة العربية عملا بدعا ، وليس وجود اللفظ المعرب في جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسم الانسان من حيث يضر بقاؤه وتجب ازالته ، والمعرب — ويسمى أيضا دخيلا — هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها) (3) .

ولقد امتزج العربي بالمعرب والدخيل قبل الاسلام حتى لا يكاد يبين الا اذا عرضته على تلك الخصائص التي أشار اليها رجل كالجواليقي في أول كتابه المعرب حين قال : لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية فمتى

(1) المزهري 1 : 268 ط الحلبي

(2) شفاء الغليل فيما وقع في كلام العرب من الدخيل ص 3 ط

مصطفى محمد ، مصر

(3) الاشتقاق والتعريب 16

جاءتا في كلمة فاعلم أنها معربة أو يقول : اسم تجتمع الجيم والقاف في
كلمة عربية الا بجازز ... الى آخر ما ذكر (1) •

والذين أوتوا نصيبا من المعرفة بأصول اللغات المجاورة تعلقوا ببعض
هذا المعرب وقالوا : هو آت من الفارسية ، أو الآرامية ، أو الرومية ، أو
الجبشية ، أو الهندية وكل هذا متقبل حسن •

وقال بعض العلماء انه لا يجوز الاشتقاق من المعرب منهم الجواليقي
الذي قدم لكتابه المعرب بقوله :

(هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ،
ونطق به القرآن المجيد ، وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم
الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وذكرته العرب في
أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح - ففي معرفة ذلك فائدة
جليلة وهي ان يحترس المشتق فلا يجعل شيئا من لغة العرب لشيء من لغة
العجم فقد قال ابو بكر بن السراج في رسالته في الاشتقاق في باب (ما
يجب على الناظر في الاشتقاق أن يتوقاه ويحترس منه) : ... مما ينبغي
أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب شيء من لغة العجم
فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت) •

وحكى عن أبي علي قال : رأيت أبا بكر يدير هذه اللفظة (بوصى)
ليشتقها فقلت : أين تذهب انها فارسية انما هو (بوزيد) وهو اسم جدنا!
قال : ومعناه السالم ، فقال أبو بكر : فرجت عنى (2) •

(1) المعرب للجواليقي ص 59 د 142

(2) المصدر السابق 51 - 52

وهذا - من وجهة نظرنا - غير متقبل ويخالف ما فرض على جميع اللغات من خضوعها للتأثر باللغات الأخرى تحت ظروف معينة إلا إذا كان المقصود أن الكلمة المعربة لم تشتق أصلاً من كلمة عربية فالمعرب والدخيل الذي تعارف الناس على دلالاته في العصر الجاهلي والإسلامي المبكر قد أخذت العربية ودار على الألسن : وجاء في شعر شعرائهم فتقبله روايتهم ، وتذوقه جمهورهم فلم ينفروا منه وكانت الحاسة اللغوية من أدق حواسهم . وهذه الكلمة بذاتها (بوصى) وردت في شعر ثلاثة من قدامى الشعراء فيقول طرفة في معقلته :

وأتلع نهاض إذا صعدت به
كسكان بوصى بدجلة مصعد

ويقول الأعشى :

ما يجعل الجدُّ الظنون الذي
جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفرائى إذا ما طما
يقذف بالبوصى والماهر

الجد : بضم الجيم وتشديد الدال وضمها البئر الجيدة الموضع من الكلا - الظنون : الذي لا يوثق بمائه ، - اللجب : الكثير الصوت - طما : ارتفع - الماهر : السابح وقال الحطيئة :

وهند أتى من دونها ذو غوارب
يقمص بالبوصى معروف ورد (1)

(1) المعرب 102 - 103

وفى الشعر القديم فيض من الألفاظ المعربة ، ولولا أن علماء العرب والدخيل أفردوا لها ، وأشار إليها رواة اللغة وأصحاب المعاجم لاختلط على أمثالنا الأمر فهي ليست أكثر غرابة من الألفاظ التي وردت فى الرجز والشعر القديم ، ونحن نحتاج فسى كشف غامض الغريب الى المعاجم فننتعرف على معناه ونتعرف أيضا على رأى العلماء فى أصله هل هو عربى أم معرب •

وأكثر ما جاء المعرب فى شعر عدى بن زيد ، والاعشى ، وحسان ابن ثابت ، وطرفة ، ونحن لا نريد أن نورد عليك أمثالا من ذلك ، والا قدمنا اليك كتابا ككتاب المعرب للجواليقى ، أو استخلصنا من جمهرة ابن دريد ما هو أكثر من كتاب المعرب فقد كان ابن دريد كلفا بهذا النوع من الدراسة ، ونحن نحيلك على كتاب الجمهرة فى اللغة لترى منه ما جاء فى شعر القدامى •

وجاء القرآن الكريم ، وفيه من هذه الألفاظ التى أشار اليها علماء اللغات ، فقال بعضهم بأنها أعجمية ، وأنها آتية من هذه اللغة أو تلك ، وهناك فئة من العلماء تحمسوا لنفى العجمة عن تلك الالفاظ فكان هذا رأى آخر ولكنه اتخذ طريقين ، كان محمد بن جرير الطبرى يرى من الكلام ما يتفق فيه اللفظ واللفظ بين لغتين وأكثر ولذلك لا يرى أحد الجنسين أولى من الآخر بنسبة الأصل الا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته ، والصواب عند الطبرى أن يسمى اللفظ عربيا أعجميا ، او حبشيا عربيا اذا كانت الامتان له مستعملتين فى بيانها ومنطقها استعمال سائر منطقها وبيانها (1)

وفريق لا يتكلف هذا التكلف ، وانما يأخذ الامر سهلا على

(1) انظر تفسير الطبرى 1 : 15 - 16 وما كتبناه عن هذا الاصل فى الباب الاول من هذا الكتاب

طبيعته - والذين قالوا بخلوص عريية القرآن لم يذهبوا هذا المذهب ايغالا
في التحرج الدينى، ولا مرضاة لوازع تمليه القومية، ولكنهم كانوا منطقيين
مع أنفسهم يرون أن العريية التى تكلم بها خلص العرب فى الفترة المبكرة .
وتعارفوا على دلالات الفاظها قد تم لها الادراك والبلوغ وكمال النشأة
فهى عريية بحكم هذا الواقع .

كان ابو عبيدة معمر بن المشنى يقول : (من زعم أن فى القرآن لسانا
سوى العريية فقد أعظم على الله القول) واحتج بقوله تعالى (انا جعلناه
قرآنا عربيا)

وكان أبو عبيدة القاسم بن سلام يزواج بين الرأيين بقوله .
(والصواب من ذلك عندى - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين
جميعا ، وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجيبة كما قال الفقهاء ، إلا انها
سقطت الى العرب فأعربت بها بالسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم الى
ألفاظها فصارت عريية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام
العرب ، فمن قال انها عريية فهو صادق ، ومن قال عجيبة فهو صادق) (1)

ثانياً - بعد الاسلام

ترى هل توقف العرب والدخيل بعد أن تزحزحت الحدود العريية
الاسلامية الى الامام فى كل الاتجاهات ورجبت بها الأرض من الصين فى
مشارقتها الى الاندلس فى مغاربها ، وأصبح من مقاليد الأمور فى يدها
السيف ، والدين ، واللغة ؟

وهل بقيت العريية فى حصنها الذى يزداد لها وقد أخذوا يحيطونها

(1) الصحبى فى فقه اللغة 29 ط القاهرة 1318 هـ - 1910 م

بكل وسائل الحماية ويدفعون عنها ألسنة الغرباء ويحرقون من شأن
الموالى ؟

يروى فى رحلة الليث بن المظفر الى البادية أن المظفر بن سيار مر
به عتاق وابنه الليث قد حضره فقال له وأراد أن يخبره : ما هذا ؟ فقال :
(بز) بالفارسية فقال : لأسيرتك الى حيث لا تعرف (بز) فسيره الى
البادية ففيها تأدب (1) .

وكان الاصمعى يقول : ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل
رأيته راكبا ، أو سمعته يعرب ، أو شئت منه رائحة طيبة — وثلاثة تحكم
عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شئت منه رائحة نبيذ فى محفل ، أو
سمعته يتكلم فى مصر عربى بالفارسية ، أو رأيته على ظهر الطريق ينازع
فى القدر (2) .

الحقيقة أن هذا السياج الذى ضرب حول العربية كان شيئا يخالف
طبيعة اللغات فلم يدفع عنها دخيلا — أو بحسب تعبيرى جديدا — جاءها
من الشعوب التى تعاملت معها ووسع من دائرة المعرب عاملان قويان :

- انشاء الديوان وتعريبه .
- وحركة الترجمة .

أما الديوان

فقد رأى عمر بن الخطاب بعد أن فتح الله على يديه أرجاء هذه
البلاد ، وأفاء عليه من خيراتها أن يحصى هذا الدخل ، وينظم توزيعه على

(1) معجم الأدباء 17 : 50

(2) عيون الاخبار لابن قتيبة 1 : 296

جنوده وقبائلهم فاستحدث نظاما لقيد الاسماء والعطاء وسمى ديوان الجيش ، وكان يحرر بالعربية على نظم بسيطة ، فلما أحسموا بأثر هذا التنظيم فى البلاد رأوا تعميمه فى عواصم الاقطار المفتوحة ، وسجلوا فيه القرى ومساحاتها وما يتصل بتنظيم الخراج ، الا أن هذا الديوان الجديد لم يكتب بالعربية وانما بلغات أهل البلاد المفتوحة فكان بالفارسية فى العراق وفارس ، وبالرومية فى الشام ، وفى مصر بالقطيطة والرومية واستخدموا أهل هذه البلاد لاعداد هذا الديوان ، وظل أمره على ذلك حتى تولى الحكم عبد الملك بن مروان ، وكانت الدولة الاموية تنتصر لكل ما هو عربى فبدأ عبد الملك يضرب العملة العربية فى سنة أربع وسبعين ، وتبعه الحجاج فضرب الدراهم فى سنة خمس وسبعين ، وضربت فى أنحاء البلاد سنة ست وسبعين - وكانت الخطوة التالية أن عرب الديوان فى فارس والعراق والشام ومصر (1) .

كان من الطبيعى أن يدخل الى العربية كثير من ألفاظ هذه اللغات وخاصة تلك التى تتصل بالحساب ، والمساحة ، والمكاييل ، والأوزان ، والزراعة ، والتجارة مما لم يكن للعرب عهد به من قبل - فيعرب - أو - يدخل على هيئته فى لغته الاصلية . وكان لتعريب الديوان أثر آخر هو دخول عماله وموظفيه فى زمرة المتكلمين بالعربية ومنهم أهل البلاد الذين لا يجيدونها فكانوا من عوامل نشر الدخيل فى العربية .

واما الترجمة

فقد مضى القرن الأول والدراسات العربية تدور حول القرآن والحديث .

(1) الخبر مبسوط فى فتوح البلدان للبلاذرى ، وافدت من مقال للاستاذ عبد الحميد العبادى . مجلة مجمع اللغة العربية العدد التاسع ص 48

وتفرع من ذلك الفقه والأصول والغزوات الى غير ذلك ، وكان على تخوم البلاد ثقافات شتى بعضها من اليونان ، وبعضها من مدرسة الاسكندرية ، وأخرى كلدانية من الشرق ، وكانت الفلسفة والطب وعلوم الصنعة والكيمياء أهم ما نقل الى العربية ، وكان القائمون بالتعليم والترجمة من غير العرب ، وبعضهم من العرب الذين مازجوا بين ثقافات مختلفة .

بدأت حركة الترجمة فى العصر الأموى ، فكان خالد بن يزيد بن معاوية - كما يحكى ابن النديم - يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً ، وله همة ومجبة للعلوم ، فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى (1) .

ونشطت الترجمة نشاطاً ملحوظاً فى العصر العباسى حين شاركت الدولة فى استحضار الكتب من البلاد الاجنبية وأوصت بترجمتها - ذكروا ممن ترجم عن الفارسية ابن المقفع ، وموسى ويوسف ابنا خالد ، وأما الحسن عالى بن زياد التميمى ، وأحمد بن يحيى البلاذرى ، وجبله بن سالم كاتب هشام ، واسحق بن يزيد ، ومحمد بن الجهم البرمكى ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردى ، وزادويه بن شاهويه الأصفهائى ، ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهائى ، وبهرام بن مردان شاه ، وعمر بن الفرخان (2)

ومن الذين ترجموا من الهندية : منكه الهندى وكان يتصل بأسحق ابن سليمان بن على الهاشمى ، وابن دهن وكان اليه يمارستان البرامكة (3)

(1) الفهرست 338 ط الرحمانية

(2) الفهرست 342 ط الرحمانية

(3) نفس المصدر والصفحة

ومن مشاهير المترجمين ماسرجويه الذى نقل كتاب أهرن الى العربية
وهو كتاب فى الطب الفه صاحبه بالسريانية .

وبعد فتح عمورية وبلاد الروم نقلت كتبها وأودعت خزائن الدولة
وطلب الخليفة العباسى من يوحنا بن ماسويه العدل على ترجمتها ، ورتب
له كتابا حذاقا . ورغب يحيى بن خالد البرمكى فى معرفة كتاب المجسطى
لبطليموس ففسره له جماعة لم يتقنوه فندب لتفسيره أبا حسان ، وسلم
صاحب بيت الحكمة . وفى أيام المأمون تولى حنين بن اسحق رئاسة حركة
الترجمة خلفا ليوحنا بن ماسرجويه ، ثم اشتغل ابنه أيضا بالترجمة ففسر
اسحق بن حنين كتاب السياسة لأفلاطون ، وكان يحيى بن عدى ، وابن
البطريق من مشاهير التراجمة .

وعقد ابن أبى أصيبعة فصلا فى طبقات الأطباء عن النقلة الذين
نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى الى اللسان العربى ذكر
جورجس ، وحنين بن اسحق وكان عالما بالعربية والسريانية واليونانية
والفارسية ، واسحق بن حنين ، وحبيش الأعجم ، وعيسى بن يحيى ،
وقسطا بن لوقا ، وأيوب الأبرش ، وماسرجيس وكان ناقلًا من السريانى
الى العربى ، وابنه عيسى نقل كتاب الألوان ، وكتاب الروائح والطعوم ،
وشهرىا الكرخى وابنه ، والحجاج بن مطر الذى نقل للمأمون كتاب
اقليدس ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرّة وآخرين (1) .

هذا الاتساع العلمى الجديد تعثر أمام اصطلاحات وتعريف سم

(1) طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة 302 - 304 ط الوهبية سنة
1300 هـ

تستطع العربية أن تقدم من كلماتها ما يعبر عنها فكان لا بد من تعريبها حتى ينتفع بها القارئ ، ويتيسر له فهم هذه العلوم الجديدة ، وحاول بعض العلماء تذييل هذه الصعاب بوضع كتب للمصطلحات لتعين المترجم والقارئ على السواء ، منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (1) الذي يقول في مقدمة كتابه (مفاتيح العلوم) « دعنى نفسى الى تصنيف كتاب يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضع والاصطلاحات التى خلت منها أو جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة حتى أن اللغوى المبرز فى الأدب اذا تأمل كتاباً من الكتب التى صنف فى أبواب العلوم والحكمة ، ولم يكن شدا صدرا من تلك الصناعة لم يفهم شيئاً منه ، وكان كالأمى الأغتم عند نظره فيه ولم اشتغل بالتفريع المضط ولا بإيراد الحجج والشواهد اذ كان أكثر هذه الاوضاع أسامى وألقاباً اخترعت ، وألفاظاً من كلام المعجم أعربت ، وسميت هذا الكتاب (مفاتيح العلوم) اذ كان مدخلاً اليها ومفتاحاً لأكثرها » .

وكان لكل طبقة من العلماء عبارات اصطلاحوا عليها ، وعرفت فيما بينهم . كانت الفلسفة مثلاً من العلوم التى انتفع بها العقل العربى ، وأمدت العرب بكثير من الألفاظ تعربت ، أو دخلت العربية على هيئتها . كان المعتزلة من أول المؤسسين للنهضة العقلية المتحررة فى الاسلام ، وغلبوا حرية الرأى المبني على الدراسة والعقل على التسليم لمجرد التقليد ، فأفاد متكلموهم من المنطق والفلسفة ويقول الجاحظ :

(1) هو أبو الريحان البيرونى ، اتصل بالسلطان محمود الغزنوى ، وصاحبه فى رحلاته الى الهند فتعلم لغتهم و ألف كتباً كثيرة ، وتوفى بغزنه فى حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية معجم الادباء 17 : 180

(وهم - يقصد المتكلمين - تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعانى .
واشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء واصطلحوا على تسمية ما لم
يكن له فى لغة العرب اسم) (1) وعمدوا فى سبيل هذا الى النحت لخلق
ألفاظ جديدة كالهوية ، والماهية ، وقد يضمنون لا النافية الى كلمة ما
ليخلقوا لفظا جديدا كاللانهائية ، واللاأدرية - فان أعوزتهم الضرورة ولم
يجدوا فى العربية واشتقاقها ونحتها متسعا عربوا عن اللغات الأجنبية .

والمشتغلون بالطب

جمعوا مادته من مدرسة الاسكندرية ، وجنديسابور ، وترجمت
مادته على أيدي آل بختيشوع ، وظلت العربية تعاني فقرا فى المسميات
فلم يجد ابن سينا من الاسماء العربية ما يصلح لتسمية الامراض فجاهد
فى تكوين التراكيب العربية وقال : قد تلحقها التسمية من وجوه ، اما من
الاعضاء الحاملة لها كذات الجنب ، وذات الرئة ، واما من اعراضها
كالصرع ، واما من اسبابها كقولهم : مرض سوداوى ، واما من التشبيه
كقولهم داء الاسد ، وداء الفيل ، واما منسوبها الى اول من يذكر أنه عرض
له كقولهم قرحة طيلانية منسوبة الى رجل يقال له طيلانى ، واما منسوبة
الى بلد يكثر حدوثه فيها كقولهم : القروح البلخية ، واما منسوبها الى من
كان مشهورا بالانجاء فى معالجتها كالقرحة السبروتية . واما من جواهرها
وذواتها كالحمى والورم (2) .

ويبدو من هذا الجهد محاولتهم التعلق بالعربية الى الحد الممكن .
ولكن الحاجة دفعتهم الى قبول ألفاظ من لغات أخرى : قالوا : الترياق أو

(1) مقال للاستاذ محمد الخضر حسين . مجلة مجمع اللغة العربية

العدد السادس 95

(2) نفس المصدر

الدرياق ، وقال فيه الخوارزمي انه مشتق من تيريون باليونانية وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالافاعي ونحوها ، والبحران لبعض أعراض الحمى عن السريانية (1)

ورجال الفقه

لجأوا الى الاتساع الاصطلاحي عندما أرادوا الخروج بمدلول لبعض الالفاظ على غير ما وضعت له لغة . فالصلاة بمعناها اللغوي مجرد الدعاء ، والحج : مجرد القصد ، والصيام هو الامساك فأصبحت تشير الى مدلولات أخرى فى طقوس العبادة والمناسك ، ولكن لم يسعفهم هذا الاتساع الاصطلاحي للتعبير عن مدلولات جديدة صادفت حياتهم الجديدة فاضطروا عندما يعرض لهم مسمى ولا عهد للعرب به الى تعريبه أو استعماله كما هو فقالوا :

السفتجة ، وهو لفظ فارسي ، والمراد به ان تقرض انسانا مالا . ليسلمه المقرض فى بلد آخر الى انسان يريد المقرض توصيله اليه ، وغرضه من الاقراض أن يأمن خطر الطريق ولهذا جعله قرضا لا أمانة ، وتصرفوا فى اللفظ فجمعوه وقالوا (كرهت سفاتيح الطريق) (2) وقد تجمع على سفتج يقول شهاب الدين الخفاجي : سفتج جمع سفتجة ، فارسية معربة وهى الخطوط ، وأصلها أن يكون لواحد يبلد متاع عند رجل أمين فيأخذ من آخر عوض ماله ، ويكتب له خوفا من غائلة الطريق (3) وقالوا :

-
- (1) مفاتيح العلوم ص 103-106
(2) مقال للاستاذ عبد الوهاب خلاف مجلة مجمع اللغة العربية العدد السابع ص 239
(3) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين احمد الخفاجي ص 112

المسكة والكردار ومعناها ما يقوم به الزارع من حرث. وتهيئة
للأرض مما يكسبه أولوية زرعها .

وقالوا :

الكدك وهو ما يحدثه التاجر في حانوته من العمران والبناء فيعطيه
هذا حق أولوية استتجاره .

وقالوا :

الخلو، والرصد قالوا عن الأول ما يدفعه المستأجر الى متولى الوقف
من مال ليصرفه فى مصلحة الوقف ، والرصد دين للمستأجر على الوقف
لصرفه فى عمارته باذن المتولى .

الى غير هذا

وهكذا استقر الدخيل فى الكلام العربى وربما تلون بلون العريية
بالزيادة أو النقص فى حروفه ، وأخذ الرواة ينبهون اليه ويفرقون بينه
وبين الصريح ويعربون منه ما دخل على هيئة العريية .

كان سيبويه من أوائل من تحدث فى هذه الظاهرة فقال : (...
اعلم انهم يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما
الحقوه ببناء كلامهم فدرهم الحقوه ببناء هجرع - وبهرج الحقوه
بسلب ، ودينار الحقوه بديماس ، وديباج الحقوه لما أرادوا أن يعربوه
الحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العريية كذلك ...
وربما غيروا حاله عن حاله فى الأعجمية مع الحاقهم بالعريية غير الحروف
العريية ، فأبدلوا مكان الحرف الذى هو للعرب عرييا غيره ، وغيروا
الحركة ، وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم نحو آجر ،
وابريسم ، واسماعيل ، وسراويل .

وربما تركوا الاسم على حاله اذا كانت حروفه من حروفهم ، كـ
على بنائهم أو لم يكن نحو : خراسان ، وخرم ، والكركم ، وربما غي
الذى ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه فى الفارسية نحو فرن
وبقم ، وآجر ، وجربز (1) •

ولم يكن موقف سيبويه من هذا الدخيل هو مجرد الوصف، وطر
دخوله العربية ، وهيئته بها وانما حاول أن يجرى عليه دراسة عربية، و
نظر الى كلمة آجر وحاول اخضاعها لموازين المنوع من الصرف حـ
نفسه قائلاً :

(فان قلت أدع صرف الآجر لأنه لا يشبهه شيئاً من كلام الـ
فانه قد أعرب وتمكن من الكلام وليس بمنزلة شيء ترك صرفه من
العرب ، لأنه لا يشبه الفعل ، وليس فى آخره زيادة ، وليس من نحو
وليس بمؤنث وانما هو بمنزلة عربى ليس له ثان فى كلام العرب) (2)

وجاهد فى التعريب بمعنى الباس اللفظ ثوب العربية كثير من رج
اللغة كان الزمخشري يقول وهو يفسر سورة الدخان « ان معنى الت
أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أو
الاعراب » (3) •

وكان الحريرى يتكلف له ليدخله فى دائرة القياس يقول فى
العواص « ويقولون للعبة الهندية الشطرنج بفتح الشين ، وقياس كـ
العرب أن تكسر لأن من مذهبهم أنه اذا عرب الاسم الأعجمى رد الـ

(1) الكتاب لسيبويه 2 : 342

(2) الكتاب لسيبويه 1 : 19

(3) الكشف للزمخشري 4 : 323 ط الاستقامة 1953

يستعمل من نظائره فى لغتهم وزنا وصيغة ، وليس فى كلامهم (فعلل)
بفتح الفاء وانما المنقول عنهم فى هذا الوزن (فيعلل) بكسر الفاء ولهذا
وجب كسر الشين من الشطرنج ليلحق بوزن جردحل وهو الضخم من
الابل ، ثم انظر الى محاولة الحريرى ادخاله الدائرة العريية بقوة واستكراه
حين يقول : (وقد يجوز فى الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة لجواز
اشتقاقه من المشاطرة ، وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن يكون مشتقا
من التسطير عند التعبية • ومثله الدعاء للعاطس بالتشميت والتسميت
اشارة بالسين المهملة الى أن يرزق السمى الحسن ، وبالشين المعجمة الى
جمع الشمل لأن العرب تقول : تشمتت الابل اذا اجتمعت فى المرعى) (1)

ودار فى فلك العريية كلم كثير ، واختلط بألفاظها ، واستعمل فى
تعايرها وأصبح التفريق بين العربى والمعرب نوعا من التخصص الدقيق
أو المفاتشة لغرض معين ، وهل ترى ذلك سهلا وأنت تقرأ للجاحظ فعلا
مثل « بهرج » ؟ لقد قرأت هذا الفعل لأول مرة فى كتاب البيان والتبيين ،
حين كان الجاحظ يشير الى سليقة الأعرابي فيقول : (وأصحاب هذه اللغة
لا يفقهون قول القائل : « مكره أخاك لا بطل » و « اذا عز أخاك فهن »
ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى ابو زيد » و « رأيت أبى عمرو »
ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا
كلامه) (2) •

فأنت ترى هذه الكلمة (بهرج) لا تكاد تبين بعد أن اشتقوا منها ،
بل لا تكاد تشك فى أنها عريية وأنها تعنى ما يعنيه الجاحظ من أنهم

(1) درة الفواص فى اوهام الخواص للحريرى ط حجر سنة 1273 هـ

ص 112 - 113

(2) البيان والتبيين 1 : 162 ط عبد السلام هارون

بهرجوه أى زيفوه ، ولكن الكلمة لها منشأ غير عربى كما يقول رواة اللغة
وأصحاب المعاجم ففى اللسان :

بهرج : مكان بهرج : غير حمى ، والبهرج : الشيء المباح ، يقال :
بهرج دمه ، ودرهم بهرج : ردىء ، والدرهم البهرج : الذى فضته رديئة،
وكل ردىء من الدراهم وغيرها بهرج •
قال : وهو اعراب نبهرة ، فارسى •

ابن الأعرابى : البهرج الدرهم المبطل السكة ، وكل مردود عند
العرب بهرج ، ونبهرج • والبهرج : الباطل والردىء من الشيء ، قال
العجاج :

وكان ما اهتض الجحاف بهرجا

أى باطلا •

وقيل هى كلمة هندية أصلها «نبهلة» وهو الردىء فنقلت الى
الفارسية فقليل «نبهرة» ثم عربت «بهرج» •
وقال الأزهري : وبهرج بهم اذا أخذ بهم فى غير المحجة •
والبهرج : التعويج من الاستواء الى غير الاستواء (1) •
وقال اللحيانى : يقال درهم مبهرج ، ونبهرج ، وبهرج وأنشد لبعض
الرجاز :

قالت سليمة قوله تحرجا
يا شيخ ، لا بد لنا أن نحججا
قد حج هذا العام من تحرجا
فابتغ لنا جمّال صدق فالنجّا
لا تعطه زيفّا ، ولا نبهرجا

(1) اللسان ب ه ج

وأنشد ابن الأعرابي :

ان هويّا قل ما تخرجنا
أعطاني الناقص والنهرجا

وقال أبو عمرو : درهم بهرج ، ودراهم بهرج قال : والبهرج :
المعدول به عن جهته • والبهرج الدرهم المضروب في غير دار السلطان (1)

وكان لا بد من الاختلاف حين تتباين وجهات النظر أو حين يبدق
الفارق ، وقد دفعهم الايغال في تنقية اللغة الى أن يقولوا في المعرب بشيء
يظنوننه • جاء في المعرب للجواليقي قول ابن دريد (فأما « الجريب » من
الارض فأحسبه معربا) (2) وتحسبها في اللسان عريية خالصة ، وفيه :
أقطع الوالى فلانا جريبا من الأرض أى مبزر جريب وهو مكيلة معروفة (3)

بل أشاروا الى كلمات ظاهرة العروبة فقالوا بأعجميتها • قالوا عن
« الخباء » من الشعر والصوف عن أبى هلال انه فارسي معرب ! وأصله
« بيان » بالباء الموحدة ثم بالياء المثناة التحتية أعرب ف قيل خباء (4) وأنا
لا أدري كيف ؟

على كل حال ، كان لهذا النشاط أثره في اثراء العربية ، وتزويدها
بما تحتاجه من ألفاظ ، واللغة كما قلنا لا بد أن تحيى متجددة مليية
لرغبات أهلها ،

ولم يكن المعرب مصدر خير كله ، فمنه ما دخل العربية على خلف

(1) المعرب للجواليقي 97 - 98

(2) المعرب للجواليقي 159

(3) اللسان ج ر ب

(4) المعرب 182

وببللة ، عربت كلمة الآجر عن الفارسية ، وأخذت أوزانا مختلفة منها :
آجرٌ بتشديد الراء ، وآجرٌ بثخيفها ، وآجورٌ ، وياجورٌ ،
وآجرُون . قال أبو دؤاد الايادي :

ولقد كان ذا كتائب خضر
وبلاط يشاد بالآجرون
بضم الجيم وكسرهما (1) وقال أبو كدراء العجلي :
بنى السعاة لنا مجدا ومكرمة
لا كالبناء من الآجر والطين
وقال ثعلبة بن صعير المازني :

تضحى اذا دق المطى كأنها
فدن ابن حية شاده بالآجر

وترك هذا الخلف أثره عند رجال الصرف . حكى عن الأصمعي
(آجرٌ) و (آجرٌ) والهمز في الآجر فاء الفعل كما كانت في
(أرَّجان) بدليل قولهم : الآجور فالآجور ك (العاقول) و (الحاطوم)
لانه ليس في الكلام شيء على أفْعُول فاذا ثبت أنها أصل فالهمزة في
آجرٌ هي هذه التي ثبت أنها أصل . ولو حقرت الآجرٌ كنت في حذف
أى الزيادتين شئت بالخيار ، فان حذفت الأولى قلت أجيرٌ ، ولا
يستقيم ان تعوض من الزيادة المحذوفة . وان حذفت الآخرة قلت
(أوْيجِرٌ) وان عوضت قلت أوْيجِرٌ (2) .

وكان لهذا النشاط ايضا هنات ، فكلما وجدوا مظنة العجمة

(1) المعرب للجواليقي 69

(2) المعرب للجواليقي 70

رجحوها أو قالوا بها . وحين تقرأ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة (1)،
للسيد آدى شير تستطيع أن تجد من الألفاظ المعربة والدخيلة ما يستوجب
حيرتك ، وتحمد الله أنه أشار بعلامة الى الألفاظ التي جاء بها هو والتي
لم يسبقه أحد اليها .

والرأى عندي أن ترفع هذه الأقواس التي وضعت لتحاصر الألفاظ
الدخيلة وتشير الى غربتها بعد أن فرضت نفسها بقوة الحاجة اليها ،
وأصبحت باستعمالها المطرد ، وبسهولة تدليلها على المدلول - عربية - لا
محل للتفريق بينها وبين اخوتها .

والاستاذ أنستاس مارى الكرملى يشير الى هذه الطبيعة القوية فى
لفظ دخيل حاول اللغويون خنقه فما استطاعوا الى ذلك سبيلا . قال :

(هذه كلمة باذنجان فليس فى العربى لفظة أفشى انتشارا ، ولا
أعرف منها ، وقد جاءتنا من جيراننا الفرس الأقدمين ، فحاول السلف مرارا .
خنقها ووأدها وهى فى مهدها فما زادوها الا تعميما وانتشارا وبثا بين كل
ناطق بالضاد وعوضا من أن يقضوا عليها القضاء المبرم زادوها حياة ونشاطا
وسريانا وانتشارا بين الناس - لا بل عمد بعضهم الى عمل فى منتهى
القسوة ، انهم لم يثبتوها فى معاجمهم ليلجئوا الجميع الى عدها من حوشى
اللفظ ، أو من العربى المستهجن ، ولهذا لا تجدها فى القاموس ، ولا فى
تاج العروس ، ولا فى المصباح ، ولا فى مختاره ولا فى أساس البلاغة ،
ولا فى كثير من كتب متون اللغة خوفا من أن ينبشها أحدهم ويعيدها الى
الوجود .

ومن الغريب أنهم لم يحتاطوا لأنفسهم كل الاحتياط لأنهم لما ذكروا

(1) الألفاظ الفارسية المعربة للسيد آدى شير ط بيروت سنة 1908

ما يقابلها فى العربية المبنية شرحوه بقولهم (الباذنجان) فجاء عملهم هذا
خداجا مضحكا والآن ، اذهب بنفسك الى العراق ، ومنه الى سورية ،
فلسطين ، فلبنان ، فديار وادى النيل ، فطرابلس ، فالسودان ، فليبيا ،
فالجزائر ، فالمغرب الاقصى فالى جميع الربوع التى ينطق أهلها بلسان معد
وعدنان فانك لا تسمع الا (الباذنجان) ولا يعرفون المغد ، ولا الوجد ،
ولا الجدق ، والحدق ، ولا الحيصل ، ولا الكهكب ، او الكهكم أو
القهب ، ولا الانب ، ولا الشرجبان ، ولا الاتفة ولا . ولا . ولا . ولا
سواها) (١) .

ولنا فى العرب القدامى اسوة فلم يكن الاعشى ، ولا طرفة ، ولا
حسان ، ولا عدى بن زيد يضع مثل هذه الألفاظ بين قوسين وانما جاءت
بها أشعارهم سهلة طيبة من غير كزازة ولا عنت .

(١) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها 88 - 89 | للاب انستاس مارى
الكرملى ط مصر سنة 1938

البَابُ الْخَامِسُ

جَمْعُ اللَّغَةِ

الفصل الأول

دواعي التعريف بالمفردات وبداية المعجم

دواعي التعريف بالمفردات

جمع الألفاظ ، لازالة غموضها ، وتوضيح معناها ، يحصل فى كل لغة يتسع مجالها الزمانى والمكانى ، أى حين يمتد بها الأجل ، وترحب بها الارض ، والمسافر من الاسكندرية مثلا فى طريقه الى أسوان قد يسمع عدة ألفاظ لمداول قد يفهمه لسبق المعرفة ، وقد يسأل عنه بديا ، فاذا كان ذلك كذلك بالنسبة لمجتمع مترابط فان سعته والعناية به فى مجتمع أقل ترابطا فرض قريب •

ولقد وصل الينا بعض ما صدر عن هذا الأصل فيما يحكى أن قريشا قد استصفت لغة القبائل ، أى تخيرت ذلك القدر المشترك من الألفاظ التى كانت تجرى على السنة الحجيح ، فتصيب دلالتها من غير مشقة — ومع مجيئ كلمة « سكين » مثلا فى لغة قريش ، ومجيئها فى القرآن الكريم فاننا نجد رجلا كأبى هريرة لا يعرف كلمة السكين ، فلقد

سقطت من يد النبي صلى الله عليه وسلم ، فطلب أن يناوله اياها فنظر أبو هريرة اليها ، وبحث حولها ، ثم نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ألمدية تريد ؟ فالسكين في القرشية التي استصفت لغة القبائل غير معروفة في قبيلة الأزد كما ترى • (1)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوما لأبي تيممة (واياك والمخيلة) فقال : يا رسول الله ، نحن قوم عرب ، فما المخيلة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبل الازار) (2) ،

وأبو بكر يقف عند قوله تعالى (وكان الله على كل شيء مقبلاً) ، وعمر يسمع قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فيقول : هذه هي الفاكهة فما الأب ؟ أو يسأل في كلمة « التخوف » من قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) وابن عباس الذي كان يسمى البحر لسعة علمه يقول : ما كنت أعلم ما فاطر السموات والأرض حتى جاءني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي بدأت حفرها الى غير ذلك •

لو أننا دوننا هذه المفردات وأمثالها لكان لدينا أول معجم في الاسلام ولكن كان الناس يجدون بغيتهم فيما يستفسرون عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة الأول رضوان الله عليهم ، وكان مدار البحث في أغلب الأحيان ألفاظا تأتي في سياق العبادات ، وكان التفسير بالمأثور يفي بهذا الوجه •

الغريب والنوادر

ولم يطل الوقت حتى دعت الدواعي الى التعرف على الغريبة من

(1) انظر اللسان س كن

(2) الكامل للمبرد 2: 673 ط الحلبي - جاء في الحديث (فضل الازار في النار) وكان الرجل يمشى وقد افضل من ازاره ، وتمشى المرأة وقد افضلت من ذيلها

خلال آثارها - ولهذا حديث طويل - وبدأنا نسمع عن كلمة الغريب حين جلس علماء العربية يبينون ما استتر من غريبها ، ولدينا في عصر مبكر مجالس لابن عباس تظهر فيها كلمة الغريب - لأول مرة فيما يبدو - وتعنى الغامض من الكلام يقول لأصحابه : اذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب (1) كما كان له مجلس يجب فيه عن العربية ، والشعر ، والغريب من الكلام (2) .

وعلى أثر ابن عباس جاء يحيى بن يعمر ، وهو رجل من القراء ، ومن أهل البصرة ، ومن رواة ابن عباس ، واشتهر أمره بالغريب (3) ويقول ابن أسحق موجه حديثه لابن سيرين « وانما نفتى فيما استتر من معانى الشعر وأشكل من غريبه (4) » .

من هذه النثف من سير قدامى العلماء يمكن تتبع مولد المعجم العربى ، والذي يتمثل فى توضيح الغامض أو المبهم من الألفاظ التى وردت فى النصوص العربية وسمى هذا العمل ابتداء « التأليف فى الغريب » .

كتب فى غريب القرآن أبو عبيدة ، ومؤرج السدوسى ، وأبو محمد اليزيدى . وألف فى غريب الحديث : أبو عبيدة ، والنضر بن شميل ، وقطرب ، وأبو زيد سعيد بن اوس الانصارى ووصف بعض هذه الكتب مجلد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى فى مقدمة كتابه « النهاية فى غريب الحديث والاثار » وقال يصف

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى 1 : 24

(2) حلية الاولياء 1 : 107

(3) طبقات الزبيدى 22 - 23 .

(4) انباه الرواة 2 : 107

كتاب أبي عبيدة » كان كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتابا فى غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ، وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه « (1)

ثم بدا لهذا الجيل من العلماء أن يتناول نفس النهج فى ما وراء القرآن والحديث من نصوص عربية فألف أبو زيد كتابا فى غريب الاسماء (2) وللأصمعى (غريب الحديث والكلام الوحشى) ونحن نرجح أن الحديث هنا هو حديث الأعراب وكان للأصمعى نشاط جم فى جمع الغريب من أفواه الأعراب فى المربد والبادية .

والأمر فى النوارد لا يبعد عن هذا النهج كثيرا فهو ذكر للفرائد التى تحتاج الى فضل بيان تأتى أحيانا فى صورة ألفاظ مفردة ، أو تراكيب ، أو لهجات ، أو صيغ (3) .

والتأليف فى الغريب والنوارد لا يحكمه تنظيم خاص مقيد ، وما قد يكون غريبا عند رجل قد لا يكون غريبا عند آخر ، وقد يكتب فيه مؤلفه اذا جاءت مناسبة فيقيده لنفسه ، أو يمليه على طلابه ، ومثل هذه الجهود اذا لم تنظم فانها لا تفيد الباحث فى اللغة الا بمعاناة وبحث شديدين ، فبدأوا كتابة المجاميع .

جمع اللغة فى وحدات متجانسة

أخذ طلاب العربية على شيوخهم فى مجالسهم ، وتزودوا من

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثر 4 ط العثمانية سنة 1311 هـ

(2) الفهرست 81 ط الرحمانية

(3) انظر (رواية اللغة) للمؤلف ص 93 وما بعدها

الاعراب الوافدين ثم التقوا بهم فى المربد ، ثم رأوا تمامهم فى مشافهة
الاعراب فى البادية ، فرحل اليها من رحل ، وهناك تعرفوا على الألفاظ
أمام مدلولاتها ، وثقفوا العبارات ، والمسميات على النحو الذى فصلنا فيه
القول من قبل ، وجمعوا من وراء ذلك معرفة غزيرة كانوا يعبرون عنها
بعبارات تنبىء عن جهد شديد ، وعناية بالغة .

لقد أمضى النضر بن شميل أربعين عاما فى البادية (1) وذهب
الكسائى يجمع من بوادى الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج ورجع وقد أنفذ
خمس عشرة قينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ (2) وعبر
ثعلب عن معاناة أبى عمرو الشيبانى فقال : « كان مع أبى عمرو من العلم
والسمع عنده أضعاف ما كان مع أبى عبيدة ، ولم يكن من أهل البصرة
مثل أبى عبيدة فى السماع والعلم » ثم قال « دخل البادية ومعه دستيجان
حبرا فما خرج حتى أفناهما يكتب سماعه عن العرب » (3) .

عاد الرواة وفى صدورهم وأوراقهم علم غزير ودوا لو يقيّدونه حفاظا
عليه بطريقة تسمح بالنظر فيه ، والاتّفاع به من غير إرهاق . فأعدوا لذلك
كراسات تتضمن مجاميع بحسب الموضوعات : فى خلق الانسان ، وصفة
الخيّل ، والابل ، والوحوش ، والمطر ، والمياه ، والجبال ، والدارات الى
غير ذلك .

ومنهم من جمع فى كتاب واحد أكثر من موضوع يحاول بذلك
حصر ما يستطيع من ألفاظ العربية ، وأطلق على هذا النوع اسم (كتب

(1) نزهة الالباء 111

(2) انباء الرواة 2: 258 ، معجم الادباء 13: 169

(3) انباء الرواة 1: 221 ، 224

الصفات) ومن الذين كتبوا فى الصفات أبو خيرة الأعرابى ، والنضر بن شميل ، وأبو على محمد بن المستنير قطرب وجاء وصف كتاب النضر فى فهرست ابن النديم كما يلى :

(كتاب الصفات ، وهو كتاب كبير يحتوى على عدة كتب :
الجزء الاول : يحتوى على خلق الانسان ، والجود والكرم ، وصفات النساء .

الجزء الثانى : يحتوى على الأخبية ، والبيوت ، وصفة الجبال والشعاب والامتعة .

الجزء الثالث : للابل فقط .

الجزء الرابع : يحتوى على الغنم ، والطيور ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والألبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ، والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر .

الجزء الخامس : يحتوى على الزرع ، والكرم ، والعنب . وأسماء البقول ، والأشجار ، والسحاب ، والأمطار (1) .

ولم يتوقف هذا الضرب من التأليف ، وان أخذ يتطور بمرور الأيام فكان بعض الرواة يجمعون المفردات بحسب الموضوعات تحت اسم (الصفات) أو اسم (الغريب المصنف) وكان أشهرها كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام . (2)

وفى الوقت المبكر الذى كان يجرى فيه هذا الجمع بحسب الموضوعات ، على أيدي أوائل الرواة - كان الخليل بن أحمد يحاول حصر كلمات العربية ، على جهة الاستقصاء وعلى الوجه الذى ظهرت به فى كتاب العين .

(1) الفهرست 77 ط الرحمانية

(2) وتبعه كتاب مبادئ اللغة للاسكافى ، والمخصص لابن سيده

الفصل الثاني

المعاجم

كتاب العين

هذه - فيما يحدثنا التأريخ اللغوى - أول محاولة لجمع مفردات العربية على جهة الاستقصاء كما أرادها الخليل بن أحمد ، وكما ظهرت فى كتاب العين ، وقبل أن نصف الكتاب ، وقبل أن نستبين خطة الخليل فيه ، وقبل أن ندخل فى الخلف الشديد الذى دخل فيه العلماء حول نسبة الكتاب أهو للخليل أم لليث بن المظفر دعنا نستمع الى ملاحظ الخليل التى تنبئك عن شدة الفه بالعربية ، ومعرفته العميقة بخصائصها ، وتنبئك أيضا عن هذه العقلية التى بدأت كتاب العين على نهج رياض رتيب •

كان الخليل فيما تتصوره ، يجمع أمامه أسئلة ، أو يتمثل بعض العقبات ، ويضع حلولها واحدة فى اثر واحدة •

- كيف يحصر الألفاظ ؟

- كيف ينتقى ما استعملته العرب ، ويترك ما أهملته ؟

— كيف يتعرف على العربى الأصيل ، وما هى علامات الدخيل ؟

— كيف يبدأ ؟

كان يحدث الليث بن المظفر فى مثل هذا ، فقال له يوما :
« لو أن انسانا قصد وألف حروف ألف ، وباء ، وتاء ، وثاء على ما
أمثله لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب وتهيا له أصل لا يخرج منه
شيء البتة قال الليث : وكيف يكون ذلك ؟

قال : يؤلفه على الثنائى ، والثلاثى ، والرباعى ، والخماسى فانه
ليس يعرف فى كلام العرب أكثر منه •

قال الليث : فجعلت استفههم ، ويصف لى ، ولا أقف على ما يصف ،
فاختلفت اليه فى هذا المعنى أياما ، ثم اغتلت وحججت ، فما زلت مشفقا
عليه ، وخشيت أن يموت فى علته فيبطل ما كان يشرحه لى ، فرجعت من
الحج ، وصرت اليه ، فاذا هو قد ألف الحروف كلها على ما فى صدر هذا
الكتاب ، فكان يملئ على ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لى : سل عنه ،
فاذا صح فائنته الى أن عملت الكتاب (1) •

وترتيب المجموعات — وهو ترتيب الأبواب أيضا عند الخليل ثنائى ،
وثلاثى ، كما جعل الرباعى والخماسى فى باب واحد • والثنائى عنده كل
ما تكون من حرفين ولو تكرر أحدهما مضعفا أو غير مضعف ، ولا يأتى
الثنائى عنده من حروف متحدة المخرج أو متقاربتة الا أن يشتق فعل من
جمع بين كلمتين مثل حيعل من (حى على) ، ولهذا لم يأت الثنائى فى باب
العين مع الحاء ، والهاء ، والخاء ، والغين ، بل لم تأت العين والحاء مع شيء
من الحروف فى الثلاثى (2) •

(1) الفهرست 64 ط الرحمانية ، معجم الادباء 7 : 51 - 52

(2) كتاب العين 1 : 55

والثلاثى عنده نوعان صحيح ، ومعتل سواء كان حرف العلة فى الاول أو فى الوسط أو فى الآخر ، ويضم هذا الباب أكثر ألفاظ العربية ، وقد رتبته مع تقاليبه بحيث يأتى كل حرف مضافا اليه الحرفان الآخران فينتج عن ذلك ستة أصول يختار منها ما استعمله العرب ففى ض ر ب يتفرع هذا الأصل الى :

ض • ر • ب / ض • ب • ر / ر • ب • ض / ض • ر • ب / ب • ر • ض •
 ر / ب • ر • ب • ض ثم جعل الرباعى والخماسى فى تقسيم واحد يدل على الكلمة فيه الحرف الاسبق فى تقسيم الخليل فجعفر فى باب الرباعى والخماسى من حرف العين ، وسفرجل فى باب الرباعى والخماسى من حرف الجيم •

قال الخليل : وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف فى فعل واسم فاعلم أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة مثل « قرعلانة » انما أصل بنائها « قرعل » ومثل « عنكبوت » انما أصل بنائها « عنكب » (1) •

ولكن كيف ينتقى العربى من هذا الرباعى والخماسى وهو لا يجرى على الالسن ويدور فى الأفواه دوران الثلاثى ؟

للخليل فى ذلك أمارات يعرف بها اللفظ العربى الأصيل كما يعرف اللفظ الأجنبى الدخيل ، وهو يحكى ذلك أيضا لتلميذه الليث حتى يكون على بينة مما يضع ومما يدع بعد أن لاحظ أن الرباعى والخماسى لا يأتیان الا معتمدين على حرف أو أكثر من حروف الذلاقة أو حرفى الطلاقة ويقول :

(1) العين 1 : 55

« اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهى ر • ل • ن • ف •
ب • م • واما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة فى المنطق انما هى
بطرف أسلة اللسان والشفيتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة ، منها
ثلاثة ذليقة ر • ل • ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة
شفوية ف • ب • م مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان فى
شئ من الحروف الصراح الا فى هذه الأحرف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق
طرف اللسان الا بالراء واللام والنون ، وأما سائر الحروف فانها ارتفعت
فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج الناء الى
مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان ليس للسان فيهن عمل أكثر
من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء ،
واللام ، والنون •••••

فلما ذلقت الحروف الستة ، ومذل بهن اللسان ، وسهات عليه فى
المنطق كثرت فى أبنية الكلام فليس شئ من بناء الخماسى التام يعرى
منها أو من بعضها (1) ثم ينبه الليث : « فاذا وردت عليك كلمة رباعية أو
خماسية معرفة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون فى تلك الكلمة من
هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذاك فاعلم ان تلك الكلمة
محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب »

قال ليث : فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشئ
من هذه الحروف ؟

قال : نحو الكشعشج ، والخضعشج ، والكشعطج وأشباههن فهذه مولدات
لا تجوز فى كلام العرب لأنه ليس فيهن شئ من حروف الذلق والشفوية .

(1) العين 58

ومن وراء هذه الحروف الستة يوجد حرفان أطلق عليهما اسم حرفي
الطلاقة وهما العين والقاف لا يدخلان في بناء الا حسنا - كما يقول
الخليل - فمهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من الحروف الذلق
والشفوية فانه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة او كليهما ، ومن السين
والبدال أو احداها (1) .

ولم تكن قضية البدء مسألة سهلة ، لا سيما وقد ترك الخليل ترتيب
الأبجدية العادية : ا ب ت ث ، وانما رتب الحروف بحسب مخارجها ، وعلى
توالي صدورها من الحلق الا من منحنيات بسيطة لا تسمح بالتسلسل
الدقيق ، واذا وضعت الترتيب الصوتي عند الخليل بجانب ترتيب سيبويه
خيل اليك ان الرجلين يختلفان فترتيب الخليل كما ورد في كتاب العين
يجرى على الوجه الآتي :

ع . ح . ه . خ . غ	حلقية
ق . ك	لهوية
ج . ش . ض	شجرية
ص . س . ز	أسلية
ط . د . ت	نطمية
ظ . ث . ذ	لثوية
ر . ل . ن . ف . ب . م	ذلقية
و . ا . ي	هوائية

ثم وضع الهمزة في آخر الحروف .
وحين رتب سيبويه الحروف بحسب مخارجها جعل لها ستة عشر
مخرجا . فللحلق منها ثلاثة

(1) العين 1 : 60

- فأقصاها مخرجا الهنزة ، والهاء ، والالف
- ومن أوسط الحلق مخرج الغين والخاء
- وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء
- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف •
- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف •
- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم ، والشين والياء •
- ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد •
- ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فوق الضاحك والناب والرابعة والثنية مخرج السلام •
- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون •
- ومن مخرج النون غير انه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء •
- وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء ، والذال ، والتاء •
- ومما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج الزاى والسين والصاد •
- ومما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الظاء ، والذال ، والثاء •
- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء •
- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو •
- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة (1) •

(1) الكتاب لسيبويه 2 : 405

واو اتفق مقصد الرجلين لما اختلف الترتيب ، فقد كان الخليل يبحث عن طريقة منطقية لترتيب أبواب كتاب العين تتفق أيضا وتواليها على الأحياز الصوتية ، ولما كانت أقصى المخارج كما يقول سيبويه هي للهمزة والهاء والألف فإن الخليل كان يدرك ذلك أيضا ولكنه وجدها غير صالحة لغرضه كما يحكى محمد بن احمد بن كيسان فيقول :

« سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل الا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت الى الحيز الثانى وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن فى التأليف وليس العلم بتقديم شيء على شيء لانه كله مما يحتاج الى معرفته فبأى بدأت كان حسنا ، وأولاهما بالتقديم أكثرها تصرفا » (1) •

أما ما بقى من خلاف بين الخليل وسيبويه فإن الأول يحتاج فى تبويبه الى توالى الحروف بينما يصفها سيبويه كما هي وبعضها لا يلى البعض وإنما قد يوازيه أو يخرج من فوقه أو من تحته •

كيف تلقى العلماء كتاب العين

كانت طريقة ظهور الكتاب من أسباب ارتياب العلماء فى نسبه للخليل ، ذلك أنه لم يظهر فى حياته ، ولا فى البصرة بلدته ، ولا حمله عنه أحد تلامذته الملازمين له كالنضر بن شميل ، أو مؤرج بن عمر السدوسى ،

(1) المزهر 1: 90 | ط الحلبي

أو نصر بن علي الجهضمي ، وإنما جاء به إلى البصرة وراق من خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا ، وقيل آنذاك أنه كان في خوائن الطاهريين (1) .

وانقسم الناس في أمره بين من ينكر نسبه للخليل ، وبين من ينسبه إليه ، وبين من ينسب إليه الإيماة والفكرة والتوجيه ويترك لليث بن المظفر تحشية الكتاب ، وإذا سمعت رأى كل فريق وجدت له وجها ، وقد ظلت هذه الآراء على خلفها حتى يومنا هذا ، ولو أن هذه العناية وجهت إلى مادة الكتاب بقدر ما وجهت إلى تحقيق شخص واضعه لكان للعلم من وراء ذلك غنم كبير .

كان أبو حاتم السجستاني يوم ورود الكتاب صاحب اللغة في البصرة ، وعلى رأس علمائها فأنكره لأول وهلة لأنه لم يسمع به للخليل ، ولم يحمل عن رجل من تلامذته ، والذين نظروا في الكتاب وجدوا فيه بعض ما ينتزه الخليل عنه ، وجدوا هنات لغوية لا تصدر احتمالا عن الخليل ، ووجدوا روايات عن الكوفيين ولم يكن الخليل يروى عن الكوفيين . فقويت حملة الشك حتى نسب هذا الشك إلى من لم ير الكتاب حياته ، ولا أدري كيف أنكر شيئا لم يره . يحكى ياقوت : حدث الحاكم أبو عبد الله بن البيع في كتاب نيسابور عن العباس بن مصعب قال : سئل النضر ابن شميل عن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل بن أحمد ، ويقال له كتاب العين فأنكره ، فقيل له : لعله ألفه بعدك فقال : أو خرجت من البصرة حتى

(1) الفهرست 64 ط الرحمانية

دفنت الخليل بن أحمد (1) ونحن نتساءل متى كانت هذه المحادثة ولم يظهر الكتاب الا فى سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكان النضر قد مات منذ سنة ثلاث ومائتين •

ولكن فئة كبيرة من العلماء — لعلها الغالبية — كانت تدرك أن كتابا كهذا يقبل فى خلال مواده روايات من البصرة والكوفة ، ومن زملاء الخليل ومن تلامذته أيضا فلا يغير ذلك من نسبة الكتاب لل خليل — كان ابن دريد — وهو رجل له رأى فى هذا اللون من التصنيف — وصاحب (الجمهرة فى اللغة) المعجم الثانى فى العريضة ينسب الكتاب لل خليل ، ويقول فى مقدمة الجمهرة :

« وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنّى من سما الى نهايته » (2) •

وكان تفتويه ، وابن درستويه يريان الكتاب لل خليل ، فعمل الأول كتابا رد فيه على ملاحظ المفضل بن سلمة — وعمل ابن درستويه فى هذا الوجه كتابين أحدهما رد على المفضل بن سلمة ، والثانى جعله عاما للرد على من نفى كتاب العين عن الخليل (3) •

وكان أحمد بن فارس ينسب الكتاب لل خليل ويصرح بذلك فى

(1) معجم الادباء 51 : 17

(2) الجمهرة فى اللغة 3 : 1 ط حيدر آباد

(3) الفهرست 94 ط الرحمانية

مقدمة كتاب المقاييس قائلا « أما كتاب العين للخليل بن احمد فقد حدثني به على بن ابراهيم القطان » واعترف أبو الأزهر البخاري في كتابه (الحصائل) وقصد فيه تحصيل ما أغفله الخليل (1) •

وكذلك ألف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكرمانى النحوى كتاب ما أغفله الخليل فى كتاب العين • وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل ، وما هو مستعمل وقد أهمل (2) •

أما السيرافى ، وأبو الطيب اللغوى ، وابن جنى فيتفقون — وإن اختلفت عباراتهم — على أن الخليل بدأه ولم يتمه • يقول السيرافى « ان الخليل عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهيا ضبط اللغة » (3) •

ويقول أبو الطيب : « ان الخليل بدأ كتاب العين فى حياته ، ولكنه مات قبل أن يتمه وقد نصب تلميذه الليث نفسه لاداء هذه المهمة فأتم بقية الكتاب ولهذا نجد ان الكتاب لا يشبه أوله آخره » •

اما الأزهرى فكان يعيب الليث من خلال كتاب العين ، واذا قرأت الخبرين المنسوين للأزهرى فى مقدمة التهذيب لم تقطع بنفى الكتاب عن الخليل ، وأول الخبرين حين ذكر مصادر كتابه وتناول الثقات من العلماء أولا ، ومن هم دون الثقات بعد ذلك فقال :

(واذا فرغنا من ذكر الاثبات المتقنين ، والثقات المبرزين من اللغويين

(1) انباه الرواة 1: 113

(2) الفهرست 117

(3) اخبار النحويين البصريين للسيرافى 30

فلنذكر بعقب ذلك أقواما اتسموا بسمّة المعرفة وعلم اللغة وألفوا كتباً
أودعوها الصحيح والسقيم وحشوها بالمزال المفسد ، والمصحف المغير ...
فمن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد كتاب العين
جملة لينفقه باسمه (1) ثم قال :

(..... ولم أر خلافا بين اللغويين ان التأسيس المجمل فى أول كتاب
العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وان ابن المظفر أكمل الكتاب
عليه بعد تلقفه إياه عن فيه ، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه
ورسمه (2) والخبران يستهدفان الليث - لا الكتاب ولا الخليل ، وإذا
كانت بداية الكتاب ، ومنهجه للخليل ، وأكملة الليث بعد تلقفه إياه عن
فيه فالكتاب - فيما نعتقد - كتاب الخليل . أما العبارة التى قال فيها
الازهرى ان الليث عدل كتاب العين ونحله الخليل لينفق باسمه فقد
ناقشها الاستاذ يوسف العش وقال : « الكتاب ابداع فنى يتمنى كل
انسان ان ينسب اليه » (3) .

وفى العصر الحديث ، كان الاب انستاس مارى الكرملى ممن يرى
الكتاب لليث بن المظفر ، جاء ذلك فى خبرين أولهما فى الجزء الثانى من
المجلد الرابع من مجلة لغة العرب قال فيه « أما رأينا الخاص فان مدون

(1) التهذيب للازهرى 1 : 28 دار القومية العربية للطباعة 1384 هـ -
1964 م

(2) التهذيب 1 : 41

(3) مقال فى مجلة المجمع العلمى بدمشق المجلد 16 العدد التاسع
1946 ص 424

العين هو الليث « (1) •

والخبر الثاني فى العدد السابع والثلاثين من مجلة الثقافة قصر فيه دور الخليل على مجرد الفكرة وقال « كان السلف الصالح أول من نظم فرائد المفردات على النحو الذى فكر فيه الخليل فأخرجه الى بصراء القوم وحذاقهم الليث » وكتب المستشرق براونليخ بحثا بعث به الى الأب الكرملى رأى فيه ان مؤلف كتاب العين هو الليث فصادف ذلك اتفاق الرجلين — وكان تعليق الكرملى عليه قوله :

« وهذا ما كنا قد استنتجناه نحن أيضا فى الجزء الثانى من المجلد الرابع من لغة العرب وهذا الجزء الذى لم ندخله فى السنة الرابعة الذى ابتدأنا بها بعد الحرب وكنا قد قلنا فى الصفحة المذكورة (أما رأينا الخاص فهو ان مدون العين هو الليث) » •

والآراء التى مرت بك — وان وجدت لها وجهها — فانها ليست فوق الشبهات ، فأبر حاتم السجستاني عالم البصرة حين ظهر الكتاب بها شديد الحرج والتأثم كأنه هو نفسه يرتكب جريمة الانتحال لو أنه قال بنسبة الكتاب لل خليل ، فيأخذ جانب السلامة ، ولا يكلف نفسه مشقة البحث ، ولا صبر له على الغوص فى اكتناه ما بدا له زائفا ، ويكفى لرفضه عنده انه لم يسمع به لل خليل ، ولا لأحد من تلامذته • وقديما وقف مثل هذا الموقف بالنسبة لكتاب جليل هو كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة ، فقد رفضه لأول وهلة ، وحمل لواء العداء لصاحبه لأنه فسر القرآن برأيه ، وكفر من يتناول الكتاب ، وأجاب حين سئل عنه :

« انه لكتاب ما يحل لأحد أن يكتبه ، وما كان شئ أشد على من

(1) | لغة العرب السنة الثامنة 9 : 711

أن أقرأه قبل اليوم ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون على من أن أقرأه»
فلما أخذ الكتاب مكانه في البصرة واضطر أبو حاتم إلى قراءته صار يقرأه
وهو يحاول تلمس سقطه ، وكان يلتقي بأحمد بن المعذل فيقول كل منهما
لصاحبه « وقفنى على خطأ أبى عبيدة » (1) •

والأزهري لا يصدر في رأيه عن حيدة علمية ، ولكنه أراد الإشادة
بنفسه وبكتابه التهذيب الذي اختار له هذا الاسم يعنى به تهذيب كتاب
العين ، ومن طريقته في هذا أن يقلل من شأن المؤلفين ومؤلفاتهم ، فلما لم
يستطع ذلك بالنسبة للخليل هاجم الليث ، وتخطب في نسبة الكتاب •

ولقد استبقيت لك رأى ثعلب ، ورأى أبى الفتح عثمان بن جنى
فهما وإن لم يتفقا مضمونا إلا أن الرجلين قد تناولا الكتاب في أنساة
وصبر يقول ثعلب :

« إنما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو
أن الخليل هو حشاه ما بقى فيه شيئا لأن الخليل رجل لم ير مثله » قال
وقد حشا الكتاب قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ عنهم رواية ، وإنما وجد بنقل
الوراقين فلذلك اختل الكتاب » (2) •

وفي هذه الكلمات تتحقق النصفة للخليل ففى مجموع الكتاب اذا
تعذر أن يكون ذلك فى جميعه ، فلقد فكر فى نهجه ، وفى خطته ، وتبوييه ،
وطريقة حصر العربية ، وكيفية النظر الى الدخيل والمهمل منها ، وأفضى
بذلك الى الليث ، وعاد الليث من الحج فوجد استاذاه قد فرغ من ذلك •

(1) طبقات الزبيدي 194

(2) المزهري 1 : 82

فرغ من مجموع الكتاب لا من جميعه ، وبقيت انفجوات التي تكون عادة في مثل هذا النوع من التأليف ، وهذه تشذ عن ادراك ، وعلم وسمع الخليل وغير الخليل ، فلم تخلص العريضة بقضها وقضيضها لأي انسان ، ولا يستطيع فرد مهما أوتى من سعة الحفظ أن يحيط بأطرافها ، ولذلك ، كان الخليل يتوقف في كلمات لا يدري وجهها الصحيح كقواه في مادة ذ ع ق .

« الذعاق بمنزلة الزعاق – سمعناه فلا ندري ألغة هي أم لثغة » (1) وبهذه المقدرة التي يمكن أن تحيط بشيء ، وتلمس بقيته في سماع أو سؤال ، أخذ في وضع الكتاب فكان كما يحكى الليث بعد أن رجع من الحج وصار اليه – أي الى الخليل (قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب فكان يملأ على ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سل عنه فاذا صح فاثبتته الى أن عملت الكتاب) (2) .

في الكتاب اذن ، أمكنة للعلماء ، والاعراب ، وكل من له معرفة موثقة بالعربية ، بقيت هذه الأمكنة تنتظر من يملؤها في حياة الخليل نفسه حين كان الليث يذهب في الطلب ، يسأل الأعراب وغير الأعراب ثم يعود فيعرض ما سمع على مسامع الخليل فيرجحها حيناً فيثبتها في مكانها من الكتاب ، ويشك فيها حيناً فيستبقيها الليث الى أن يسكن عند رأي ، أو يذكرها محاطة بشكوكها – ترى ذلك فيما يحكيه الليث بين السطور ، وفيه ما يعرفه الخليل ، وفيه أيضاً ما لا يعرفه الخليل .

يقول في مادة ن ق ع (النقع : الغبار ، قال الشويعر واسمه عبيد العزى :

(1) العين 168

(2) الفهرست 64 ط الرحمانية

فهن بهم ضوامر فى عجاج
يثرن النقع أمثال السراحي

قال الليث : قلت للخليل ما السراحي ؟

قال : أراد الذئاب ، ولكنه حذف من السرحان الألف والنون فجعله
على سراحي ، والعرب تقول ذلك كثيرا كما قال :

درس المنا بمنالغ فأبان

أراد المنازل نحذف الزاى واللام) •

فأنت ترى فى هذه الفقرة أنه استفسر الخليل ووجد عنده بغيته •

وفى مرة أخرى — يعود — ويسأل الخليل فلا يعرف الخليل ما جاء
به الليث ، ويظل ذلك عالقا فى ذهن الليث حتى ترجع الكلمة برواية أحد
الأعراب الرواة فيثبتها حينئذ ، ويثبت الى جانبها هذه المحاولات أيضا •

يقول : قلت للخليل ما تقول فى المخلع ؟

قال : المخلع من العروض ضرب من البسيط والخليع من
أسماء الغول ، قال عرام : هى الخلوع لأنها تخلع قلوب الناس ، ولم يعرف
الخليع (1) يقصد : ولم يعرف الخليل الخليع ، والعبارة الأخيرة وردت
بهذا التفصيل فى نسخة بغداد ، فأين الخليل ، وأين عرام ؟

الخليل عالم مستقر فى البصرة •

وعرام أعرابى لا نسمع عنه فى البصرة ولكنه أعرابى من الأعراب
الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر الى نيسابور (2) وكتاب العين ماىء
برواياتهم التى تفسرها بأن الكتاب قد حمله الليث فور وفاة الخليل فأكسله

(1) العين 138

(2) معجم الادباء 3 : 17 ترجمة احمد بن ابي خالد

من أفواه الرواة في شرق العراق •

وهذا تفسير لما تجده من اضطراب حين تنظر الى رجال السند في كتاب العين فتجد من الرواة العلماء رجالا عاصروا الخليل ، ومنهم من تلسد له كالاصمعي ، وأبي عبيدة ، وسيبويه ... وآخرون تأخروا عنه ، وبعضهم لم يكن له ذكر في البصرة كابن الاعرابي الكوفي ، وأبي عبيدة الكوفي البغدادي ، وأحمد بن أبي خالد المعروف بأبي سعيد الضرير البغدادي أولا النيسابوري أخيرا ، كما تجد أيضا عبارة : وقال غير الخليل •

وعلى ذكر الاعراب الرواة تجد في الكتاب روايات لأعراب نعرفهم في البصرة كأبي الدقيش وأبي خيرة وغيرهم ممن عاصر الخليل وعاش بقربه في بلدته ، ولكنك تجد أيضا من الأعراب الرواة من لم تسمع به في البصرة كعرام هذا ، وزائدة ، ومبتكر ، وحماس ، وأبي ليلى وغيرهم ولا أدري إذا كان الليث قد سألهم وحشا الكتاب من رواياتهم ، أم كان ذلك بفعل الوراقين كما يقول ثعلب •

ومات الليث ، وبقي في الكتاب أمكنة تحتاج من يحشيها — أو على الأقل تقبل التحشية في ثنايا المواد ، فتم ذلك كما يقول ثعلب وكما نرجحه أيضا — بفعل الوراقين •

كان من عمل الوراقين بصفة عامة أن يكتبوا عدة نسخ من الكتاب الذي تتضح أهميته — وقد وجدت عدة نسخ من كتاب العين كانت في حوزة الازهرى صاحب التهذيب كما يحكى ذلك في مقدمته ، وكان من عمل الوراقين أن يضخموا الكتاب فيتضخم رزقهم أيضا — وبعضهم قد أصبح لممارسة هذه الصناعة على علم بموضوعها فتأتى الزيادة التي يكتبها

صحيحة أحيانا ، كما قد تأتي خاطئة أحيانا • وهذا شأن كل كتاب تختلف روايته عن الطريقة التي كانت متبعة في عصر جسد اللغة وهي رواية التلاميذ له عن استاذهم مما يتحقق معه الاسناد الصحيح الموثق •

ولابن جنى عبارتان تختلفان بحسب مزاجه • ولكنهما يدلان قطعاً على عناية الرجل بالكتاب • وابن جنى على رأس علماء العربية جميعاً بلا منازع • وهو لذلك ينظر الى رأيه في المسائل العلمية بتقدير شديد • لرجل كما قلنا نظرتان : الاولى حين ينظر الى الكتاب بعين السخط • وتتضح أمامه الهنات ، وحينئذ يطعن عليه كما يطعن الناس • ويقول :

« وأما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع التخليط فضلاً عن نفسه ، ولا محالة ان هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره - رحمه الله - وان كان للتخليط فيه عمل فانما هو أنه أوما الى عمل هذا الكتاب ايماء • ولم ياله بنفسه • ولا قرره ولا حرره » •

فاذا اطمأنت نفسه ، هفت الى هذا الابداع الذي لا يستطيعه غير الخليل بن احمد ، فينظر الى الكتاب بعين الرضى ويجد فيه كما يحكى « معاني غامضة ، ونزوات للفكر لطيفة ، وصنعة فسي بعض الأحوال مستحكمة » ثم يقول « وذاكرت به يوماً ابا عالى - رحمه الله - فرأيت منكراته ، فقلت له : ان تصنيفه منساق متوجه ، وليس فيه التعسف الذي فى كتاب الجمهرة » فقال : الآن اذا صنف انسان لغة بالتركية تصنيفاً جيداً أيؤخذ به فى العربية ، أو كلاماً هذا نحوه (1) •

(1) الخصائص 3 : 288 ط دار الكتب

فاجتمع على كتاب العين حظ عاثر . وتحريض متحامل من أبى على
الفارسي ، ولولا هذا فيما نعتقد لاتنفع الناس بنظرات ابن جنس في
الكتاب .

الاثار الفكرية حول كتاب العين

هذا السبق العقلي ، والابداع الفكري الذي تجلى في منهج العين
وترتيبه يعزوه بعض العلماء الى تأثر البصرة بالثقافات الهلينية ، والهندية ،
والكلدانية التي وجدت سبيلها الى البصرة قبل الفتح الاسلامي ، فالاستاذ
برجستراسر يشير الى الهنود ، والعرب على انهم أقدم من تحدث في
الدراسات الصوتية (1) عنى بها علماء الهنود كجزء من عنايتهم بكتابهم
المقدس ، وافترض انتقالها الى البصرة بعد ذلك ، وتأثر علماء المسلمين بها
في دراستهم اللغوية فرض قريب .

ويذهب ابن أبى أصيبعة الى وجود صداقة علمية بين حنين بن اسحق .
والخليل بن أحمد (2) فبنى عليها الدكتور ابراهيم بيومي مذكور افتراضا
يوضحه بقوله :

« ومن اليسير أن تتصور أنه قد تبادل مع الخليل بعض القواعد
النحوية خصوصا وهو يعزى اليه أنه ترجم بعض كتب الأجرومية
اليونانية ، وأتم مع ابنه اسحق البقية الباقية من كتب أرسطو المنطقية » (3)

الا أن التحقيق التاريخي يأبى هذا الفرض ، فالخليل لم يلتق بحنين .

(1) التطور النحوي ص 5 ج . برجستراسر ط القاهرة سنة 1929

(2) طبقات الاطباء 1: 184 ط القاهرة 1299 هـ - 1881 م

(3) مجلة مجمع اللغة العربية العدد السابع مقال للاستاذ ابراهيم
بيومي مذكور

ولا بابنه اسحق ، فالخليل مات سنة سبعين ومائة او سبع وسبعين ومائة
في قول آخر قبل أن يولد حنين سنة أربع وتسعين ومائة - أما صديق
الخليل الذي يمكن أن يتأثر به ، أو يتبادل معه المعرفة فهو عبد الله بن
المقفع .

ذكر دى بور أن ابن المقفع أصاب بعض العلم بالكتب اليونانية التي
ترجمت الى الفهلوية ونقلها الى اللسان العربى (1) وقال : « وابن المقفع
الذى كان فى أول الامر صديقا حميما للخليل بن أحمد يسر للعرب الاطلاع
على كل ما كان فى اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية » (2) ولكن
الاستاذ بول كروس رجح أن الذى قام بترجمة بعض كتب أرسطو هو
محمد بن عبد الله بن المقفع ، جاء ذلك فى مقال له بعنوان « التراجم
الارسطالية المنسوبة الى ابن المقفع » (3) .

لم يكد يظهر هذا الأثر الفكرى الفذ حتى اتجهت الاذهان اليه باعجاب
واهتمام شديدين ، فيهم من أنكره ، وهذا لون من الاهتمام وإن أخذ هذا
اللون ، ومنهم من رأى فيه نقضا فألف تحت اسم « فائت العين » - ومنهم
من رأى خطأ فاستدرك عليه ب ومن بعد هذا ، وكان معجم العين هو
المعجم الأول جاءت فى أثره المعاجم .

لعل الذى يسترعى النظر ما ذكره ابن النديم من أن الخليل بن أحمد
عمل كتابا باسم « فائت العين » وهذه مسألة يصعب تصورها ، ولما نتته

-
- (1) تاريخ الفلسفة فى الاسلام 22 تأليف دى بور . ترجمة (ابو ريدة)
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر 1938
(2) تاريخ الفلسفة فى الاسلام 39
(3) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية 101 ترجمة عبد الرحمن
بدوى ط الاعتماد سنة 1941

بعد من الشك حول خلوص كتاب العين له ، وتكاد الآراء تجمع على أنه لم يكمله .

وذكر ابن النديم أيضا ، من الذين استدركوا على كتاب العين أبا فيد مؤرج بن عمر السدوسي ونصر بن علي الجهضمي (1) ونحن نشاءل اذا كان ظهور العين لأول مرة آتيا من خراسان من خزائن الطاهريين كان في سنة ثمان وأربعين ومائتين فكيف استدركا عليه ؟ وكذلك كيف عمل النضر بن شميل كتاب المدخل الى كتاب العين وهو لم يره — تحت التفسير السابق ؟

وعرض للكتاب من رجال الكوفة أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، ويبدو أنه تناوله تحت تأثير الخصومة القائمة بين البصرة والكوفة وعبر أبو الطيب اللغوي عن مسلك المفضل بقوله : « رد أشياء من كتاب العين للخليل أكثرها غير مردود » (2) وقد أثارت هذه الحركة الجانبية حساسية علماء البصريين ، منهم من تناولها تناولاً علمياً خالصاً ، ومنهم من تأثر بالخصومة البلدية فقد تناول علي بن مقلة ملاحظ المفضل بن سلمة على الخليل ، وقرأها أمام ابن دريد ، فكان ابن دريد يقول : صدق أبو طالب في شيء اذا مر به ، وكذب أبو طالب في شيء آخر (3) ثم جمعت هذه المناقشة في كتاب سمي بالتوسط في نحو المائة ورقة .

وتولى الرد على المفضل في كتب مفصلة كل من ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الذي يذكر له ابن النديم كتابين في هذا الاتجاه الأول رد فيه على المفضل ، والثاني رد فيه على من نفى كتاب العين عن الخليل (4) .

(1) الفهرست 65 ط الرحمانية

(2) المزهر 1 : 87 ط الحلبي

(3) الفهرست 92 ط الرحمانية

(4) الفهرست 94 ط الرحمانية

كتاب التكملة

وعمل أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي كتاب التكملة ، أوماً الى أنه كسل بكتابه كتاب العين ، وذكر مصادره في صدر الكتاب (1) ودافع عن طريقته في الأخذ عن الصحف بأنه رجل يعرف الغث من السمين ، ومن قبله فعل ذلك أبو تراب في كتاب الاعتقاب حين روى عن الخليل بن أحمد ، وأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي وبينه وبين هؤلاء فترة - وكذلك القتيبي روى عن سيوريه والاصمعي وأبي عمرو وهو لم ير منهم أحداً ، ولكن الازهرى هاجمه بعنف ثم قال : « والصحفى يصحف فيكثر وأنا ذاكر لك حروفاً صحفها ، وحروفاً أخطأ في تفسيرها من أوراق يسيرة كنت تصفحتها من كتابه ... فمأثرت عليه من الخطأ فيسا ألف وجمع : انه ذكر في باب (العين والشاء) أن أبا تراب أنشد

ان تمنع صَوْبَكَ صَوْبَ المدمع

يجرى على الخَد كضئب الشعع

فقيده البشتي بكسر الثاءين والصواب الشعع (بفتح الثاءين)

— وأنشد البشتي : فبأمر وأخيه مؤثر

ومعللٍ وبمطفئ الجسر

قال البشتي : سمي أحد أيام العجوز آمراً لأنه يأمر الناس بالحد

منه ، قال : وسمي اليوم الآخر مؤثراً لأنه يأتى الناس ، **أى** يؤذنه (من الايذان وهو الاعلام) .

(1) انظر هذه المصادر الواسعة مفصلة في ص 32 و 33 من الجزء الاول

من كتاب التهذيب ط الدار القومية العربية للطباعة سنة

1384 هـ - 1964 م

قلت : وهذا خطأ محض ، لا يعرف فى كلام العرب ائتمر بمعنى آذن . وفسر قول الله عز وجل (ان الملا يأتسون بك) على وجهين أحدهما يهمون بك ، والثانى يتشاورون فيك . وائتمر القوم وتآمروا ، اذا أمر بعضهم بعضا . وقيل لهذا مؤتمر لأن الحى يؤامر فيه بعضهم بعضا للظعن أو المقام فجعلوا المؤتمر نعتا لليوم ، والمعنى أنه مؤتمر فيه كما قالوا : ليل نائم أى ينام فيه

— وذكر فى باب (العين واللام) : أبو عبيد عن الاصمعى : أغللت الابل فهمى عالّة اذا أصدرتها ولم تروها .

قلت : وهذا تصحيف منكر ، والصواب أغللت الابل بالعين ، وهى ابل غالة . أخبرنى المنذرى عن أبى الهيثم عن نصير الرازى قال : صدرت الابل غالّة ، وغوال ، وقد أغللتها ، من العلة والغليل ، وهو حرارة العطش

— وروى البشتى فى باب (العين والنون) قال الخليل : العنة : الحظيرة وجمعها العنن وأنشد :

ورطب يرفع فوق العنن (1)

قال البشتى : العنن هاهنا : حبال تشد ، ويلقى عليها لحم القديد . قلت : والصواب فى العنة والعنن ما قاله الخليل ان كان قاله ، وقد رأيت حظرات الابل فى البادية تسوى من العرفج والرمت فى مهب الشمال كالجدار المرفوع قدر قامة لتناخ الابل فيها وهى تقيها برّد الشمال . ورأيتهن يسمونها عننا لاعتنائناها معترضة فى مهب الشمال واذا يبست هذه

(1) اللسان عن ن وصدر البيت ترى اللحم من ذابل قد ذوى ،
والبيت للاعشى

الخطرات فنحروا جزورا شرروا لحمها المقدد فوقها فيجف عليها •
ولست أدري عن أخذ ما قاله في العنة أنه الجبل الممدود ، ومد
الجبل من فعل الحاضرة ، ولعل قائله رأى فقراء الحرم يمدون الجبال بمنى
فيلقون عليها لحوم الهدى والأضاحى التى يعطونها ففسر قول الأعشى
بما رأى ••••

— وأنشد احمد البشتى :

يا رب شيخ منهم عنين
عن الطعان وعن التجفين

قال البشتى فى قوله (وعن التجفين) هو من الجفان أى لا يطعم
فيها (1)

قلت : والتجفين فى هذا البيت من الجفان والاطعام فيها خطأ ،
والتجفين هاهنا كثرة الجماع • رواه أبو العباس عن ابن الأعرابى ، وقال
أعرابى : (أضواني دوام التجفين) أى أنحفنى وهزلنى الدوام على
الجماع ••••

وقال البشتى فى باب (العين والباء) : أبو عبيد : العبيبة : الرائب
من الألبان •

قلت : وهذا تصحيف قبيح وإذا كان المصنف لا يميز العين والغين
استحال ادعاءؤه التمييز بين السقيم والصحيح • وأقرأنى أبو بكر الأيادى
عن شمر لأبى عبيد فى كتاب المؤلف (أى غريب المصنف) الغيبة بالغين
المعجمة : الرائب من اللبن ••••

(1) فى اللسان : الجفان التى يطعم فيها

ـ وقال البشتى فى باب (العين والهاء والجيم) : العوهج : الحية
فى قول رؤبة

حصب الغواة العوهج المنسوسا

قلت : وهذا تصحيف دال على أن صاحبه أخذ عريته من كتب
سقيمة ، ونسخ غير مضبوطة والحية يقال له العومج بالميم . . . وقيل
للحية عومج لتعديجه فى انسياه اى لتلويه ومنه قول الشاعر يشبه زمام
البعير بالحية اذا تلوى فى انسياه :

تلاعب مثنى حضرمى كأنه

تعرج شيطان بذى خروج قعر

وقال فى باب (العين والقاف والزاي) قال يعقوب بن السكيت :
يقال قوزع الديك ، ولا يقال قنزع .

قال البشتى : معنى قوله قوزع الديك أنه نقش برأله (البرائل :
ريش الطائر حول عنقه) وهى قنازعه .

قلت : غلط فى تفسير قوزع أنه بمعنى تنقيشه قنازعه ، واو كان كما
قال لجاز قنزع وهذا حرف لهج به عوام أهل العراق وصبيانهم ، يقولون :
قنزع الديك اذا فر من الديك الذى يقاتله ، وقد وضع أبو حاتم هذا
الحرف فى باب المزال المفسد وقال : صوابه قوزع ، وكذلك ابن السكيت
وضعه فى باب ما تلحن فيه العامة ، وروى أبو حاتم عن الاصمعى أنه قال :
العامة تقول للديكين اذا اقتتلا فهرب أحدهما : قنزع الديك ،

وانما يقال قوزع الديك اذا غاب ولا يقال قنزع .

وقال البشتى فى باب (العين والضاد) قال : العيصوم : المرأة
الكثيرة الأكل

قلت : وهذا تصحيف قبيح دال على قلة مبالاة المؤلف اذا صحف ،
والصواب : العيصوم بالصاد

وقال فى باب (العين والضاد مع الباء) يقال مررت بالقوم أجمعين
أبضعين بالضاد

وهذا أيضا تصحيف فاضح يدل على أن قائله غير مميز ولا حافظ
كما زعم ، أخبرنى أبو الفضل المنذرى عن أبى الهيثم الرازى أنه قال :
العرب تؤكد الكلمة بأربع توكيدات فتقول مررت بالقوم أجمعين اكتبين
أبضعين أبتعين ، هكذا رواه أبو العباس عن ابن الاعرابى قال : وهو مأخوذ
من البصع وهو الجمع

وقال فى باب (العين والقاف مع الدال) قال يعقوب بن السكيت :
يقال لابن المخاض حين يبلغ أن يكون ثنيًا : قعود وبكر ، وهو من الذكور
كالقلوص من الاناث

قال البشتى : ليس هذا من القعود التى يقتعدها الراعى فيركبها
ويحمل عليها زاده وأداته ، وانما هو صفة للبكر اذا بلغ الاثناء

قلت : أخطأ البشتى فى حكايته كلام ابن السكيت ثم أخطأ فيما
فسره من كيسه (من عنده) فجعل البشتى (حتى) (حين)

وأحد الخطأين من البشتى فيما قاله من كيسه تأنيته القعود ولا
يكون القعود عند العرب الا ذكرا - والثانى أنه لا قعود فى الابل تعرفه
العرب غير ما فسره ابن السكيت . ورأيت العرب تجعل القعود البكر من
حين يركب ، أى يسكن ظهره من الركوب . وأقرب ذلك أن يستكمل

سنتين الى أن يثنى ، فإذا ثنى سمي جملاً ، والبكر والبكرة بمنزلة الغلام
والجارية اللذين لم يدركا ، ولا تكون البكرة قعوداً ، وقال ابن الأعرابي
فيما أخبرني المنذرى عن ثعلب عنه : البكر : قعود مثل القلوص فى النوق
الى أن يثنى ، هكذا قال النضر بن شميل فى كتاب الابل (1)

وكان الأزهرى كعادته يتلصص الخطأ أو التصحيف ليكيل الاتهام
لصاحب كتاب التكملة ، بالرغم من أنه كان (امام أهل الأدب بخراسان فى
عصره بلا مدافعة) كما يقول الحافظ ابو عبد الله بن البيهقى فى تاريخ
نيسابور ، وكذلك شهد له بالتقدمة أبو عسر الزاهد ، ومشايخ العراق
بسبب كتاب التكملة هذا (2)

كتاب الحصائل لابي الازهر البخارى

وكذلك ألف ابو الازهر البخارى كتاب الحصائل ، يقصد به تحصيل
ما أغفله الخليل ، وقد اثنى القفطى على هذا الكتاب ، ووصفه بأنه كتاب
جليل القدر جامع للغة ويقول « رأيت منه الجزء الأول فنظرته كتاباً جليلاً
جامعاً ، يشتمل هذا الجزء على ما فات الخليل فى حرف العين خاصة » (3)
ومع هذا فلم يسلم أبو الازهر من لسان الأزهرى الذى قال فيه « واما أبو
الازهر البخارى الذى سمي كتابه الحصائل فاني نظرت فى كتابه الذى ألفه
بخطه وتصفحته فرأيت أنه أقل معرفة من البشتى وأكثر تصحيفاً » (4)

مختصر الزبيدي

ثم اختصر كتاب العين محمد بن الحسن الزبيدي ، فحذف ما فيه من

(1) انظر التهذيب ، 1: 33-40 وانباه الرواة 1: 111-119

(2) انباه الرواة 1: 107

(3) انباه الرواة 4: 93 (ترجمة ابي الازهر البخارى)

(4) تهذيب اللغة 1: 40

الشواهد ، وأكثر الآيات القرآنية فخف حمله ، وسهل النظر فيه ، وبهذا أعجب به فئة من الناس فقال أبو الحسن الشاربي في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة :

مختصر العين للزبيدي ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة (1)

ومع هذا فكان الشاربي ، وشيخه أبو ذر مع اعجابهما بهذا المختصر يجدان الزبيدي قد أخل بكتاب العين فيقول الشاربي « ومذهبي ومذهب شيخي أبي ذر الخشني ، وأبي الحسن بن خروف أن الزبيدي أخل بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب منه » (2)

فلما علم هذا من أمر مختصر الزبيدي عمل الامام تمام بن غالب بن عمر المرسى الأندلسي المعروف بابن التياني كتابا سمي (بفتح العين ؟) أو (تلقيح العين) كما جاء في معجم الادباء ، قيل انه أتى فيه بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه دون اخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة ، والحروف المصحفة ، والأبنية المختلفة ، ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد في الجمهرة فصار هذا الديوان محتويا على الكتاين جميعا (3) ويبدو أن هذا الكتاب نال استحسان معاصريه فقال فيه الحميدي (... لم يؤلف مثله اختصارا واكتارا) وقال ابن بشكوال بسنده عن ابن حبان في ترجمة تمام بن غالب (وله كتاب جامع في اللغة ، سماه تلقيح العين ، جم الفائدة) (4) •

(1) المزهري 1 : 87 ط الحلبي

(2) المزهري 1 : 88

(3) المصدر نفسه

(4) معجم الادباء 7 : 136 ، 137

واقـد ترى معى أن كتاب العين بسـبقه ، وترتيبه ، ومنهجه ، والفلسفة
التي تراها فى افتتاحيته ، والتي تدل على شـدة الفـ الخليل بالعريـة
وخصائـصها – برغم ما قيل فيه – عمل ضخم فـتح للعلماء من بعد الخليل
أبوابا دخلت منها المعاجم الأخرى التي سنعرف بها الآن ، والتي تكشف
أن اصحابها جميعا كانوا عيالا على كتاب العين •

جمهرة اللغة

نجم فى البصرة أيضا ، وفى بيت علم بها ، عالم لغوى وهب سعة فى الحفظ ، وقوة فى الذاكرة ، هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ذكروا من قدرة استيعابه أن عمه عهد إليه بحفظ قصيدة من ديوان الحارث ابن حلزة ، فلما عاد بعد فترة الغداء مع معلمه وجداه قد حفظ الديوان • وحكى الخطيب عن رأى ابن دريد أنه قال : « كان ابن دريد واسع الحفظ جدا ما رأيت أحفظ منه ، وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها ، وما رأيت قط قرىء عليه ديوان شاعر الا وهو يسابق الى روايته لحفظه له » •

وبهذه الحافظة الواعية تلمذ لأبى حاتم السجستاني، وأبى عثمان سعيد ابن هارون الاشناندانى ، وأبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى ، والحسين بن دريد عمه وآخرين •

فلما روعت البصرة بثورة الزنج فى سنة سبع وخمسين ومائتين ، وقتل فيها العباس بن الفرج الرياشى ، ذهب ابن دريد فى صحبة عمه الحسين بن دريد الى عمان ، وأقام بها اثنتى عشرة سنة ، عاد بعدها الى البصرة ، ولكن هذه البيئة العلمية التى كانت مستقر العلماء ومهبط الطالبين قد فتر فيها الطلب بظهور بغداد ولم تطب مستقرا ومقاما لهذا

العالم النابه ، فلما جاءت دعوة من عبد الله بن محمد بن ميكال وكانت له عمالة كور الأهواز ليؤدب ولده اسماعيل ، سارع الى اجابتها * وفى ظل هذه الأسرة ، هدأت نفسه ، وجادت حافظته بمكنونها ، فأملى كتاب الجمهرة ، لا ليوازي به كتاب العين ، ولا ليصحح ملاحظه وجدها فيه ، او يبرز مطعنا على صاحبه ، ولكن ابن دريد لم يقصد الى شيء من هذا ، بل وضع الاشادة بالخليل وبكتاب العين فى سطور الجمهرة الأواسى وفى مقدمتها ، ويقول :

« ولم أجر فى انشاء هذا الكتاب الى الازراء بعلمائنا ، ولا الطعن فى أسلافنا ، وانما على مثالهم نحتذى ، وبسبلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبني ، وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع » (1)

وأعد كتاب الجمهرة يعنى بذلك الجمهور من كلام العرب ، صارفا النظر عن الوحشى والمهمل والمتروك ، ويختلف غرضه عن غرض الخليل ، فالخليل كان يريد حصر ألفاظ العربية على جهة الاستقصاء ، ويضعها أمام الخاصة والعامة كمعين من العلم يغترف منه من شاء بحسب قدرته ، ولكن ابن دريد وجد منهج الخليل يستعصى على العامة ، ولا يستطيع الانتفاع بمنهجه الا من أوتى حظا من المعرفة بالصرف والعلوم العربية ، فقرب ابن دريد من افهام الناس ، وأجرى كتابه على ترتيب الأبجدية العادية اذ كان علم العامة بها كعلم الخاصة .

بدأ الشائى بالهمزة والباء ، ثم الهمزة والتاء وهو ما جاء على فَعْلٍ (بفتح الفاء وسكون العين) ، وفَعْلٍ (بضم الفاء وسكون العين) ،

(1) جمهرة اللغة 1: 3 ط حيدر آباد 1344 هـ .

وفِعِلْ (بكسر الفاء) من الاسماء والمصادر ولا يكون حرفين البتة الا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، وانما سمي ثنائيا للفظه وصورته ، فاذا صرت الى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثانى حرفين مثلين احدهما مدغم فى الآخر أب ب • أت ت • أث ث • أج ج • أح ح • أخ خ • اد د • فلما انتهى ترتيب الثنائى الصحيح المدغم بدأ فى أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر على النهج السابق: ب ت ب ت / ب ث ب ث / ب ج ب ج / فلما انتهى الى آخر الحروف هـ ي هـ ي عمل للهمزة بابا بنفس بناء الرباعى المكرر ب أ ب أ / ت أ ت أ / الى ي أ ي أ ثم عقد بابا للثنائى المعتل وما تفرع منه ب أ و ي ت أ و ي

وفى أبواب الثلاثى الصحيح لم يبدأ بالهمزة وانما بالباء ب ت ث / ب ت ج الى آخر الترتيب ، وب نفس التقاليب التى كانت فى كتاب العين •

ثم عاد فعقد بابا من الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى موضع العين واللام ، أو العين والفاء ، أو الفاء واللام من الاسماء والمصادر وما تشعب منه •

ثم جعل للمعتل أبوابا ، فهذا ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين ، ثم ما لحق الثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين •

ثم جعل للهمز قسما بدأه بقوله (باب النوادر فى الهمز) رتبه على حروف المعجم : باب الألف فى الهمز : أنت الرجل يأت أنت أيتها ، وهو أشد من الأنين ، وأنت اللحم اناة أى تركته نيتا الى غير ذلك •

باب الباء فى المهموز : ثم التاء الى الياء فلما استوفاه عقد باب اللين فى الهمز رتبه على نفس النهج وعرض للأوزان المختلفة •

وأتبع ذلك بأبواب الرباعى الصحيح بدأه بباب الباء والتاء مع ما بعدهما ثم الرباعى الذى فيه حرفان مثلان (دردق - كركم -

قرقف) ولم أعرف له فى هذا الباب ترتيبا ، ثم ما جاء من الرباعى على فعل " بتشديد اللام ، وما الحق بالرباعى فى مثل : فرس سبطر ، وأسد ضبطر ، وما جاء على فيعل وفوعل ، وما ألحق بالرباعى بحرف من حروف الزوائد فلما أكثر من التقاسيم على هذا الوجه لجأ الى الصفات فكان من ذلك :

— باب ما جاء على فعلى من الاسماء والصفات

— وما جاء من ذلك على فعلى بضم الفاء

— وما جاء فى الشدة والصلابة ، والقصر ، والسرعة ، والمضاء ، والنهم ، والسعة ، والسهولة الى غير ذلك .

فلما دخل الى الخماسى كان على هذا النمط من البعثة حتى اذا وصل الى نهايته ، افتتح زيادة تحت اسم (أبواب الليف) فسر به بقوله : وانما سميناه ليفا لقصر أبوابه والتفاف بعضها الى بعض . وفى آخر الكتاب عقد أبوابا فى النوارد تضمنت كثيرا من خصائص العربية وفرائدها .

ويصف أبو العباس اسماعيل بن عبد الله الميكالى طريقة وضع الجمهرة فيقول :

« أملى على أبو بكر الدريدى كتاب الجمهرة من أوله الى آخره حفظا فى سنة سبع وتسعين ومائتين فما رأيته استعان عليه بالنظر فى شيء من الكتب الا فى باب الهمزة والليف فانه طالع له بعض الكتب .

تعدد نسخ الجمهرة

وظهر للجمهرة عدة نسخ لأن ابن دريد أملاها أكثر من مرة من حفظه ، ولذلك لاحظ جامعو نسخ الجمهرة اختلافها فى بعض النسخ بالنقص أو الزيادة .

وطبعت النسخة الموجودة بأيدينا عن ثلاث مخطوطات أحدها نسخة المكتبة الآصفية فرغ منها كاتبها سنة ١٠٧٨ هـ وهى من نسخة قرئت على ابن خالويه وأبى العلاء المعرى ، وعليها حواش لهما . والثانية نسخة مكتبة بانكى فور ، والثالثة لا خير فيها وكأنها منقولة عن النسخة السابقة .

ويشير المستشرق فريتس كرنكوى بمقابلة عدة نسخ من الجمهرة فى مكاتب أوربة ، أحدها النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة جمعية العلوم بليدن وهى فى ثلاث مجلدات ، فى المجلد الاول نقص يبلغ نحو ستين ورقة ، ولكن هذا الخرم أكمل حديثا من نسخة لا يعلم أين هى ، اما المجلدان الثانى والثالث فهما من رواية أبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى وهى أكمل روايات الكتاب .

والنسخة الثانية محفوظة فى خزانة المتحف البريطانى فى لندن ولا يوجد منها الا جزءان من سبعة أجزاء وخطهما على ثلاثة أشكال أحدهما بالخط المغربى القديم فى غاية الحسن والصحة من رواية أبى على اسماعيل القالى أحد تلامذة ابن دريد ، والقسم الثانى لا يجاوز مائتى سنة بالخط العراقى وليس هو فى الصحة كالاول والثالث ، أما الخط الثالث فهو بالخط القديم ويظنه كرنكوى كتب فى القرن الرابع أو أوائل الخامس ، والرواية أقصر من سائر النسخ ولكنها فى غاية الصحة وفيها زيادات فى بعض المواضع .

وفى المتحف البريطانى نسخة أخرى ، وهى مختصر الجمهرة ، الا أنها قديمة الخط جدا ، كتب فى أولها أنها كتبت فى عهد المؤلف وهذا ما يوافق كيفية الخط لأنها بالخط البغدادى القديم فى أكمل الضبط وأحسنه غير أن الكاتب أسقط من هذا المختصر كل شاهد من التثزيل ، والشعر ، وغير ذلك .

أما النسخة الرابعة فهي نبذة من آخر الكتاب محفوظة في المتحف البريطاني - يظن كرنكوي أنها كتبت قريبا من عهد المؤلف ، وعلى حواشيتها تصحيحات لأبي عمر غلام ثعلب وهو أحد تلامذة ابن دريد ، ويذكر انه روى الجمهرة وألف كتابا في تنبيهات على أغلاط المؤلف .

ويقول كرنكوي : قد بذلت الجهد في تصحيح الكتاب ، وقابلته بالكتب المؤلفة في اللغة العربية ، بعضها أخذ من الجمهرة مثل محكم ابن سيده ، ومجمل ابن فارس والصفحات التي طبعت من كتاب العين في بغداد ، وعدة دواوين لقدماء وشعراء العرب . وقال : وكثيرا ما ذكر ابن دريد أبياتا من الشعر ولم يسم قائلها ، فزدتها بعد خط فاصل ليعلم انه ليس من أصل الجمهرة .

وفي مقدمة الجمهرة - كمقدمة العين - بحث لغوي ، بناء ابن دريد على منطق حروف المعجم ، فبين فيه الحروف المستقلة بذاتها ، والحروف التي تأتي من بين حرفين وهذه تبدو في لهجات بعض القبائل ، كالحرف الذي بين الجيم والكاف في لغة اليمن فيقولون في جمل (كمل) ومثل الحرف الذي بين (الياء والجيم) ، وبين (الياء والشين) فيقول بعضهم في غلامى : غلامج ، ويقول المتكلم غلامش (1) وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها ، فأما بنو تميم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون الكوم يريدون القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف ، وهذه لغة معروفة في بني تميم ، قال الشاعر :

(1) وفي نسخة المتحف البريطاني قال ابو بكر : الحرف الذي بين الشين والجيم والياء في المذكر غلامج ، وفي المؤنث غلامش ، وكذلك فيما يشبه هذا من الحروف المرغوب عنها فأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف باللهاء الجمهرة ص 5

ولا أَكُولُ لَكَدِرَ الْكُومِ كَدَ نَضَجْتُ
ولا أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولُ
والكاف الفارسية قريبة من نطق الجيم في صعيد مصر ، وأصل البيت:
ولا أَقُولُ لِقَدَرِ الْقَوْمِ قَدَ نَضَجْتُ
ولا أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَقْفُولُ
وكذلك الياء المشددة تحول جيسا فيقولون بصرج ، وكوفج كما قال
الراجز :

خالى عويف وأبو علج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة فلق البرنج
وبعضهم يقلب كاف المخاطبة شيئا ، وأنشد أبو بكر لمجنون ليلى :
فعيناش عيناها وجيدش جيدها
اراد عيناك ، وجيدك •

ثم تكلم عن الحروف المصمتة ، والمذقة ، وبين مخارجها ، والفروق
الدقيقة فى هذه المخارج ، وكيف أن الحروف القريبة فى مخارجها لا تأتلف
فى كلمة واحدة الا بحواجز ويقول : (..... فاذا جاءتلك كلمة مبنية من
حروف لا تؤلف مثلها العرب ، عرفت موضع الدخول منها فرددتها غير هائب لها)
وابن دريد متأثر فى هذا بمقدمة الخليل فى كتاب العين ، وقد نقل منها
فقرات مسبوقة بكلمة « قال الخليل » •

ثم عقد بابا فى معرفة حروف الزوائد ، ومواقعها وهى : الهمزة ،
والألف ، والياء ، والواو ، والميم ، والنون ، والتاء ، واللام ، والسين ،
والهاء وبين مواقعها حين تأتى زائدة ، وختم المقدمة اللغوية ببيان الامثلة
فهى ثلاثية ، ورباعية وخماسية •

ملاحظ في كتاب الجمهرة

هناك ملامح عامة في كتاب الجمهرة تدل على الكثير من شخصية ابن دريد ، ونظراته في اللغة ، فهو لا يرجح كفة الا اذا اقتنع هو نفسه ، أو رجحت عنده أسانيدها ، فاذا لم يتوفر له ذلك ، ولم ير سبيلا الى رفضه ، ذكر الشيء كما سمعه •

من ذلك ما جاء في مادة ح ل ل قال : (ومنه قولهم هذا حل وبـل : وقال بعض اهل اللغة : بل اتباع ، وقال آخرون : البـل : المباح ، لغة حميرية) (1) فهل تراه لا يجوز الاتباع ؟

— وفي حضض يقول :

(الحضض دواء معروف . وذكروا أن الخليل كان يقول : الحضض ، بالضاد والطاء ، ولم يعرفه أصحابنا) (2) وقد ترك القارئ في حيرة ، هل ابن دريد يوافق الخليل ، أو يوافق أصحابه ، أم له رأى يختلف به عن الرأيين ؟

— أو يقول :

(..... ومحة البيضة صفرتها ، وخالص كل شيء محه ، والمحاح في بعض اللغات الجوع ، ولا أدري ما صحته) (3) •

— وفي خ ز ز يقول :

(1) الجمهرة 1: 64 ا (الف يعنى النهر الايمن ، ب النهر الايسر من الصحيفة)

(2) الجمهرة 1: 61 ا

(3) الجمهرة 1: 64 ب

(٠٠٠٠ وزخ فى ققاء أى دفع ، وكل دفع زخ ، وربما كنى به عن
الجماع ، وقد روى عن على عليه السلام :

أفلس من كانت له مزخة

يزخها ثم ينام الفخزة

وهذا شىء لا أقدم على الكلام فيه ، وأحسب الفخزة أن ينفخ فى
نومه ولا أدري ما صحته (1) .

وهو لا يقتصر على العموميات ، وإنما يوضح الوجه فيما انتهت اليه
المسميات التى عرفت عند اللغويين ، وفى القراء كان اللغويون يقولون أنها
من الأضداد ، ولذلك فهى تعنى الطهر ، وتعنى الحيض فأوردها ابن دريد
على جلاء أوضح فقال :

(وأقرأت المرأة اقراء ، فهى مقرأ ، واختلفوا فى ذلك ، فقال قوم :
هو الطهر ، وقال قوم : هو الحيض ، وكل مصيب لأن الاقراء هو الجمع
والانتقال من حال الى حال ، فكأنه انتقال من حيض الى طهر وهو الأصح
والأكثر ، ويجوز أن يكون انتقالا من طهر الى حيض) (2) .

وابن دريد يضع بذلك أمام الباحثين فى خصائص العربية وفى فلسفتها
أصول هذه الخصائص ليرى الوجه فى استنباطها ، أما هو فلا يصرح بهذا
الوجه ، فهو فى هذه المادة يكتفى بما فسر ، ولا يقول بالتضاد ، والأمر
كذلك فى مواد مشابهة ذكرت فى الجمهرة فى (ب ك) يقول :

بك الشىء يكه بكا اذا خرقة ، أو فرقه .

والبك : الازدحام ، وكأنه من الأضداد عندهم ، من قولهم : تبالك

(1) الجمهرة 1 : 66 ب

(2) الجمهرة 3 : 276

القوم اذا ازدحموا وركب بعضهم بعضا ، قال الراجز (هو عامان بن كعب)
اذا الشريب أخذته أكّته
فخاله حتى يبك بكّته

قال ابو بكر : الاكّته : الحر الشديد مع سكون الريح ، والشريب :
الذى يورد ابله مع ابلك (1) .

وفى ب ر غ وتقالبيه يقول :

والغابر : الماضى ، والغابر : الباقي ، وكأنه عندهم من الأضداد ،
وفسر ابو عبيدة قوله تعالى (الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقيين ، والله
أعلم ، (2) .

وفى ج ر بس وتقالبيه يقول :

والسجر : من قولهم سجرت التنور وغيره اذا ملأته حطباً وناراً ، وكل
شئ ملأته من شئ فقد سجرته به ، وفى التنزيل (والبحر المسجور) قالوا :
البحر المسجور المملوء والله أعلم ، وزعم قوم : أنه الفارغ ، قال الشاعر
(النمر بن تولب العكلى) :

اذا شاء طالع مسجورة

ترى حولها النبع والساسما

.... وأما قوله تعالى (واذا البحار سجرت) أى خلت من الماء ،
وزعموا أنه من الأضداد ، ولا أحب أن أتكلّم فيه (3) .

فاذا كنت تلمح فى كل هذا اتجاها لابن دريد لعدم التسليم بالتضاد

(1) الجمهرة 1 : 36 ب

(2) الجمهرة 1 : 268 ب

(3) الجمهرة 2 : 76 ب

فى اللغة فلعلك ترجح هذا الاتجاه ، وتستبين وجهة ابن دريد فى مادة ب
ش ع وتقاليبها يقول :

(والشعب الافتراق ، والشعب الاجتماع ، وليس من الأضداد - انما
هى لغة قوم) (1) •

ويبدو أنه لا يعترف بظاهرة الابدال أيضا ، كظاهرة أو خاصية مسن
خصائص العربية ، ولكنه يذكر ما يقابله منها دون اشارة الى كلمة ابدال ،
فقى ب ض ض يقول :

(اذا كان الرشح أو النتح من دهن أو سمن فهو النث ، والمث (2)
وفى مادة ت ن ه وتقاليبها يقول :

(وهنتت السماء هتنا ، وهتونا ، وهو مثل الهطلان سواء) (3) •

الاحتجاج والشواهد

وابن دريد يتمتع بذاكرة واعية ، فما باله يكتفى فى الاحتجاج بالشعر
والرجز بمجرد قوله : قال الراجز (4) أو قال الشاعر (5) أو قال الآخر (6)
أو يتردد فى اسم قائل الشاهد ، كأن يقول فى مادة أ ر ر (أرّ الرجل المرأة
يورها أرّا اذا جامعها ، والرجل مثر اذا كان كثير الجماع ، قال الراجز
(وأحسبه الأغلب العجلى او ليلى بنت الحمارس) (7) الا اذا كانت
هذه الزيادة من الناشر •

الاستطراد

والاستطراد يتنافى وفكرة الاختصار والتخفيف التى كان يقصد اليها

-
- | | |
|-----|---------------------------|
| (1) | الجمهرة 1 : 291 ب ، 292 أ |
| (2) | الجمهرة 1 : 33 أ |
| (3) | الجمهرة 2 : 31 أ |
| (4) | الجمهرة 1 : 14 أ |
| (5) | 14 : 1 ب |
| (6) | الجمهرة 1 : 14 ب |
| (7) | 17 : 1 أ |

ابن دريد فقد رأيناه أحيانا يحتج للكلسة بيت من الشعر أو الرجز ، ثم يستطرد فيفسر شيئا من مفردات البيت ، ففي مادة أ د د يقول :

« والآد ، والأيد ، والآد^ه (بالتخفيف) القوة ، يقال : رجل ذو آد .

وأيد . قال الراجز :

أبرح آد الصلتان آدا
اذ ركبت أعوادهم أعوادا

وفى التنزيل (والسما بنيناها بأيد) أى بقوة والله أعلم ، وقال الراجز فى الأد وهى القوة :

نَضَوْن عَنِّي شِرَّةً وَأَدَا
من بعد ما كنت صلا^ه نهذا

ثم اخذ يفسر مفردات من البيت الأول فقال :
(ويقال : أبرح الرجل اذا جاء بالداهية والبرحاء الامر العظيم قال الشاعر الاعشى :

أقول لها حين جد الرخيل
أبرحت ربا وأبرحت جارا

« أعوادهم » أى وقع السهم على القوس فهى الأعواد على
الأعواد (1) .

وفى مادة أ ز ز

از يؤز ازا - والأز : الحركة الشديدة ، وأزت القدر اذا اشتد
غليانها ، وفى كتاب الله تعالى (تؤزهم أزا) والمصدر الأز والأزيز والازاز
قال رؤبة :

(1) | الجمهرة 1: 16

لا يأخذ التأفيك والتحزى
فينا ولا طيخ العدى ذو الأز

ثم أخذ يفسر مفردات الشاهد فقال :

« التأفيك ، من قولهم أفك الرجل عن الطريق إذا ضل عنه ، وفى القرآن العزيز (يؤفك عنه من أفك) قال يصرف عنه ، وقوله عز وجل (فأنى يؤفكون) أى يصرفون ، والله أعلم ، والتحزى : التكهن ، والحازى : الكاهن ، والطيخ : التكبر والانهماك فى الأباطيل ، يقول : أنا لا نستضعف (1) ♦

ولكن ، هل هذا مأخذ على كتاب الجهرة ؟ وهل من الهنات أن وضع فى حساباته التخفيف فاستطرد ؟ الرأى عندى أن لا ، فالاختصار يتبعه استفسار يكمن بين ما صعب بين السطور ، وأنه لا يكفى فى الإيجاز أن يفسر الشئ بالشئ ويحتج له ببيت يحمل من المفردات ما يصعب دركه ، فيضيع المقصود من الاحتجاج وعلى هذا فالكتاب يتمم بعضه بعضا ، وإن هذا الاستطراد هو مجرد ملاحظة تأخذ مكانها الصحيح من الكتاب ♦

الاحتجاج بالحديث

وهناك فئة من اللغويين تتخرج من القول فى الحديث ، وبالتالى لا تحتج به ، ولا تشير اليه فى سياق التفسير ، ولكنا رأينا صاحب العين يستشهد بالحديث ، وابن دريد كذلك ، وفى مناسبات عديدة ♦ فمن ذلك :

— يفسر الفلذ بأنه القطعة من الكبد ، ويحتج لذلك بقول أعشى باهلة يرثى المنتشر الباهلى :

(1) 17:1 أ ، ب

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها
من الشواء ويروى شربة الغسر

فيقول : (الغمر) قدح صغير ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
(هلموا غمري) وأخذ من التغمير وهو الشرب دون الرى (1)

— وفى ب ع ع ، عب فى الاثناء يعب عبا ، وهو تتابع الجرع ، قال
الراجز :

يكرع فيها ويعب عبا
محبيا فى مائها منكبا

أى منكسا رأسه ، رافعا عجزه ، وفى الحديث (مصوا الماء
مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب) (2)

— وفى ب غ غ الغب من أورد الابل أن ترعى يوما ، وترد يوما من
الغد ، وبذلك سميت الحمى الغب لأنها تأخذ يوما وترقفه يَوْمًا — قال
أبو بكر ، قال أبو مالك : سألت العرب عن الغب فقالوا أن تشرب يوما ،
وترد بعده بيوم فيكون وردها الماء يوما واحدا وكان ينبغى أن يسمى ثلثا —
والربع أن يفوتها الماء يومين ، والخمسن أن يفوتها الماء ثلاثة أيام ، ثم كذلك
الى العشرة ، وانبا سمي عشرا لأنها تشرب يوما ثم ترعى ثمانية أيام وترد فى
اليوم العاشر . وفى الحديث (ادَّهِنُوا غبا) والمثل السائر « زرغبنا تزدد
حبا » (3)

— ث ج ج ثججت الماء اثجه ثجا اذا صببته كثيرا ، وكذلك فسر فى

(1) مادة ا ذ ذ 16 : 1 ب

(2) مادة ب ع ع 35 : 1 ا

(3) 35 : 1 ب

التنزيل في قوله جل وعز (ماء ثجاجا) وهذا مما جاء في لفظ فاعل
والموضع مفعول لأن السحاب يشج الماء وهو مشجوج، وقال بعض أهل اللغة:
ثججت الماء وثج الماء واتشج الماء كما قالوا ذرفت العين الدمع ، وذرف الدمع
فهو ذارف ومذروف قال الراجز :

حتى رأيت العلق الثجاجا

قد اخضل النحور والأوداجا

وفي الحديث (تمام الحج العج والثج) فالعج العجيج في الدعاء ،
والثج : سفك دماء البدن وغيرها (1)

— وفي ح ش ش والحش مصدر حششت النار أحشها إذا أوقدتها:
وفلان محش حرب إذا كان يسعها لشجاعته ، وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال لابي جندل بن سهيل (ويل أمة محش حرب لو
كان معه رجال) (2) •

— وفي ت ف ك الفتك (بفتح الفاء وكسرها) جميعا معروف ، وفي
الحديث : (قيد الاسلام الفتك لا يفتك مسلم) والرجل الفتك الذي إذا هم
فعل (3) •

— وفي ت ق و القوت مصدر قات عياله يقوتهم قوتا، والاسم القوت
وهي البلغة من الطعام، والجمع أقوات، ويقال قات الرجل أهله، وأقاتهم وفي
الحديث (كفى بالرجل اثما أن يضيّع من يقوت) (4) •

(1) 1 : 43 ب

(2) 1 : 60 ب

(3) 2 : 23 ب

(4) 2 : 27

اللغات

وهو شغوف بالاشارة الى اللهجات ، وخاصة اليمنية ونحن نورد عليك امثلة من ذلك :

— يقول : جح الشيء يجحه جحا اذا سحبه • لغة يمانية وكل شجر انبسط على وجه الأرض فهو عندهم الجح كأنهم يريدون أنه انجَحَّ على الأرض اذا انسحب ، ويسمون صغار البطيخ قبل نضجه الجح وكذلك الحنظل الذي يسميه أهل نجد الحدج (1)

— والضجاج ، ثم نبت أو صمغ تغسل به النساء رؤسهن — لغة يمانية (2)

— والألفت فى لغة بنى تميم الأعسر ، وفى لغة غيرهم الأحق (3)

— ومن فروق اللغات ترك الهمز فى الحجاز وتحقيقه فى بقية اللغات يقول ابن دريد فى د ف ف : (قال أبو بكر : جاء قوم بأسير الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يرعد فقال : (ادفوه) فقتلوه ، أراد عليه السلام أدفتوه ، ولغته بترك الهمز وهم ذهبوا الى لغتهم ادفوه أى اقتلوه (4)

ومن ذلك (برأت من المرض ابرأ براً وهذه لغة الحجاز ، وسائر العرب يقولون : برئت من المرض ابرأ ، والمصدر فيهما البرء (5) •

وأنشد فى (بح) لخفاف بن ندبة :

إذا الحسناء لم ترحض يديها

ولم يقصر لها بصر بستر

(1)	48:1 ب ، 49 ا	(2)	53:1 ا
(3)	24:2 ب	(٤)	74:1 ب ، 75
(5)	277:3 ا		

قروا أضيافهم ربحا يبح
يعيش بفضلهم الحى سمر

قال أبو بكر رخص يرحض (بفتح حاء المضارع) ورحض يرحض
(بكسر حاء المضارع) لغة هذا الشاعر وهى لغة أهل العالية (1)

ـ وأنشد لابن أحرر فى قولهم ربت فى معنى رب :

وربت سائل عنى حفى
أعارت عينه أم لم تعارا

« تعارا مكسورة التاء » قال أبو بكر : هكذا لغته أى صارت عوراء
ويقال عرت العين وعورتها (2)

ـ والسبب بلغة هذيل الجبل ، وقال أبو ذؤيب :

تدلى عليها بين سب وخيطة
شديد الوصاة نابل وابن نابل

يصف الذى يشتار العسل فيتدلى بالجبل الى موضع العسل ، وقال
أبو عبيدة : الخيطة فى هذا البيت الجبل ، والسبب : الوتد (3)

ـ وفى ث ش ش قال : الشث ضرب من الشجر واحتج له بقول
الشاعر :

بواد يمان ينبت الشث فرعه
وأسفله بالمرخ والشبهان

(1) 1 : 24 ب

(2) ب د د 1 : 28 ب

(3) 1 : 30 ا ب س س

- فقال : الشبهان : الثمام ، لغة يمانية (1) ♦
- وقد يفاضل بين فصيح وأفصح كقوله : البر : المعروف أفصح من قولهم القمح والحنطة (2) ♦
- وقد يصوب لغتين كأن يقول : خصب وخِصب (بفتح الخاء وكسرهما) وكُتب وكِتب (بفتح الكاف وكسرهما) لغتان جيدتان (3) الى غير ذلك ♦

الأمثال

- وهو يشير الى الأمثال فلا أدري هل يحتاج بها أم هي مجرد إشارة ونوجز أمثلة بعد :
- فى ب ز ز يقول بز الشيء ييزه بزا اذا اغتصبه ، والمثل السائر — (من عزّ بز) أى من قهر اغتصب (4) ♦
- بس بالناقة ، وأبس بها اذا دعاها للحلب ، ومثل من أمثالهم (لا أفعل ذلك ما أبس عبد بناقة) (5) ♦
- وبض الماء يبيض بضاً وبضوضاً اذا رشح من صخرة أو أرض ومثل من أمثالهم (فلان لا يبيض حجره) أى لا ينال منه خير (6) ♦
- وفى ب ي ي قال : هـى بن بى — مثل لمن لا يعرف ، وقالوا : هيان بن يئان اسمان لمن لم يعرف ولم يعرف ابوه وأنشد لابن أبى عيينة :
لثام من بنى هـى بن بى
وأنذال الموالى والعبيد (7)

- | | |
|-----|-----------------------|
| (1) | 45:1 ب |
| (2) | 27:1 ب ، ب ر ر |
| (3) | 46:1 ب ، ت غ غ |
| (4) | 29:1 ا ، ب ز ز |
| (5) | 30:1 ا ، ب س س |
| (6) | 33:1 ا ، ب ض ض |
| (7) | 38:1 ب ، 39 ا ، ب ي ي |

– وفى ح ش ف يقول : ... وحشف التدر رديئه ويابسبه السذى لا
حلاوة فيه ... ومثل من أمثالهم (أحشفا وسوء كيلة) (1) •

المعرب والدخيل

وهو ينبه على الفاظ كثيرة بأنها ليست عربية فيقول مثلاً : الحب ضد
البغض وأما الحب الذى فيه الماء فهو فارسى معرب : وهو مولد ، قال أبو
حاتم : أصله خنب فعرب فقلبوا الخاء حاء ، وحذفوا النون (2) •
ويقول : البوصى : السفينة ، وكانت بالفارسية بالزاي فقلبتها العرب
صادا (3) •

وفى ج ص ص يقول : الجص معروف وليس بعربى صحيح (4) •

المساهلة في ترتيب الكلمات

وثمة ملاحظة تصل الى حد الخطأ عندما يأخذ هذا العالم الكبير فى
ترتيب الكلمات على حروف المعجم فيداخل الهاء مع التاء المربوطة فيقول فى
ح م ه :

(.....) والحة مخففة حرارة السم وليست كما تسمى العامة حمة
العقرب ابرتها وسألت أبا حاتم عن الحمة فقال : سألت الأصمعى عنها فقال :
هى فوعة السم أى حرارته (5) •

او يقول فى ح ن ه (حنة الرجل امرأته) (6) •

وفى ح و ه أشار الى الحوة فى الألوان (7) •

(1)	2 : 158	ب
(3)	1 : 50	ا
(5)	2 : 196	ب
(7)	2 : 198	ا
(2)	1 : 25	ا
(4)	1 : 52	ب
(6)	2 : 197	ب

وثمة ملحظ آخر ، لقد وعد ابن دريد أن يأتي بجمهرة الألفاظ . وهى الكلمات التى تدور على الألسنة ، لا المستكره منها ولا الميت ، ولذلك اختار لكتابه اسم « الجمهرة » فما باله يتجاوز ما وعد ؟ فسر فى باب الباء والتاء من أبواب الرباعى الصحيح كلمة (جعتب) فقال : اسم من فعل ممات ، والجعتبة : الحرص والشره ، أو يقول فى نفس الباب : دعتب ، موضع قد جاء فى شعر شاذ ، أنشدنا أبو عثمان لرجل من كلب :

حلت بدعتب أم بكر والنوى
مما تشتت بالجميع وتشعب

ثم يقول : وليس تأليف دعتب بالصحيح (1) .
أو يقول : بخشع : اسم ، وليس بثبت (2) الا أن تكون الكلمة سائرة على الألسن فى عهده ويريد أن يشير الى عدم ثبوتها .
وبعد ،

فكتاب الجمهرة ، من أصل كتب اللغة وأوثقها ، وإذا كان الاختصار قد قلل من حجمه ، واضطرب تنظيم الأبواب فيه ، فقد استكمل ما ذهب به الاختصار فى بحث شامل ختم به الكتاب تحت اسم النوادر . ولا يكاد الباحث يقلب صفحات الكتاب حتى يدرك طريقة الترتيب ، ووجهة ابن دريد فيه .

ونحن حين نذكر هذا الرجل لا ننسى أنه أملى الجمهرة من ذاكرته لم يرجع الى كتاب مدون الا فى الهمز واللفيف ، أما ما يقوله تفتويه وتلميذه الأزهرى من طعن فى ابن دريد ، فسرده - فيما أعتقد - الى المعاصرة ، والمعاصرة حجاب .

(2) 296 :

(1) 295 :

أبو اسماعيل بن القاسم القالي 288 - 356 هـ وكتابه (البارع)

ولد أبو علي بمناز كرد ، من أرمينيا سنة ثمان وثمانين ومائتين ورحل
الى بغداد طلبا للعلم سنة ثلاث وثلاثمائة ، وكانت عمره آنذاك خمسة عشر
عاما ، فأدرك فيها ابن الأنباري ، وابن درستويه ، ونفطويه ، وابن دريد ،
والزجاج ، والأخفش ، وأخذ عن ابن قتيبة كتب أبيه ، وقرأ على أبي بكر
أحمد بن محمد القرآن الكريم بقراءة أبي عمرو بن العلاء أكثر من مرة ،
كما أخذ عنه كتابه في القراءات السبع - وقرأ على ابن درستويه كتاب
سيبويه عن المبرد ، وناظره فيه ، واستفسره مشكلاته ، وقال : (وقرأ معي
الكتاب أجمع أبو جعفر ابن أبي محمد بن درستويه تعليما ورواية) وكتب
الحديث عن أبي بكر السجستاني ، ويحيى بن صاعد ، وأبي عمرو محمد
ابن يوسف القاضي ، وأبي القاسم البغوي وآخرين (1) .
ويبدو أن الحاجة قد دفعت بأبي علي الى تغيير أسلوب حياته .
وبلغت به الشدة أن باع كتاب الجمهرة وكان بخط صاحبه ابن دريد ،
وتبعته نفسه فقال متحسرا :

أست بها عشرين عاما وبعثتها
وقد طال وجدى بعدها وحنيني

(1) انباه الرواة 1 : 205 - 207 ، بغية الوعاة 210

وما كان ظنى أننى سأبيعها
ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لعجز وافتقار وصيبة
صفار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرتى
مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين (1)

وتوجه الى الأندلس وقد جاوز الأربعين بعامين ، فقصده عبد الرحمن
الناصر الاموى فأكرمه بقدر ما قدم له ولابنه الحكم المستنصر من العلم
والمعرفة .

ومن مؤلفات القالى : كتاب الأمالى والنوادر الذى أملاه من حفظه
فى مسجد الزهراء ، وكتاب المقصور والمدود ، والابل وتناجها ، وكتاب
حلى الانسان ، والخيال وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت ، ومقاتل الفرسان ،
وكتاب فى القصائد والمعلقات وتفسيرها واعرابها ، ومعجمه البارع .

كتاب البارع فى اللغة

هو أول معجم يظهر فى المغرب ، يصنفه الزبيدى - وكان تلميذا لأبى
على القالى - بأنه فاق كتاب العين بأربعمائة ورقة ، لأن القالى ذكر بعض
الأصول التى كان يراها صاحب العين مهمة ، ورتبه القالى كترتيب العين
الا من اختلاف فى ترتيب الأبجدية ، وقد أخبره ولده ، أن أباه بدأ كتاب

(1) المزهرة 1 : 95

البارع فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ثم قطعتة علل وأشغال ، ثم عاود النظر اليه بأمر أمير المؤمنين وتأكيدة عليه ، فبدأ فيه ثانية فى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة حتى أكمله ، وبدأ بنقله حتى أتم كتاب الهمز ، والهاء ، والعين ، ثم مرض وتوفى قبل أن يتمه (1) فشارك فى إتمامه محمد بن الحسين الفهرى الوراق ، ومحمد بن معمر الجيانى .

ويبدو أن أبا على ، وقد استشعر ما تبوأ كتاب العين من أهمية ، وحريص ابن دريد على أن يخرج معجم الجهرة — رأى أن يسلك هذا المسلك متأثرا بأستاذه ابن دريد ، فعمل البارع الذى يقول فيه السيوطى : (وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادى ، وموعب ابن التيانى) (2) .

ولقد عثر على قطعتين من معجم البارع ، أحدهما فى المتحف البريطانى والأخرى فى المكتبة الاهلية فى باريس ، نشرهما وقدم لهما الأستاذ أ . س . فلتن .

وقال فى المقدمة : من بين الأوراق التى عثر عليها أمناء المتحف البريطانى وثيقة ترجع شهرتها الى هذا النموذج من الخطوط القديمة ، وهى مكتوبة بخط أندلسى يرجع الى القرن الحادى عشر الميلادى تقريبا ، يتضمن المخطوط جذازات من معجم عربى كبير اسمه الكتاب البارع فى اللغة ، وكان كتابا مشهورا ألفه صاحبه فى قرطبة فى القرن العاشر الميلادى .

وعندما عثر على هذه الوثيقة كانت الأوراق مربوطة بعضها الى بعض

(1) انباه الرواة 1 : 209

(2) المزهرة 1 : 89

فى غير نظام ، وكان الترتيب الأبجدي يقودنا الى الترتيب الصحيح .
والمخطوط الآخر المماثل - والذي وجد بمحض الصدفة فى مكتبة
غير مفهرسة ، يحتفل أن تكون فى شمال أفريقيا أو الشرق الأدنى كان
على جزازات حفظت فى المكتبة الأهلية بباريس - وهو أيضا مكتوب
بخط أندلسى يرجع الى نفس العصر الذى كتبت فيه الأوراق الأولى ،
ولكن بخط ناسخ آخر - أكثر تألقا - وتبلغ المجموعة الأولى ثلاثة
أضعاف ونصف القطعة الثانية ، ولا تشترك القطعتان الا فى ثمانى صفحات
فقط - وعالجت كل واحدة ، فيما عدا هذا ، مادة تخالف الأخرى (...)

تهذيب اللغة

لابي منصور محمد بن أحمد الأزهرى

370 — 282

والأزهرى ، نسبة الى أبيه الخامس ، فهو محمد بن أحمد بن طلحة ابن نوح بن الأزهر — ولد وتلقى عن رجال الشافعية فى هراة ، احدى عواصم خراسان ، ولما نيف على الثلاثين ، ذهب يؤدى فريضة الحج ، فوقع فى أسر القرامطة حين عودته وطال مقامه بينهم ، ففصح بفصاحتهم ، وهو يحكى ذلك فيقول :

« وكنت امتحنت بالاسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهير ، وكان القوم الذين وقعت فى سهمهم عربا ، عامتهم من هوازن ، واختلط بهم أصرام من تميم ، وأسد ، بالهير ، نشأوا فى البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون الى اعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التى اعتادوها ، ولا يكاد يقع فى منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت فى اسارهم دهرا طويلا ، وكنا تششى الدهناء ، وتربع الصمان ، وتثقيظ الستارين ، واستفدت من مخاطباتهم ومحاوره بعضهم بعضا ألفاظا جملة ، ونوادير كثيرة ، أوقعت أكثرها فى مواقعها من الكتاب ، وستراها فى موضعها اذا أتت قراءتك

عليها ان شاء الله » (1) •

فلما أفلت من أساره ، عرج على العراق ، فجلس في بغداد الى أبي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه ، وأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج ، ولما عاد الى هراة تلمذ على أبي الفضل محمد بن جعفر المنذرى ، وجماعة من العلماء •

كتب الأزهرى فى مقدمة التهذيب تعريفاً بقدامى اللغويين ، وبكتبهم التى انتهى علمه اليها ، وكيفية وصولها اليه حتى سمعها شفاها من شيوخه ، فكان هذا التعريف وهذا الاسناد نوعاً من التأليف أحسب الناس فى حاجة اليه حاجتهم الى كتاب التهذيب نفسه • ولولا ضيق هذا المكان لشغلته بمقدمة الأزهرى فى هذا الوجه ، ولكن لا بأس من بعض يشير الى البعض •

عنون لحديثه بقوله « باب ذكر الأئمة الذين اعتمادى عليهم فيما جمعت فى هذا الكتاب » - فأولهم : أبو عمرو بن العلاء ، أخذ عنه البصريون والكوفيون من الأئمة الذين صنفوا الكتب فى اللغات ، وعلم القرآن والقراءات ، وكان من أعلم الناس بألفاظ العرب ونوادير كلامهم وفصيح أشعارهم وسائر أمثالهم و •

وحدثنى أنه قال : كان عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى أول من بعج النحو ومد القياس والعلل وكان عيسى بن عمر أخذ عن ابن أبى اسحق ، وأخذ يونس عن أبى عمرو بن العلاء •

ومن هذه الطبقة خلف الأحمر ، وكان الخليل بن أحمد •
ومن هذه الطبقة المفضل بن محمد الضبى الكوفى •

(1) تهذيب اللغة 1 : 7 ط القاهرة سنة 1384 هـ - 1964 م بتحقيق وتقديم عبد السلام هارون ، ومراجعة محمد على النجار

الطبقة الثانية

ومن الطبقة الذين خلفوا هؤلاء أبو زيد سعيد بن أوس
الانصارى ، ومن هذه الطبقة من الكوفيين أبو الحسن على بن
حمزة الكسائي ، وعنه أخذ

وما كان فى كتابى لأبى عبيد عنه (يقصد عن أبى زيد) فما كان منه
فى تفسير غريب الحديث فهو مما أخبرنى به عبد الله بن هاجك عن أحمد
ابن عبد الله بن جبلة عن أبى عبيد ، وما كان فيه من الغريب والنوادر فهو
مما أخبرنى به أبو بكر الأيادى عن شمر لأبى عبيد عنه ، وما كان فيه من
الأمثال فهو مما أقرأنيه المنذرى وذكر انه عرضه على أبى الهيثم الرازى ،
وما كان فيه من نوادر أبى زيد فهو من كتاب ابن هانىء عنه ، وما كان فى
كتابى لأبى حاتم فى القرآن عن أبى زيد فهو مما سمعته من أبى بكر بن
عثمان السجزي حدثنا به عن أبى حاتم ، وأفادنى المنذرى عن ابن اليزيدى
عنه فوائد فى القرآن ذكرتها فى مواضعها من الكتاب .

..... وأما أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى

..... وما وقع فى كتابى لأبى عبيد عن الأصمعى فما كان منه فى
تفسير غريب الحديث (1) فهو مما أخبرنى عبد الله بن محمد بن هاجك عن
أحمد بن عبد الله عن أبى عبيد ، وما كان منها فى الصفات والنوادر
والأبواب المتفرقة فهو مما أخبرنى به أبو بكر الأيادى عن شمر لأبى عبيد،
وما وقع فى كتابى لأبرهيم الحربى عن أبى نصر عن الأصمعى فهو مما
فادنيته عن الحربى ، وما كان من جهة أحمد بن يحيى رواية عن أبى نصر

(1) بدأت ثقتى تهتز فى الازهرى فلم يكن للأصمعى نشاط فى تفسير
الحديث - تخرجاً

عن الأصمعي فهو من كتاب أبي عمر الوراق » (يقصد الزاهد غلام تعلق)
ونكتفي بهذا البعض فقد نقلت منه بدايات بعدها نقط تشير الى
الكثير من الاختصار ، واكتفيت بفقرتين كاملتين ، ولكن المقدمة في هذا
التعريف طويلة وهامة شغلت من الصفحة الثامنة حتى الأربعين - والعلم
بالرواة وكتبهم وتلاميذهم ، والعلاقة بين الجزئيات وحاملها والمتخصصين
فيها ورواتها ، وتسلسل السند في هذه الجزئية أو تلك مسألة الفت فيها
الكتب فقصرت عن هذه الغاية التي تراها في مقدمة الأزهرى ، ويبدو أنه
أحس بالزحمة فور فراغه منها فعقب قائلا :

« ولو أنى أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري وقرأته من كتب
غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون ، وأفسدها المصحفون
لطال كتابي ثم كنت أحد الجانبين على لغة العرب ولسانها - ولقليل لا
يخزي صاحبه خير من كثير يفضحه » .

ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب الا ما صح لي سماعا منهم أو
رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتي اللهم
الا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما فبينت شكى فيها ،
وارتيابي بها ، وستراها في مواقعها من الكتاب ووقوفى فيها » .

ولما كانت مقدمة العين من فلسفة الصوتيات التي لا يرقى اليها الا
افذاذ العربية فقد نقلها الأزهرى بسندها الى الخليل بن أحمد ، فنقل أبنية
كلام العرب على الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، وكذلك باب
القاب الحروف ومدارجها نقله بطوله ، كما نقل باب أحياز الحروف .

وبعد أن نال من الليث ، وابن دريد ، والبشتي ، وأبى الأزهر
البخاري بين قصده من تأليف كتابه فقال :

« وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأنني قصدت بما جمعت فيه من نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها ، وغيرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله ، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب » .

وربما لفتتكم أيها القاريء ، هذه العبارة في سبب تسمية الكتاب بالتهذيب ، وكان القصد تهذيب اللغة مما لحقها بفعل الأغبياء والغتم — يقصد هؤلاء العلماء الذين اشتغلوا بالعين والجمهرة — وما كان لعالم جليل كالأزهري أن يحتد بهذه الحدة حين يريد أن يعلن عن مرتبته في العلم ومرتبة كتابه ، وكان يكفي في ذلك هذا الثبوت من العلماء الذين تلقى عنهم ، وهذا الثبوت الضخم من كتب الرواة التي سمعها بأسانيدها .

كان الأزهري صاحب الحملة على كتاب العين . وهو لا يستطيع أن ينال من الخليل فنال من الليث ، وهو مع ذلك ينقل عن الليث ، ويعتمد عليه أكثر من أي لغوي آخر وربما أضأنا هذا الوجه ونحن نعرف بالكتاب . وكان المعجم الثاني جمهرة اللغة لابن دريد فوق في ابن دريد ووصفه بما لا يستحق وقال فيه :

« وممن ألف في عصرنا الكتب ، فوسم بافتعال العريضة ، وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الاسماء وكتاب الملاحن ، وحضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيت يروي عن أبي حاتم ، والرياشي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، فسألت أبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ، ولم يوثقه في روايته » .

كأن الأزهرى تبع لأستاذه ثقطويه فى هذه الخصومه ، والوجه
الثانى أن ابن دريد صاحب المعجم الثانى فى العريية والذى يسبق
التهذيب • والحملة على الليث ، وابن دريد اهون من الحملة الصاخبة
الشعواء التى شنّها على رجلين فى شرق العراق هما احمد بن محمد
الخارزنجى البشتى الذى الف التكملة (تكملة العين) وأما الرجل الآخر
فهو أبو الازهر البخارى ، صاحب كتاب الحصائل ، يقصد به تحصيل ما
أغفله الخليل •

ولا يغير هذا الظاهر الحاد من باطن سمح يتغى فى عمله مرضاة
الله ورسوله من خلال هذه اللغة ، لغة القرآن ، وحديث الرسول صلى
الله عليه وسلم حيث يقول :

(قلت : قد قال الشافعى - رحمه الله تعالى - فأحسن ، وأوضح
فبين ، ودل سياق بيانه فيما ذكرناه عنه آثفا وفيما لم نذكره ايجازا ، على
أن تعلم العريية التى بها يتوصل الى تعلم ما به تجرى الصلاة من تنزيل
وذكر ، فرض على عامة المسلمين ، وان على الخاصة التى تقوم بكفاية العامة
فيما يحتاجون اليه لدينهم الاجتهاد فى تعلم لسان العرب ولغاتها •••••

وكتابتى هذا وان لم يكن جامعا لمعانى التنزيل وألفاظ السنن كلها
فانه يحوز جملا من فوائدها ، ونكتا من غريبها ومعانيها غير خارج فيها
عن مذاهب المفسرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام
اللغويين المعروفين بالمعرفة الثاقبة والدين والاستقامة •)

من أسباب وضع الكتاب

ويقول متابعا حديثه السابق (ولقد دعانى الى ما جمعت فى هذا
الكتاب من لغات العرب وألفاظها ••••• خلال ثلاث :

منها : تقييد نكت حفظتها ووعيتها من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرائهم سنيات اذ كان ما أثبتته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التي ألفوها والنوادر التي جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة ولا يقوم مقام الدربة والعادة •

ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في افادتهم ما لعلمهم يحتاجون اليه ، وقد رويانا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ألا ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) •

والخلة الثالثة هي التي لها أكثر القصد أنى قرأت كتب تصدى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب الى الخليل ، ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا ، وقد أخل بها ما أنا ذاكره من دخلها وعوارها وألفت طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لا يعرفون من آفات الكتب المصحفة المدخولة ما عرفته ، ولا يميزون صحيحها من سقيمها كما ميزته ، وكان من النصيحة التي التزمها توخيا للمثوبة من الله عليها ان انضح عن لغة العرب ولسانها العربى الذى نزل به الكتاب وجاءت به السنن والآثار) (1)

ترتيب التهذيب

لم يختلف ترتيب الأزهرى عن ترتيب الخليل ، ولم يستطع أن يتخلص من أسر لحقه من كتاب العين ، فكما نقل مقدمة الخليل فى ترتيب حروف المعجم بحسب مخارجها وأحيازها تأثر أيضا بترتيب الابواب فكان:

ابواب المضاعف من حروف العين — وجاء بها مع الحاء ، والهاء ،

(1) تهذيب اللغة 1 : 5 - 7

والحاء ، والغين الى آخر تقاسيم الخليل ، ثم أبواب الثلاثى الصحيح من حروف العين مرتبة على هذا النهج ، ثم الثلاثى المعتل ، واللفيف ، والرباعى ، والخماسى .

صورة عامة

لا تكاد تقرأ صفحات من التهذيب حتى تتغير أمامك الصورة التى استقرت فى ذهنك بعد المقدمة . فالليث ، وابن دريد جرى عليهما من الأوصاف ما استبعدت معه أن أرى احدهما ضمن رواة التهذيب فاذا بسى أرى الليث عمدة فى هذا الكتاب ، واذا وضعت الرواة مرتبين بقدر مشاركتهم فى رواية التهذيب لوقف الليث فى المقدمة بلا مكابرة - فارتفع الليث من حيث أريد له الدنو ، والصورة العامة التى توحى بها قراءتك للتهذيب أن الأزهرى وضع العين ، ووضع الجمهرة أمامه ، وحاول أن يضع معجماً يكبرهما حجماً - فكان له ذلك - دون أن يكبرهما علماً ، ومعظم مادة العين الا من محاولة طفيفة لتغليفها جاءت فى كتاب الأزهرى أما ما وعد به من التخفيف والاختصار فقد ذهب فى رغبة الغلب والاكثر . لقد كان لابن دريد خطة واضحة هى معاونة عامة الناس على ادراك جمهرة اللغة ، اما التهذيب فبغير خطة موضوعة أعد كتاباً على نهج العين ، ومن مادته ، ومن جمهرة اللغة ، ومن كتب الرواة ما قرأه وما سمعه ، ومما حققه من معرفة بالمشافهة والدربة فى اسر القرامطة فخرج كتاب فى العربية له وزن يستمد من طول النفس والاستطراد ، وهذا شئ يستحب فى مثل هذه الموسوعات .

الاستطراد العلمى النافع

ونحن لا نستطيع أن نستطرد ، فى استطراد الأزهرى فتأخذنا السعة بعيداً عما نؤيناه من التعريف بالمعاجم موجزين ، وحسبنا أمثلة مختارة .

كان الأزهرى يضع أمام القارئ أقوال العلماء فى بعض ظواهر اللغة دون أن يشترك مع فريق منهم ، ففى (عس) عرض لكلمة (عس) فأورد قوله تعالى (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس) وقال :

(قال ابن جريج : قال مجاهد فى قوله (والليل اذا عسعس) قال : هو اقباله ، وقال قتادة : هو ادباره واليه ذهب ابن الكلبي •

قال الفراء : اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس : أدبر ، قال : وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسعس معناه دنا من أوله وأظلم • وكان أبو البلاد النحوى ينشد بيتا :

عسعس حتى لو يشاء ادنا
كان له من ضوئه مقبس

قال : ادنا : اذ دنا ، فأدغم ، قال الفراء : وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع •

وكان أبو حاتم ، وقطرب يذهبان الى أن هذا الحرف من الأضداد ، وكان أبو عبيدة يقول ذلك أيضا : عسعس الليل أى أقبل ، وعسعس اذا أدبر وأنشد :

مدرعات الليل لما عسعسا

أى أقبل ، وقال الزبرقان :

وردت بأفراس عتاق وفتية

فوارط فى أعجاز ليل عسعس

أى مدبر •

وقال أبو اسحق بن السرى : عسعس الليل اذا أقبل ، وعسعس اذا أدبر وقال : والمعنيان يرجعان الى أصل واحد ، وهو ابتداء الظلام فى أوله

وادباره فى آخره •

أبو العباس عن ابن الأعرابى قال : العسيسة : ظلمة الليل كله ،
ويقال ادباره واقباله ، قال أبو العباس : وهذا هو الاختيار (1) •

ومع هذه السعة ، وهذا الجمع لأقوال الرواة ، فإن الأزهري لم
يتكلم فى الظاهرة اللغوية ، ولم يقل رأيه فى الأضداد •

وكذلك فى المقلوب ، فقد ذكر عن الليث :

— العيهرة من النساء التى لا تستقر نزقا فى مكان ، فى غير عفة •

— وقال الليث أيضا : يقال هيحرت المرأة ، وتهيحرت اذا كانت لا

تستقر فى مكان •

فقال الأزهري : كأنه عند الليث مقلوب من العيهرة لأنه جعل معناهما

واحدا (2) •

فأنت ترى الأزهري صاحب مكتبة لا صاحب مدرسة ، فهو ناقل

مكثر ، ولا يصانع فى مناقشة الظواهر اللغوية ، ولا تحليلها •

الاستثناس بالحديث

لقد تركت كلمة الاحتجاج ، وكلمة الاستشهاد عن عمد ، واخترت
كلمة الاستثناس لأنها تأتى قرينة لترجيح كفة الرواية ، والأزهري فى هذا
تبع لسابقه من أصحاب المعاجم فصاحب العين ، وصاحب الجمهرة كانا
يذكران حديث النبى صلى الله عليه وسلم بالرغم من أن بعض اللغويين
كان لهم رأى يعارض هذا الوجه ، وكان الأزهري ، بين آونة وأخرى :

(1) التهذيب 1 : 78 - 79

(2) التهذيب 1 : 140 ع هـ ر

وكلما واثته المناسبة ، يذكر من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يعينه على تكملة مادته (1) •

الأمثال

وكصاحبيه ، صاحب العين وصاحب الجمرة ، كان يشير الى الأمثال
يتمم بها شرحه ويستطرد اليها ، وتأخذ مكانها كالشواهد ، ففي مادة ع ق
يقول :

« ومن أمثال العرب السائرة في الرجل يسأل ما لا يكون ، وما لا
يقدر عليه : (كلفتني الأبلق العقوق) ومثله (كلفتني بيض الأنوق)
والأبلق ذكر ، والعقوق الحامل ، ولا يحمل الذكر ، وأنشد اللحياني :

طلب الأبلق العقوق فلما

لم يجده أراد الأنوق (2)

وفى ع ج يقول :

« قال أبو العباس ، قال ابن الأعرابي : الجمع جمع صوت الرحي ، ومنه
مثل العرب (جمعة ولا أرى طحنا) (3) •

وفى ع س يقول :

أبو عبيد : من أمثالهم في الحث على الكسب قولهم : (كلب عس
خير من كلب ربض) وبعضهم يقول : (كلب عاس خير من كلب
رابض) (4) •

ومن أمثالهم (عم ثوباء الناعس) يضرب للحدث يحدث ببلدة ثم

(1) انظر مثلا من الجزء الاول صفحات 89 - 105 - 118 - 130

(2) التهذيب 1 : 61 - 62

135 - 138 - 140 - 151

(4) التهذيب 1 : 80

(3) التهذيب 1 : 69

يتعداه الى سائر البلدان ، وأصله أن الناعس يتثائب فى المجلس فيعدى
ثوباًؤه أهل مجلسه (1) وهذه نماذج يجرى على مثلها العمل فى عامة
الكتاب .

رواة يحتاجون الى تعريف

وبعض الرواة لا يعرفهم القارىء فى يسر ، ولا يقوم الأزهرى
بالتعريف بهم ، ولا الرواية نفسها تعين على ذلك فمثلاً من أبو سعيد ؟
نحن نعرف من آباء سعيد الذين يصطنعون الرواية وهذا الوجه من
العلم :

أبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، وهو شيخ رواة العربية فى
آباء السعداء ، ولكنى عهدت الأزهرى يدعو به بلقبه الأصمعى .

ومنهم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، وكان كلفاً بجمع
أشعار الشعراء ، ورواية الدواوين وشرحها ، ومن تصانيفه : شرح ديوان
جران العود ، وأخبار اللصوص ، وشرح ديوان الهدليين ، وشرح ديوان
كعب بن زهير ، والفرزدق . ومادته هذه لا تأتلف معنا فى رواية اللغة ولا
فى هذه الاخبار التى رويت عن (أبى سعيد) .

ومن آباء سعيد أيضاً : أبو سعيد الضريير أحمد بن أبى خالد
البغدادى التلقى ، وكان طاهر بن عبد الله بن طاهر قد استقدمه من بغداد
الى خراسان ، وأقام بنيسابور ، وأماى بها المعانى والنوادر ، وهو بذالك
أقرب سبباً الى مادتنا فلعله هو ، وإليك بعض مقولاته كما يحكيها
الأزهرى :

(1) التهذيب 1: 121 ع م

— قال أبو سعيد : تصعصع وتضعضع بمعنى واحد اذا ذل وخضع ،
قال : وسمعت ابا المقدام السلمى يقول : تصرع الرجل لصاحبه ، وتضرع
اذا تذلل واستخذى (1) •

قال ابو سعيد.: الضعصة : نبت يستشوى به (2) •

قال ابو سعيد : تقول العرب : أنا علان بأرض كذا كذا اى جاهل ،
قال : وامرأة علانة جاهلة ، قال : وهى لغة معروفة (3) قال الأزهرى : لا
أعرف هذا الحرف ، ولا أدري من رواه عن أبى سعيد •

وقال أبو سعيد : رجل علهان علان ، فالعلهان : الجازع ، والعلان :
الجماع (4) والغريب فى أمر أبى سعيد هذا ان مقولاته غير مقرونة باسناد
عنه او اسناد ينتهى اليه ويعرف من سلسلته من هو الا ان نطن انه ابو
سعيد الضريز احمد بن ابى خالد •

ثم من ابن هانىء ؟

يقول الأزهرى : وروى ابن هانىء عن أبى زيد أنه قال : العضاء :
اسم يقع على شجر من شجر الشوك له اسماء مختلفة يجمعها العضاء (5)

وأنا لا أعرف رجلا من رواة أبى زيد اسمه ابن هانىء ، ولم يوضح
الأزهرى من هو •

كراهيته لليث

أما الملفت مع العجب حقا ، أن الأزهرى أكل من مائدة الليث حتى

(1) التهذيب 1 : 77 ع ص
(2) التهذيب 1 : 78 ع ص
(3) التهذيب 1 : 107 ع ل
(4) التهذيب 1 : 142 ع ه ل
(5) التهذيب 1 : 75 - 131

بشم ، وملا كتابه من مقولاته ، ونظرة واحدة فى كتاب التهذيب ترىك أن
بناء الكتاب ، وأساسه ، من مقولات الليث ، وإذا به بين آونة وأخرى
يلسنه ، أو يغضى من شأنه ، واليك (عينة) انموذج ينتهى بصفحة ٥٠
من الجزء الأول من التهذيب :

— قال الليث فى ن ه ع

نهم ينهم نهوعا اذا تهوع للمقئ ولم يقلس شيئا
قلت (اى الازهرى) هذا حرف مريب ولا أحقه (1)

— وقال الليث : الهيمع : الموت الوحى ، قال : وذبحه ذبحا هيمعا
اى سريعا

قلت (اى الازهرى) هكذا قال الليث الهيمع بالعين والياء قبل
الميم . وقال أبو عبيد سمعت الأصمعى يقول : الهيمع : الموت ، وأنشد
للهدلى

من المربعين ومن آزل

اذا جنه الليل كالناحط

وقبله

اذا وردوا مصرهم عوجلوا

من المرت بالهميغ الذاعط

هكذا رواه الرواة بكسر الهاء والياء بعد الميم

قلت (اى الازهرى) وهو الصواب . قلت : والهيمع عند البصراء

تصحيف (2)

(1) التهذيب 1 : 147 .

(2) التهذيب 1 : 149 .

— وفى العين والبدال

قال : (قال ابن المظفر : العد : موضع يتخذہ الناس يجتمع فيه ماء كثير ، والجميع الأعداد • قال والعد : ماء يجتمع ويعد

قلت : (أى الأزهرى) غلط الليث فى تفسير العد ، والصواب فى تفسير العد ما رواه ابو عبيد عن الأصمعى انه قال : الماء العد : الدائم الذى لا انقطاع له مثل ماء العين وماء البئر — وجمع العد أعداد ، وأنشد لذى الرمة يذكر امرأة حضرت ماء عدا بعدما نشئت مياه الغدران فى القيظ فقال :
دعت مية الاعداد واستبدلت بها

خناطيل آجال من العين خذل

استبدلت بها ، يعنى منازلها التى ظعنت عنها حاضرة اعداد المياه ،
فخالفها اليها الوحش ، وأقامت فى منازلها •

قال شمر : قال أبو عبيدة : العد القديمة من الركايا • قال : ومنه قولهم : حسب عد أى قديم وأنشد :

فوردت عدا من الاعداد

أقدم من عاد وقوم عاد

قال : وقال أبو عدنان : سألت أبا عبيدة عن الماء العد فقال لى : الماء العد بلغة تميم : الكثير قال : وهو بلغة بكر بن وائل : الماء القليل • قال : بنو تميم يقولون : الماء العد مثل كاظمة جاهلى اسلامى لم ينزح قط • قال : وقالت لى الكلابية : الماء العد : الركى يقال : أمن العد هذا أم من ماء السماء وأنشدتنى :

وماء ليس من عد الركايا

ولا حلب السماء قد استقيت

وقالت : ماء كل ركية عد قل أو كثر (1) •
فاذا استخرجت المعاني منسوية للرواة بعيدا عن الحواشى لم تجد
مبررا للحملة على الليث ، فهو فى كتاب الازهرى على الوجه التالى
الليث : العد = موضع يتخذہ الناس يجتمع فيه ماء — ، ماء يجمع
ويعد •

الاصمعى الماء العد = الدائم مثل ماء العين والبئر •
ابو عبيدة = القديم من الركاي ، ماء عد = ماء كثير بلغة تميم ، وماء قليل
بلغة بكر بن وائل •

الكلاية = الماء العد = الركى •

ومن اللسان ، بعد أن ذكر روايات الازهرى كلها قال :

قل : العد = ماء الأرض الغزير •

وقيل = ما نبع من الأرض •

وقيل = الماء القديم الذى لا ينتزح (2) •

فهل ترى ما جاء به الليث يبعد عن كل هذا اذا أدركته على أقوال
الرواة ؟ فالبئر ، والعين ، والقديم من الركاي ، والركى ، وماء الأرض
الغزير ، وما نبع من الأرض ، والماء القديم الذى لا ينتزح لا يختلف عن
قول الليث : العد موضع يتخذہ الناس يجتمع فيه ماء كثير •

ولم أحد فرقا أو مباينة واضحة فى قوين متوالين أحدهما لليث
والثانى للازهرى ، قال الليث : الدعاعة حبة سوداء يأكلها فقراء البادية اذا
أجدبوا ، قال : ويقال لنملة سوداء تشاكل هذه الحبة دعاعة ، والجميع

(1) التهذيب 1 : 88 ع د

(2) اللسان ع د د

دعاع • ورجل دعّاع • فثّاث يجمع الدعاع والفتّ ليأكلهما •
قال الأزهري : هما حبتان بريتان اذا جاع البدوي في القحط دقهما
وعجنهما واختبزهما فأكلهما (1) •

— والعرب تقول : رجل معتم مخوّل (بفتح العين والواو) اذا كان
كريم الأعمام والأخوال ومنه قول امرئ القيس :
بجيد معتم في العنيرة مخوّل

وقال الليث : يقال فيه معتم مخول (بكسر العين والواو) فقال
الأزهري : ولم أسمعه لغيره (2) •

اما حملته على ابن دريد فتتوازي وحجم كتابه ، وان لم تكن فسي
حدثها أقل من الحمله على الليث ، فهو مثلاً يروي عنه قوله : الهطيع :
الطريق الواسع ، ثم يقول الأزهري : ولم أسمع الهطيع بمعنى الطريق
لغيره وهو من مناكيره التي ينفرد بها (3) •

ونسى الأزهري أن مثل هذه الموسوعات لا تسلم من التصحيف في
خلال الكتابة أو النسخ أو النقل أو الاملاء ، ولكن كان الرجل مصاباً
بالليث وابن دريد •

(1) التهذيب 1 : 94

(2) التهذيب 1 : 122

(3) التهذيب 1 : 135

تاج اللغة وصحاح العربية وشهرة الكتاب « الصحاح » لابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري

الجوهري ، رجل من شرق العراق ، من فاراب ، أخذ عن خاله
ابراهيم الفارابي وعن أبي سعيد السيرافي ، وسمع من أهل البادية ، وعاد
الى خراسان فأقام بنيسابور مدة ، وبرز في اللغة .

ذكر صاحب البلغة في أصول اللغة (1) نبذات عن الصحاح منسوبة
الى رجال اللغة من ذلك قول الخطيب التبريزي :

« وكتاب الصحاح ، كتاب حسن الترتيب ، سهل المطالب لما يراد منه ،
وقد أتى بأشياء حسنة ، وتفاهير مشكلات من اللغة ، الا انه مع ذلك فيه
تصحييف لا يشك في أنه من المصنف لا من الناسخ لأن الكتاب مبني على
الحروف ، ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها ، أو غلط ، غير
أن القليل منه الى جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه ، وأتعبوا أنفسهم في
تصحيحه وتنقيحه معفو عنه » .

وقد علل ياقوت لما وجد في الكتاب من تصحييف بأنه لما صنفه

(1) البلغة في اصول اللغة للسيد محمد صديق حسن خان بهادر ط
الجواب سنة 1296

الجوهري للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى سمع عليه الى باب الضاد المعجمة ، ثم مات الجوهري على أثر حادث ذكره ياقون فبقى سائر الكتاب مسودة غير منقحة ، فيضه تلميذه ابراهيم بن صالح الوراق فغلط فيه فى مواضع (1) ولكن هذا الرأى لم يجد قبولا لأن التصحيف وجد فيما قبل ، وبعد حرف الضاد ، ويحكى ياقوت حكاية لعبد الغافر الفارسي يقول : انه وجد على ظهر كتاب الصحاح وكان مجلدة واحدة كاملة بخط الحسن بن يعقوب بن احمد النيسابورى ما صورته :

« قرأ علىّ هذا الكتاب من أوله الى آخره ، بما عليه من حواشيه من الفوائد معارضا بنسختى مصححا اياها ، صاحبه الفقيه الفاضل السيد الحسين بن مسعود الصرام ، بارك الله فيه له ، وهو اجازة لى عن الاستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى عن المصنف (2) وهذا يعنى أن الكتاب وضع وصحح وقرئ بجميعه على الجوهري ♦

ترتيب الصحاح

يعتبر الجوهري صاحب ابتكار وتطور فى نظام المعاجم ، وهو رائد من مفكرى رجال اللغة ، أدرك ما يعانى به الباحث فى كتاب العين ، وأن صاحب الجمهرة أراد أن يخفف العبء فلم يوفق الى تنظيم يكفل الراحة للباحثين ، وجاء الأزهرى فلم يغير كثيرا عن سابقه وبقيت المشكلة كما هى ، كيف يبحث الطالب فى المعجم ؟

يقول فى مقدمة وجيزة بدأ بها كتاب الصحاح « قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة التى شرف الله تعالى منزلتها وجعل

(1) معجم الادباء 6 : 157

(2) معجم الادباء 6 : 163

علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق اليه ، وتهذيب لسم
أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا
على عدد حروف المعجم وترتيبها الا أن يهمل من الأبواب جنس من
الفصول بعد تحصيلها بالعراق رواية ، واثقانها درايسة ، ومشافهتي بها
العرب العاربة في ديارهم بالبادية »

هذا البيان الموجز الذي قدم به لكتابه يحمل تطورا ضخما يحتاج
الى شرح وفضل بيان ، ولقد عرف به كل من الشيخ أبو الوفا نصر
الهوري في مقدمة النسخة المطبوعة في مصر ، والسيد محمد صديق بن
حسن حان القنوجي في كتاب البلغة في شذور اللغة .

ولقد أفدت من الرجلين حين أخذت في شرح خطة الجوهري .

قسم الجوهري كتاب الصحاح الى ثمانية وعشرين بابا بحسب أواخر
الكلم ، ثم نظر ثانيا الى أوائل الكلم فجعل في كل باب فصوله بعد أن
يجرد المادة من حروف الزيادة في أولها وآخرها ، فمثال المزيد كما يحكى
الهوري : الأرب ، والأزيب ، والانبوبة لان الكلمة اذا كان في أولها ألف
وبعدها ثلاثة أحرف فأكثر تكون زائدة لا تعد من الأصول فيقال في أرب
وزنه أفع ، وفي أنبوبة أفعولة فالجروف المقابلة للفاء والعين واللام هي
الأصول - وتأسيسا على هذا الشرح فانه يذكر هذه الألفاظ الثلاثة في
فصل الراء والزاي والنون من باب الباء .

وكذلك ما بعد الحرف الاول رتبته على ترتيب حروف المعجم فاذا
قال :

باب الباء ، بدأ فيه بفصل الألف ، وجاء فيه بحروف الوسط على
الترتيب حتى يصل الى الالف التي تليها الواو ، فيقدمها على ما تليها الهاء
وهكذا في كل فصل - يقدم فصل الواو من كل باب على فصل الهاء .

ويؤخر الياء بخلاف الأبواب فانه قدم فيها باب الهاء قبل الواو ليجعلها
- اى الواو - مع الياء فى باب واحد فصارت الحروف التى بوب لها
سبعة وعشرين الا أنه لما كانت الألف على قسمين مهموزة ولينة جعل
الأولى فى اول الابواب وعقد للثانية وهى اللينة غير المنقلبة عن باء أو واو
بابا أخيرا عقب باب الواو والياء الذى فى ضمنه المنقلبة عن واو أو ياء
فكملت الأبواب ٢٨ •

المواد المهمة

قد رأيت فى نظام التقاليب ما تأتى به من كلمات لا معنى لها ، أو
غير مستعملة فتركت ، والأمر هنا لا يختلف عن هذا القصد ، فكملت
الأبواب ، وسقطت بعض فصولها ولكى اقرب عليك ، انظر الى باب الباء
مثلا ، وابحث له عن فصل الفاء ، وأدره على الحروف فانك لا تجد كلمة
مستعملة ، فأسقطها الجوهري ، ووضع الشيخ الهوريني جدولا فى آخر
المقدمة بين فيه عدد الفصول الساقطة من كل باب •

وفى التحشية أيضا ، تجد فجوات واسعة فى الحروف الوسطى ، فلا
محل مثلا لحروف التاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والخاء ، والشين ،
والصاد ، والضاد ، والطاء ، والعين ، والغين ، والقاف ، واللام ، والميم ،
والنون من باب الهمزة فصل الباء •

أما فى فصل التاء من نفس الباب فلا يوجد غير الهمزة ، والتاء ،
والنون ، وبقية الحروف مهمة فى التحشية •

صورة عامة

فى مثل هذه الكتب الكبيرة ، لا يكتفى فيها بمجرد التعريف الموجز ،
والاتجاه فى التأليف واختلاف عمل المؤلف عن عمل أقرانه الذين سبقوه

فى ميدانه ، ولكن لا بد من الكشف عن الروح العامة التى حكمت تأليف الكتاب ، ولما كان هذا العمل لم يؤد فى وقت واحد ، ولا تحت ظروف واحدة فقد جاء لذلك مبسوط الشرح أحيانا يستطرد على سجيته فيأتى بالعزيز المفيد ، وقد تفر الهمة وتضييق النفس — أو يحسن المؤلف الظن بالقارىء — فتأتى المادة موجزة قصيرة مبتسرة •

فمن الاستطراد المفيد الا يكتفى ببيان المعنى وانما يذهب الى سبب التسمية

— نفى ذأب يقول :

« تذأبت الريح ، وتذأبت بسعنى ، أى اختلفت ، وجاءت مرة كذا ومرة كذا قال الأصمعى : أخذ من فعل الذئب لأنه يأتى كذلك » (1) •

— ومن الاستطراد المفيد التماس المناسبة للكلام فى التشابه من الفرائد

يقول فى رمح :

الرمح جسه رماح ، وأرماح ورجل رامح أى ذو رمح ولا فعل له مثل لابن وتامر • (2)

— ومنه فضل البيان فى فعل وافعل

كقوله فى جفأ (..... والجفاء ما تفاه السيل ، قال الله تعالى (فأما الزبد فيذهب جفاء) أى باطلا وجفأ الوادى جفأ اذا رمل بالقذى والزبد ، وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان • وأجفأت لغة فيه ، وجفأت القدر أيضا اذا كفأتها أو أملتتها فصبيت ما فيها ، ولا تقل أجفأتها) فتراه هنا يفرق فى استعمال الصيغتين فاذا كان ذلك بفعل الوادى نفسه أو القدر نفسها جاز فعل وأفعل ، واذا كان ذلك بفعل الانسان لم يجز الا فعل •

(1) الصحاح 1 : 51

(2) الصحاح 1 : 175

وقال أبو عبيدة خطيء وأخطأ لغتان بمعنى واحد ولكن
الأموى فرق بينهما فاسم الفاعل من الرباعى (المخطيء) من أراد الصواب
فصار الى غيره ، واسم الفاعل من الثلاثى (الخطيء) من تعمد لما لا
ينبغي .

ومن الفروق الدقيقة .

فى سبأ ، سبأت ومسبأ اذا اشتريتها لتسربها . قال الشاعر :
يفلّو بأيدي التجار مسبوها

اى انها من جودتها يفلّو اشتراؤها ، واستبأتها مثله ، ولا يقال ذلك
الا فى الخسر خاصة ، والاسم السباء على فعال بكسر الفاء ومنه سبيت
الخسر سيئة قال حسان :

كأن سيئة من بيت رأس
يكون مزاجها عمل وماء

ويسمون الخمار : السباء ،

فاذا ما اشتريتها لتحملها الى بلد آخر قلت سبيت الخمر - بلا

هـز (1) .

الأخرب ، والأخرم

فى خرب ، كل ثقب مستدير فهو خربة ، والمخروب المشقوق ، ومنه
قيل رجل أخرب للمشقوق الاذن ، وكذلك اذا كان مثوب الاذن - فاذا
انخرم بعد الثقب فهو آخرم .

الخوبة والخوبة

يروى عن أبى عمرو : اذا قات أصابتنا خوبة (بالمعجمة) فمعناه

(1) الصحاح 1 : 13

المجاعة وإذا قلت : أصابتنا حوبة بالحاء غير المعجمة فسمعناه الحاجة (1) ♦

الوثاجة ، والوثارة

أبو زيد : الوثاجة : كثرة اللحم ،

والوثارة : كثرة الشحم

قال : وهو الضخم فى الحرفين جميعا ♦

وفى فوخ ، يتفق الاصمعى وأبو عبيدة على أن فاخت منه ريح طيبة
تفوخ وتفيخ مثل فاخت ♦ ويقول أبو زيد فاخت الريح تفوخ إذا كان لها
صوت ، قال : وأفاخ الانسان أفاخة ، وفى الحديث « كل بائلة تفيخ » قال :
وأما الفوخ بالحاء فمن الريح يجدها لا من الصوت ♦ وقال النضر بن
شميل : إذا بال الانسان أو الدابة فخرجت منه ريح قيل أفاخ وأنشد
لجريس :

ظل اللهازم يلعبون بنسوة

بالجوّ يوم يفخن بالأبوال

أى على الأبوال (2) ♦

الفروق فى المعانى باختلاف المصادر

فى برأ

تقول : برئت منك ، ومن الديون ، والعيوب براءة .

وبرئت من المرض برءا (بالضم) ♦

وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برءا (بالفتح) ♦

والجوهري هنا يفرق بين البراءة من الديون والعيوب - وبين البرء

(1) الصحاح 1 : 50

(2) الصحاح 1 : 207

من المرض ، كسا يفرق بين منطقها عند سائر العرب بضم الباء ، وعند
الحجازيين بفتحها (1) .

اللغات

وفى حصب ، وحضب ، وحطب قال :
الحصب ، ما يحصب به فى النار أى يرمى .

والحضب لغة فى الحصب ، ومنه قرأ ابن عباس « حطب جهنم » قال
القراء : يريد الحصب قال : وذكر لنا أن الحضب فى لغة أهل اليمن
الحطب ، وكل ما هيجت به النار وأوقدتها به فهو حطب ، والمحضب
المسعر ، قال الأعشى :

فلا تك فى حربنا محضبا
لتجعل قومك شتى شعوبا (2)

وقد يشغلنا بشيء لا حصيلة من ورائه ، كأن يقول : (هلج : الاهليلج
معرب ، قال ابن السكيت : هو الاهليلج والاهليلجه بالكسر ولا تقل
هليلجة ، وقال ابن الأعرابي : هو الاهليلج بفتح اللام الأخيرة قال : وليس
فى الكلام افعيل بالكسر مثل اهليلج وابريسم واطريفل)
وترك السائل يقول ما الاهليلج ؟

اختصار ، والايضاح اجود

ومع ما رأيت من استطراد وسعة أحيانا ، ففى الصحاح اختصار يبدو
أن الجوهرى افترض فى القارىء معرفة بما أوجزه ، مثال ذلك :
فى جرأ :

(1) الصحاح 3 : 1

(2) الصحاح 44 : 1

(الجرءة مثال الجرءة الشجاعة ، وقد يترك همزة فيقال : الجرءة مثل الكرة كما قالوا للمرأة مرة) (1)

وكان الأفضل أن يبين الجوهري هل ترك الهمز وتحقيقتها يصدر عن ناطق واحد ؟ ، وان كان المعروف ان اهل الحجاز لا يهمزون ، وقد تكررت عبارة يهمز ولا يهمز في اماكن كثيرة من غير تعليل ولا بيان ، جاء ذلك مثلاً في

حتاً : فيقول : حتأت الكساء حتاً اذا فتلت هديه ، وكففته ملزقا به — يهمز ولا يهمز ، فيقال : حتوته حتوا ، وقال ، ابو زيد في كتاب الهمز : احتات الثوب بالالف اذ فتلت مثل الأكسية •

وفي حجا يقول :

(حجات بالامر : فرحت به ، وحجئت بالشئ حجا اذا كنت مولعا به ضنينا يهمز ولا يهمز) ولم يبين هل ترك الهمز وتحقيقه في حجات بفتح عين الفعل أو حجئت بكسرها ، أم في الاثنين ، وهل يصدر ذلك عن ناطق واحد ؟

ويقول في حضاً :

حضأت النار سعرتها ، يهمز ولا يهمز •

وفي خطأ يقول

(الخطأ نقيض الصواب ، وقد يمد ، وقرىء بهما قوله تعالى « ومن قتل مؤمنا خطأ » ، تقول منه : أخطأت ، وتخطأت بمعنى واحد ولا تقل أخطيت ، وبعضهم يقوله) فمن هؤلاء البعض ؟

(1) الصحاح 1: 5

وبعد

فهذه جلسة مع كتاب الصحاح تعرفنا فيها على طريقة الجوهري .
ومسلكه ، وترتيبه اما الذين أطلوا النظر فى هذا الكتاب ، وجعلوا همهم
مدارسته فقد صدر عنهم من العلم الغزير ما يتجاوز مجرد التعريف ، منهم
من عنى بجزئية منه كما فعل السيوطى الذى خرج أحاديثه فى مختصر
سماه (فلق الاصباح فى تخريج احاديث الصحاح) ومنهم من استدرك
عليه أو شرحه ، من أوائلهم ابو سهل محمد بن على الهروى ، فيحكى انه
نقل الصحاح من خط الجوهري رواية عن اسماعيل بن محمد بن
عبدوس - ولأبى القاسم الفضل بن محمد القصبائى كتاب اسمه
(حواشى الصحاح)

وبدأ ابن القطاع على بن جعفر كتابا فى تحشية الصحاح ، وتوفى
دون أن يكمله فحاول هذه الرغبة تلميذه ابو محمد عبد الله بن برى فكتب
« التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح » وصل فيه الى
مادة و ب ش فأكملة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن البسطى
الأندلسى .

وألف محمود بن أبى المعالى بن الحسن الحوارى كتابين ، الاول
« ضالة الأديب فى الجمع بين الصحاح والتهذيب » ، والثانى اختصر فيه
كتاب الصحاح ، وجرده من الشواهد ، وضم اليه أشياء من تهذيب اللغة
للأزهري ، والشامل لأبى منصور الجبان والمقاييس لابن فارس وسمى
هذا الكتاب « ينابيع اللغة »

ولعل أهم الكتب التى ترتبط بالصحاح هو كتاب « التكملة والذيل
والصلة » للاستاذ اللغوى الكبير رضى الدين الحسن بن محمد الصغانى
الى غير ذلك مما تناوله المعلقون على كتاب الصحاح .

أما أشهر هذه المؤلفات وأكثرها وجودا فى أيدي الناس فهو كتاب

« مختار الصحاح » الذى سنفرده له تعريفاً ، ومن قبله كتب محمود بن احمد الزنجاني اختصاراً للصحاح اجراه مرتين ، وهو يوضح ذلك فى مقدمة كتابه « تهذيب الصحاح » فيقول :

(..... لما فرغت من كتاب ترويح الارواح فى تهذيب الصحاح
وقع حجمه موقع الخمس من كتابه « آى من كتاب الجوهري » من غير
اهمال شىء من لغته ، وكان قد حداني الى تهذيبه - أعنى تجريد لغته من
النحو والتصريف الخارجين عن فنه ، وحذف ما فيه من حشو وتكرير ،
واسقاط ما لا حاجة اليه من الأمثال والشواهد الكثيرة روم التخفيف
والايجاز ، ليسهل حفظه ، ويقرب ضبطه ، ثم نظرت ثانياً فرأيت همم بنى
الزمان ساقطة ، ورغباتهم نائمة ، وحرصهم قليلاً ، وحفظهم قليلاً ، فأوجزته
ايجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر من كتاب الجوهري ، ولا يعوزه
من لغته أكثر من العشر ليكون تذكيرة لنفسى مدة حياتى وأثرا بعد
وفاتى) (1) •

أما مختار الصحاح

فقد ألفه محمد بن أبى بكر الرازى ، وقال فى مقدمته ؟

« هذا مختصر فى علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح لما رأيته
أحسن أصول اللغة ترتيباً ، وأوفرها تهذيباً ، وأسهلها تناولاً ، وأكثرها
تداولاً وسميته « مختار الصحاح » واقتصرت فيه على ما لا بد منه لكل
عالم فقيه ، أو حافظ ، أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة
استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهم فالأهم خصوصاً ألفاظ القرآن
العزیز ، والاحاديث النبوية ، واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً •

(1) تهذيب الصحاح للزنجاني 4 بتحقيق عبد السلام هارون واحمد
عبد الغفور عطار ط دار المعارف مصر

للاختصار وضممت اليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهرى وغيره من اصول اللغة الموثوق بها ، ومما فتح الله تعالى به علىّ ، فكل موضع مكتوب فيه قلت فانه من الفوائد التى زدتها على الأصل .

ومختار الصحاح معجم مفيد سهل الحمل ، ولذلك تناوله الناسخون بالنسخ ، فتعددت مخطوطاته ، وكذلك تعددت طبعاته حين شئ له أن يطبع .

ثم رأت وزارة المعارف أن ينتفع به طلاب المدارس فكلفت الاستاذين محمود خاطر والشيخ حمزة فتح الله أن يتعاونوا على اعداده لهذا الغرض ، فحذفنا منه بعض المواد التى قد تفسد مسامع الطلاب ، كما غيرا ترتيبه . ومع هذا - احتفظا للكتاب باسم « مختار الصحاح » ، على غير ما تقضى به آداب النشر وتقاليده ، فبقى فى عالم المطبوعات مختار الصحاح الذى عمله الرازى ، ومختار الصحاح الذى عمله محمود خاطر وصاحبه حمزة فتح الله .

ويبدو أن هذا العمل لم يحقق غرضه ، واسم يرق لبعض العلماء المحدثين فعمل الاستاذان محمّد محيى الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد اللطيف السبكى كتابا باسم المختار من صحاح اللغة ، فاختارا كتاب مختار الصحاح الذى ألفه الرازى ليكون اساس الكتاب الجديد ، وأضافا اليه زيادات ذات بال من كتب اللغة الموثوق بها وأرشدوا الى مصدرها ليرجع اليها من أراد المزيد ، أما الترتيب - فقد اختاروا ترتيب الحرف الأول والثانى من اصول المادة ، كما صنع الزمخشري فى أساس البلاغة ، والفيومى فى المصباح المنير ، وابن الأثير فى النهاية .

وبعد .

فالجوهرى ليس أحسن اللغويين الذين سبقوه ، أو عاصروه

والصحاح وان جاء بفتح جديد وطريقة مبتكرة فى الترتيب ، ليس أوسع المعاجم علما ولا أكثرها دقة ، ولكن لأمر ما ، قد يكون التوسط بين السعة والايجاز وجد الناس فيه غناء مع سهولة الحمل ، فذاع وشاع ، وعملت له المختصرات والتهذيبات ، وعنى به الناس على اختلاف مشاربهم - هبة من الله .

ويقول الرافعى : « بلغ من اهتمامهم بكتاب الصحاح أنه كان فى بلاد قرمان مدرسة مشهورة بمدرسة السلسلة ، شرط بانها الا يدرس فيها الا من حفظ كتاب الصحاح للجوهري » (1) .

(1) تاريخ آداب العرب للرافعى 1 : 321 ط مصر سنة 1912 م

أحمد بن فارس بن زكريا 329 – 395

وكتابا المقاييس والمجمل

تعريف بابن فارس

نشأ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي في قزوين ، وأخذ عن أبيه (1) ثم رحل الى بغداد باديء الأمر طالبا للحديث فيقول « ... فحضرت مجلس بعض اصحاب الحديث ، وليست معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة من جبال ، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته ، فقال : من انبسط الى الأخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان » •

ثم أخذ النحو عن أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب ، وقرأ كتاب العين على أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان ، وأخذ كتابي ابي عبيدة : غريب الحديث ، والغريب المصنف على أبي الحسن علي

(1) قال ابن فارس : سمعت ابي يقول : سمعت محمد بن عبد الواحد يقول : سمعت ثعلبا يقول اذا نتج ولد الناقة في الربيع ومضت عليه ايام فهو ربع ، فاذا انتج في الصيف فهو هبع ، فاذا انتج بين الصيف والربيع فهو بعة نزهة الالب 392

ابن عبد العزيز ، وتلمذ لأبى عبد الله أحمد بن طاهر بن المنجم فأعجب به ، وقال فيه : أنه ما رأى مثله ، ولا هو رأى مثل نفسه .

وأخذ عنه أحمد بن الحسين المعروف بالبديع الهمداني ، وأقام بالرى بعد ان استدعى من همدان ليقرأ عليه أبو طالب فخر الدولة على بن ركن الدولة البويهى وهناك التقى بالصاحب اسماعيل بن عباد فتحابا ، فكان صاحب يقول : « شيخنا أبو الحسين ، رزق التصنيف ، وأمن من التصنيف » ، وكان ثمرة هذا اللقاء كتاب فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها الذى ألفه ابن فارس ، وأطلق عليه اسم الصحبى حين أهدها للصاحب اسماعيل بن عباد (1) .

صانع ابن فارس فى صنوف العلم ، وجمع الى دراسة اللغة النظر فى الحديث والفقه والسير ، وجانبه اللغوى لا يخلو من عمق وفلسفة . لقد نجم فى عصر واحد مع الجوهري صاحب الصحاح ، ونجم الاثنان فى شرق العراق ، وتأثرا بما ظهر من المعاجم وخاصة العين والجمهرة ، وبما صدر عن علماء اللغة فى بغداد من امهات الكتب كغريب الحديث ، والغريب المصنف لأبى عبيد الى غير ذلك فهل كان لهذا الجو المتماثل أثر فى صدور الصحاح عن الجوهري ومعه فكرة عميقة فى تطور المعاجم ، وصدور المقاييس ومعهما فكرة عميقة فى خصائص العربية وفى الناحية المعجمية أيضا ؟

هذا فرض قريب ، فالأجواء المتشابهة تأتى بثمر متشابهة .

وجهد ابن فارس لا يقف عند المقاييس ، والمجمل ، ولكن له فى اللغة نظرات وصلت به الى حد الالغاز للآخرين كفن يتزايد به على الناس جمعه فى كتاب سماه « فتيا فقيه العرب » أشار اليه السيوطى فى النوع

(1) : راجع ترجمته فى نزهة الالباء 392 وانباء الرواة 1 : 92

التاسع والثلاثين : معرفة الملاحن ، والالغاز وفتيا فقيه العرب (1) ويبدو أنه تأثر فيه بكتاب أبى بكر الحسن بن دريد ، فكتابيه الملاحن لا يختلف عن هذا الوجه من الالغاز اللغوى قال فى أوله :

(هذا كتاب الفناء ليفزع اليه المجبر المضطهد على اليمين ، المكسر عليها فيعارض بما رسمناه ، ويضمخ خلاف ما يظهر ليسلم من عادية الظالم ، ويتخلص من حيف الغاشم) •

والكتاب يدور على المشترك اللفظى ويورى عما يريد اخفائه بشىء ظاهر وليس هو المراد • من ذلك أن تقول : (والله ما عندى صقر ولا أملكه ، فالصقر : دبس الرطب ، والصقر : لبن حامض أشد حموضة تكون ، والصقر عند بعضهم : الخطط من الشعر فى باطن أذن الفرس) (2) •

وجاء فى انباه الرواة أن ابن فارس كان يومئذ الى أصحابه اذا وجد فقيها أو متكلماً أو نحويًا أن أسأله ، فإن وجده بارعاً جدلاً فى علوم الفقه أو النحو جره الى علوم اللغة فغلبه (3) •

وكتب فى الاتباع والمزاوجة كتاباً خفيفاً ، نشره رودلف برونو سنة ١٩٠٦ ، كما نشر مرة أخرى بتحقيق كمال مصطفى سنة ١٩٤٧ وطبع فى القاهرة بدأه بقوله :

« هذا كتاب الاتباع والمزاوجة ، وكلاهما على وجهين ، أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على روى واحد ، والوجه الآخر أن يختلف

(1) انظر فى المزهرة 1 : 622

(2) الملاحن ط القاهرة 1347 « طبع الملاحن مرات أولها بعناية المستشرق رايت فى ليدن سنة 1859 ، ونشره توربكه فى جوتا سنة 1882 ثم حققه ابراهيم اطفيشس الجزائرى »

(3) انباه الرواة 1 : 94

الرويان ، ثم تكون بعد ذلك على وجهين أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف الا أنها كالاتباع لما قبلها ، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق » •

أما كتاب المقاييس ، وكتاب المجمل فهما فى عداد المعاجم وان كان للمقاييس وجه تأملى آثرت أن أفرد له •

كتاب المقاييس

أعجب ابن فارس بجهد نفر من السابقين ، من أصحاب المعاجم ، فكان يتناول هذا التراث بهدوء وعمق ، وأتيح له وهو يدرس كتاب العين على أبى الحسن على بن ابرهيم القطان أن يلحظ الكثير من خصائص هذه اللغة ، ورأى أن المادة الواحدة تعطى معنى لا يختلف كثيرا فى تقاليبها ، ونحن نعرف أن الخليل هو صاحب فكرة التقاليب كما شرحت فى كتاب العين — فلما اطردت الفكرة مرات أمام مخيلة ابن فارس ، نظر فى تغليب الوجه الذى رآه ، وهو ان المادة أصل يضاف على مشتقاتها وتقاليبها معانيها •

وهذا وجه مما تأثر به ابن فارس من الخليل بن احمد من خلال نظام التقاليب ، والفكرة ليست بعيدة أيضا عن عقلية ابن دريد صاحب الجمهرة ، وان لم تكن قد برزت فى الجمهرة ، وانما فى كتاب الاشتقاق • ترى ما دوافع الاشتقاق عند ابن دريد وما هى فكرته ؟

لقد سمع ما قيل للعتبى : ما بال العرب سمت ابناءها بالاسماء المستشعة وسمت عبيدها بالاسماء المستحسنة ؟ فقال : لأنها سمت ابناءها لأعدائها ، وسمت عبيدها لأنفسها • أعجب ابن دريد بهذا الرد فقال : قد أحاب العتبى بجملة كافية ، ولكنها محتاجة الى شرح يوضحها الاشتقاق ، وسنأتى على ذلك ان شاء الله •

عمل كتاب الاشتقاق ، وبدأه باشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم باشتقاق أسماء آبائه ، فمحمد مشتق من الحمد ، وهو مُفَعَّل ، ومفعّل صفة تلزم من كثر منه فعل ذلك الشيء ... كما تقول كَرَّمْتَهُ وهو مُكَرَّمٌ • (1)

ومنه فى اشتقاق أسماء أعمام النبي صلى الله عليه وسلم :
« الحارث بن عبد المطلب ، قال : واشتقاق الحارث من أحد شيئين
أما من قولهم حرث الأرض يحريها حرثا إذا أصلحها للزراع ، أو يكون من
قولهم : حرث لندياه إذا كسب لها ، ومنه قوله عز وجل (من كان يريد
حرث الآخرة نرذ له فى حرثه) الآية أى يكتسب لآخرته •

ويقال : أحرث الرجل ناقته أحرثا إذا هزلها بالسير والتعب •
والمحراث : خشبة تحرك بها النار أو التنور ، والجمع محارث ، والحرث
الزراع بعينه ، وربما سمي الإصلاح للزراع حرثا ، والأول أعلى لأنه فى
التنزيل (ويهلك الحرث والنسل) •

ثم استمر ابن دريد فكتب اشتقاق الأعلام ، والقبائل ، وأسماء
مفردة ، وما اشتق من أسماء الشجر •

هذا الوجه أيضا لا يبعد عن فكرة المقاييس التى جاء بها ابن فارس ،
ورأى أن قاعدته هذه تطرد فوضع اللغة كلها على القياس ، وقال فى كتاب
الصاحبى وهو فى طريقه الى الاقتناع بفكرته (أجمع أهل اللغة الا من شذ
عنهم أن للغة العرب قياسا ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض)
وقال فى تفسير هذا : (ان الجن مشتق من الاجتنان ، وان الجيم والنون
تدلان أبدا على الستر ، تقول العرب للدرع جنة ، وأجنة الليل ، وهذا

(1) الاشتقاق 8 لابی بكر محمد بن الحسن بن دريد بتحقيق عبد السلام
هارون ط الخانجى سنة 1378 هـ - 1958 م

جنين أى هو فى بطن أمه ، أو مقبور ، وأن الانس من الظهور – يقولون
آنست الشئ أبصرته (1) •

وكان ابن فارس يحس أن نظريته تحتاج الى كثير من الاقناع ،
فأوهم أن الخليل قد رأى رأييه من قبل ، يقول فى المقاييس : (قال الخليل :
يقال جذا يجذو ، مثل جثا يجثو الا أن جذا أذل على اللزوم ، وهذا الذى
قاله الخليل فدليل لنا فى بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام ، وال خليل
عندنا فى هذا المعنى امام) (2) •

ونحن نعرض عليك شيئا من كتاب المقاييس ،

جاء فى الثلاثى من كتاب الباء :

بقر – الباء والقاف والراء أصلان ، وربما جمع ناس بينهما ، وزعموا
أنه أصل واحد ، وذلك البقر • والأصل الثانى : التوسع فى الشئ وفتح
الشئ ، فأما البقر فجماعة البقرة ، وجمعها أيضا البقير والباقر كقولك
حمير وضئى قال :

يكسعن أذناى البقير الكنس

وقال فى الباقر :

وما ذنبه ان عافت الماء باقر

وما ان تعاف الماء الا ليضربا

والباقر مثل الجامل فى الجمال ، قال أبو عبيدة : يقال للذكر أيضا
بقرة كما يقال للديك دجاجة •

(1) فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها (الصحبى) 33 ط القاهرة

سنة 1328 هـ – 1910 م

(2) المقاييس 1 : 439

قال الأصمعى : يقال رأيت لبنى فلان بقرا وبقيرا وباقرا وباقورة .
قال وأبقور مثل أمعوز . قال وأنشدنى ابن أبى طرفة
فسكنتهم بالقول حتى كأنهم
بواقر جلع أسكنتها المراتع

قال : والبواقر جمع لا واحد لها ، ويجوز أن يكون جمع باقرة . قال :
والبقير لا واحد له ، وهو جمع مثل الضئین والشَّوْرى « جمع شاة » .
ويقال : بقر الرجل اذا نظر الى بقر كثير مفاجأة فذهب عقله .
ومما حمل على هذا الباب قولهم فى العيال البقرة ، يقال : جاء فلان
يسوق بقرة أى عيالا كثيرا . وقال يونس : البقرة المرأة .

وأما الأصل الثانى فالتبقر التوسع والتفتح من بقرت البطن . قال
الأصمعى : تبقر فلان فى ماله أى أفسده . واليه يذهب فى حديثه صلى
الله عليه وسلم « أنه نهى عن التبقر فى الأهل والمال » .

قال الأصمعى : يقال ناقة بَقِير ، للتى يبقر بطنها عن ولدها . وفتنة
باقرة كداء البطن ، والمور البقير الذى تموت أمه قبل النتاج فيبقر بطنها
فيستخرج . قال ابو حاتم للمهر اذا خرج من بطن أمه وهو فى السلا
والماسكة ، فيقع بالارض جسده هو بقر، وضده السليل .

ومن هذا الباب قولهم : بقروا ما حولهم ، أى حفروا ، يقال : كم
بقرتم لفسيلكم . والبُقَيْرى لعبة لهم ، يدقدقون دارات مثل مواقع
الحوافر ، وقال طفيل

وملن فما تنفك حول متالع
لها مثل آثار البقر ملعب

ومنه قول الخضرى :

نيط بحقوقها جميش أقمر

جَهْم " كبتقار الوليد أشعر

فهذا الأصل الثانى ، ومن جمع بينهما ذهب الى أن البقر سميت لأنها
تبقر الارض وليس ذلك بشىء (1)

من هذه المادة من كتاب المقاييس ، ترى ابن فارس لا يعرض لنظريته
ويقف ، أو يكتفى بالأصل أو الأصلين أو الثلاثة أو غير ذلك مما يتفرع عن
المادة ، وانما يدخل فيما استقر عليه فهمنا من مهمة المعجم الواسع الذى
يبين معنى الكلمة وكيف جاءها هذا المعنى ، ومكانها من الافراد والجمع ،
وما يلحقها من تعبير مجازى الى غير ذلك مما تلحظه وأنت تقرأ هذه المادة.

مناقشة نظرية المقاييس

نظرية ابن فارس وان اعتنقها اكثر من واحد من رجال اللغة ، وخاصة
تلامذته فانها لا تجد اقتناعا سهلا الا على عمل وتأويل ، وهى ان وجدت
الطريق ذلولا سهلا أحيانا فى أبواب الثنائى والثلاثى فانها تتعثر فى بقية
الأبواب ، ولا يكاد يسهلها عمل ولا تأويل مهما أغرب - ويلحظ ابن
فارس هذا - فيخرج بتبرير يقول فيه ان الكلمات التى تزيد على ثلاثة
أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر ، من ضبط ،
وضبر - وفى قولهم : صهصلق أنه من سهل ، وصلق ، وفى الصلدم أنه
من الصلد ، والصددم (2) وعلى هذا فان مقاييسها تتبع أصولها قبل
النحت .

(1) المقاييس 1 : 277 - 280

(2) فقه اللغة (الصحبى) 227

ويحترز لهذا التبرير بقوله : ان ما زاد على ثلاثة أحرف لا يعدو أن يكون مشتقا على نفس القاعدة أو منحوتا بادی النحت أو موضوعا وضعاً على عادة العرب في مثله (1) ويعتمد في اثبات النحت على ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل اذا قال : حيّ على ولفظة أخرى متفق عليها وهي قولهم عبشمية وربما وجد ابن فارس في هذا النحت ، وهذه الأمثلة مع سعة في التأويل معيناً وسنداً على إقامة نظريته .

وما طريقة النحت عند ابن فارس ؟ هذه أيضا في نظره على وجهين ، أحدها موضوع وضعاً لا مجال له في طريق القياس — واذا كانت موضوعة هكذا لا مجال لها في القياس فكيف قال بأنها منحوتة ؟ ولماذا لم تكن موضوعة كأصل من أصول الرباعي أو الخماسي ؟ انه هو الآخر يقف حائراً لا يصل الى معرفة القياس فيه ، ولكنه مشدود الى نظريته ويعمل توقفه بقوله : (قد يجوز أن يكون له قياس خفى علينا موضعه والله أعلم بذلك) (2) .

أما الوجه الآخر فأغلب المنحوت مأخوذ من كلمتين كقولهم يحتر وهو القصير المجتمع الخلق فهذا منحوت من كلمتين (بتر) كأنه حرم الطول فبتر خلقه ، والكلمة الثانية (حتر) من حترت وأحترت وذلك أن لا تفضّل على أحد . يقال : أحتر على نفسه وعياله أى ضيق عليهم ، فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يعط ما أعطيه الطويل (3) .

ومن ذلك كلمة (بلهس) فهو يردها الى أصلين : بهس وقد فسرهما بقوله : (ان الأسد يسمى يبهسا ، وبله وهو صفة الأبله ومعنى الكلمة المنحوتة : اسرع) (4) والامر — في نظري — يحتاج الى عمق واغراب في

(2) المقاييس 2 : 141

(4) المقاييس 1 : 331

(1) المقاييس 2 : 337

(3) المقاييس 1 : 329

التأويل لكى أصل الى ما رآه ابن فارس من ان صفة الأسد مع البله
تغنى الاسراع •

ويتعقد الأمر وأنا أقلب نظرية ابن فارس عندما يجيز النحت من ثلاثة
أصول كقوله : السجل : الوادى الواسع ، وكذلك القرية الواسعة
سجلة • يقول : (فهذا منحوت من سجل اذا صب ، ومن سبل ، ومن
سحب اذا جرى وامتد ، وهى منحوتة من ثلاث كلمات ، تكون الحاء
زائدة مرة ، وتكون الباء زائدة ، وتكون اللام زائدة ، واذا عدنا الى
قراءة المواد متجردة من هذه الزيادات ، لم نجد رابطة اطمئن بها على
نظرية ابن فارس • بل هو نفسه يدركه الملل فتراه فى أبواب الرباعى مثلا
تقل مناقشته للألفاظ على طريقة المقاييس ، ويكتفى بالآتيان باللفظ
والمعنى • (1)

وبالرغم مما أشرنا اليه من شكوك فى اطلاق نظرية المقاييس
وتعيمها على جميع الأبنية فان الكتاب عالج بعض خصائص العربية بعمق
لا يتيسر الا للعلماء الكبار •

المجمل

وكتاب المجمل ، أقل مادة من المقاييس ، ولكنه أكثر شهرة وتداولاً ،
ربما لسهولة الحمل ، وقرب التناول ، واختصار المادة ، ويبدو أنه أعد
بهذه الصفات استجابة لطلب أحد الرؤساء ، يقول ابن فارس فى مقدمته
(..... فانك لما أعلمتنى رغبتك فى الأدب ، ومحبتك لعرفان كلام العرب ،
وأنت شامت الأصول الكبار فراعك ما أبصرته من بُعد تناولها ، وكثرة
أبوابها ، وتشعب سبلها ، وخشيت أن يلفتك ذلك عن مرادك ، وسألتنى

(1) انظر مثلا الباب الثالث من الرباعى 1 : 335

جمع كتاب فيه يدل لك صعبه ، ويسهل عليك وعره أنشأت كتابي هذا
بختصر من الكلام قريب ، يقل لفظه ، وتكثر فوائده

ويوضع المجلد الى جانب المعاجم الكبرى التي سبقته أو عاصرتها .
ويشير السيوطي اليه بعد الصحاح بقوله : « ... وأول من التزم الصحيح
مقتصرًا عليه الامام أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ولهذا سمي
كتابه الصحاح ... وكان في عصر صاحب الصحاح ابن فارس فالتزم أن
يذكر في مجمله الصحيح ، وردد من كلام صاحب المجلد « ... وقد ذكرنا
الواضح من كلام العرب والصحيح منه دون الوحشي والمستنكر ... ،
كما قال في آخر المجلد : قد توخيت فيه الاختصار ، وآثرت فيه الإيجاز ،
ما اقتضت على ما صح عندي سماعا ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ،
ولو لا توخى ما لم أشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا » (1) .

ترتيب الكتابين

وترتيب ابن فارس في الكتابين يختلف عن ترتيب المعاجم السابقة ،
لا يلتزم بنظام التقاليد كما في العين والتهذيب ، ولا بنظام الحرف الأخير
كما في الصحاح وإنما جعل مواده كتبًا بحسب حروف المعجم ،
وكل كتاب جعله ثلاثة أبواب ، الثنائي ، والثلاثي ، وما جاء على أكثر من
ثلاثة أصلية

وكلما أخذ حرفًا وانتهى به الى الياء بدأ يأخذه مع الهمزة والباء الى ان
يصل الى حيث بدأ .

وجهة نظر في المحكم

حكم السيوطي على المحكم وهو يضعه الى جوار الصحاح مستمد

(1) المزهري 1 : 100

من وصف ابن فارس لكتابه ، وواقع الحال واستقراء الكتاب يشير - من وجهة نظري - الى أن الكتاب أعد على عجل ، ولم يلتزم وجها واحدا من التأليف ، فهو لا يوجز ويلتزم الايجاز ، ولا يستطرد فيلتزم بالاستطراد ، ولا هو وسط بين الاثنين ، فهو في أماكن كثيرة يستشهد بصدر بيت أو عجزه ، أو جزء منه كأن يحتاج لكلمة « بداد » بقوله :

فشلوا بالرماح بداد

فلا يذكر قائله ، ولا يذكر البيت بتمامه (1)

أو يقول في برز برز الرجل والفرس اذا سبقا ، وكتاب مبروز أي منشور قال ليبد (المبروز والمختوم) (2) ويقف عند ذلك • وقد يوجز أكثر من هذا فيحتاج لكلمة (بسل) بعد أن يقول انه : الحرام وكل شيء ممتنع ، بقول زهير : (فانهم بسل) ويكتفى بهذا •

بينا هو كذلك اذ تراه قد دخل في عننة واستطرد كأن يستحب ايجازه ، فيقول مثلا في (برد) البرد خلاف الحر ، والبرد النوم في قول الله عز وجل : (لا يذوقون فيها بردا) وربما قالوا : منع البرد البرد، وبرد الشيء : دام • أنشدنا محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز قال : أنشدنا الأثرم عن أبي عبيدة :

اليوم يوم بارد سسومه

من جزع اليوم فلا تلومه

الى آخر ما ذكر •

(1) البيت لحسان وهو : كنا ثمانية وكانوا جحفلا

لجبا فشلوا بالرماح بداد

(2) وتمامه : أو مذهب جدد على الواحه

الناطق المبروز والمختوم

ولم يمنعه ايجازه أن يشير فى مرات كثيرة الى المعرب والدخيل ، او
يرجح أن الكلمة من الابدال لأنه سمع : مأفول ومأفون بمعنى ناقص اللب
الى غير ذلك

ولا يغير من قيمة الكتاب ، ولا من دوره فى المعاجم ان يكون به
مثل هذه الهنات التى لا تخلو منها الكتب الكبيرة التى يعانى اصحابها
جهدا يجب أن يقابل بالشكر والعرفان •

ابن سيده 398 - 458 هـ وكتابا المخصص ، والمحكم

ابن سيده ، هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الضير ، ولد حول سنة ٣٩٨ هـ فى مدينة شرقى قرطبة ، وتلقى العلم على أبيه (1) الذى تلمذ للزبيدى ثم أخذ عن أبى العلاء صاعد بن حسن الربعى البغدادى الوافد على الأندلس كما أخذ عن أبى عمر أحمد بن محمد الطلمنكى الحافظ القارىء المحدث المفسر .

وقد عوضه الله عن فقدان البصر بنعمة البصيرة ، فكان من مشاهير الحفاظ وبلغ فى العلم مرتبة رفيعة ، قال عنها مترجموه : « لم يكن فى زمانه أعلم منه فى النحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها » (2) وقال عن نفسه : انى أجد علم اللغة أقل بضائعى وأيسر صنائعى اذا أضفته الى ما أنا به من علم حقيق النحو، وحوشى العروض وخفى القافية وتصوير الأشكال المنطقية والنظر فى سائر العلوم الجدلية التى يمنعنى من الاخبار بها نبو طباع أهل الوقت وما هم عليه من رداءة الأوضاع والمقت .

ويبدو أنه أسرف فى ذكر شأنه ، وعلو مكانته ، وأخذ يعتب على

(1) نكت الهميان فى نكت العميان 204

(2) بغية الوعاة 327

معاصريه جهلهم فيقول : « وأما ما فى كتاب الاصلاح ، والألفاظ ، وكتب ابن الأعرابى ، وأبى زيد ، وأبى عبيدة ، والأصمعى وغيرهم من أمثال هذا الذى وضعت فأكثر من الذى يحصى مدده أو يحصر عدده ، وهل يقوم بانتقاد هذا النوع الا مثلى من ذوى الحفظ الجليل ، والاضطلاع بعلم النحو ، وصناعة التحليل ، وان كنت بين حثالة جهلت فضلى وأساء الدهر فى جمعهم بمثلى » (1) •

ثم يتلمس المعاذير ان أخطأ أو هفا « واذا كان المنفردون لكتابة اللغة وتكميشها واحتطابها وتقميشها كأبى عبيدة ، والأصمعى قد غلطوا فى بعض ما دونوا فأنا أخرى بذلك اذ هم جاوروا أهل البادية ، وأطالوا احتلاب الابل النائية » (2) ويتوقع أن يكون خطؤه قليلا معدودا ويقول « ولا أنكر فى كل ذلك أن تختل قضية من خمسة آلاف ، أو حرف من حروف عديدة أضعاف » (3) •

وهكذا ترى ابن سيده فى صورة فذة تارة بأقلام عارفيه ، وتارة بقلمه هو •

آثاره

من كتب ابن سيده : المخصص ، والمحكم ، وشرح اصلاح المنطق لابن السكيت ، والوافى فى علم احكام القوافى ، وشاذ اللغة وشرح كتاب الأخفش ، وكتاب الأنيق فى شرح الحماسة ، وشرح العالم والمتعلم على المسألة والجواب ، وكتاب فى التذكير والتأنيث ... ووصل من كتب ابن سيده : شرح مشكل شعر المتنبي ويحتوى على ١٨٩ ورقة مخطوط بدار الكتب برقم ٢ أدب م ، والمحكم والمخصص •

(1) المحكم 1 : 8 الحلبي بتحقيق السقا ونصار

(2) المحكم 1 : 8 ط الحلبي

(3) المحكم 1 : 16

المخصص

لم يكن فى النية أن تتحدث عن المخصص فالسلسلة التى مرت بها منذ وقت قصير تتحدث عن المعاجم التى حاولت ذكر ألفاظ العربية على جهة الاستقصاء، وعلى طريقة رتيبة موصلة الى هذا الغرض ، وكان المحكم يجرى مع هذه السلسلة ، ولكن وجدت المناسبة مواتية للحديث عن الوجهين الرئيسيين فى جمع اللغة ، أحدهما المعاجم التى حاولت استقصاء الألفاظ ، ونحن على هذا الدرب منذ فكر الخليل بن أحمد فى كتاب العين ، وتبعه ابن دريد فى الجمهرة ، والقالى فى كتاب البارع ، والأزهري فى التهذيب ، والجوهري فى الصحاح ، والفيروزبادى فى القاموس ، وابن سيده فى المحكم ... الى آخر هذه السلسلة .

والوجه الثانى ، نشأ حين نشأ الأول ، ولم يكن أحدهما خطوة متطورة بالنسبة للآخر كما يرى بعض العلماء ، وكما ناقشنا ذلك فى كتابنا « رواية اللغة » فى صفحة 102 و 103 منه .

فقد جمع اللغويون ما جمعوا من أساتذتهم ، ومن أفواه الأعراب فى الأمصار ، ومن أحاديث الأعراب فى البوادي ، وعادوا يضعونها أكواما ، أو مجموعات ليسهل طلبها والانتفاع بها ، والذين نظروا الى هذه الأكوام وجدوها تدخل تحت عناصر ثلاثة .

— أسماء لكائنات تقع تحت بصر العربى وسمعه كالجمل ، والوحوش والجبال ...

— وأخرى فى صيغ تتحدث فى الاشتقاق ، وفعل وأفعل ، والتأنيث والتذكير ..

— وثالثة وجدوها حيث هى مستقرة فى صميم الأدب العربى

كالأراجيز ، والقصائد المشهورة ، وأحاديث الأعراب الى غير ذلك ،
فشرحوها •

واعتبرت هذه المجموعات أو الأكوام نوعا أو اتجاها فى جمع اللغة،
ولم يكن حلقة تتبعها حلقات ، ولكن جمع اللغة اتخذ الوجهين فى وقت
واحد ، هذه الكراسات التى تتحدث عن موضوع بعينه ، وبعضهم رأى
أن يضم مجموعة أكوام الى بعضها فظهرت تحت اسم الصفات ، والغريب
المصنف ، والألفاظ... الى غير ذلك - والمعاجم الشاملة •

وتحت اسم الصفات كتب أبو خيرة الأعرابي ، والنضر بن شميل ،
وقطرب محمد بن المستنير ، وعبد الملك بن قريب الأصمعى ، ولم يرد من
ذلك - فيما أعلم - الا ما جاء وصفا لكتاب النضر بن شميل فى كتاب
الفهرست لابن النديم فقال انه كان فى خمسة أجزاء ، تضمن الجزء الأول
خلق الانسان ، والجود والكرم ، وصفات النساء • وتضمن الجزء الثانى:
الأخبية والبيوت ، وصفة الجبال ، والشعاب ، والأمتعة • واقتصر الجزء
الثالث على الابل ، وفى الجزء الرابع تكلم عن الغنم ، والطيور والشمس
والقمر ، والليل والنهار ، والألبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ،
والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر • ويحتوى الجزء الخامس على الزرع،
والكرم والعنب ، وأسماء البقول ، والأشجار ، والرياح ، والسحاب
والأمطار •

وجاء أبو غبيد القاسم بن سلام فعمل الغريب المصنف ، وهو معجم
رتب على الموضوعات ككتب الصفات تماما، نقول فيه أبو الطيب اللغوى.
أخذ كتب الأصمعى فبوب ما فيها وأضاف اليها شيئا من علم أبى زيد
الأنصارى ، وروايات عن الكوفيين (1) وفى دار الكتب بالقاهرة نسخة

(1) | معجم الادباء 16 : 255

منه تحتوى على عدة أبواب تختلف طولا وقصرا فى خلق الانسان ،
والنساء ، واللباس ، والطعام ، والدور ، والأرضين ، والرحل ، والخيول ،
والسلاح ... الى غير ذلك وعقد باين أحدهما لنوادير الأسماء والآخر .
لنوادير الأفعال .

وشارك ابن السكيت فى هذا الوجه ، وكتابه الألفاظ يعتبر خطوة
متطورة فى هذا اللون فلم يكن أبو اسحق كسابقيه يجمع المفردات
بحسب الموضوعات ويعرف بها ويكتفى بهذا الجمع ، ولكنه توسع فى
تصنيف الأبواب ، وأحاط بدقائق لم تظهر فى ذلك التعميم المتبع عند
السابقين فنيفت الأبواب فى كتاب الألفاظ على مائة وخمسين بابا منها ما
هو صفات للناس كالغنى والفقر ، ونعوت النساء فى الولادة ، وما يكره من
خلق الانسان ... الى غير ذلك كقوله فى باب الفقر : « يقال أقصر الرجل
اقتارا اذا بات فى القفر فلم يأو الى منزل ولم يكن معه زاد » الأصمعى :
يقال بات فلان القواء يريد بات فى القفر ...

ومن هذا الوجه كتاب مبادئ اللغة الذى وضعه محمد بن عبد الله
الاسكافى وجعله أبوابا منها : أسماء الكواكب ، وأسماء البروج ،
والأزمنة والأوقات ، والليل والنهار ، وصفة الحر والبرد ، والرياح ،
وأسماء الرعد والبرق ، والمياه وأوصافها وأماكنها ، والجبال ، والخيول الى
غير ذلك - ولم يضع الاسكافى كلمة يعرف بها كلمة أخرى ، وانما وضع
المفردات فى عبارات تبين معانيها وتبين أيضا الفروق الدقيقة التى تلابسها
كأن يقول « جاء غسق الليل ، وغطشه ، ودمسه ، اذا لم يبق شفق - وبعد
هده من الليل ، وموهن من الليل لنحو من الربع ... الى غير ذلك (1) .

وجاء ابن سيده ، وأتيح له أن يسمع أمهات كتب اللغة ، وأعانتته
حافظته على استيعابها ، فرأى أن يجمع هذا الشتات فى حيز واحد اذ ليس

(1) مبادئ اللغة للاسكافى ص 10

فى واحد من كتب الماضين غناء مع ما تحتويه دفتيه من غرر العربية وفوائدها ، ويقول وصفا لهذا الدافع •

(..... الا انى وجدت ذلك نشرا غير ملتئم ، وثر ليس بمنتظم اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس فى صاحبه ، ثم انى لم أر لهم فيها كتابا مشتملا على جلها فضلا عن كلها) (1) •

فجمع أمامه كتب الأصمعى ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد ، والنضر ، ما وجد من ذلك بمفرده ، وما وجد من رواياتهم فى ثنايا كتب الطبقة التالية لهم من أمثال أبى حاتم ، والرياشى ، والجرمى - وكان ابن السكيت وأبى عبيدة القاسم بن سلام قد جمعا علم البصرة الى علم الكوفة كما فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « رواية اللغة » فكانت هذه الحصيلة ، وما أتيج لابن سيده من مصادر غيرها ، عدته فى وضع كتاب المخصص ، بل كانت عدته فى وضع كتابه المحكم أيضا الا أنه وجه لكل كتاب وجهته من التأليف ، فصدر عن هذا الضريح تقييد أكثر العربية على وجهيها المعروفين ، الاول بحسب الموضوعات ، والثانى على سبيل الحصر ولقد أخذ الرجل فى عمل الكتابين فى وقت واحد يعينه فى ذلك اعتماده على مصادر واحدة ، فهو يذكر المخصص فى كتاب المحكم ، ويذكر المحكم فى كتاب المخصص ، ولكن المهم أنه يمارس هذا العمل الضخم المرهق الذى يتجه وجهتين مختلفتين ، ويمارس هذا عن اقتناع بوجهة نظر أن أحدهما ليس فيه غناء عن الآخر ، ولكل فائدته ويقول :

« لما وضعت كتابى الموسوم بالمحكم مجنسا لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة ، أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره ، والبليغ المفوه ، والخطيب المصقع ،

(1) المخصص 7

والشاعر المجيد المدقع فإنه اذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف
أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا ، واتسعا فيما يحتاجان
اليه »

ولقد كان الرجل رتبيا منطقيا أيضا ، وهو كما تعلم صاحب نظر في
المنطق فرتب كتاب المخصص بادئا بخلق الانسان ، وبادئا به من حيث
بداية تكوينه ، الحمل ، والولادة ، والرضاع الى حيث ينتهى موضوعه ،
وقد استغرق « خلق الانسان » كل الجزء الأول وجزءا من الثانى — وكتاب
المخصص كتاب ضخيم يكاد يجمع كتب السابقين وفى الصفحات القادمة
نورد تعريفها بكتاب (المحكم) •

المحكم والمحيط الأعظم

فيما يروى أن ابن سيده ، اتصل بالأمير أبى الجيش مجاهد بن عبد
الله العامرى ، وألف له كتابى المخصص والمحكم بعد أن عاق الأمير عن
التصنيف فيها ما نيط به من علائق السياسة وأعباء الرياسة ... فالتمس من
يؤهل لذلك من لباب عبيده — قال ابن سيده — « فأمرنى بالتجرد لهذه
الارادة ... فأعلقت وأفلقت ، وألفت كتابى الملخص ، الذى سميته
المخصص ، وهو على التبويب فى نهاية التهذيب ... ثم أمرنى بالتأليف
على حروف المعجم فصنفت كتابى الموسوم بالمحكم » •

وهذا فيما يبدو حديث مجاملة ، صادف استعداد ابن سيده ، ورغبته
فى أن يجمع اللغة فى نهريها — بحسب الموضوعات كما رأيت فى المخصص ،
وعلى سبيل الحصر كما أراد فى المحكم ، ومصدر الكتاين من يده قريب ،
وله ملاحظ على كتب القدامى التى استقى منها مادته بعد أن أبرز تقييدات
أشار اليها فى مقدمة المحكم ، وهنات لا يخلو منها كتاب وان عظم ، ولكنها
طريقة ورثها عالم عن عالم حتى وصلت الى أيامنا هذه — فلا يشفع لباحث

جد ولا اجتهد - ولا نصب وهبه لوجه العلم حتى ترى فئة من العلماء الذين أوكل اليهم نظر كتاب بعينه ، وقد تفضنت جباههم من الغضب ، وعلت نبراتهم من الاحتجاج ، وذهبت اشارات أيديهم يمنة ويسرة ، أو تنفجر منهم الضحكات الساخرة لان الباحث أهمل همزة ، أو أن الباء اختلطت بالياء لعدم ظهور النقطتين أو غير ذلك من سخافات تدور فبى مناقشة الرسائل الجامعية فى عصرنا من بعض علماء أتهمهم بخفة الوزن - كنا نتره عن هذه الصورة أساتذة أفاضل كابن سيده ، فاذا بنا نراه وأمامه فضل عزيز من معلوم القدامى ، يعدد كتبهم ليسمو بهذه الكتب ، ثم بعد ذلك يلسنهم ، ثم يقيم لهم فى أول كتاب المحكم ميزان جور لا ميزان عدل سرعان ما ينسى به كل الخير اذا وجد زلة أو هفوة ، وكأن دستورته (ان السيئات يذهبن الحسنات) •

يقول مشيرا الى ابن السكيت :

(..... وأى شىء أذهب لزين ، وأجلب لعبّر عين من معادلته فى كتابه الموسوم بالاصلاح « يقصد اصلاح المنطق » الرّيم الذى هو القبر والفضل ، بالرّيم الذى هو الطبى ظن التخفيف فيه وضعاً)

ويقول فى أبى عبيد القاسم بن سلام ، ونحن نعلم أن كتبه عمد من مصادر ابن سيده :

(وأى شىء أدل على ضعف المثنة ، وسخافة الجئنة من قول ابى عبيد القاسم بن سلام فى كتابه الموسوم بالمصنف « يقصد الغريب المصنف » : العِفْرِيَّة مثال فِعْلِلَّة فجعل الياء أصلاً ، والياء لا تكون أصلاً فى بنات الأربعة ...)

وتناول ابن الأعرابى بعد سطر من الشتائم ، ثم ختم قضيته بقوله : (فأين علم أبى عبد الله الأعرابى بأسرار هذه الصيغ من علمى ، أو فهمه

بغوامض تأولها من فهمي الى غير ذلك مما لو تقصيته لأتعبت خاطر وملأت القماطر - ويقول : لكني آثرت طريق التقليل اذ أقل من ذلك كاف في التمثيل .

ويشير الى كتابه وبراعته في الاختصار مع تمام المادة بقوله :
(..... فرب سطر من كتابي يغترف من كتب اللغة في الخط سطورا ،
فاذا حصل جوهر الكلام عادت أبوابهم لأبوابي شطورا) (1) .

فاذا فرع من النقد ، وأسرف على نفسه من المحاسن ، وجاء ببعض القضايا والامثال المؤيدة لما قال عاد يذكر من كتب هؤلاء القدامى عدته ومصادره لكتاب المحكم فقال : (وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة فمصنف أبي عبيد ، والاصلاح ، والألفاظ ، والجمهرة ، وتفسير القرآن ، وشروح الحديث ، والكتاب الموسوم بالعين ما صح لدينا منه وأخذناه بانوثيقة عنه ، وكتب الأصمعي ، والقراء ، وأبي زيد ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيدة ، والشيحاني ، والليثاني ما سقط إلينا من جميع ذلك وكتب أبي العباس أحمد بن يحيى : المجالس ، والفصيح ، والنوادر ، وكتابا أبي حنيفة وكتب كراع الى غير ذلك من المختصرات كالزبرج ، والمكنى ، والمبنى ، والمثنى ، والأضداد ، والمبدل ، والمقلوب ، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة وهو حلى كتابي هذا وزينه ، وجماله وعينه مع ما أضفته اليه من الأبنية التي فأت كتاب سيبويه معللة ، عربية كانت أو دخيلة .

وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين المتضمنة لتعليل اللغة فكتب أبي علي الفارسي : الحلييات ، والبغداديات ، والأهوازيات ، والتذكرة ، والحجة ، والاغفال ، والايضاح ، وكتاب الشعر ، وكتب أبي الحسن بن الرمانى كالجامع ، والاغراض ، وكتب أبي الفتح عثمان بن جنى

(1) راجع في كل هذا مقدمة ابن سيده لكتاب المحكم

كالمغرب ، والنمام ، وشرحه لشعر المتنبي ، والخصائص ، وسر الصناعة ،
والتعاقب ، والمحتسب الى اشياء اقتضيتها من الأشعار الفصيحة ، والخطب
الغريبة الصحيحة (1) •

ترتيب المحكم

يعتبر ترتيب المحكم حلقة فى السلسلة التى بدأها الخليل وسار على
نهجها أبو على القالى فى كتاب البارع ، والأزهرى فى التهذيب ، والزبيدى
حين حاول اختصار العين - وابن سيده الذى يربطه بالقالى والزبيدى
رابطة التلمذة - سار على نفس النهج بعد أن أفاد من الزبيدى طريقته
الاختصار ، وطرح ما تكرر من الشواهد ولا يكاد يختلف عن هذا فى
شئ من الجوهر ، وانما هى وجهات نظر فى ترتيب الحروف بحسب
المخرج ، وترتيب المواد طبقا لها •

وأفاد صاحب المحكم مما سبقه من تطورات ، واتبع أحسنها وقسم
الكتاب الى :

- الثنائى المضاعف الصحيح •
 - الثلاثى الصحيح •
 - الثنائى المضاعف المعتل •
 - الثلاثى المعتل •
 - الثلاثى اللفيف •
 - الرباعى •
 - الخماسى •
- وأراد بالثنائى المضاعف ما ندعوه الثلاثى المضاعف مثل شد •
واستمد هذا التقسيم من أستاذه الزبيدى فى مختصره للعين ، ثم زاد

(1) مقدمة المحكم 15

عليه بابا. سماء السلطاني أو الملحق بالسداسي ، وبعض ملاحظات هينة
أفادها من الزيدى فى مختصره .

ملاحظات فى المتن

وعد بالايجاز ، ومع ذلك حرص على ذكر ما يحضره مع تفاوت أهميته
ومن غير ترجيح لوجه خاصة ، يقول فى : همع :

همع الدمع والماء ونحوهما يهمنع (بفتح الميم) ويهمع (بضم الميم)
همعا : (بسكون الميم) وهمعا (بفتح الميم) وهموعا وهمعانا ، وأهمع :
سال . قال العجاج :

بأدر من ليل وطل أهمعا

قال اللحياني : وزعموا أن همعت لغة (1) .

— وينهى عن لغة ، فلا يذكر وجهته فيها كأن يقول : (ولا تلتفت
للهميع بالعين فانه بالعين ، وان كان قد حكاها بالعين قوم ، وبالعين والعين
قوم آخرون) (2) .

— وفى صعق — فسر — وذكر قصة رجل اسمه (الصعق الكلابى)
فقال : « أحد فرسان العرب ، سمي بذلك لأنه أصابته صاعقة ، وقيل سمي
بذلك لأن بنى تميم ضربوه ضربة على رأسه فأمتته ، فكان اذا سمع الصوت
الشديد صعق فذهب عقله .

قال أبو سعيد السيرافى : كان يطعم الناس فى الجذب بتهامة ، فهبت
الريح فهالت التراب فى قصاعه ، فسب الريح ، فأصابته صاعقة فقتلته ،
واسمه خويلد ، وفيه يقول القائل :

(1) المحكم 1 : 68

(2) نفس المصدر والصفحة

بأن خويابدا فابكى عليه
قتيل الريح في البلد التهامي (1)

ويحرص على بيان الفروق الدقيقة

ففى خشع يقول :

خشع بصره : انكسر ، ولا يقال أخشع • قال ذو الرمة :

تجلى السرى عن كل خرق كأنه

صفحة سيف طرفه غير خاشع

وقيل : الخشوع قريب من الخضوع ، الا أن الخضوع فى البدن ،
وهو الاقرار بالاستخذاء والخشوع فى الصوت والبصر كقوله تعالى
(خاشعة أبصارهم) سورة الماعارج 44 (وخشعت الأصوات للرحمن)
سورة طه 108 ، والتخشع نحو التضرع - ويقول : الخاشع : الراكع فى
بعض اللغات (2) •

ومن هذه الفروق الدقيقة : رجل خُدعة (بفتح الدال) يخدع كثيرا،
بفتح الياء : وخدعة (بسكون الدال) يخدع كثيرا بضم الياء أى مبنى
للسجھول (3) •

ومن الفوائد

المخدع - بضم الميم - الخزانة (أى الحجرة الصغيرة) قال
سيبويه : لم يأت مفعل اسما الا المخدع ، وما سواه صفة (4) •

(2) المحكم 69 : 1

(4) المحكم 71 : 1

(1) المحكم 81 : 1

(3) المحكم 70 : 1

والعروس : نعت للرجل والمرأة ، رجل عروس فى رجال أعراس —
وامرأة عروس فى نسوة عرائس (1) *

والعانس — للرجل والمرأة — يقول ابن سيده :

عنست المرأة ، تعنس عنوسا ، وعناسا ، وهى عانس من نسوة عنّس ،
وعنّست ، وهى معنس ، وعنّسها أهلها حبسوها عن الأزواج حتى جازت
فتاء السن ولما تعجز ورجل عانس : كذلك ، قال أبو قيس بن رفاعه :

منا الذى هو ما ان طر شاربه

والعانسون ، ومنا المرد ، والشيب (2)

أما الهنات الخفيفة فمنها الاستطراد الذى يتنافى فى مع ما وعد به
صاحبه من ايجاز ، فتجد قصة لا داعى لها كما ورد فى مادة (صقق)
وحرصه على ذكر كل ما يحضره من أقوال حول هذه القصة ، والتأليف فى
اللغة مستغن عن كل هذه الاطالة التى لا شأن لها بالموضوع فى أساسه ، أما
النحو والصرف فما ترك مناسبة للاطالة والتفريع الا انتهزها يعينه على ذلك
ذاكرته الواعية التى وعت ما قرأت أو سمعت من كتب القدامى ، فكان يعيد
الفقرة والفقرات بل الصفحة والصفحات وكأنها من عنده هو ، وينقل
بالنص والحرف من غير اشارة الى المؤلف الأول فلا أدري أنسيان أم تناسى
وهو صاحب الذاكرة الواعية *

ففى المحكم ، نقل فصلا فى تفسير النحو ، كتبه ابن جنى فى
الخصائص حيث يقول :

(باب القول على النحو — هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه

(1) المحكم 1 : 297

(2) المحكم 1 : 307

من اعراب كالتثنية والجمع ، والتحقيق والتكسير ، والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة فينطق بها - وان لم يكن منهم - وان شد بعضهم عنها رد به اليها ، وهو فى الأصل مصدر شائع ، أى نحوت نحوا كقولك : قصدت قصدا ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم ، كما أن الفقه فى الأصل فقهت الشيء أى عرفتة ، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم (1) • وفى المخصص ، عقد بحثا عن اللغة أهى الهام أم مواضعة فكتب يقول : (وقد لزمت التنقيير والبحث مع ذلك عن هذا الموضع ، فوجدت الدواعى والخوارج قوية التجاذب لى ، مختلفة جهات التغول على فكرى ، وذلك لأننا اذا تأملنا حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة) ص 6 المخصص ، وهذا الكلام فى كتاب ابن جنى (الخصائص ص 47) •

وتناول ابن جنى فى كتاب الخصائص رأى أبى على الفارسى الذى يقول فيه ان اللغة من عند الله لقوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) فقال ابن جنى (وهذا لا يتناول موضع الخلاف ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله « أقدر آدم على أن واضع عليها » وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا سقط الاستدلال به) (2) •

فجاء ابن سيده ، وعالج النقطة فى الرد على أبى على الفارسى بعبارة ابن جنى نفسها وقال - أى ابن سيده - (وقد اختلفوا فى اللغة ، أمتواطؤ عليها أم ملهم اليها وهذا موضع يحتاج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف الا أن أبا على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسى النحوى قال : هى

(1) انظر الخصائص 1 : 34 ط دار الكتب ، ولسان العرب 64 : 310 ط

دار صادر بيروت

(2) الخصائص 1 : 41

من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الاسماء كلها » وهذا ليس
باحتجاج قاطع ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن
واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فإذا كان ذلك
محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به (1) .

وهكذا ترى ابن سيده وقد نقل كلام ابن جنى بالحرف تقريبا من غير
إشارة إليه كأنه من كلامه هو يرد به على أبي الفارسي .

وبعد

فهذه ليست من الهنات الكبيرة ، وحسب المرء فخرا أن تعد مأخذه .
ومع هذا فكتاب المحكم الذي أفاد من جميع الكتب التي سبقته مادة
وتبوييا يعتبر من أحسن المعاجم ، ومن أجل هذا يعده صاحب اللسان من
أهم مراجعه ، ويقول فيه (ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة
لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ولا اكمل من المحكم (2) ، وكذلك
يعتمد عليه صاحب القاموس ويشير الى ذلك فى خطبة كتابه ، ويقول
السيوطى : « أعظم كتاب ألف فى اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم
والمحيط الأعظم لأبى الحسن على بن سيده الاندلسى الضير » (3) .

(1) مقدمة المخصص 4

(2) مقدمة اللسان 7 ط دار صادر

(3) المزهر 1 : 10

الزمخشري ، وأساس البلاغة

467 - 538 هـ

الزمخشري ، أبو القاسم . جار الله . محمود بن عمر . ولد في زمخشري قرية من قرى خوارزم سنة سبع وستين وأربعمائة ، أخذ عن أبي مضر محمود بن الاصبهاني وأبي الحسن بن المظفر النيسابوري ، وأبي منصور نصر الحارثي ، رحل إلى بخارى في طلب العلم ثم إلى بغداد فسي طريقه إلى الحجاز فالتقى بأبي السعادات هبة الله بن الشجزي ، ثم ذهب إلى الحجاز فجاور بمكة ، كان الزمخشري معتزليا يجاهر بمذهبه ويلقب نفسه بالزمخشري المعتزلي ، وكان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب ، صنف معلمة واسعة يجدر بك أن تلم ببعضها منا :

الكشاف في تفسير القرآن ، الفائق في غريب الحديث ، نكت الأعراب في غريب الأعراب (في غريب أعراب القرآن الكريم) كتاب مثابه أسماء الرواة . مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة ، الكلم النوابغ في المواعظ ، أطواق الذهب في المواعظ ، نصائح الكبار ، نصائح الصغار ، مقامات في المواعظ ، نزهة المستأنس ، الرسالة الناصحة ، رسالة المسامة ، الرائض في الفرائض ، معجم الحدود ، المنهاج في الأصول ، ضالة الناشد ، كتاب عقل الكل ، النموذج في النحو ، المفصل في النحو أيضا ، المفرد والمؤلف في النحو ، الأمل في النحو ، أساس البلاغة ، صميم العربية ، جواهر اللغة ، كتاب الأجناس ، مقدمة الأدب ، كتاب الأسماء ، القسطاس في العروض ، حاشية على المفصل ، روح المسائل ، سوائر الأمثال ، المستقصى في الأمثال ، ربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات . تسلية الضرير ، رسالة الأسرار ، أعجب العجب في شرح

لامية العرب ، شرح المفصل ، ديوان التمثيل ، شرح كتاب سيبويه ، كتاب
الجبال والأمكنة ، شافى العى من كلام الشافعى ، شقائق النعمان فى حقائق
النعمان فى مناقب أبى حنيفة • المحاجة • المفرد والمركب فى العريية (1)
وتوفى سنة ثمان وثلاثين وخسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من
مكة •

وسنكتفى من مؤلفاته بكتاب أساس البلاغة لقربه من موضوع
المعاجم •

أساس البلاغة

نهج الزمخشري نهجا جديدا فى كتابه أساس البلاغة يخرج به عن
هذا النطاق الذى لمناه فى المعاجم السابقة - فهو لا يفسر كلمة مكان
كلمة ، ولا يبتغى حصر اللغة حصرا شاملا ليعرف بفرادتها ولكنه تنقل فى
البلاد العريية وأتيح له أن يسمع (من الاعراب فى بواديها ، ومن خطباء
الحلل فى نواديها ، ومن قراضبة نجد فى أكلائها ومراتعها ، ومن سماسة
تهامة فى أسواقها ومجامعها وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها ،
وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم فى
ساعات المماتنة وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل فى أيام المفاتنة) كما
استطاع أن يستخرج من بطون الكتب ، ومتون الدفاتر روائع الألفاظ
وجوامع الكلم (2) •

ومن هذه الثروة اللغوية الضخمة استطاع الزمخشري أن يدرك أن
اللفظة ومعناها ليست الطريق للتعريف بروح العريية ولا تكشف عن
سرّها وإنما ذلك يأتى من (تخير ما وقع فى عبارات المبدعين وانطوى تحت

(1) انظر معجم الادباء 19 : 126 ، وفيات الاعيان 2 : 81

(2) مقدمة أساس البلاغة ص د ط دار الكتب

استعمالات المفلقين أو ما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب
التي تملح وتحسن (....) فعمل كتابه وسماه أساس البلاغة يتجاوز
به هدف أصحاب المعاجم الذين اقتصروا على التعريف بالعربية في نطاق
مفرداتها .

وكما اختلفت وجهة التأليف اختلفت أيضا طريقة الترتيب ورأياء
يسلسل للكلمات بحسب أوائلها .

وكانت طريقته في تصنيفه أن يضع أمام القارئ استعمال الكلمة في
أساليب متعددة مما تحدثت به العرب (مع الاستكثار من نوابغ الكلم
الهادية الى مرشد حر المنطق) وكان مما يهدف اليه تأسيس قوانين فصل
الخطاب ، والكلام الفصيح بأفراد المجاز عن الحقيقة والكتابة عن
التصريح (1) .

وقد أتاح بطريقته هذه والاستكثار من استعمال الكلمة أن يدرك
القارئ مفاهيمها ، ومجاز القول فيها ، ونسوق فيما يلي نموذجا من هذا
الكتاب .

استفتح كتابه بباب الهمزة — وبدأ بالهمزة مع الباء فقال :
أب —

اطلب الأمر في ابانه ، وخذه بربانه أي أوله وأنشد ابن الأعرابي :

قد هزمتني قبل ابان الهرم
وهي اذا قلت كلى ، قالت نعم
صحيحة المعدة من كل سقم
لو أكلت فيلين لم تخش البشم

(1) مقدمة اساس البلاغة

وأب للمسير اذا تهيأ له وتجهز ، قال الأعشى :
صرمت ولنم أصرمكم وكصارم
أخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا
وتقول : فلان راع له الحب ، وطاع له الأب أى زكا زرعه واتسع
مرعاه .

— أبـد

لا أفعله أبـد الآباد ، وأبـد الأبيد ، وأبـد الآبدين . وتقول رزقك الله
عمرا طويل الآباد بعيد الآماد ، وأبـدت الدواب وتآبـدت : توحشت .
وهى أوابد ومتآبـدات — وفرس قيد الأوابد وهى نقر الوحوش — وقد
تآبد المنزل سكنته الأوابد ، وتآبد فلان توحش ، وطيور أوابد خلاف
القواطع .

ومن المنجاز فلان مولع بأوابد الكلام وهى غرائبها ، وبأوابد الشعر
وهى التى لا تشاكل جودة — قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمى بلئوم أيبكم
وأوابدى بتنحل الأشعار

وقال النابغة :

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها
يهدى الى أوابد الأشعار
وجئنا بآبـدة ما نعرفها .

واعلمك لاحظت أن الزمخشري قد أطلق اسم الشيء ، وصفته عليه
نفسه كأسلوب مجاز ، من جواز الاستعمال كما رأيناه فى المادة السابقة
يعنى بأوابد الشعر غريبه بينما المعنى الحقيقى لكلمة الأبـد هى الدهر (1) .

(1) سميت الوحوش أيضا أوابد ، وأبـد — للذكر أبـد وللأنثى آبـدة .
سميت بذلك لبقائها على الأبد اللسان 12 : 68 ط دار صادر بيروت

الصفاني 577 - 651 هـ

هو رضى الدين ، أبو الفضائل ، الحسن بن الحسن بن حيدر العامري الصفاني ، ولد في لاهور بالهند سنة سبع وسبعين وخمسائة ونشأ بها ، ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة ، شارك في علوم الحديث والفقه على المذهب الحنفي ، كما كان اماما في اللغة والنحو (1) .

ونحن اذ نعرف به على أنه مؤلف كتاب العباب نذكر أنه كان ممن علق على كتاب الصحاح للجوهري ، وألف في ذلك كتاب التكملة والذيل والصلة ، ومن كتبه التي ذكرها من ترجم له :

كتاب الشوارد في اللغة - توشيح الدريدية - كتاب التركيب والأضداد - كتاب الأثر - كتاب العروض - كتاب أسماء الذئب - كتاب في علم الحديث - كتاب في شرح البخاري - كتاب در السجادة في معرفة طبقات الصحابة - كتاب الفرائض - شرح آيات المفصل - كتاب في المناسك .

ذكره الحافظ الدمي على بقوله : كان الصفاني شيخا صالحا صدوقا صوتا اماما في اللغة والفقه والحديث (2) توفي ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان سنة خمسين وستمائة ، ودفن بداره في الحرم الطاهر ثم نقل الى مكة ودفن بها وكان أوصى بذلك وجعل لمن يحمله ويدفنه بمكة خمسين ديناراً (2) .

التعريف بالعباب

ليس في دار الكتب الا الجزء الأول منه تحت رقم 141 لغة ، وعلمت

(1) فوات الوفيات 1 : 170

(2) الجاسوس 78

وأنا فى زيارة لمجمع اللغة العربية أنهم عثروا على الجزء الرابع ويبدو أنه ليس من نسخة الجزء الأول ، وإن سعيًا يبذل للحصول على المعجم لتحقيقه والتعريف به ، وأعتقد أن الطريق سيكون ميسورًا إن شاء الله فقد كانت هناك نسخة للعباب أشار إليها ابن حجر العسقلاني فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة فى سياق ترجمته لابن مكتوم (1) •

وقال محمد صديق خان فى كتاب البلغة فى أصول اللغة « • • • العباب الزاخر واللباب الفاخر فى اللغة فى عشرين مجلدا • • • وترتيبه كصحاح الجوهري وقد جمع تاج الدين بن مكتوم بينه وبين المحكم » (2) •

ورأى الشدياق ١٨٨٧ م نسختين من العباب أحدهما فى خزانة كتب أيا صوفيا ، والثانية فى خزانة كتب المرحوم محمد باشا الكوبريلى (3) ولا أدرى ما صحة هذا مع ما يقوله الشدياق ، وغير الشدياق (4) أن هذا الكتاب لم يتم فإن المنية اخترمت مؤلفه عند تحريره مادة ب ك م فقال فيه بعض الأدباء •

ان الصغاني السدى

حاز العلوم والحكم

كان قصارى أمره

أن انتهى الى بكم

الا أن تكون هذه النسخ - على هذا الحد من التأليف وتنتهى عند حرف الميم •

(1) الدرر الكامنة 1 : 174

(2) البلغة فى أصول اللغة ط الجوائب سنة 1296 هـ ص 136

(3) الجاسوس على القاموس 74

(4) الزهر 1 : 100 ط الحلبي

منهجه في العباب

تمرس الصغاني في الدراسات اللغوية ، وفي الناحية المعجمية بخاصة فكانت له قبل العباب دراسات على صحاح الجوهري كان من نتائجها كتاب التكملة والذيل والصلة ، وكتاب مجمع البحرين ، ويبدو أنه حاول في هذا الكتاب الأخير « العباب » أن يجمع ما تفرق في المعاجم الأخرى فقال : « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة ، والتصانيف المعتبرة المذكورة ، وما بلغني ما جمعه علماء هذا الشأن والقدماء الذين شافهوا العرب العرباء ، وساكنوها في داراتها وسايروها في نقلها من مورد إلى مورد ، ومن منهل إلى منهل ومن منتج إلى منتج ، ومن بعدهم ممن أدرك زمانهم ولاحق أوانهم آتيا على عامة ما نطقت به العرب خلا ما ذهب منها بذهاب أهلها من المستعمل الحاضر والشارد والنادر مستشهدا على صحة ذلك بآي من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبغرائب أحاديث من هو بمنزل من خطل القول وخلفه ، فكلامه هو الحجة القاطعة والبيئة الساطعة ، وبغرائب أحاديث صحابته الأخيار وتابعيهم الأخبار ، وبكلام من له ذكر في حديث أو قصة في خبر وهو عويس - وبالفصيح من الأشعار والسائر من الأمثال .

والصغاني اذ يحتج بالأحاديث فانه يعتمد الى ضبطها والتأني لها ويقول « وقد سردت الأحاديث الغريبة المعاني المشككة الألفاظ تامة مستوفاة ، فان كان في حديث عدة ألفاظ أتيت به تاما وفصلت كل لفظة منها في بابها وتركيبها ، وذكرت أن تمام الحديث مذكور في تركيب كذا ليعلم سياق الحديث ويؤمن التكرار والاعادة » ويعلل لمسلكه هذا بقوله : « اني رأيت في ما جمع من قبلي غير مبينى النبوى من الصحابي ، والصحابي من التابعي ، وربما أطلقوا لفظ الحديث على المثل واللفظ المثل

على الحديث » ويسمك هذا المساك نى الشجر أيضا حين يأتى « بالأشعار على الصحة غير مختلة ولا مغيّرة ، ولا مداخلة غير مقلد أحدا من أرباب التصانيف وأصحاب التأليف ولكن مراجعا دواوينهم معتما أصح الروايات مختارا أقوال المتقنين الثقة » .

ثم يقول فى صفة كتابه « أولف كتابا فى صفة العرب يكون ان شاء الله تعالى جامعا شتاتها وشاردها حاويا مشاهير لغاتها وأوابدها يشتمل على أدانى التراكيب وأقاصيها ، ولا يغادر منها - سوى المهسلة - ، صغيرة ولا كبيرة الا وهو يحصيها . . . »

ومما جاء فى تقرّظ هذا الكتاب قول السيوطى (وأعظم كتاب ألف فى اللغة بعد عصر الصحاح » كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن على بن سيده الاندلسى الضرير ثم كتاب العباب للرضى الصغانى) (1) وقال صاحب الجاسوس : (الصغانى أدخل فى العباب أشياء كثيرة ليست من اللغة فى شىء) (2) ولم أفهم حقيقة ما يريده الشدياق .

نموذج من العباب باب الهمزة فصل الهمزة

أجأ - ابن الأعرابى

وأجأ أحد جبلى طيبىء ، والآخر سلمى ، وأجأ مؤنث ، قال ذلك ابن الأنبارى فى كتاب المذكر والمؤنث من تأليفه وأنشد لامرئ القيس :

أبت أجأ أن تسلم العام جارها
فمن شاء فلينهض لها من مقاتل

(1) المزهرة 1 : 100 ط الحلبي سنة 1958

(2) الجاسوس 521

وانما صرفها لضرورة الشعر ، ومن العرب من لا يهزها ، فحينئذ
موضع ذكرها من الحروف اللينة .

وقال ابن الكلبي : أجأ لبني نبهان خاصة ، وسلمى لسائر طييء ،
وتزعم العرب ان أجأ في الأصل كان اسم رجل ، وكان عاشقا سلمى ، وكانت
العوجاء وهي امرأة أخرى تجمع بينهما ، — وأنهم أخذوا فصلبوا على هذه
الأجبل ، يعني أجأ ، وسلمى والعوجاء ، فسميت الأجبل بأسمائهم

وقال محمد بن حبيب : أجأ هو ابن عبد الجن ، عشيق سلمى بنت
حام بن حمى من بني عمليق بن حام ، وهي أولى امرأة سميت سلمى فهرب
بها أجأ ، فاتبعها اخوتها منهم الغميم ، وفدك ، وفائد فأدركوهم
بالجبلين ، فأخذوا سلمى ففلقوا عينيها ووضعوها على أحد الجبلين فسمى
سلمى ، وكنفوا أجأ ، ووضعوه على الجبل الأحمر فسمى أجأ (1)

وأنت ترى أنه يستعين على مادته بما أثر عن العرب من أساطير ،
وينتهي الجزء الأول عند (عجرد) ويتبع في ٢٤٧ صفحة ، والصفحات
مرقمة بالقلم الرصاص .

(1) الجزء الأول من العباب ص 10 مخطوط رقم 141 لفة ، دار الكتب

ابن منظور 630 - 711 ولسان العرب

ابن منظور ، هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الانصاري ولد فسي تونس ، وكان يميل الى قراءة كتب الأدب ، فاستوعب أكثرها ، وحاول اختصارها ، وخاصة المطول منها كالأنغاسي والعقد والذخيرة وتاريخ دمشق ونشوار المحاضرة ومفردات ابن البيطار - ويقول الصفدي : لا أعرف في الأدب وغيره كتابا مطولا الا وقد اختصره (1) لذلك تضخم كتاب لسان العرب لسا دخله من الاستطراد والشواهد والاستعانة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما استوعبه من هذه المطولات

ويقول ابن حجر : (جمع في اللغة كتابا اسماه لسان العرب ، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة (2) والنهاية ، وحاشية الصحاح ، جوده ما شاء ورتبه ترتيب الصحاح (3) ويقول الشدياق

(1) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة 4 : 263 ط الهند سنة

1350 هـ

(2) يقول احمد زكي باشا ان الجمهرة ليست مما جمعه

(3) مقدمة اللسان ط دار صادر

معلقا على تضخم اللسان » انه كتاب لغة وفقه ونحو وصرف وشرح
للحديث وتفسير للقرآن (1) •

وترتب على هذا أن نقل صاحب اللسان بعض ما عيب به أصحاب
المعاجم الأخرى ، وإذا كان من عيوب الجوهري مثلا أن يستشهد فى
الصحاح بإسحق بن إبراهيم الموصلى فإن ابن منظور قد تابعه فى هذا (2)
وكذلك استشهد بأبى تمام (3) •

ولسان العرب ، موسوعة لما حوته المعاجم السابقة ، بلغ فى طبعة
ببلاق سنة 1307 هـ عشرين مجلدا ضخما ، وأعيد طبعه فى بيروت فى
مطبعة دار صادر سنة 1955 م فى خمسة وستين جزءا

وعلى رأس المعاجم التى اعتمد عليها ابن منظور محكم ابن سيده ،
وقد أشار الاستاذ محمد على النجار حين حقق الخصائص لابن جنى وقدم
لها ، أن ابن سيده انتفع بكتاب الخصائص فنقل منه دون أن يشير الى
ابن جنى • فنقل ابن منظور عن المحكم ونسب ما نقله الى ابن سيده (4) •
ومن تلك المعاجم التى اعتمد عليها : تهذيب الأزهري ، ويرى ابن منظور أن
التهذيب والمحكم من أمهات كتب اللغة ، وما عداهما بالنسبة اليهما ثنيات
للطريق •

وامتدح الجوهري وجهوده فى كتابه الصحاح الا من سقطات يذكر
بسببها فضل ابن برى فى شرحه عليه حيث « تتبع ما فيه ، وأملى عليه
أماليه مخرجا لسقطاته مؤرخا لغلطاته » (5) •

(1) الجاسوس على القاموس 79

(2) اللسان 1 : 59

(3) اللسان 22 : 178 ط دار صادر

(4) انظر مقدمة محقق الخصائص ص 29 ط دار الكتب

(5) مقدمة اللسان ص 7 ط دار صادر

ورتب ابن منظور معجمله لسان العرب على طريقة الصحاح حسب
أواخر الكلمات وأشار الى الاستطرادات التي ضمها كتابه من جليل
الأخبار وجميل الآثار والكلام على معجزات الذكر الحكيم مما أفاده من
أبى السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى بعد أن وضعها فى
أماكنها الحقيقية من لسان العرب •

وهو اذ يعتمد اعتمادا كبيرا على الأزهرى ، وابن سيده ، ويرى انهما
لم يتركاه مقالا « ولم يخليا لأحد مجالا » ، وأنهما عينا فى كتابهما عن روى
وبرهنا عما حويا ، ونشرا فى خطيهما ما طويا ، وأنهما جمعا فأوعيا وأتيا
بالمقاصد ووفيا « لهذا فانه يتحلل أو يعتذر عن الوقوع فى الخطأ مكتفيا
بسهمة النقل ولا يدعى فيه بدعوى يقولها كأن يقول (شافهت أو سمعت أو
فعلت أو وضعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو
حملت) (1) •

وأشار صاحب اللسان بالاضافة الى التهذيب ، والمحكم ، والصحاح ،
الى كتاب الأمالى لابن برى ، والنهاية لابن الاثير الجزرى •

ويبدو أن صاحب اللسان لم يعتمد على كتاب العين فى نقوله اعتمادا
مباشرا وانما عرفه عن طريق النقل والرواية عن الأزهرى فى التهذيب
فيقول فى كثير من المواضع « حكاه الأزهرى عن الليث » ومعنى هذا أنه
يشك فى نسبة العين للخليل ، أو اقتنع برأى الأزهرى فى ذلك •

وعقد ابن منظور قبل أن يبدأ فى معجمله فصلا فى تفسير حروف
القرآن المقطعة ومقالا عن بعض خصائص العربية كما فعل أصحاب المعاجم
من قبل ، وبابا عن طبائع الحروف تحدث فيها عن المجهور والمهموس الى

(1) مقدمة اللسان ص 8 ط دار صادر

غير ذلك • وبالجملـة فلسـان العرب كتاب أدب وحديث وفقه وتاريخ
بالإضافة الى صفته الأصلية كـمعجم جامع •

التصحيح في لسان العرب

ذكرنا ونحن نتحدث عن التصحيح والتحريف أن بعض الأخطاء
الناشئة عنهما بقيت الى أيامنا هذه تمر أمام اللغريين فيتصيدونها المحققون
الذين يتناولون الكتاب على تـودة وروية فيشيرون الى وجه الصحة فيها
— أو تظل صحيحة — حسب تعارف الناس عليها الى أن تبـعث ومعها
أسانيدها الصحيحة •

من المحققين الذين كـشفوا عن بعض هذه التصحيـفات الاستاذ المحقق
أحمد تيمور ووضع كتابا فيما لاحظـه من أخطاء القاموس ، وآخر لأخطاء
اللسان ، وبالرغم من أن القائمين على طبع اللسان أشاروا في هوامشه الى
أخطاء تداركوها فقد ظهرت الطبعة الثانية في بيروت وبها أخطاء في المواد
والشواهد التي شوهها التحريف أيضا ، وأشار الاستاذ عبد الستار فراج
الى بعض هذه الأخطاء التي عثر عليها في سياق تحقيقه لكتاب المحكم —
ونذكر فيما يلي مثالا منها ونحيل القارئ الى المصدر •

(باب الهمزة — ذكر اللسان ان من العرب من يحقق الهمزتين فيقرأ
أأندرتهم قرأ به عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وقرأ أبو عمرو : آأندرتهم
بطولة ... وقرأ أبو عبد الله بن أبي اسحق آأندرتهم بألف بين الهمزتين ،
وذكر صاحب اللسان لأحمد بن يحيى قوله :

خرق اذا ما القوم أجروا فكاهة

تذكر آاياه يعنون أم قردا (1)

(1) اللسان 1 : 18 ط دار صادر سنة 1955

وصوابها حَزَقٌ" كما يقتضيها القياس ، وقد وردت على التصحيح الأخير فى مادة ح ز ق فى نفس المعجم ، وورد بها الشاهد السابق مضبوطا حَزَقٌ ، وجاء فى تفسيره : (الحزق الضيق القدرة والرأى الشحيح ، فاذا كان قصيرا دميما فهو حزقة أيضا وهذا يتششى مع سياق المعنى فى الشاهد) هذا مثال من عديد الأمثلة التى أشار اليها الأستاذ عبد الستار فراج فى أكثر من بحث نشره فى مجلة مجمع اللغة العربية (1) .

(1) انظر العدد 12 : 171 - 13 : 177 - 15 : 58

الفيروزبادي 729 - 817 هـ والقاموس المحيط

ولد أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزبادي الشيرازي في سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكارزين من أعمال فارس ، وأتم حفظ القرآن بها ، ثم انتقل الى شيراز ، ثم طوف في العراق ، والشام ، ومصر ، والحجاز ، وزار الهند واليمن .

سمع من محمد بن يوسف الزيدي المدني ، وابن القيم . وابن الخباز ، والصلاح الصفدي ، والبهاء بن عقيل ، والكمال الأسنوي ، وابن هشام

ومن أهم ما عني به في دراسته ، الحديث ، واجتهد في علم اللغة الى أن (بهر وفاق من حضر ومن غبر) ويقول عن نفسه (واني قد نبغت في هذا الفن قديما وصبغت به أديما ولم أزل في خدمته مستديما) (1) .

وتلمذ عليه السيد محمد مرتضى الزبيدي ، والحافظ بن حجر المستقلاني وقال : (اجتمعت بالمجد اللغوي في زبيد وفي وادي الخصيب وتناولني جل القاموس وأذن لي وقرأت عليه من حديثه ، وكتب لي تقريرا على بعض تخاريجي) .

وألقى عصا التسيار في زبيد باليمن ، فتولى القضاء عشرين سنة

(1) مقدمة القاموس المحيط ص 3

وبالغ في اكرامه سلطان اليمن الأشرف اسماعيل (1) * ومن تصانيفه التي تزيد على أربعين مؤلفا : تسهيل الوصول الى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول ، والاصعاد الى رتبة الاجتهاد في أربعة أسفار ، وشرح مطول على البخاري بلغ عشرين سفرا ، وشوارق الأسرار في شرح الأنوار ، والروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف ، وتحجير الموشين فيما يقال بالسين والشين ، والصلات والبشر في الصلاة على خير البشر *

دوافع وضع القاموس

يعتقد الفيروزبادي بالعلاقة الواشجة بين اللغة والدين فقال يؤكد هذا الوجه (وان بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب ، وكان العمل بموجبه لا يصح الا باحكام العلم بمقدمته ، وجب على رؤام العلم ، وطلاب الأثر أن يجعلوا عظم اجتهادهم واعتمادهم وأن يصرفوا جل عنايتهم في ارتيادهم الى علم اللغة والمعرفة بوجوهها) (2) *

فقاده هذا الغرض - بالاضافة الى تمرسه الواسع باللغة الى أن يقتنى كتابا « جامعا بسيطا ، ومصنفا على الفصيح والشوارد محيطا » *

ويبدو أنه لم يقنع بكتاب الصحاح للجوهري الذي كان من مميزاته الايجاز وكان هذا الكتاب دائرا في أيدي الناس فلما أعياه الطلاب شرع في وضع كتاب أسماء اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعياب - يقصد محكم ابن سيده ، وعباب الصغاني ، وهما في نظره من أمثل كتب اللغة ، أو كما يقول هو (هما غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب) ولكن الفيروزبادي لم يقتصر في مراجعته على هذين الأصلين ، بل زاد عليهما من عنده ، ومن المراجع الأخرى ما جعل الكتاب يتضخم ويتعذر

(1) الجاسوس 72 نقلا عن شارح الناج

(2) مقدمة الفيروزبادي للقاموس المحيط 3

تناوله حتى لقد حسنه فى ستين سفرا .

كان هذا هو غرض الفيروزبادى أولا ، ولم يتضح الى أى حد سار فى منهجه هذا الواسع الا ما يشير اليه الشدياق من أنه أتم خمس مجلدات ، ولكن الفيروزبادى يشير فى باب الهاء أنه بين بعض ما أورده من هذا الباب فى كتابه اللامع (1) ويقول : « سئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام ، وعمل مفرغ فى قالب الايجاز والاحكام . مع التزام اتمام المعانى ، و ابرام المباني ، فصرفت صوب هذا القصد عنانى ، وآلفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معربا عن الفصح والشوارد . وجعلت بتوفيق الله تعالى زفرا فى زفر . ولخصت كل ثلاثين سفرا فى سفر . وضمنت خلاصة ما فى العباب والمحكم . وأضفت اليه زيادات من الله تعالى بها وأنعم ، ورزقنيها عند غرضي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماء العظمى ، وأسيسته القاموس المحيط (2) » .

منهج الفيروزبادي

بينما فى دوافع وضعه لهذا الكتاب محاولته للوصول الى معجم يجمع محاسن السلف ، ويكمل ما فاتهم ، وهو وان اعتمد على الصحاح والتهذيب والمحكم والنهاية وحواشى ابن برى والجمهرة ، فإنه تناول بالنقد المار كتاب الصحاح الذى كان فى ذلك الوقت من المعاجم البارزة . ويعتبر فى ذاته تطورا فى فن المعاجم وكان الناس بدورهم مقبلين على كتاب الصحاح - فهل كان الفيروزبادى يبتغى عمل شئ فذ أكبر من الصحاح ؟

انه يجيب على بعض ما يساورنا بأنه اختار الصحاح لحملته هذه مع

(1) المجاسوس على القاموس 101

(2) مقدمة الفيروزبادى للقاموس 3 و 4

اعترافه بما فى الكتب الأخرى من هنات ومآخذ - لان الصحاح أكثر تداولاً ، وقال : (اختصت كتاب الجوهري من بين الكتب اللغوية مع ما فى غالبها من الأوهام الواضحة والأغلاط الفاضحة لتداوله واشتهاره بخصوصه ، واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه) (1) •

وهو لا يكاد ينصف الجوهري الا على أساس تفوقه هو عليه ، ويقول فى هذا (ولما رأيت اقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاتته نصف اللغة أو أكثر (2) اما باهمال المادة ، أو بترك المعانى الغريبة النادرة ، أردت أن يظهر للناظر بادية بدء فضل كتابى هذا عليه فكتبت بالحمرة المادة المهمة لديه - وفى سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه اليه ، ولم اذكر ذلك اشاعة للمفاخر ، بل اذاعة لقول الشاعر: كم ترك الأول للآخر) (3) •

الاختصار

وعد الفيروزبادي فى منهجه أن يتوخى الاختصار ، وتقريب العبارة . وإيراد المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة ، فاستعمل لذلك بعض الاصطلاحات - العين للموضع - والبدال للبلد - والتاء المربوطة للقربة - والجيم للجمع - والميم للمعروف ، وفى سبيل الوفاء بوعدده بالايجاز حذف الشواهد وأسماء اللغويين والنحاة (4) ولكن لا يجرى مع هذا ذكره لأعلام الفقهاء ، والمحدثين ، وأسماء الأدوية • يقول الشدياق « ومع

(1) المصدر السابق

(2) الذى حمله على هذا الادعاء انه قرا كتاب الصغاني « التكملة والذيل والصلة » وكان فى حجم الصحاح فظن انهما تقاسما المجد الادبى فى هذا اللون من التصنيف لان صاحب التكملة استدرك فى كتابه ما فات الصحاح - انظر 76 من الجاسوس

(3) مقدمة القاموس المحيط ص 3

(4) الجاسوس 80

بسط عبارة هذه الكتب التي تيسر لى مطالعتها لم أجد فيها ما وجدت فى القاموس من وصف الأدوية والعقاقير وأسماء المحدثين والفقههاء ، ويقارن بين هذا الاتساع الذى لا محل له وبين ما حذفه من الصحاح فيقول : ان أول ما يقع عليه نظر الناظر الى الصحاح الأبيات التى استشهد بها فيحكم بأن مؤلفه لغوى أديب ، فاذا وقع نظره على المواد المكتوبة فى القاموس بالحمرة حكم بأن مؤلفه طبيب وذلك نحو قوله : الأشيخ ، والبرنج ، والبسفانج ، والبابونج ، والبهرامنج ، والجسبيرج ، والجوزاهنج ، والاسفيداج ، والشفانج ، والشهدانج (1) .

والفيروزبادى يختم مقدمته — وهى غالبا ما تكتب فى آخر الكتاب — فى تواضع ويعترف فيها بهفوات الانسان ، ويقول ضارعا الى من ينظر الى عمله أن يستر عثاره وزله . ويسد بسداد فضله خلله ويصلح ما طغى به القلم ، وزاغ عنه البصر ، وقصر عنه الفهم ، وعقل عنه الخاطر . فالانسان محل النسيان (2) .

دراسات حول القاموس

ونشطت الدراسات حول القاموس على غرار الدراسات التى عقدت حول الصحاح فاكتفى بعض العلماء بشرح مقدمة القاموس كمحمد بن يحيى القرافى المصرى ١٠٠٨ هـ فى كتابه : القول المأثور بشرح مغلق القاموس (3) والمناوى ١٠٣١ هـ فى شرح خطبة القاموس (4) .

ومن العلماء من علق عليه ونقده ، ومن عقد مقارنة بين القاموس

-
- (1) الجاسوس 108
 - (2) مقدمة القاموس المحيط 7
 - (3) مخطوطة بدار الكتب برقم 11 لغة
 - (4) مخطوط بدار الكتب برقم 6

والصحيح - فقد عمل القرافي كتابا أسماه (بهجة النفوس في المحاكمات بين الصحيح والقاموس) وكتب القاضي ادريس بن محمد ١٠٣٧ هـ كتابه مرج البحرين ، وعمل عبد الله بن محمد الفاسي ١١٧٠ هـ كتابه « أضواء الراموس وافاضة الناموس على أضواء القاموس وعسل الشدياق كتاب الجاسوس ، وذكر الزبيدي لفيفا من العلماء شاركوا في دراسات مختلفة حول القاموس سنشير اليهم في حديثنا عن التاج •

احمد فارس الشدياق وكتاب الجاسوس

تناول الشدياق كتاب القاموس وصاحبه بالنقد الشديد ، وكما قال الفيروزبادي انه تناول كتاب الصحيح لتداوله بين الناس ، كانت هذه أيضا حجة الشدياق فقال : (لما رأيت في تعاريف القاموس للامام القاضي مجد الدين الفيروزبادي قصورا وابهاما ، وايجازا وايهاما ، وترتيب الأفعال ومشتقاتها فيه مجوج الى تعب في المراجعة ، ونصب في المطالعة والناس راوون منه وراضون عنه ، أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يحض أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة ، واضح التعاريف شاملا للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب ، وكل من اشتهر بالتأليف سهل المجتنى ، داني الفوائد ، بين العبارة ، وافى المقاصد) (1) •

وعقد أربعة وعشرين نقدا لكتاب القاموس المحيط بعد مقدمة طويلة بلغت تسعين صحيفة ، تكلم فيها عن فروع شتى من المعارف اللغوية ، وتناول أكثر المعاجم بالاشارة وترجم لأصحابها كما ترجم لبعض اللغويين • وكان النقد الأول لمقدمة القاموس ، فأورد المتن وشرحه ، وعلق عليه ، وانتصر للجوهري ، وفند حملة الفيروزبادي عليه ، كقول صاحب

(1) مقدمة الجاسوس

القاموس ان الجوهري فاته نصف اللغة أو ثلثها - قال الشدياق (ان الجوهري لم يقصد الجمع والاحاطة وانما التزم الصحة وجعلها شرطا فيما أورده وأراده - على أن لصاحب الصحاح أن يدعى أحسنية كتابه وتفوقه على القاموس لأن جمع ما صح وان قل أحسن من مطلق الجمع) (1) *

ويعزو الشدياق بعض الهنات والمآخذ في القاموس الى اشتغال الفيروزبادي بالتأليف في أكثر من موضوع واحد في وقت واحد ، وقال انه كثيرا ما يكرر اللفظة في مادتها ، أو يحيل ذكرها الى موضع ولا يذكرها فيه حتى انه ربما أثبت شيئا في مادة ثم أنكره (2) *

تصحيح القاموس المحيط

وعلى ذكر الأخطاء فقد عدها على الفيروزبادي الاستاذ المحقق أحمد تيمور في كتاب سماه « تصحيح القاموس المحيط » قال في مقدمته :

« أما بعد فهذه تنبيهات على ما وقع من الأغلاط في نسخة القاموس المحيط وقد كنا قيدنا ما استطعنا تحقيقه من تلك الأغلاط بحواشي نسختنا أثناء المراجعة ، ثم رأينا تجريد ما قيدناه وجمعه في هذه الرسالة رجاء تعيين تفهه ، ورتبناه ترتيب الكتاب تسهيلا للرجوع الى مواضعه فيه بعد أن أضفنا اليه ثلاثة أغلاط رأينا التنبيه عليها في مجلتي الضياء ، ولغة العرب ستأتى في مادة خ س س ، تين ، نسو ، معزوة الى محققها - ورأينا كلاما عن غلط آخر في مادة ح ج ل ذكره المفتي محمد سعد الله في القول المأثور في صفات القاموس ظهر لنا أنه لم يصب فيه فأثرنا ايراده للتنبيه.

(1) الجاسوس 105

(2) الجاسوس 73

عليه — ثم ذكر النسخ التي كانت في عهده مخطوطة ومطبوعة (1) ♦

تقريظ القاموس

أما الزبيدي ، صاحب التاج — فقد وضع القاموس في مرتبة عالية ، وقال فيه وفي صاحبه (...) وكان فيها — يقصد العربية — كتاب القاموس المحيط للامام مجد الدين الشيرازي أجل ما ألف في الفن لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب العرباء. وبيضة منطقتها ، وزبدة حوارها ، والركن البديع الى ذرابة اللسان وغرابة اللسن ، حيث أوجز لفظه وأشبع معناه وقصر عبارته وأطال مغزاه ، لوّح فأغرق في التصريح وكنّى فأغنى عن الأفصاح ... ولعمري هذا الكتاب قد اخترق الآفاق مشرقا ومغربا وتدارك سيره في البلاد مصعدا ومصوبا ... وجلت منه عن أهل الفطن ... (2)

(1) مقدمة تصحيح القاموس المحيط

(2) مقدمة الزبيدي ص 4

الزبيدي 1145 - 1205 هـ وتاج العروس

الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد مرتضى الحسيني . ولد في قرية هندية تسمى بلكرام ، ارتحل فسي طلب العلم فذهب الى مكة ، والتقى بالسيد عبد الرحمن العيدروس وقرأ عليه مختصر السعد ولازمه مدة ، أجازته بعدها بمروياته .

ثم زار مصر سنة ١١٦٧ هـ وجلس لألقاء درس الحديث ، وكان موضع ثقة شيخ العرب همام - واعتنى به اسماعيل كئخدا ، وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين وسماه : تاج العروس ، وهو الذي سنعرف به الآن - وله غير ذلك اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ، وبلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب ، وتلبية العارف البصير على اسرار الحزب الكبير ، وعقد الجواهر المنيقة في ادلة مذهب الامام أبي حنيفة ، ونشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقдах .

تاج العروس

كما رأينا القاموس المحيط يقوم على سبب أو أكثر يتصل بصحاح الجوهري ، فلقد قام تاج العروس كحلقة من الدراسات التي قامت حول القاموس - لاحظ الزبيدي اتساع الدراسات حول الصحاح ، واختلاف وجهات النظر فيها وتنوعها ، وأنها شملت المقدمة ، وشرح المتن ، والنقد ، والمقارنة بينه وبين القاموس فأراد الزبيدي أن يفيد من كل هذا ، فوضع

كتابه ، وسماه تاج العروس من جواهر القاموس مع فارق واضح هو أن الفيروزبادي عمل كتابه بعد أن انتقص من أمر الجوهري • والزيدي يكمل القاموس ويذكر شروحه مع الاشارة به وبصاحبه ويقول :

(..... وأنا لا أدعى فيه دعوى فأقول شافهت ، أو سمعت . أو رحلت ، أو أخطأ فلان أو أصاب أو غلط القائل في الخطاب ، فكل هذه دعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالا ويتحدث في تواضع فيقول : « وليس لي في هذا الشرح فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بها سوى انني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم » (1)

وكان من الدوافع أيضا - اعتقاده بأن العربية أصل لكل العلوم ، وقديما ربط العلماء بين اللغة والدين ، وأبرز معظم أصحاب المعاجم هذه الناحية في كثير من التقديس كما أشرنا ، وقال الزيدي (فتدبرت فنون العلم التي أنا كائن بصدد تكميلها ، وقائم بأزاء خدمتها ، وتحصيلها ، فصادفت أصلها الأعظم الذي هو اللغة العربية ، ويقول انني لم أقصد سوى هذه اللغة الشريفة اذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية) (2) •

وكان ايجاز القاموس مما دفع الكثير من العلماء (3) الى المشاركة في

(1) مقدمة التاج ص 5

(2) مقدمة التاج

(3) ذكر الزيدي كثيرا منهم ، وبين جهودهم فقال (فمنهم من اقتصر على شرح خطبته كالمحب بن الشحنة ، والقاضي عيسى بن عبد الرحيم الكجراتي ، وميرزا علي الشيرازي - ومنهم من تقيّد بسائر الكتاب كعلي بن غانم المقدسي ، وسعدى افندي والشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي وسماه القول المأنوس وصل فيه الى حرف السين (ولم يعثر عليه الزيدي) وعبد الله بن الامام شرف

كشف غموضه وجاء دور الزبيدي الذي رأى أن يدلى برأيه فقال (.. فلما انست من تنامي فاقة الأفاضل الى استكشاف غوامضه والغوص على مشكلاته قرعت ظنبوب اجتهادي واستسعيت يعبوب اعتنائى فى وضع شرح عليه ممزوج العبارة - جامع لمواده - بالتصريح فى بعض ، وفى البعض بالاشارة ، واف ببيان ما اختلف من نسخه - والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول حاو لذكر نكته ونوادره ، والكشف عن معانيه والانباء عن مضاربه وماأخذه بصريح النقول والتقاط أبيات الشواهد له مستمدا ذلك من الكتب التى يسر الله تعالى بفضله وقوفى عليها ، ونقلت بالمباشرة لا بالوساطة عنها (1) ثم ذكر بعض هذه الكتب وقد بلغت أكثر من مائة كتاب .

وقد حدد الزبيدي فى مقدمته هذه منهجه فى كتاب التاج الذى تلخص نقاطه الهامة فى :

→

الدين وسماء : كسر الناموس والبدر محمد بن يحيى القرافى
وسماء : بهجة النفوس فى المحاكمة بين الصحاح والقاموس -
والامام أبى العباس أحمد بن عبد العزيز (حدثه به بعض شيوخه)
وشرح أبى عبد الله محمد بن الطيب الفاسى فى مجلدين ضخمين
(اثنى عليهما الزبيدي) وذكر من الذين استدركوا على الكتاب
عليان بن محمد الحسينى ، وعبد الله بن المهدي الحميرى اذ استدرك
عليه وعائى الجوهرى فى مجلد - وملا على بن سلطان الهروى
وسماء : الناموس . وللشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد
الناوى عليه كتابة حسنة ، وكذا الشيخ ابن حجر المكى له فى
التحفة مناقشات معه ، وللشهاب الخفاجى فى العناية محاورات
ومطارحات ، وقال : بلغنى ان البرهان بن همام بن محمد الحلبي
قد لخص القاموس ...)

(1) مقدمة التاج ص 3

اولا - محاولته الاختصار ما أمكنه ذلك على أن يبقى على جوله
الكتاب ، وسيعمل في سبيل ذلك الى التبريح ان اقتضى المقام أو التلميح
ان رأى فيه الكفاية . وقال (ولم آل جهدا في تحري الاختصار وسلوك
سبيل التنقية والاختيار وتجريد الألفاظ من الفضلات التي يستغنى عنها) .
ثانيا - محاولته جمع نسخ المحيط المتعددة ، ومقابلة أصولها بعضها
ببعض لينتقى أصحها .

ثالثا - إعادة الشواهد - فقد قامت خطة صاحب القاموس على
حذفها توخيا لما وعد به من الاختصار - ولاحظ الزبيدي أن هذا
الاختصار يحتاج الى نوع من التكملة والتوضيح ، ورأى أن ينير بها
بعض ما غمض من المحيط - فجمع الشواهد والأدلة وقارن بينها فيما
تيسر له من كتب السابقين ، ووجدها أمثل طريقة لتنقيتها وتصويبها « لأن
كل واحد من العلماء اقرء بقول رواد ، أو سماع أدّاه ، فصارت الفوائد
في كتبهم مفرقة (1) قال : فجعلت منها في هذا الشرح ما تفرق وقرنت بين
ما غرب منها وبين ما شرق فانتظم شمل تلك الأصول والمواد كلها في هذا
المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع (2) .

أما الترتيب - فهو نفس ترتيب القاموس فبدأ باب الهمزة ، فصل
الهمزة ، ثم فصل الباء من باب الهمزة الى آخر التقسيم ، وتميز
بالأسهاب الكبير في المقدمة التي قسمها الى عشرة مقاصد عالج فيها بعض
الدراسات اللغوية كالكلام عن اللغة هل هي توقيفية أو اصطلاحية ، وعن
العرب وتقسيمهم الى عاربة ومتعربة ومستعربة ، وأنسابهم ، الى غير ذلك .

(1) مقدمة تاج العروس 4

(2) مقدمة تاج العروس 5

ويبدو بوضوح اعتماده على السيوطي ، وخاصة ما جاء في المزهري ، فنقل عنه جل هذه الأبحاث .

وفي آخر مقدمة الزبيدي بدأ في شرح مقدمة القاموس ، بعد أن وضع المتن بين أقواس ، وتوسع في الشرح وأورد كل ما يتصل به من النحو والصرف وغير ذلك .

وكما اعتمد على السيوطي في المقدمة فيما تضمنته من أبحاث لغوية تلمح اعتماده فيما اتسع فيه من مواد المتن على شيخه ابن الطيب بالإضافة الى مراجعه الأخرى بالرغم من أن شيخه ابن الطيب كان قد وضع حاشية على كتاب القاموس لم يكن هواه فيها مع الفيروزبادي ، فنقل عنه الزبيدي ولم يتأثر بحملة شيخه ابن الطيب عليه ، بل كان في أكثر من مناسبة يشي على شرح أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الذي يقع في مجلدين ضخمين .

ونحسب على الزبيدي إحدى الهنات ، وهو الذي اطلع على هذه المراجع التي زادت على المائة من أمهات الكتب ، واستوعب أغلب ما جاء في المعاجم السابقة فالذي يتصدى لعمل مثل هذه الموسوعة لا يجب أن يتقف دوره عند النقل فقط ، فهذه الزيادات التي أضافها لم تكن استنتاجا ، ولا عن أعمال فكر ، ولا صدرت عن دراسة مقارنة متأنية ، ولا اقتناع يؤازره السند اللغوي ، ولا دخل في قضية عللها وانتصر وباهى بنتيجتها - ولكنه اكتفى بالنقول - وآثر السلامة تحرجا فيما يبدو من قوله (. . . فلم أبدل شيئا فيقال : فانما ائمه على الذين يبدلونه - بل أدت الأمانة في شرح العبارة بالنص ، وأوردت ما زدت على المؤلف بالنص . . . فليعد من ينقل من شرحي هذا عن تلك الأصول والفروع) (1) كأنه تأثر

(1) مقدمة التاج ص 5

ففي هذا منهج السيوطي .

وتأسيسا على هذا - لا نستطيع أن نعفيه من المآخذ التي وقع فيها أسلافه ونقلها هو كما هي ، كهذا الاسراف الذي لوحظ على القاموس في إيراد أسماء الأعشاب ، والأدوية ، وأسماء المحدثين والفقهاء بالرغم من ادعاء صاحبه الاختصار ، نجد هنا أيضا - وليس لها محل حتى في التوسع والتوضيح الذي أراده الزبيدي .

ومع هذا فهو معجم جامع لا يقلل من قيمته الكبرى مثل هذه الهنات .

مراجع البحث ومصادره

- ابرار المعاني من حرز الأمانى
عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن
عثمان الدمشقى المعروف بأبى شامة ،
ط. مصطفى البابى الحلبي سنة 1349 هـ
رقم 9185 ج .
- الابل
ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى ،
ضمن كتاب الكنز اللغوى ابتداء من صفحة
66 نشره وعلق عليه الدكتور اوجست
هفتر المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
بيروت سنة 1903 م رقم 3524 ج .
- اتحاف فضلاء البشر فى
القراءات الاربعة عشر
احمد بن محمد الدمياطى ط مصر سنة
1285 هـ . 699 ج .
- الاتقان فى علوم القرآن
جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط
القاهرة سنة 1317 هـ 543 ب .
- الاخبار الطوال
ابو حنيفة احمد بن داود الدينورى ط
مصر 52204 .

أخبار النحويين البصريين

أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي .
تحقيق طه محمد الزيني ، ومحمد عبد
المنعم خفاجي ط الحلبي سنة 1374 هـ
1955 م 8800 د .

أساس البلاغة

أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط
دار الكتب سنة 1923 م 3868 ب .

أسد الغابة في معرفة الصحابة

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم
الجزري المعروف بابن الاثير ط جمعية
المعارف 1286 هـ 120 ج .

الاشتقاق

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ط
جوتنجن سنة 1854 م رقم 3981 ج ،
وحققه عبد السلام هارون . مؤسسة
الخانجي سنة 1958 م رقم 56098 .

الاشتقاق والتعريب

عبد القادر بن مصطفى المغربي . لجنة
التأليف والترجمة والنشر سنة 1948 م
8988 د .

الاصابة في تمييز الصحابة

شهاب الدين احمد بن علي المشهور بابن
حجر العسقلاني ط كلكتا سنة 1873
وط مصر سنة 1327 هـ رقم 885 ب .

اصلاح المنطق

أبو يوسف يعقوب بن السكيت شرحه
الاستاذان احمد شاكر ، وعبد السلام
هارون . دار المعارف 1949 م وسنة
1951 م رقم 11044 ج

الأضداد

مجموعة تضم كتاب الاضداد عن عبد
الملك بن قريب الاصمعي . وكتاب أبي حاتم
السجستاني ، وثالث لابن يوسف يعقوب
ابن السكيت ، ومذيل بكتاب في الاضداد
للحسن بن محمد الصفاني . نشرها
الدكتور اوجست هفتر ط الآباء
اليسوعيين بيروت سنة 1912 م 5505 ج

الأضداد في اللغة

محمد بن القاسم بن محمد (ابن بشار
الانباري) ط مصر سنة 1325 هـ 3313 ب

اعلام الموقعين

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن
قيم الجوزية 1099 ب - 925 ب .

الأغاني

أبو الفرج الأصفهاني نسخة ط القاهرة
وفهرست 3860 ب وأخرى ط دار الكتب
3746 ب .

الأغراب في جدل الأعراب

أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن
محمد الانباري نشره سعيد الافغاني ط
الجامعة السورية سنة 1957 م .

الاقتراح في أصول النحو

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط
حيدرآباد سنة 1310 هـ . 3304 ج .

الاقتضاب

ابن السيد البطليوسي ط بيروت سنة
1901 م 8002 ج .

الألفاظ

أبو يوسف يعقوب بن السكيت بشرح
التبريزي ط بيروت 1895 م 397 د .

الألفاظ الفارسية المعربة

أدي شير ط بيروت 1908 م 5125 ج .

الألفاظ المترادفة

أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ط
الموسوعات سنة 1331 هـ رقم 3653 ب .

أمالى الزجاجي

أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق
الزجاجي ط السعادة سنة 1324 هـ
4937 ج .

أمالى القالى

أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ط
دار الكتب سنة 1926 م 2094 ب .

أمالى المرتضى

أبو القاسم علي بن الطاهر المرتضى ط
السعادة 1907 م رقم 2471 ج .

الامتناع والمؤانسة

أبو حيان التوحيدى ط لجنة التأليف
والترجمة والنشر سنوات 1939 و 1942
و 1944 / 7756 د / 8116 د / 9871 ج .
أبو عبيد القاسم بن سلام ط جوتنجن
1936 رقم 3617 د

الأمثال (جزء من الكتاب)

الأمثال

أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسى
ط القاهرة 1391 حققه الدكتور رمضان
عبد التواب .

أمثال العرب

المفضل بن محمد بن يعلى الضبى ط
الجوائب 1300 هـ رقم 3298 ج .

انباء الرواة على انباء النحاة

جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف
القفطى حققه محمد أبو الفضل أبرهيم ط
دار الكتب طبع الجزء الاول سنة 1950
والرابع سنة 1973 وارقامها بالترتيب :
11017 ج - 4074 ب - 63784 -
80961 .

الانصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين

أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى
بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
ط السعادة سنة 1955 50214 .

الأيام والليالى والشهور

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - مخطوط
المجموعة 13 أدب ش دار الكتب بالقاهرة .

البحر المحيط

أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسى ط
القاهرة رقم 1949 ب و 1950 ب .

البخلاء

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
الجاحظ ، حقق نصه وعلق عليه الدكتور
طه الحاجرى ط دار الكتاب المصرى سنة
1948 رقم 10239 ج .

- البرهان في علوم القرآن
محمد بن عبد الله الزركشى ط دار احياء
الكتب العربية سنة 1957 رقم 54906 .
- بغية الوعاة في طبقات
اللغويين والنحاة
البلدان
احمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف
باليعقوبى ط بريل سنة 1890 م 5400 ج
محمد صديق حسن ط الجوائب سنة
1296 هـ 167 ج .
- بلوغ الأرب فى معرفة
أحوال العرب
محمود شكرى الالوسى ط الرحمانية
3142 هـ 1924 م . رقم 6641 ج .
- البيان والتبيين
ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
الجاحظ ط الاستقامة 1366 هـ 1947 م
رقم 10955 ج وطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٣٦٧ هـ 1948 .
هارون 10925 ج .
- تاج العروس من جواهر
القاموس
السيد محمد مرتضى الزبيدى ط الخيرية
1306 هـ . رقم 25 ا و 27 ا .
- تاج اللغة وصحاح العربية
اسماعيل بن حماد الجوهري 24 ب/ 250
528/ ب
- تاريخ آداب العرب
مصطفى صادق الرافعى ط الاخبار سنة
1329 هـ 911 / 5682 ج .
- تاريخ الآداب العربية من
الجاهلية حتى عصر بنى أمية
كارل نالينو ط دار المعارف سنة 1954
رقم 18466 د .
- تاريخ آداب اللغة العربية
جورجى زيدان مطبعة الهلال 4378 ج .

- تاريخ بغداد
 أحمد بن علي الخطيب البغدادي ط
 السعادة سنة 1349 هـ 1931 م 8128 ج
- تاريخ التشريع الاسلامي
 محمد الخضري ط مصر سنة 1970 م
 رقم 75259 .
- تاريخ الرسل والملوك
 (تاريخ الطبري)
 محمد بن جرير الطبري ط دار المعارف
 1960 م / 50858 - 52204 .
- تاريخ الفلسفة في الاسلام
 دي بور ترجمة ابو ريذة ط لجنة التأليف
 والترجمة والنشر 1938 م 9030 ج .
- تأويل مشكل القرآن
 عبد الله بن مسلم بن قتيبة شرحه وحققه
 السيد احمد صقرط الحابسي 1954 م
 12548 ج .
- تحصيل عين الذهب من معدن
 جواهر الادب في علم مجازات
 العرب
 يوسف الشنتمرى مع كتاب سيبويه ط
 بولاق 571 ب .
- تجبير الموشين في التعبير
 بالسين والشين
 محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزبادي ط
 الجزائر سنة 1327 هـ 4599 ج .
- التراث اليوناني في الحضارة
 الاسلامية
 نخبة من المستشرقين ترجمه عبد الرحمن
 بدوي 9272 ج .
- تصحيح القاموس المحيط
 احمد تيمور المطبعة السلفية سنة 1343 هـ
 1929 ب .
- تصحيح لسان العرب
 احمد تيمور المطبعة السلفية 1334 هـ
 1642 ب مكرر .
- التصحيح والتحريف وشرح
 ما يقع فيه
 الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ط
 القاهرة 1326 هـ 1901 دار الكتب
 11522 - ز .

- التطور النحوى للغة العربية ج . برجستراسر ط القاهرة 1929 م
8276 ج .
- تفسير الطبرى انظر جامع البيان عن تأويل آى القرآن .
- تفسير القرطبى انظر الجامع لأحكام القرآن .
- التقريب (فى اصول الحديث) للنووى فى مقدمة البخارى ط مصر 1351
هـ - 1932 م 8940 ج .
- التقريب لأصول التعريب طاهر بن صالح الجزائرى ط السلفية سنة
1919 م 5143 ج .
- التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى
دار الكتب سنة 1344 هـ - 1926 م
مذيل للأمالى 2094 ب .
- تنوير المقباس من تفسير اعده محمد بن يعقوب بن محمد
الفيروزبادى ط الحلبي سنة 1378 هـ -
1959 رقم 49349 .
- تهذيب الصحاح محمود بن احمد الزنجاني بتحقيق عبد
السلام هارون واحمد عبد الغفور عطار
ط دار المعارف 1952 م 11844 ج .
- تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن احمد الازهرى ط
القاهرة حققه نخبة من العلماء وطبع من
سنة 1384 هـ - 1964 م الى سنة 1387
هـ 1967 م برقم 65165 و 68138 .
- الجباسوس على القاموس احمد فارس الشدياق ط الجواثب 1299
هـ 390 ب/ 621 ب/ 718 ب .
- الجامع لأحكام القرآن ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى
القرطبى ط دار الكتب من 1354 هـ -
1935 وما بعدها 2659 ب

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ط مصر
4206 ب وطبع اكثر من مرة وله ارقام
مختلفة بمكتبة الاسكندرية .

ابو هلال العسكري ط بمباي سنة 1307
هـ 1617 ب .

على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي
ط دار المعارف 1962 م / 54379 .

ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ط
حيدرآباد سنة 1344 هـ 3800 ب .

لابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني ط
السعادة 1351 هـ - 1932 م 10490 ج

ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
الجاحظ ، ط الحلبي 1947 م 6957 ج .

شرح على شواهد شرح الكافية للرضي
تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ط
السلفية 1347 هـ 11973 ج .

عثمان بن جنى بتحقيق محمد على النجار
ط دار الكتب من سنة 1952 الى 1955 م
- 55559 / 55560 / 55561 للاجزاء
الثلاثة على التوالي .

عبد الملك بن قريب الاصمعي ، نشره
اوجست هفتر ط اليسوعيين سنة 1903
م رقم 3524 ج .

احمد بن على بن حجر العسقلاني ط الهند
سنة 1350 هـ رقم 3868 ج

جامع البيان عن تأويل
آي القرآن

جمهرة الامثال

جمهرة أنساب العرب

الجمهرة في اللغة

حلية الاولياء وطبقات
الاصفياء

الحيوان

خزانة الادب ولب لباب
لسان العرب

الخصائص

خلق الانسان

الدرر الكامنة في اعيان
المائة الثامنة

- ديوان المفضليات
للمفضل الضبى - بشرح محمد القاسم
ابن محمد الانبارى عنى بطبعه كارلوس
يعقوب لایل بيروت 1960 م / 3830 ب
- ديوان الهذليين
رواية ابو سعيد السكرى طدار الكتب
1364 هـ - 1945 م / 3757 ب
- رسالة فى تعريب الالفاظ
الفارسية
لابن كمال باشا غير مبين بها سنة ومكان
الطبع - رقمها فى مكتبة الاسكندرية
4523 ج و 14181 د
- رواية اللغة
دكتور عبد الحميد الشلقانى ط دار
المعارف 1971 م / 73050
- ابوزكريا الفراء ومذهبه
فى النحو واللغة
دكتور احمد مكى الانصارى ط القاهرة
سنة 1964 م رقم 62036
- زهر الآداب وثمر الالباب
ابراهيم بن على الحصرى القيروانى شرحها
دكتور زكى مبارك ط القاهرة سنة
1344 هـ - 1925 م 6584 ج
- السيرة
لابى محمد عبد الملك بن هشام ط القاهرة
سنة 1356 هـ 1937 م رقم 8884 ج
- شرح طبية النشر
احمد بن محمد بن محمد الجزرى ط
الحلبى 1370 هـ 1950 م / 11882 د
- الشعر والشعراء
لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط
دار احياء الكتب العربية سنة 1364 هـ
12060 د
- شفاء الغليل فيما فى كلام
العرب من الدخيل
الصاحبى
لشهاب الدين احمد الخفاجى مطبعة
الاتحاد الاخوى بدون تاريخ رقم 12914 ج
انظر فقه اللغة

لابى العباس احمد القلقشندي ط
القاهرة 4342 ب

صبح الاعشى

محمد بن سلام الجمحى شرحه محمود
شاكر ط دار المعارف 1952 م 11860 ج
لابن الجزرى ، نشره برجستراسر - انظر
غاية النهاية

طبقات فحول الشعراء

طبقات القراء

محمد بن سعد الواقدي ط دار صادر
بيروت 1376 هـ 1957 م رقم 42954

الطبقات الكبرى

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ط
السعادة سنة 1373 هـ 1954 م رقم
12539 ج

طبقات النحويين واللغويين

لابن الجزرى ط مصر سنة 1308 هـ برقم
290 د و ط سنة 1950 / 11869 د

طبعة النشر

للحسن بن محمد بن الحسن الصفانى
الجزء الاول من المخطوط رقم 141 لفة
دار الكتب بالقاهرة .

العباب الزاخر واللباب الفاخر

يوهان فك ترجمة دكتور عبد الحليم النجار
ط دار الكتاب العربى سنة 1370 هـ
1951 م 11177 ج

العربية : دراسة في اللغة
واللهجات والاساليب

احمد بن محمد بن عبد ربه شرحه احمد
امين / احمد الزين / ابراهيم الابيارى ط
لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة
1359 هـ 1940 م رقم 3840 ب

العقد الفريد

الحسن بن رشيق القيروانى ط هندية
سنة 1925 م رقم 7333 ج

العمدة في صناعة الشعر ونقده

جزء مطبوع في 144 صفحة اعده الكرملى
ونشر الجزء الاول د عبد الله درويش ط
العراق سنة 1967 م

العين

عيون الاخبار	ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط دار الكتب سنة 1343 هـ 1925 م 2901 ب
عيون الانباء في طبقات الاطباء	ابو العباس احمد بن القاسم (ابن ابي اصيبعة) ط الوهبيّة سنة 1299 هـ 1883 م رقم 2928 ب
غاية النهاية في طبقات القراء	محمد بن محمد الجزري . نشره برجستراسر ط السعادة سنة 1932 م رقم 10481 ج و 10895 ج
الفاخر	ابو طالب الفضل بن سلمة ط الحلبي سنة 1960 م / 54892 .
الفاضل	للمبرد ، حققه عبد العزيز الميمنى ط دار الكتب 375 - 21829 د
الفائق في غريب الحديث	محمود بن عمر الزمخشري دار احياء الكتب العربية 1364 هـ 1945 م 11055 ج
فتوح البلدان	احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ط ليدن 1865 م / 2315 ب و ط مصر سنة 1901 م رقم 1172 ج
فعلت وأفعلت	ابراهيم بن السرى الزجاج ط السعادة سنة 1325 هـ / 6265 د
فعلت وأفعلت	لابى سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى
الفهرست	ابو الفرج محمد بن اسحق النديم ط ليبزج سنة 1871 برقم 3022 ب وطبع مصر (الرحمانية) برقم 12781 ج
فوات الوفيات	محمد بن شاكر بن احمد ط القاهرة سنة 1283 هـ برقم 11289 ج

القاموس المحيط

للفيروزبادى ط القاهرة سنة 1303 هـ
ج 12368

القلب والابدال

يعقوب بن السكيت ضمن كتاب الكنز
اللفوى نشره اوجست هفتر ط اليسوعيين
سنة 1903 م رقم 3524 ج

قواعد التحديث من
فنون مصطلح الحديث

صنفه ممد جمال الدين القاسمى . حققه
محمد بهجة العطار .
دار احياء الكتاب العربى 1385 - 1961
رقم 54904 .

الكامل فى اللغة والادب

محمد بن يزيد المبرد ط الخيرية سنة
1308 هـ 12810 ج .

كتاب الصناعتين

ابو هلال العسكري ط دار احياء الكتب
العربية بتحقيق على محمد البجاوى وابو
الفضل ابراهيم 11657 ج .

كتاب القريين

احمد بن محمد الهروى بتحقيق محمود
محمد الطناحى ط المجلس الاعلى للشئون
الاسلامية .

الكتاب لسيبويه

ابو بشر عمرو بن قنبر ط بولاق سنة
1316 هـ رقم 571 ب وبירות رقم
71966 ، وحققه عبد السلام هارون فى
طبعة ثالثة 75011 .

الكشاف عن حقائق وغوامض
لتنزيل وعيون الاقاويل فى
وجوه التأويل

محمود بن عمر الزمخشري ط الاستقامة
سنة 1953 رقم 12448 ج .

لكفاية فى علم الرواية

للخطيب البغدادي احمد بن على ط حيدر
آباد 1357 هـ / 11214 ج .

لسان العرب	محمد بن مكرم ط دار صادر بيروت سنة 1374 هـ 1955 م 4299 ب .
اللغات في القرآن	اسماعيل بن عمر نشره صلاح الدين المنجد ط الرسالة 1365 - 1946 رقم 9990 د
اللسب واللبأ	سعيد بن اوس نشره اوجست هفتر ط اليسوعيين سنة 1908 / 2627 ج .
لمح الأدلة	عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الانباري ط الجامعة السورية 1957 م .
المأثور	ابو العميث الاعرابي نشره الدكتور كرنكوي بيروت 1925 م 10478 د .
مبادئ اللغة	ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاسكافي ط مصر 1325 هـ 2319 ج .
مجاز القرآن	ابو عبيدة معمر بن المثنى حققه دكتور محمد فؤاد سزكين ط الخانجي سنة 1374 - 1955 رقم 58025 .
مجالس ثعلب	احمد بن يحيى ثعلب بشرح عبد السلام هارون دار المعارف 1948 م 10410 ج .
مجلة لغة العرب	كان يصدرها الاب انستانس ماري الكرمل 5541 ج / 5540 ج
مجلة المجمع العلمي بدمشق	بارقام 1924 ب / 2924 ب .
مجلة مجمع اللغة العربية	الاعداد 6/7/9/12/13/15 رقم 56358 وما بعدها .
مجمع الامثال	احمد بن محمد بن احمد الميداني ط مصر 1374 - 1955 / 18145 د .
المجمل	احمد بن فارس ط السعادة سنة 1332 هـ 2905 د .

المحتسب	أبو الفتح عثمان بن جنى ط القاهرة 1386 هـ رقم 66395 / 72747 .
المحكم والمحيط الأعظم	على بن اسماعيل بن سيده ط الحلبي سنة 1958 م 45450 / 49515 .
مختار الصحاح	محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ط الخيرية 1308 هـ 13174 د .
مختارات الاغانى فى الاخبار والتهانى	ابن منظور محمد بن المكرم سلسلة تراثنا ط الحلبى 1385 هـ / 1966 م 64023 وما بعدها .
مختصر جامع بيان العلم وفضله	يوسف بن عبد البر القرطبى ط مصر 1320 هـ 1609 ج .
المخصص	على بن اسماعيل بن سيده ط بولاق سنة 1316 هـ 2941 ب .
المخصص (دراسة ودليل)	محمد الطالبي المطبعة العصرية تونس رقم 48816 .
المزهر فى علوم اللغة	عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ط الحلبى سنة 1958 م 55352 .
المصاحف	أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى رقم 6967 د .
المطر	أبو زيد سعيد بن أوس الانصارى رقم 4087 ج .
معانى الشعر	للأشناندانى ط دمشق سنة 1922 م 10205 د .
معانى القرآن	يحيى بن زياد الفراء ، حققه أحمد يوسف نجائى ومحمد على النجار ط دار الكتب سنة 1374 هـ 1955 رقم 53227 .

معجم الادباء	ياقوت بن عبد الله الحموي ط دار المأمون رقم 2849 ب .
معجم البلدان	ياقوت بن عبد الله الحموي ط السعادة 1906 م رقم 4163 ج .
المعجم في بقية الاشياء	للحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري . علق عليه ابراهيم اليباري وعبد الحفيظ شلبي ط دار الكتب 1934 / 56126 .
المعرب	ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي ط ليبزج 1897 م / 4244 ج .
المعمرون من العرب	ابو حاتم السجستاني ط السعادة سنة 1905 م / 4652 د .
مفاتيح العلوم	ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي ط الشرق سنة 1342 هـ 6608 ج .
المفردات في غريب القرآن	الحسين بن محمد المعروف بالراغب ط مصر 1971 م رقم 76796 .
المقاييس	احمد بن فارس بن زكريا دار احياء الكتب العربية 1366 هـ رقم 12008 ج .
مقدمتان في علوم القرآن	مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية نشرهما آرثر جفري ط السنة المحمدية 1954 م 12537 ج .
مقدمة ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون ط بولاق 1320 هـ 812 د .
الملاحن	محمد بن الحسن بن دريد ط السلفية سنة 1347 هـ / 5253 د .

المثل والنحل	لابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني على هامش الفصل فى المثل والنحل لابن حزم رقم 3081 ب 3085 ب
نزهة الألبا فى طبقات الادبا	ابو البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى ط حجر/ 2590 د .
النشر فى القراءات العشر	محمد بن محمد الدمشقى (ابن الجزرى) رقم 54563 .
نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها	الاب انستانس مارى الكرملى ط العصرية بمصر سنة 1938 / 8888 ج .
نكت الهميان فى نكت العميان	صلاح الدين ايبك الصفدى المطبعة الجمالية سنة 1912 / 2977 ج .
النهاية فى غريب الحديث والأثر	ابو السعادات المبارك الجزرى (ابن الاثير) المطبعة العثمانية سنة 1311 هـ رقم 4318 ب .
النوادر فى اللغة	ابو زيد سعيد بن اوس الانصارى ط اليسوعيين سنة 1894 م رقم 3180 د / 1936 ج / 1821 ج .
النوادر	ابو مسحل الاعرابى حققه الدكتور عره حسن ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1961 .
الوساطة بين المتنبي وخصومه	على بن عبد العزيز الجرجانى - دار احياء الكتب العربية 1364 هـ - 1945 م 9845 ج .
وفيات الاعيان	ابن خلكان ط دار المأمون برقم 9037 ج ، وط اليمنية سنة 1310 هـ برقم 2404 ب

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الاعلام ورجال السند
- ٢ - فهرس القبائل والشعوب والجماعات
- ٣ - فهرس البلدان والاماكن
- ٤ - فهرس الموضوعات

أولاً - فهرس الاعلام ورجال السند

- ابراهيم الفارابي 632
 ابراهيم بن محمد بن عرفه (نبطويه)
 571 — 582 — 610 — 611 —
 616 — 619 — 620
 ابراهيم بن نافع 338
 ابراهيم النخعي 155
 الاثرم = على بن المغيرة
 اثير بن عمرو السكوني 275
 ابن الاثير = مبارك
 ابن الاثير = محمد
 ابي بن كعب 42 — 43 — 44 — 45 —
 61
 ابو امامة = زياد الاعجم
 الاجدع بن مالك الهمداني 485
 احمد تيمور 685 ، 693
 احمد بن حاتم (صاحب الاصمعي)
 399
 احمد بن الحسن الخطيب (راوية
 ثعلب) 645
 احمد بن الحسن الكندي 174
 احمد بن الحسين (بديع الزمان
 الهمداني) 646
 احمد بن الحسين (ابن الخباز) 687
- آدم ابو البشر 9 — 10 — 11
 آدي شير 553
 ايان بن تغلب 402
 ا. ب. كوسان دي برسفال 202
 الابرش = جديمة
 ابراهيم بن اسماعيل بن سيار
 83 — 306
 ابراهيم بيومي مذكور 580
 ابراهيم الحربي 617
 ابراهيم الخليل 142 — 207 — 208 —
 209
 ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج
 128 — 401 — 523 — 611
 623
 ابراهيم بن صالح الوراق 633
 ابراهيم اطفيش الجزائري 647
 ابراهيم بن عبد الله بن حسن 395
 ابراهيم بن على (ابن هرمة)
 285 — 342 — 346 — 508 —
 512

أحمد فارس الشدياق 678 — 680 —
682 — 688 — 689 — 690 —
692 — 693

أحمد بن القاسم 543 — 580
أحمد القلقشندي (صاحب صبح
الاعشى) 178 — 179

أحمد بن المبارك 431
أحمد بن محمد (أبو بكر) 611
أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي
468 — 583 — 584 — 585 —
586 — 587 — 588 — 618 —
620

أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي
487

أحمد محمد شاكر 534
أحمد بن محمد الشهاب الخفاجي
535 — 546 — 697

أحمد بن محمد الطلمنكي 658
أحمد بن محمد (ابن عبد ربه) 60 —
477 — 492 — 513 — 515 —
516 — 517 — 519

أحمد بن محمد بن عبد الله البزي
49

أحمد بن محمد الفيومي (صاحب
المصباح) 643

أحمد بن محمد الميداني النيسابوري
492 — 507 — 525 — 527 —
528

أحمد بن محمد النحاس المصري
128 — 409

أحمد بن الحسين (أبو الطيب
المتنبي) 400 — 407 — 408 —
409 — 410 — 411 — 667

أحمد بن حنبل 148 — 150

أحمد بن أبي خالد 577 — 578 —
626 — 627

أحمد بن أبي داود (أبو حنيفة
الدينوري) 451 — 452 — 523 —
666

أحمد زكي باشا 682

أحمد بن سليمان بن أبي شيخ 172

أحمد بن طاهر (ابن المنجم) 646

أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية 14

أحمد بن عبد العزيز 697

أحمد عبد الغفور عطار 642

أحمد بن عبد الله بن أحمد (أبو
نعيم) 40

أحمد بن عبد الله 617

أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب
البغدادي) 160 — 173 — 591

أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر)

150 — 155 — 166 — 678 —

682 — 687

أحمد بن فارس بن زكريا 9 — 10 —

168 — 571 — 596 — 641 —

645 — 646 — 647 — 648 —

650 — 652 — 653 — 654 —

655 — 656

- احمد بن محمد الهروى (صاحب
الغريبين) 174 — 175
احمد بن محمد اليزيدى 56
احمد بن المعدل 80 — 575
احمد بن موسى (القارىء) 55
احمد بن يحيى البلاذرى 258 — 367 —
542
احمد بن يحيى ثعلب (ابو العباس)
82 — 174 — 323 — 374 —
381 — 395 — 399 — 473 —
506 — 523 — 561 — 575 —
578 — 588 — 617 — 624 —
625 — 645 — 666 — 685
الاحمر = علي بن المبارك
ابن الاحمر الباهلي 20 — 423
424 — 425 — 426 — 427 —
428 — 607
الاحوص = عبد الله بن محمد
احيحة بن الجلاح 73
ابو الاخضر الحمانى 342
الاخطل = غياث بن غوث
الاخفش = على بن سليمان
الاخنس بن شريق، بن عمرو بن وهب
الثقفى 33 215
ادريس بن عبد الكريم الحداد
البغدادي 55
ادريس بن محمد 692
ابن اذينة = عروة بن يحيى
آثر جفرى 58 — 382
اردشير 469 — 529
- ارسطو 11 — 201 — 580 — 581
ارنب بنت اسد بن عبد العزى بن
قصى 230
ارنست رينان 12 — 143
ابو الازهر البخارى 572 — 588 —
618 — 620
الازهرى = محمد بن احمد
ابن اسحق المؤرخ = محمد بن اسحق
اسحق بن ابراهيم الموصلى 296 —
682
اسحق بن ابراهيم بن عثمان المروزي
البغدادي 55
اسحق بن حنين 543 — 580 — 581
اسحق بن راهويه 153
اسحق بن سليمان بن على الهاشمي
542
اسحق بن مرار الشيباني (ابو عمرو)
393 — 394 — 395 — 414 —
470 — 477 — 487 — 503 —
509 — 512 — 525 — 551 —
583 — 666
اسحق بن يزيد 542
اسد بن موسى الاموى 153
الاسكافى = محمد بن عبد الله
الاسكندر المقدونى 390
اسام القارىء 52
اسماء بنت ابى بكر 235
اسماعيل عليه السلام 209 — 428
اسماعيل بن امية 166
اسماعيل بن جامع 282

- اسماعيل بن جعفر القارىء 54
اسماعيل بن حماد الجوهري|21 —
25 — 438 — 535 — 632 —
633 — 634 — 635 — 639 —
640 — 641 — 642 — 643 —
646 — 655 — 660 — 677 —
678 — 679 — 682 — 683 —
688 — 689 — 692 — 693 —
696 — 697
- اسماعيل بن عباد (الصاحب) 646
اسماعيل بن عبد الرحمن السدي
69 — 71
اسماعيل بن عبد الله الميكالي 592—
594
- اسماعيل بن عمرو القارىء 122
اسماعيل بن القاسم القالى البغدادي
(ابو على | 25 — 167 — 357 —
438 — 458 — 467 — 486 —
515 — 536 — 595 — 611 —
612 — 613 — 660 — 667 —
- اسماعيل بن القاسم (ابو العتاهية)
296 — 330
اسماعيل كتخدا 695
اسماعيل بن ابى محمد 496
اسماعيل بن محمد بن عبدوس 641
اسماعيل بن محمد بن يزيد (السيد
الحميري) 296 — 297 —
298 — 299 — 300 — 301 —
330 — 345
- اسماعيل بن يسار 304 — 305
ابو الاسود المثلوي = ظالم بن عمرو
الاسود بن عبد يغوث. 220
الاسود العنسي = عبلة بن كعب
الاسود بن يعفر 377
اسيد بن خالد الانصاري 356
الاشرف اسماعيل سلطان اليمن 678
الاشعث بن قيس الخارجي 289
الاشنانداني = سعيد بن هارون
ابو الاشهب العطاردى 54
دم الاصبع = حرثان بن الحارث
الاصمى = عبد الملك بن قريب
الاضبط بن قريع 201
ابن الاعرابى = محمد بن زياد
اعشى باهلة 603
اعشى بنى عكل 380
الاعشى = ميمون بن قيس
الاعلم الشنتمري = يوسف بن
سليمان
الاعمش الكوفى = سليمان بن مهران
الاسدي
الاغلب العجلى 601
افلاطون 201 — 543
الاقرع بن حابس 233 — 239 —
240 — 247 — 248 — 272
اقليدس 543
اكثم بن صيفى 516 — 517

يُوب الأبرش 543	امرؤ القيس بن حجر (الشاعر)
ايوب بن تميم 52	76-91 — 98 — 182 — 191 —
ايوب السختياني 132	192 — 193 — 194 — 201 —
ب	203 — 242 — 329 — 334 —
ابو بابل = اهاب بن عمير	337 — 343 — 354 — 357 —
الباهلي 370	359 — 371 — 482 — 512 —
بحدل 318	631 — 680
بجير بن زهير 230 — 238	امية بن ابي الصلت 20 — 209 —
البخثري = الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي	221 — 241 — 427 — 428 —
البخاري = محمد بن اسماعيل	429
ابو البخثري = العاص بن هشام	امية بن خلف الخزاعي 196 — 197 —
بختيشوع 545	ابن الانباري (صاحب الانصاف) =
بديل بن عبد مناف 230	عبد الرحمن بن محمد
البراء بن عازب 60	ابن الانباري = محمد بن القاسم
ابو براء بن عامر 40 — 41	ابن بشار
براونليخ 574	انس بن زعيم 230
برج بن مسهر الطائي 113	انس بن مالك 50 — 148 — 153 —
برجستراسر 35 — 36 — 530 —	155 — 159 — 160 — 169 —
531 — 580	218 — 242
ابو بردة بن ابي موسى الاشعري =	انستاس ماري الكرملي 553 — 554 —
عامر بن عبد الله بن قيس	573 — 574
برد بن بهمن (والد بشار) 307	اهاب بن عمير 342
بزهان بن همام 697	اهرن 543
ابن بري = عبد الله	الاهوازي 51
ابو بريدة الوضاحي 82	الاوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو
بزرجمهر 516 — 517	اوس بن مفراء الهجيمي 344 — 355
بزرج محمد العروضي 394	اوس بن حجر 193 — 195
	اوبس 149
	اوفية ابو الفتح القاري 56

بلال بن أبى بردة 125 — 340 — 342 —

447 — 448

بليمنوس 529

البهاء بن عقيل 687

بهرام بن مردان شاه 542

البهنسى القارىء 56

بول كراوس 581

ابو البيداء الرياحى 322 — 468

ت

تابط شرا 482

تبع 66

ابو تراب 583

ابو ترسيس الامرابى 342

تماضر بنت عمرو بن الشريد

(الخنساء) 21١ — 196 —

224 — 434

تمام بن غالب 589 — 613

ابو تمام = حبيب بن اوس

تميم بن ابى (ابن مقبل) 254 —

267 — 344 — 392

ابو تيممة 558

توربكه 647

التوزى = عبد الله بن محمد

ابن التيانى = تمام بن غالب

ابن تيممة = احمد بن عبد الحلیم

ث

ثابت بن قرة 543

ثابت بن قيس بن شماس 181 —

242

بشار بن برد 20 — 285 — 287 —

296 — 297 — 307 — 308 —

309 — 310 — 330 — 345 —

346 — 347 — 430 — 431 —

433 — 434 — 447

بشر بن أبى خازم الاسدى 372

بشر بن ربيعة 257

بشر بن مالك الحرسى 295

ابن بشكوال 589

ابن البطريق 543

بطليموس 201 — 543

البطليوسى = عبد الله بن محمد

البعيث = خداش بن بشر

البفدادى = عبد القادر

البفوى = على بن عبد العزيز

بغيز بن عامر بن شماس 270

ابو البقاء 147

بقى بن مخلد 515

ابو بكر الايادى 585 — 617

ابو بكر بن محمد بن حزم (والى

المدينة) 153

ابو بكر السجستانى 611

ابو بكر الصديق = عبدالله بن عثمان

بكر بن حبيب 157

ابو بكر بن عثمان السجزي 617

البكرى صاحب التنبيه = عبد الله

ابن عبد العزيز ابو عبيد

ابو البلاد النحوى 623

البلاذرى = احمد بن يحيى

- جريج الراهب 424
 ابن جريج = عبد الملك بن عبدالعزيز
 جرير بن عبد الله البجلي 288
 جرير بن عطية الخطفي 20 — 51 —
 79 — 118 — 279 — 282 —
 283 — 284 — 285 — 286 —
 287 — 288 — 297 — 300 —
 308 — 315 — 335 — 336 —
 337 — 338 — 347 — 348 —
 372 — 421 — 475 — 638
 ابن الجزري = محمد بن محمد
 جعدة بن عبد الله الخزاعي 230
 جعفر بن حمدان (سجادة) 56
 جعفر بن محمد الطيالسي 160
 جعفر بن محمد الفريابي 72 — 134
 ابو جعفر المنصور = عبد الله بن
 محمد بن علي العباسي
 جعفر بن يحيى البرمكي 516
 جعيل بن سراقبة الضمري 179 —
 240
 جفنة الهزاني بن جعفر بن عباية 288
 ابن جمار = سليمان بن مسلم بن
 جمار الزهري
 ابن جماعة 169
 جميل بن عبد الله بن معمر 183
 جنادة بن الحنبل 206
 جنادة بن محمد الهروي 251
 جنادة بن مليحة 219
 جندب بن جنادة (ابو ذر) 63 —
 261
 ابو ثروان العكلي 91 — 398 — 414 —
 470
 ثعالب = احمد بن يحيى
 ثعلبة بن صغير المازني 344 — 552
 ابو ثمامة الكلبي 316
 نوبة بن الحمير 118
 ج
 جابر بن سمرة 241
 الجاحظ = عمرو بن بحر
 جارية بن الحجاج (ابو دؤاد الايادي)
 20 — 372 — 405 — 422 —
 487 — 552
 ابن جامع = اسماعيل بن جامع
 جبلة او (كلدة) بن الحنبل 267 —
 268
 جبلة بن سالم 542
 ابن جبير = سعيد
 الجحدري = عاصم
 جديمة الابرش 342 — 504
 ابو الجراح العقيلي 414 — 470
 الجرجاني = علي بن عبد العزيز
 الجرمي = صالح بن اسحق
 جروول بن اوس (الحطيئة) 16 —
 141 — 193 — 254 — 255 —
 270 — 271 — 343 — 344 —
 358 — 422 — 437 — 482 —
 500 — 537
 ابو جروول الجشمي 244

الحارث بن مصرف 342
 الحارث بن هشام 221
 حبيب بن أوس (أبو تمام) 315 —
 400 — 401 — 402 — 403 —
 404 — 405 — 409 — 422 —
 683
 حبش الأعجم 543
 الحجاج بن خزيمة بن الصمة 263
 الحجاج بن علاط 223
 الحجاج بن مطر 543
 الحجاج بن يوسف الثقفي 20 — 150 —
 209 — 279 — 287 — 288 —
 295 — 302 — 428 — 541 —
 ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي
 ابن حجر المكي 697
 حذيفة بن اليمان 44 — 46 — 62 —
 155
 الحرثان بن الحارث بن ثعلبة 326 —
 327 — 328
 ابن حرد التغلبي 497
 الحرمازي الاعرابي 468
 الحريري = القاسم بن علي
 أبو حزام العكلي 337
 ابن حزم = علي بن أحمد
 أبو حسان 543
 حسان بن ثابت 191 — 192 — 196 —
 197 — 219 — 221 — 223 —
 225 — 226 — 230 — 232 —
 233 — 234 — 240 — 241 —
 245 — 254 — 255 — 256 —
 257 — 258 — 538 — 554 —
 656

جندل بن المثنى الطهوي 342 — 440
 أبو جندل بن سهيل 605
 أم جندب زوج امرئ القيس 191 —
 192 — 195
 ابن جنى = عثمان بن جنى
 أبو جهل = عمرو بن هشام
 جواس بن قعطل 318
 جورجيس 543
 ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي
 الجوهري = اسماعيل بن حماد
 جؤية بن عائذ 136
 جواد علي 184

ح

أبو حاتم = سهل بن محمد
 السجستاني
 حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي
 97 — 183 — 447 — 484 —
 497
 حاجب بن زرارة 354 — 357
 الحارث بن أبي ربيعة 294
 الحارث بن الأسود = الحارث بن
 زمعة
 أبو الحارث القاري = الليث بن
 خالد البغدادي
 الحارث بن حسان البكري 52
 الحارث بن حازة 344 — 591
 الحارث بن خالد المخزومي 278 —
 341
 الحارث بن زمعة 220
 الحارث بن عبد المطلب 649

الحسن بن عليل العنزي 496
الحسن بن محمد الصفاني رضي
الدين 641 — 690
الحسن بن هانيء (ابو نواس) 20 —
21 — 311 — 312 — 370 —
434 — 435

ابو الحسن الواحدى 525
الحسن بن يعقوب بن احمد
النيسابورى 633
الحسين بن ابراهيم الجوزقانى
14 — 161

الحسين بن احمد (ابن خالويه)
407 — 410 — 434 — 435 —
466 — 467 — 595

الحسين بن ثابت 297
حسين الجعفى 53 — 56
الحسين بن دريد 591
الحسين بن على بن ابي طالب 300 —
315 — 316

الحسين بن على (ابن سينا) 545
حسين بن محمد (الراغب الاصفهاني)
30

الحسين بن مسعود 633
الحسين بن مطير الاسدى 342 —
346 — 391

الحضرمى = يعقوب بن اسحق
حطام المجاشعى 342
الحطيئة = جرول بن اوس
حفص بن سليمان الهمداني الخلال
ابو سلامة الوزير 470

الحسن بن احمد (ابو على الفارسى)
130 — 177 — 403 — 407 —
580 — 632 — 666 — 671 —
672

الحسن البصرى 48 — 50 — 129 —
130 — 138 — 149 — 150 —
155 — 409

الحسن بن الحسن بن حيدر
(الصفانى) 161 — 677 —
678 — 679 — 680 — 688 —
689

الحسن بن الحسين (ابو سعيد
السكرى) 80 — 155 — 358 —
364 — 468 — 626

الحسن بن دريد 647
الحسن بن رشيق القيروانى 198 —
199 — 246 — 264

حسن السندوبى 360
الحسن بن سهل 83
ابو الحسن الشارنى 589
الحسن بن عبدالله الاصفهاني (لفدة)
368

الحسن بن عبد الله السيرافى
398 — 415 — 527 — 572 —
595 — 632 — 668

الحسن بن عبد الله ابو هلال
العسكرى 24 — 158 — 385 —
492 — 521 — 524 — 551

الحسن بن على بن ابي طالب 153 —
164 — 300

حفص بن سليمان بن المغيرة 51—
52

حفص بن عمرو بن عبد العزيز
البغدادي الضرير القاريء
(الدوري) 51 — 54 — 56

حفص بن غياث 149

الحكم بن ايوب بن يحيى 287

الحكم المستنصر 612

الحكم بن معمر بن قنبر الخضري
342—652

حكيم بن امية بن حارثة السلمي 231

حماد بن الزبرقان 158

حماد بن سابور (الراوية) 199 —

284 — 336 — 337 — 339 —

390 — 391 — 392 — 393 —

394 — 446 — 448

حماد بن سلمة بن دينار 153

حماس الاعرابي 578

حمد بن محمد بن احمد الخطابي
البستي 174

ابو حمدان القاريء 56

حمزة بن حبيب الزيات 48 — 53 —

55 — 685

حمزة بن حسن الاصفهاني 368 —
521 — 524 — 525

حمزة بن عبد المطلب 221 — 223 —

حمزة فتح الله 643

حمزة بن القاسم الاحول 54

حمزة بن يوسف السهمي 151

حميد الاعرج 50 — 67

حميد بن بحدل 317 — 318

حميد بن قيس 69

الحميدي 589

ابو حنيفة = النعمان بن ثابت

ابو حنيفة الدينوري = احمد بن داود

حنين بن اسحق 543 — 580 — 581

حوط بن ابي جابر اليربوعي 494

الحويدرة 344

ابن حيان 589

ابو حيان 543

ابو حية انس 342

حيى بن اخطب 227

خ

خارجة بن ثابت الانصاري 43 — 56

ام خالد 250

خالد بن صفوان 302

خالد بن الصقب 410

خالد القسري 319 — 320

خالد بن كلثوم 337

خالد بن الوليد 203 — 247 — 248 —

251 — 273 — 506

خالد بن يزيد 316 — 542

ابن خالويه = الحسن بن احمد

ابن الخباز = احمد بن الحسين

خبيب بن عدي 225

خداش بن بشر البعيث المجاشعي

287 — 288

خداش بن زهير العامري 376

- الخدرى = سعد بن مالك بن سنان
 ابو خراش الاعرابى 509 — 505
 ابن خروف = على بن محمد
 خرنق بنت بدر بن هفان الشاعرة
 100 — 78
 خزاعى بن عبد نهم 234
 خزيمة بن ثابت 42
 الخشنى = محمد بن عبد السلام
 ابو الخطاب 128
 الخطابى 174
 خطام المجاشعى 342
 الخطيب البغدady = احمد بن على
 الخطيب التبريزى 632
 خفاف بن زكريا بن داود 56 |
 خفاف بن ندبة 345 — 606
 ابو خلاد القارىء 56
 خلاد بن خالد الشيبانى الكوفى
 القارىء 53
 ابو خلدة المحدث 151
 ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
 خلف بن ابى عمرو بن العلاء 430 —
 431
 خلف الاحمر 322 — 343 — 378
 430 — 448 — 458 — 616
 خلف بن هشام ابو محمد القارىء
 48 — 53 — 55
 ابو خليفة = الفضل بن الحباب
 الجمحى
- الخليل بن احمد الفراهيدى 18 —
 19 — 25 — 53 — 108 — 183
 403 — 441 — 470 — 477
 496 — 562 — 563 — 564
 565 — 567 — 568 — 569
 570 — 571 — 572 — 573
 574 — 575 — 576 — 577
 578 — 579 — 580 — 581
 582 — 583 — 584 — 588
 590 — 592 — 598 — 616
 618 — 619 — 620 — 621
 622 — 648 — 650 — 660
 667 — 684
 الخنساء = تماضر
 خوات بن جبير 227
 الخوارزمى = محمد بن احمد
 خويلد بن خالد (ابو ذؤيب) 106 —
 193 — 358 — 359 — 439
 462 — 607
 ابو خيرة الاعرابى 19 — 342 — 416
 462 — 463 — 468 — 475
 562 — 578 — 661
 ام ابى خيرة 463
 د
 الدارقطنى = على بن عمر
 ابن داود بن مئيم بن نويرة 250 —
 456 — 463
 ابو دثار الاعرابى 414 — 470
 دحية الكلبي 182

د

الراعى = عبيد بن حصين بن معاوية
 الراغب الاصفهاني = حسين بن محمد
 ابو رافع الصحابي 63
 المستشرق رايت 647
 الربيع بن انس 43
 الربيع بن زياد الحارثي 368
 الربيع بن صبيح 153
 الربيع بن يونس بن محمد بن ابي
 فروة (الوزير العباسي) 310
 ربيعة الرقي 468 — 356
 ابو رجاء الاسواني = محمد بن احمد
 ابن رشيق = الحسن بن رشيق
 ابن الرملاء الشاعر 80
 رفيع بن مهران الرياحي (ابو العالية)
 50
 الرماح بن ابرد 342 — 285
 ابو الحسن بن الرماني 666
 ابو رمثة التميمي 52
 رمضان عبد التواب 497
 الرؤاسي = محمد بن علي
 روبة بن العجاج 19 — 21 — 334 —
 342 — 355 — 427 — 436 —
 438 — 463 — 475 — 586
 روح بن عبد المؤمن بن عبدة الهذلي
 55
 رودلف برونو 647
 رويس القاري = محمد بن المتوكل
 الاولوي

ابو الدرداء = عويمر بن مالك

ابن درستويه = عبد الله بن جعفر

ابن دريد = محمد بن الحسن

دريد بن الصمة 96 — 97 — 120

دعبل الخزاعي 321

ابو الدقيش الاعرابي 578

دكين (مكين ؟) العذري 342 — 511

دلامر البهلول 468

الحافظ الدمياطي 677

ابن الدمينة = عبد الله بن عبيدالله

ابو دهيل = وهب بن زمعة

ابن دهن 542

دهمج بن محرز 468

ابو دؤاد الايادي = جارية بن الحجاج

الدوري = حفص بن عمرو

ابن ابي دياكل 359

دي بور 581

ديسم العنزي 431 — 432

ديمقراطس 201

ذ

ابو ذر = جندب بن جنادة

ابن ذكوان = عبد الله بن احمد بن

بشير الدمشقي

ذو الخرق الطهوي = جندل

ذو الرمة = غيلان بن عقبة

الذهبي الحافظ الدمشقي 50 — 54 —

148

ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم 201

ابو ذؤيب = خويلد بن خالد

الزبير بن احمد الشافعي ابو عبدالله
القاريء 55

الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي
القرشي 250

الزجاج = ابراهيم بن السري بن
سهل (ابو اسحق)

ابو الزحف 342

زرعة بن اذبول 337

الزركشي = محمد بن عبد الله

زفر بن الحرث الكلابي 317 — 319

الزمخشري = محمود بن عمر

زمنة بن الاسود 213 — 220 — 221

ابو الزناد = عبد الله بن ذكوان

الزهري = محمد بن شهاب

زهير بن ابي امية 213

زهير بن ابي سلمى 66 — 192 —

193 — 194 — 195 — 252 —

253 — 264 — 335 — 353 —

354 — 355 — 359 — 656

زياد بن سليمان الاعجمي 294 — 342 —

360 — 361 — 362 — 363 —

364 — 365 — 366 — 367 —

368 — 369 — 370

زياد بن ابي سفيان 289 — 368

زياد بن طارق الجشمي 244

ابو زياد الكلابي = يزيد بن عبد الله
ابن الحر

زياد بن لبيد البياضي 260 — 261

ابو رياش اليمامي 509

الرياشي = عباس بن الفرج

ر

زائدة الاعرابي 578

زادويه بن شاهويه 542

ابنة الزباء 494

زبان بن العلاء التميمي (ابو عمرو)

13 — 19 — 20 — 23 — 48 —

49 — 50 — 51 — 54 — 55 —

56 — 74 — 125 — 126 — 127 —

128 — 129 — 141 — 157 —

158 — 176 — 181 — 183 —

329 — 334 — 335 — 336 —

337 — 339 — 340 — 341 —

344 — 346 — 347 — 351 —

359 — 378 — 392 — 396 —

416 — 421 — 423 — 430 —

437 — 443 — 447 — 448 —

457 — 458 — 459 — 462 —

476 — 482 — 487 — 496 —

583 — 611 — 616 — 637 —

685

الزبرقان بن بدر 232 — 239 — 254 —

255 — 270 — 345 — 623

ابو زبيد 399

الزبيدي صاحب طبقات النحويين =

محمد بن الحسن

الزبيدي صاحب التاج = محمد بن

محمد بن محمد بن عبد الرزاق

مرتضى الزبيدي

السائب بن ابي السائب المخزومي 49
 السجستاني = محمد بن عزيز
 السجستاني = سهل بن محمد
 سحيم بن وئيل 134
 السخاوي 50
 السدي = اسماعيل بن عبد الرحمن
 ابن السراج = محمد بن السري
 ابو سرار الفسوي (ابو سوار ؟)
 الاعرابي 322
 سراقه بن مرداس البارقي 288-
 475
 السري بن يحيى التميمي 113
 ابن سريج = عبد الله بن سريج
 ابن سعد = محمد بن سعد
 ابن ابي سعد 468
 سعد بن ابي وقاص 258
 سعد بن زيد مناة بن تميم 200
 سعد بن مالك بن سنان (ابو سعيد
 الخدري) 113 — 152
 ابن سعدان القاريء 56 — 81
 سعدى أفندي 696
 سعيد بن ابي عروبة 153
 سعد بن معاذ 506
 ابن سعيد الراوية 358
 سعيد بن اوس الانصاري (ابو زيد)
 23 — 56 — 125 — 126 — 128 —
 133 — 297 — 322 — 323 —
 341 — 352 — 356 — 359 —
 368 — 372 — 373 — 374 —
 376 — 377 — 378 — 379 —
 380 — 381 — 384 — 398 —

زياد بن معاوية (النابغة الديباني)
 78 — 117 — 191 — 192 —
 195 — 252 — 253 — 264 —
 355 — 359 — 430 — 483 —
 533 — 676 —
 زيد بن ثابت 41 — 42 — 43 — 44 —
 45 — 46 — 47 — 54 — 61 —
 63 — 64 — 152 —
 زيد بن حصين الطائي 289
 زيد بن الخطاب 249 — 505
 زيد الخيل 194 — 345
 زيد بن علي القاريء 134
 زيد بن عمرو بن نفيل 208
 زيد بن كثوة 19 — 464
 ابو زيد = سعيد بن اوس
 ابو زيد المدني 134
 زيد بن مهمل الطائي 183 — 194
 زينب بنت يوسف بن الحكم اخت
 الحجاج 279 — 280

س

سابور ملك الفرس 305
 سابير 11
 ساسان 310
 ساعدة بن جؤية الهذلي 116
 ساعدة بن جويرية ١٠٠
 سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
 43 — 125 —
 سالم بن معقل 56

سكينة بنت الحسين بن علي 280 —
 282 — 281
 سلام الطويل 54
 سلم (صاحب بيت الحكمة) 543
 سلم بن قتيبة 431
 سلمة بن عاصم 54 — 82 — 84 — 505
 سلمة بن عبد الملك 284
 سامي زوج سعد بن أبي وقاص 259
 السايك بن السلكة 266 — 345 —
 493
 سليم القاريء 53
 سليمان بن عبد الملك 528
 سليمان بن علي العباسي 299 — 464
 سليمان بن مسلم بن جمار الزهري
 54
 سليمان بن مهران الاسدي (الاعمش)
 46 — 48 — 50 — 53 — 127 —
 137 — 139 — 149 — 158 —
 166 — 300
 سليمان بن هشام بن عبد الملك 300 —
 308
 سماك اليهودي 226
 سمرة والد غاضرة 203
 السمؤال 441
 سهل بن محمد (أبو حاتم
 السجستاني) 55 — 80 — 81 —
 89 — 172 — 323 — 340 —
 344 — 351 — 352 — 357 —
 373 — 380 — 381 — 398 —

399 — 432 — 434 — 440 —
 441 — 457 — 460 — 463 —
 476 — 485 — 486 — 493 —
 496 — 503 — 505 — 509 —
 519 — 525 — 559 — 560 —
 617 — 627 — 638 — 640 —
 659 — 661 — 663 — 666 —
 سعيد بن جبير 37 — 50 — 71 —
 72 — 302
 ابو سعيد الخدري = سعد بن مالك
 ابن سنان
 ابو سعيد السكري = الحسن بن
 الحسين
 سعيد بن العاص 45 — 422
 سعيد بن مسعدة (الاخفش) 81 —
 172 — 611 — 659
 سعيد بن المسيب 148 — 149 —
 261 — 279
 سعيد بن هارون (الاشناداني)
 381 — 385 — 386 — 461 —
 591
 ابو سفيان بن حرب 33 — 215 —
 267 — 268 — 313 — 316 —
 سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري
 13 — 149 — 151 — 153 —
 155
 سفيان بن عيينة 91 — 166 — 172
 السكري = الحسن بن الحسين

شعبة بن الحجاج 47 — 51 — 148 —
156
شعبة بن عياش بن سالم الاسدي
الكوفي القاريء 52
الشعبي = عامر بن شراحيل
الشماع بن ضرار 99 — 344 — 381 —
513
شمر بن حمدويه 174 — 403 —
425 — 585 — 617 — 629
الشنفرى الاسدي 497
الشنى 263
الشهاب الخفاجى 535 — 697
الشهرستاني = محمد بن عبد الكريم
شهرى الكرخى 543
ابن شوذب المدنى 342
الشييبانى (ابو عمرو) = اسحق
ابن مرار
شيبة بن ربيعة 223 — 224
شيبة القاريء 54
شيطان الطاق = محمد بن على بن
النعمان

ص

صاعد بن حسن الربعى 658
صالح بن اسحق الجرمى 80 — 381 —
663
صالح بن زياد بن عبد الله الرقى
(السوسى القاريء) 51 — 56
صخر بن حبناء 342
صخر بن عمرو بن الشريد 196 —
224

399 — 403 — 432 — 433 —
444 — 449 — 465 — 466 —
467 — 485 — 570 — 574 —
575 — 586 — 591 — 609 —
617 — 619 — 623 — 651 —
663

سهيل بن شعيب 129 — 412
سوار بن عبد الله بن سوار 329
السوسى القاريء = صالح بن زياد
سويد بن عامر المصطلقى 243
سويد بن عقلة 47
سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبر
السيد الحميرى = اسماعيل بن
محمد بن يزيد بن ربيعة
ابن سيده = على بن اسماعيل
السيرافى = الحسن بن عبد الله
ابن سيرين = محمد بن سيرين
سيف الدولة 407
ابن سينا = الحسين بن على
السيوطى = عبد الرحمن

ش

ابو شامة = عبد الرحمن بن اسماعيل
الشافعى = محمد بن ادريس
ابو شاه اليمنى 152
شبيب بن عزرة الضبعى 457
شجاع راوية زبان 56
الشجرى = محمد بن العساف
ابن شراد القطفانى 342

طالب بن ابي طالب 221
 طاهر بن عبد الله بن طاهر 626
 ابن الطثرية = يزيد بن سلمة
 طرفة بن العبد 192 — 193 — 194 —
 195 — 243 — 359 — 388 —
 482 — 537 — 538 — 554
 ابن ابي طرفة الشاعر 651
 الطرماح بن حكيم الطائي 21 — 292 —
 435 — 436
 طريح بن اسماعيل الثقفي 391
 طفيل الدوسي 33 — 188
 الطفيل بن زلال 512
 طفيل الفنوي 355 — 422 — 510 —
 651
 طفيل الكنانى 342
 طلحة بن عبد الله بن عثمان التميمي
 القرشي 250
 طلحة بن عمرو 382
 طليحة الاسدي 247
 طه حسين 204 - 205
 أبو الطيب اللفسوى 572 — 582 —
 661
 ابو الطيب المتنبي = احمد بن الحسين

ظ

ظالم بن عمرو 405

ع

العاص بن هشام ابو البختري 213 -
 219

سرمه بن انس ابو قيس 209
 الصعق الكلابي 668
 الصفاني = الحسن بن الحسن بن
 حيدر
 الصفدي 682 — 687
 صفوان بن امية 267 — 268
 صفية بنت عبد المطلب 223
 صفية بنت مسافر 221
 الصقب بن علقمة السعدي 501
 ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن
 صلاح الدين المنجد 122
 الصلتان العبدى 282 — 364
 صنان بن عباد اليشكري 499
 صيفى بن ابي رفاعه المخزومي 219

ض

ضابىء بن الحارث البرجمي 100 ،
 377
 الضحاك بن فيروز الديلمي 306
 الضحاك بن قيس الفهري 316
 الضحاك بن مزاحم 70
 ضرار بن الخطاب الفهري 221 —
 223 — 230 — 256
 ضممار (اسم صنم) 235
 ضمرة (رجل من كنانة) 201
 ابو ضمضم الاعرابي 462
 ضياء الدين المقدسي = محمد بن
 عبد الواحد

ط

ابو طالب = عبد مناف بن عبد المطلب

- عاصم بن ابي النجود 48 — 50 —
 1 51 — 52 — 53 — 55 — 685
 عاصم الجحدري 125 — 126 — 129 —
 134 — 135
 ابو العالية 43 — 310
 عامر بن الحليس ابو كبير الهذلي
 59 — 90 — 96 — 99 — 442 —
 443
 ابو عامر الدمشقي = عبد الله بن
 عامر اليحصبي
 عامر بن شراحيل الشعبي 14 — 155 —
 164 — 165
 عامر بن الطفيل 169 — 226 — 266
 عامر بن عبد الله بن قيس (ابو بردة
 ابن ابي موسى الاشعري) 303
 عامر بن مالك ابو براء 225
 عائشة ام المؤمنين 100 — 242
 ابو العباس = احمد بن يحيى ثعلب
 العباس بن بكار الضبي 395
 العباس بن الفرغ الرياشي 126 —
 323 — 380 — 381 — 463 —
 591 — 619 — 663
 العباس بن الفضل القاري 56
 عباس بن مرداس 227 — 228 —
 230 — 234 — 235 — 239
 العباس بن محمد العباسي 245 —
 309 — 471
 العباس بن مصعب 570
 العباس بن يزيد الكندي 288
 ابن عبد البر 159
- عبد الحلیم النجار 509
 عبد الحميد العبادي 541
 عبد الرازق المحدث 160
 ابن عبد ربه = احمد بن محمد
 عبد الرحمن بن ابي بكر 315
 عبد الرحمن بن اسماعيل (ابو شامة)
 122
 عبد الرحمن بن الاشعث 302
 عبد الرحمن بدوي 581
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام 45
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
 313 — 449
 عبد الرحمن بن سلام الجمحي 322
 عبد الرحمن السيوطي 14 — 122 —
 158 — 161 — 175 — 385 —
 437 — 466 — 535 — 613 —
 641 — 646 — 655 — 672 —
 680 — 699 — 700
 عبد الرحمن بن صخر (ابو هريرة)
 36 — 54 — 64 — 152 — 155 —
 246 — 557 — 558
 عبد الرحمن بن عبد الله (ابن اخي
 الاصمعي) 381 — 591 — 619
 عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
 (ابو الفرغ) 14 — 161
 عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي 14 —
 153 — 165
 عبد الرحمن العيدروس 695
 عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون)
 57 — 58 — 62 — 323 — 324

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الانباري 53
- عبد الرحمن بن مهدي 151
- عبد الرحمن الناصر 515 — 612
- عبد الرحيم بن محمد البيشكي 633
- عبد الستار فراج 685 — 686
- عبد السلام هارون 66 — 67 — 182 — 275 — 334 — 360 — 361
- 364 — 456 — 457 — 530 — 549 — 616 — 642 — 649
- عبد العزي 576
- عبد العزيز بن مروان 435
- عبد العزيز الميمنى 466 — 479
- عبد العليم الطحاوى 435 — 509
- عبد الفافر الفارسى 633
- عبد القادر البغدادي 451
- عبد القادر بن مصطفى المغربي 531 — 533 — 535
- عبد القاهر الجرجاني 107
- عبد الله بن ابي 231
- عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي 74 — 125 — 126 — 127 — 336 — 383 — 384 — 559 — 616
- عبد الله بن الامام شرف الدين 697
- عبد الله الاموي (امير قرطبة) 515
- عبد الله بن ابي بكر 67
- عبد الله بن ابي عبيدة 300 — 330
- عبد الله بن احمد المعروف بابن البيطار 682
- عبد الله بن احمد بن بشير الدمشقي 52 — 381
- عبد الله بن امية بن المغيرة المخزومي ٤٤٣
- عبد الله بن بري 194 — 641 — 683 — 684 — 689
- ابو عبد الله بن البيع 570 - 588.
- عبد الله بن جعفر بن درستويه 381 — 382 — 571 — 582 — 611
- عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى 213
- عبد الله بن حبيب الثقفي (ابو محجن) 258 — 259
- عبد الله بن الحسين بن حسنون 122
- عبد الله بن خلد (ابو العميثل) 342
- عبد الله بن ذكوان (ابو الزناد) 54
- عبد الله بن ربيعة (العجاج) 21 — 77 — 436 — 550 — 668
- عبد الله بن رواحة 221 — 222 — 223 — 226 — 228 — 245
- عبد الله بن الزبيري السهمي 221 — 223 — 230 — 237 — 256
- عبد الله بن الزبير 45 — 278 — 289 — 290 — 293 — 301 — 306 — 315 — 316 — 318 — 319 — 517
- عبد الله بن سريج 282
- عبد الله بن سعد بن ابي سرح 261

- عبد الله بن سليمان بن الاشعث
السجستاني 43
- عبد الله بن سليمان بن اكثم 154
- عبد الله بن طاهر 577
- عبد الله بن عامر اليحصبي 48 —
51 — 52 — 487
- عبد الله بن عباس 35 — 37 — 54 —
60 — 63 — 64 — 65 — 66 —
67 — 68 — 69 — 70 — 71 —
72 — 73 — 91 — 122 — 128 —
132 — 134 — 155 — 160 —
164 — 252 — 281 — 316 —
382 — 383 — 558 — 559 —
639
- عبد الله بن عبد العزيز (ابو عبيد
البكري) 424 — 438 — 449
- عبد الله بن عبيد (ابن الدمينه)
342
- عبد الله بن عثمان (ابو بكر الصديق)
41 — 42 — 43 — 58 — 236 —
238 — 246 — 247 — 248 —
249 — 251 — 261 — 271 —
518 — 558
- عبد الله بن عمر بن الخطاب 63 —
68 — 153 — 316
- عبد الله بن عمر العرجي 164 — 278
- عبد الله بن عمرو بن العاص 152 —
153
- عبد الله بن عياش القاريء 54
- عبد الله بن قيس (ابو موسى
- الاشعري) 44 — 61 — 152 —
253
- عبد الله بن كثير 48 — 49 — 50 —
125 — 487
- عبد الله بن المبارك 150 — 155
- عبد الله بن محمد (الاحوص
الشاعر) 77
- عبد الله بن محمد البطليوسي 403 —
404 — 405 — 409 — 410 —
411 — 422
- عبد الله بن محمد البفوي 611
- عبد الله بن محمد التوزي 341 —
345 — 373
- عبد الله بن محمد السفاح 470
- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
البسطي 641
- عبد الله بن محمد بن علي بن العباس
(ابو جعفر المنصور) 309 —
391 — 470
- عبد الله بن محمد الفاسي 692
- عبد الله بن محمد بن ميكال 592
- عبد الله بن محمد بن هاجك 617
- عبد الله بن مسعود 44 — 46 — 47 —
61 — 62 — 90 — 120 — 125 —
152 — 158 — 518
- عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) 15 —
20 — 93 — 95 — 97 — 99 —
100 — 101 — 102 — 104 —
105 — 107 — 108 — 109 —
167 — 174 — 175 — 194

- 424 — 422 — 421 — 418
 — 436 — 433 — 430 — 425
 — 443 — 441 — 439 — 437
 — 459 — 458 — 457 — 449
 — 475 — 464 — 462 — 461
 — 479 — 478 — 477 — 476
 — 492 — 485 — 483 — 482
 — 512 — 510 — 509 — 503
 — 540 — 525 — 514 — 513
 — 583 — 577 — 560 — 552
 — 617 — 609 — 586 — 584
 — 629 — 628 — 626 — 618
 — 651 — 638 — 636 — 630
 — 663 — 662 — 661 — 659
 666
- عبد الملك بن مروان 23 — 79 — 182
 — 315 — 304 — 302 — 295
 541 — 477 — 327
- عبد الملك بن هشام (صاحب السيرة)
 — 324 — 267 — 223 — 221
 589
- عبد مناف بن عبد المطلب (ابو طالب)
 213 — 212 — 211
- عبد الوارث بن سعيد ابو عبيد
 العنبري بالولاء 56 — 157
- عبد الواحد بن علي = ابو الطيب
 اللفوي
- عبد الوهاب بن حريش ابو مسحل
 473 — 472 — 471
- 405 — 382 — 362 — 335
 — 425 — 424 — 410 — 409
 611 — 583
- عبد الله بن المقفع 581 — 542
 عبد الله بن المهدي الحميري 697
 عبد الله بن هارون (المأمون العباسي)
 543 — 173 — 164 — 83 — 82
 عبد الله بن وهب الراسبي الخارجي
 289
- عبد الله بن يزيد القاري 134
 عبد الله بن يوسف المعروف بابن
 هشام النحوي 687
 عبد المجيد قطامش 522
 عبد المطلب القرشي 263 — 200
 عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
 623 — 153 — 72
- عبد الملك بن قريب (الاصمعي) 181
 — 80 — 56 — 51 — 22 — 20
 — 125 — 121 — 108 — 89
 — 156 — 141 — 133 — 126
 — 173 — 166 — 158 — 157
 — 202 — 201 — 194 — 177
 — 297 — 287 — 212 — 209
 — 335 — 329 — 323 — 322
 — 343 — 342 — 341 — 340
 — 347 — 346 — 345 — 344
 — 351 — 350 — 349 — 348
 — 357 — 356 — 355 — 353
 — 370 — 368 — 359 — 358
 — 378 — 377 — 372 — 371
 — 399 — 392 — 381 — 380

عثمان بن جنى أبو الفتح 10 — 11 —
 — 128 — 127 — 126 — 20
 — 132 — 131 — 130 — 129
 — 137 — 136 — 135 — 134
 — 141 — 140 — 139 — 138
 — 199 — 176 — 161 — 142
 — 401 — 400 — 369 — 354
 — 407 — 406 — 403 — 402
 — 312 — 410 — 409 — 408
 — 417 — 416 — 415 — 413
 — 427 — 426 — 420 — 419
 — 443 — 440 — 436 — 429
 — 579 — 575 — 572 — 445
 — 671 — 670 — 666 — 580
 683 — 672

عثمان بن الحويرث 208
 عثمان بن سعيد القبطى المصرى
 (ورش) 49 — 125
 عثمان بن شيبة 153
 عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح)
 — 151 — 150 — 149 — 148
 — 173 — 160 — 152
 عثمان بن عفان 44 — 45 — 46 — 47
 — 260 — 122 — 100 — 61 — 51
 — 489 — 299 — 293 — 261
 عثمان بن عمرو المزنى 234
 أبو عثمان المازنى 323
 عثمان بن مفلعون 213
 أبو عثمان النهدي 149
 العجاج الراجز = عبد الله بن روبة
 العجيف العجلي 342

عبد الوهاب خلاف 546
 عبدة بن الحارث بن عبد المطلب 221
 عبدة بن الطبيب 352 — 374
 عبهلة بن كعب (الاسود العنسى)
 266
 عبيد بن الأبرص 67 — 354 — 372
 عبيد بن حصين بن معاوية (الراعى)
 — 288 — 286 — 285 — 282
 — 337 — 336 — 335 — 300
 — 381 — 351 — 350 — 344
 475 — 440
 عبيد بن عقيل 56
 أبو عبيد = القاسم بن سلام
 عبيد الله بن جحش 208
 عبيد الله بن زياد 289 — 290
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
 مسعود 280
 عبيد الله بن عمر بن الخطاب 260 —
 261
 عبيد الله بن قيس الرقيات 278 —
 435 — 357 — 319
 عبيد الله بن معاذ 55
 عبيد الله بن موسى العبسى 153
 أبو عبيدة = معمر بن المثنى
 أبو العتاهية = اسماعيل بن القاسم
 عتبة بن أبى سفيان 326
 عتبة بن ربيعة 32 — 216 — 217 —
 224 — 223
 عتيبة بن الحارث بن شهاب 266
 العتبى = محمد بن عبد الله
 عثمان بن أبى العاص الثقفى 66

- أبو عدنان السلمي|338 ، 629
عدى بن زيد العبادي، 20 — 372 —
422 — 487 — 538 — 554
أبو العداfer الاعرابي 342
ابن عرادة 293 — 342
أبو العراف 342 — 447
عرام بن الاصبع السلمي 577 — 578
عراك بن خالد المري القاريء 52
العرجي = عبد الله بن عمر
العرزمي 113
عروة بن سنان العبدى 372
عروة بن مكرم التغلبي 372
عروة بن الورد 273
عروة بن يحيى (ابن اذينة) 280 ،
342
عريف الكلبي 342
عزة (صاحبة كثير) 302
أبو عزة الجمحي 218
أبو العساكر 284
أبو عصمة بن ابي مريم 160
عصمة القاريء 56
عضد الدولة البويهى 407
عطاء بن ابي رباح 37 - 50 - 382
عطاء بن السائب 52
عطارد بن خالد 233
ابن عطية المحدث 58
عفان بن مسلم 172
عقبة التغلبي 372
عقبة بن سلم 299
ابن ابي عقرب 51
عقيل بن الاسود 220
عكرمة مولى ابن عباس|37 — 50 —
63 — 71 — 72 — 134 — 155 —
160 — 382
بو العلاء المعري 595
علاكم بن نهير 342
علياء بن ارقم 22 — 441
علقمة بن عبدة 110 — 127 — 191
192 — 344 — 359 — 371
علقمة بن علاثة 266
علقمة بن قيس المحدث|149
على بن ابي طالب|47 — 60 — 61 —
62 — 63 — 70 — 134 — 136 —
150 — 153 — 155 — 164 —
181 — 221 — 226 — 229 —
260 — 261 — 262 — 263 —
275 — 289 — 296 — 299
300 — 390 — 489 — 599
على بن ابراهيم بن سلمة القطان
572 — 465 — 648
على بن حمد بن سعيد بن حزم 289
على بن اسماعيل بن سيده 25 —
403 — 404 — 596 — 658 —
659 — 660 — 662 — 663 —
664 — 665 — 667 — 671 —
672 — 680 — 683 — 684 —
688
على بن بديمة القاريء 134
على بن زياد 542
على بن جعفر المعروف بابن القطاع
641

- على بن الجهم (أبو نصر) 82
على بن حسن القاريء 134
على بن الحسن المعروف بابن المبارك
الاحمر 473 — 503
على بن الحسين (أبو الفرج
لاصفهاني) 64 — 65 — 191 —
209 — 221 — 233 — 234 —
241 — 250 — 256 — 296 —
327 — 330 — 335 — 338 —
361 — 364 — 366 — 390 —
392 — 429
- على بن حمزة الكسائي 48 — 53 —
54 — 81 — 82 — 85 — 91 —
108 — 121 — 128 — 397 —
398 — 414 — 415 — 464 —
470 — 471 — 472 — 473 —
477 — 503 — 561 — 583 —
617 — 685
- على بن ركن الدولة البويهى 646
على بن سليمان (الاخفش) 172 —
353 — 364 — 374 — 384 —
386 — 432 — 433 — 441 —
450 — 460 — 611
- على بن عبد العزيز البغوى 43 —
611 — 645 — 656
- على بن عبد العزيز الجرجاني 193
على بن عمر الدارقطني 55 — 151
على بن غانم المقدسى 696
- أبو على الفارسي = الحسن بن أحمد
على بن المبارك الاحمر 81 — 503
على بن محمد الحسيني 697
- على بن محمد (ابن خروف) 169 —
589
على بن المغيرة الاثرم 299 — 381 —
399 — 656
على بن مقله 582
على بن يوسف القفطي 394 — 448 —
496 — 503 — 588
أبو عمار أو أبو الوليد القاريء =
هشام بن نصير
عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير
338 — 342 — 444
عمارة بن الوليد 211
عمر بن أبي ربيعة 64 — 65 — 278 —
279 — 281 — 356
عمر بن بكير 83
أبو عمر الجرمي = صالح بن اسحق
عمر بن خالد العثماني 465
عمر بن الخطاب 16 — 17 — 33 —
41 — 42 — 46 — 59 — 61 —
63 — 65 — 66 — 90 — 106 —
121 — 122 — 149 — 152 —
159 — 207 — 247 — 249 —
252 — 253 — 254 — 255 —
256 — 257 — 258 — 259 —
260 — 261 — 268 — 270 —
322 — 376 — 425 — 467 —
505 — 513 — 540 — 558
- أبو عمر الزاهد (غلام ثعلب) =
محمد بن عبد الواحد
عمر بن شبة 297 — 327 — 341

عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)
 — 138 — 137 — 108 — 82 — 18
 — 386 — 381 — 369 — 167
 — 433 — 414 — 403 — 390
 — 450 — 449 — 442 — 434
 — 488 — 473 — 470 — 464
 — 548 — 547 — 546 — 535
 — 578 — 569 — 568 — 567
 — 669 — 666 — 611 — 583
 674

عمرو بن عدي 504
 أبو عمرو بن العلاء = زبان
 عمرو بن قميلة 512
 عمرو بن كلثوم التغلبي 190 — 196 — 344
 عمرو بن كركرة أبو مالك الأعرابي
 469
 عمرو بن معد يكرب 182 — 266 — 345
 عمرو بن هشام (أبو جهل) 33 — 222 — 215
 عمرو بن هند 190 — 492
 عمرو بن يربوع 22 — 441
 العمرى 125
 أبو العميثل = عبد الله بن خليل
 عميرة بن طارق 120
 العنبر بن عمرو بن تميم 200 — 203
 عنيسة الفيل 336
 عنبرة العبسي 241 — 266 — 345 — 359

عمر بن عبد العزيز 51 — 153 — 518 — 484
 عمر بن الفرخان 542
 عمر بن لجأ التيمي 287 — 288
 عمر بن هبيرة 387
 عمران بن حطان 292
 عمران بن عصام العنزي 498
 عمرو بن اسحق النسائي 394
 عمرو الاسواري 138
 عمرو بن الأشرف 262
 عمرو بن أمية 506
 عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ)
 21 — 75 — 182 — 201 — 202 — 203 — 310 — 359 — 361 — 364 — 366 — 416 — 434 — 455 — 457 — 459 — 463 — 476 — 482 — 530 — 544 — 549
 عمرو بن تميم 487
 عمرو بن حسان الشيباني 498
 أبو عمرو الداني 61
 عمرو بن دينار 155
 عمرو بن سعيد 316
 عروة بن سنان العبدى 372
 عمرو بن الشريد السلمى 196 — 224
 أبو عمرو الشيباني = اسحق بن مزار
 عمرو بن العاص 66 — 223 — 261
 عمرو بن عبد المسيح بن بقليلة 251
 عمرو بن عبد ود 229
 عمرو بن عبيد 126

- ابن عوذة 248
عوام (شيخ من اهل الكوفة) 172
عوف بن ابي بجيلة الاعرابي 164
عوف بن الخرع التيمي 372
عوف بن محلم الشيباني 491 — 492
عويج الطائي 317
عويمر بن مالك (ابو الدرداء) 62 — 155
عياض بن موسى بن عياض بن عمرو
اليحصبي القاضي 179
عيسى بن عبد الرحيم الكجراتي 696
عيسى بن عمر الثقفي 13 — 53 — 127 — 157 — 322 — 336 — 458 — 616
عيسى بن عمر الهمداني 53
عيسى بن ماهان 22 — 451 — 452
عيسى بن ماسرجيس 543
عيسى بن مريم 70 — 112 — 113 — 245
عيسى بن ميمون 69
عيسى بن مينا الرقي (قالون) 48 — 49 — 54
عيسى بن وردان المدني (الحذاء القاريء) 54
عيسى بن يحيى 543
عيينة بن حصن 239 — 240 — 268
ابن ابي عيينة 608
- غ
- غامان بن كعب بن عمرو بن سعد 375 — 600
- غاضرة بن سمرة بن عمرو بن قرط
ابن جندب بن العنبر 203
ابو غراف الاعرابي 322 — 447
الغزالي = محمد بن محمد
غسان بن عبد الله بن عبيد الوهاب
الثقفي 352
ابن ام غسان 287
غصن بن عم ابي عبيد الله الشجري 419
الغمر بن يزيد بن عبد الملك 304
ابو الغول 377 — 378 — 398 — 449
غياث بن ابراهيم 159
غياث بن غوث (الاخطل) 79 — 282 — 284 — 285 — 287 — 288 — 313 — 314 — 315 — 336 — 337 — 339 — 347 — 391 — 406 — 475
غيلان الثقفي 71
غيلان بن عقبة (ذو الرمة) 71 — 98 — 284 — 285 — 287 — 288 — 338 — 339 — 340 — 342 — 346 — 352 — 353 — 358 — 406 — 421 — 435 — 446 — 447 — 448 — 456 — 459 — 468 — 469 — 629 — 669
- ف
- ابن فارس = أحمد
الفخر الرازي = محمد بن عمر
الفراء = يحيى بن زياد

628 — 629 — 646 — 661 —
663 — 665 — 666

القاسم بن علي الحريري 548 — 549
القاسم بن معن 121
القاضي الجرجاني = علي بن عبد
العزيز

قالون = عيسى بن مينا الرقي
القالى = اسماعيل بن القاسم
قتادة بن دعامة السدوسي 40 —
72 — 129 — 160 — 623

قتادة بن يعرب اليشكري 342
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم
قتيبة بن مسلم الباهلي 403
قتيلة بنت الحارث 221 — 222 —
243

القرطبي = محمد بن احمد
قرواش بن عوف اليربوعي 494
ابو القرين الفزاري 342
قس بن ساعدة الايادي 196 — 494
قسطا بن لوقا 543
قطرب = محمد بن المستنير
قطري بن الفجاءة المازني 289 —
290 — 295

قطينة اللخمي 342
قعقاع بن معبد الدارمي 247 — 272
قعنب بن ابي قعنب (ابو السمال
القاريء) 442
القفطى = علي بن يوسف
القلقشندي = احمد
قنبر غلام علي بن ابي طالب 262

ابو الفرج الاصفهاني = علي بن
الحسين

المفرزدق = همام بن غالب
فروة بن نوفل 289

الفريابي = جعفر بن محمد
فريتس كرتكوي 595 — 596

الفضل بن الحباب الجمحي 322
الفضل بن الربيع 75 — 76 — 77 —
83 — 370 — 473

الفضل بن شاذان 54
الفضل بن قدامة (أبو النجم الراجز)
77 — 342 — 353 — 355 —
378 — 442

الفضل بن محمد القصباني 641
ابو الفضل المنذري 584 — 587 —
588 — 617

الفقعسي الاعرابي 19
ا. س. فلتن 613

ابن فليح 125
الفيروز بادي = محمد بن يعقوب
الفيومي = احمد بن محمد

ق

القاسم بن سلام (ابو عبيد) 15 —
25 — 37 — 52 — 128 — 167 —
169 — 173 — 174 — 184 —
399 — 438 — 492 — 503 —
505 — 506 — 516 — 518 —
525 — 528 — 539 — 562 —
584 — 585 — 617 — 625

قنبل القارىء = محمد بن عبد الرحمن

ابو قيس بن الاسلت 230

قيس بن ابي حازم 149

قيس بن الخطيم 242

ابو قيس بن رفاعه 670

قيس بن عبد الله (النابغة الجعدي)

193 — 194 — 195 — 244

422

قيس بن عمرو النجاشي 194 — 254

قيس بن المكشوح 257

قيس بن الملوح (مجنون ليلي) 59.7

قيس بن همام 293

قيصر 310

ابن قيم الجوزية = محمد بن ابي بكر

القيم العبسي 226

له

ابو كبير الهدلي = عامر بن الحليس

كثير بن عبد الرحمن بن الاسود

126 — 296 — 300 — 301

302 — 330 — 379

ابن كثير القارىء = عبد الله بن كثير

ابو كدراء العجلي 552

الكسائي = علي بن حمزة

كسرى 251 — 257 — 305 — 310

312 — 532

كعب بن الاشرف 221 — 226

كعب الاشقري 363 — 365

كعب بن زهير 66 — 89 — 194

238 — 245 — 269 — 626

كعب بن سعد الغنوي 344

كعب بن مائع (كعب الاحبار) 301

كعب بن مالك 221 — 223 — 226

228 — 230

كعب بن مامة 422

ابن الكلبي = محمد بن السائب

كلثوم بن خالد 359

الكمال الاسنوي 687

كمال مصطفى 647

الكميت بن زيد بن خنيس الاسدي

20 — 21 — 321 — 339 — 357

358 — 421 — 428 — 435

436 — 485

ل

لبطة بن الفرزدق 342

لبيد بن ربيعة العامري 656

ابو لحيانة الاعرابي 342

الليثاني 425 — 550 — 625

666 — 668

اللعين المنقري = منازل بن ربيعة

ابن لهيعة 160

ابو لؤلؤة المجوسي 260

لؤي بن غالب 231

الليث بن خالد البغدادي (ابو

الحارث القاري) 54 — 56

الليث بن المظفر 403 — 540 — 563

564 — 566 — 570 — 572

- المثنى بن حارثة الشيباني 367
529
- مجاهد بن جبر (تلميذ ابن عباس)
— 73 — 69 — 68 — 50 — 37
— 164 — 155 — 140 — 130
623 — 166
- مجاهد بن عبد الله العامري 664
ابن مجاهد 55 - 137
المجذر البلوي 219
ابو المجيب الربيعي الاعرابي 414 —
470
- محب بن الشحنة 696
محبس بن ارطاة 342
محبوب القاريء 55 — 56
المخلق بن حنتم الكلابي 411
ابو محلم الشيباني 468
محمد بن ابي بكر الرازي 642 -
643
- محمد بن ابي بكر (ابن قيم الجوزية)
687
محمد بن ابي ليلي 53
محمد بن الاثير الجزري 15 — 158 —
174 — 176
- محمد بن احمد الازهرى 25 — 174 —
353 — 399 — 403 — 424
— 429 — 444 — 550 — 572
— 573 — 575 — 578 — 583
— 588 — 610 — 615 — 616
— 617 — 618 — 619 — 620
— 621 — 622 — 623 — 624
- 573 — 574 — 575 — 576 —
— 577 — 578 — 618 — 619 —
— 620 — 622 — 624 — 627 —
— 628 — 629 — 630 — 631 —
684
- ليلي بنت الحمارس 434 - 601
ابو ليلي الاعرابي 578
- م
- المازني 381
ماسرجويه 543
ماسرجيس 543
مالك بن انس 40 — 153 — 154 —
282
- مالك بن زيد مناة بن تميم 200
ابن مالك النحوي = محمد بن عبد
الله
- مالك بن عوف النصري 239 — 267
مالك بن نمط 177
مالك بن نويرة اليربوعي 247 —
— 248 — 249 — 250 — 272 —
273 — 504
- المأمون = عبد الله بن هارون
مبارك بن محمد (ابن الاثير) 559 —
643 — 684
- مبتكر الاعرابي 578
المبرد = محمد بن يزيد
متمم بن نويرة 248 — 249 — 250 —
251 — 273 — 504
- المتنبى = احمد بن الحسين
متى بن يونس 527

- محمد بن اسماعيل (البخازى)
153 — 148
- محمد باشا الكوبريلى 678
- محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني
542
- محمد بن جرير (الطبرى) 37 —
— 111 — 110 — 70 — 38
— 113 — 114 — 115 — 116 —
— 118 — 125 — 223 — 235 —
— 258 — 324 — 360 — 369 —
538 — 496
- محمد بن جعفر المنذرى 616
- محمد بن الجهم البرمكى 83 — 84 —
542
- محمد بن حبيب 364 — 681
- محمد بن الحجاج بن نصر الانبارى
468
- محمد بن الحسن بن دريد ا ابو
بكر الازدى) 25 — 179 —
— 181 — 183 — 355 — 385 —
— 461 — 485 — 538 — 551 —
— 571 — 582 — 589 — 591 —
— 592 — 594 — 595 — 596 —
— 597 — 598 — 599 — 600 —
— 601 — 602 — 603 — 604 —
— 606 — 607 — 609 — 610 —
— 611 — 613 — 618 — 619 —
— 620 — 622 — 631 — 647 —
660 — 649 — 648
- 626 — 627 — 628 — 629 —
— 630 — 631 — 633 — 638 —
— 641 — 643 — 660 — 667 —
684 — 683 — 672
- محمد بن احمد الاسواني (ابو
رجاء) 129 — 130 — 136
- محمد بن احمد البيرونى 544
- محمد بن احمد بن جبير 56
- محمد بن احمد بن شنبوذ 55
- محمد بن احمد العتبى 648
- محمد بن احمد القرطبى 159 —
182 — 160
- محمد بن احمد بن كيسان 569
- محمد بن احمد المناوى 687
- محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى
546 — 544
- محمد بن ادريس الشافعى 23 —
— 154 — 358 — 477 — 620 —
674
- محمد بن ارسلان (الامير) 528
- محمد بن اسحق (صاحب السيرة)
— 160 — 208 — 211 — 215 —
— 221 — 228 — 230 — 267 —
589
- محمد بن اسحق البخارى 55
- محمد بن اسحق (ابن النديم) 86 —
— 69 — 74 — 83 — 323 — 385 —
— 468 — 496 — 542 — 559 —
661 — 582 — 581 — 562

محمد بن سلام الجمحي 16 — 17 —
157 — 199 — 200 — 201 —
203 — 207 — 212 — 250 —
277 — 296 — 300 — 321 —
322 — 323 — 324 — 325 —
330 — 331 — 335 — 396 —
399 — 456 — 463 — 493

محمد بن السميع 127 — 412
محمد بن سيرين 154 — 166 —
559
محمد بن شهاب الزهري 136 —
153

محمد بن صالح 337
محمد بن صديق بن حسن القنوجي
632 — 634 — 678
محمد بن طاحنة 269
محمد بن الطيب الفاسي 697 -
699

محمد بن عائشة 241
محمد بن عبد الرحمن بن خالد
المخزومي (قنبل) 49
محمد عبد الرؤوف المناوي 696
محمد بن عبد السلام الخشني 370 —
515 — 589
محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
289 — 299
محمد عبد اللطيف السبكي 643
محمد بن عبد الله (ابن مالك
النحوي) 169
محمد بن عبد الله الاسكافي 25 -
662

محمد بن الحسن الزبيدي 18 — 352 —
370 — 381 — 397 — 415 —
457 — 458 — 464 — 465 —
471 — 473 — 588 — 589 —
612

محمد بن الحسن بن يعقوب (ابن
مقسم) 55

محمد بن الحسن الفهري 613

محمد بن الحنفية 298 — 301

محمد بن خالد 320

محمد الخضر حسين 545

محمد الخضري 44

محمد بن زريق الكوفي 54

محمد بن زياد أبو عبد الله (ابن

الاعرابي) 108 — 353 —

374 — 378 — 393 — 404 —

410 — 435 — 438 — 444 —

493 — 503 — 513 — 550 —

551 — 578 — 585 — 587 —

588 — 623 — 625 — 639 —

659 — 665 — 666 — 675 —
680

محمد بن السائب 69 — 71 — 269 —

504 — 623 — 681

محمد بن السري 382 — 536 —

616 — 623

محمد سعد الله 693

محمد بن سعيد الشامي 159

محمد بن سعد (صاحب الطبقات

الكبرى) 91 — 324

محمد بن عمران المرزباني 442 —
 503
 محمد أبو الفضل إبراهيم 522
 محمد بن القاسم بن بشار الأنباري
 53 — 84 — 90 — 151 — 167 —
 174 — 473 — 611 — 680
 محمد بن المتوكل اللؤلؤي (رويس
 القاريء) 55 — 56
 محمد بن محمد الدمشقي (ابن
 الجزري) 124 — 125 —
 131 — 173
 محمد محمد الغزالي 161
 محمد بن محمد بن محمد بن عبد
 الرزاق مرتضى الزبيدي 18 —
 25 — 658 — 667 — 668 —
 687 — 692 — 694 — 695 —
 696 — 697 — 698 — 699
 محمد بن محيىصن المكي 48 — 125 —
 136 — 487
 محمد محيى الدين عبد الحميد
 334 — 643
 محمد بن المستنير (قطرب) 125 —
 173 — 184 — 559 — 562 —
 623 — 661
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
 215
 محمد بن معمر الجياني 613
 محمد بن المكرم (ابن منظور) 13 —
 25 — 157 — 179 — 181 —
 311 — 403 — 424 — 425

محمد بن عبد الله (المهدي
 العباسي) 159 — 310 —
 391 — 395 — 464 — 473
 محمد بن عبد الله الزركشي 58 —
 59 — 72
 محمد بن عبد الله العتبي 297 —
 648
 محمد بن عبد الله الكرمانى 572
 محمد بن عبد الله بن المقفع 581
 محمد بن عبد الله النميري 279
 محمد بن عبد الملك الفقعسي 473
 محمد بن عبد الواحد (غلام ثعلب)
 174 — 468 — 588 — 596 —
 618 — 645 — 685
 محمد بن عزيز السجستاني 43
 محمد بن العساف الشجري العقيلي
 (صاحب ابن جنس) 412 —
 413 — 416 — 417 — 418 —
 419 — 420
 محمد بن علقمة التيمي 342
 محمد بن علي الرؤاسي (أبو
 جعفر) 56
 محمد علي النجار 509 — 616 —
 683
 محمد بن علي بن النعمان (شيطان
 الطاق) 298
 محمد بن علي الهروي 641
 محمد بن علي بن عمر الواقدي 54 —
 324
 محمد بن عمر (الفخر الرازي) 13 —
 34

محمود خاطر 643
 محمود بن عمر جار الله الزمخشري
 — 404 — 179 — 176 — 15
 — 643 — 548 — 492 — 405
 676 — 674 — 673
 محمود الفزنوي 543
 محمود محمد الطناحي 175
 ابن محيصة القاريء = محمد
 المخبل السعدي 482
 مختار بن ابي عبيد 199
 المرار بن منقذ 288
 مرتضى الزبيدي = محمد بن
 محمد بن عبد الرزاق
 مرداس بن ادية (ابو بلال) 290 —
 292
 مروان بن ابي حفصة 392 — 391
 مروان بن الحكم 314 — 313 —
 317 — 316 — 315
 مروان بن القرظ 492
 مروان بن محمد 470 — 320
 ابن مزاحم الثمالي 392
 مزرد بن ضرار 344
 مسافع بن عبد مناف 230
 المستنير بن سبرة العنبري 288
 مسدد بن سرهد الكوفي 153
 مسرد بن اللعين 342
 مسعود بن فدكي التميمي 289
 مسلم بن الحجاج القشيري 62 —
 161 — 153
 ابو مسلم الخرساني 470

— 682 — 345 — 433 — 429
 684 — 683
 محمد بن منذر الشاعر 172
 محمد بن هارون التمار القاريء 55
 محمد بن هارون الزنجاني 656
 محمد بن يحيى بن ابان 368
 محمد بن يحيى القرافي 691 —
 697 — 692
 محمد بن يحيى الكسائي الصفيير
 54
 محمد بن يزيد المبرد (ابو العباس)
 — 174 — 126 — 22 — 14
 — 381 — 374 — 341 — 293
 — 389 — 387 — 385 — 382
 — 440 — 439 — 409 — 400
 — 466 — 452 — 451 — 450
 — 528 — 486 — 468 — 467
 — 623 — 611 — 587 — 585
 625
 محمد بن يعقوب الفيروزبادي 25 —
 — 688 — 687 — 660 — 69
 — 693 — 692 — 690 — 689
 699 — 696 — 694
 محمد بن يوسف الزبيدي المدني
 687
 محمد بن يوسف القاضي 611
 محمود بن ابي المعالي بن الحسن
 الحواري 641
 محمود بن احمد الزنجاني 642
 محمود بن الاصبهاني 673

- أبو مسلم العاصي 414 — 470
 مسلم بن عقبة 316
 المسيب بن علس 195
 مسيلمة ، ثمامة بن كثير بن حبيب
 الحنفى الكذاب 247
 مصرف بن الحارث 342
 مصطفى صادق الرافعي 644
 مضعب بن الزبير 319 — 327
 أبو المضرحي الاعرابي 468
 أبو المطرف الاعرابي 337
 المطعم بن عدي 211 — 212 — 213
 أبو المطوق الاعرابي 464 — 473 — 474
 المظفر بن سيار 540
 ابن المظفر = الليث
 ابن المظفر النيسابوري 673
 معاذ بن جبل 61 — 62 — 63
 معاذ بن معاذ القاريء 55
 معاذ الهراء 53
 معاوية بن ابي سفيان 47 — 66
 — 245 — 261 — 263 — 278
 — 289 — 313 — 314 — 315
 316 — 326 — 327
 معاوية بن زهير 221
 معاوية الثاني 315 — 316
 معاوية بن عمرو بن الشريد 196 — 224
 معاوية بن ابي عمرو بن العلاء 322
 معبد بن خالد الجدلي 327
 معبد بن طوق 342
 معقر بن جمار البارقي 344
 معمر بن المثنى (أبو عبيدة) 13 —
 — 19 — 39 — 74 — 75 — 76
 — 78 — 79 — 80 — 81 — 83
 — 93 — 100 — 107 — 108
 — 114 — 115 — 119 — 132
 — 135 — 143 — 173 — 179
 — 184 — 194 — 250 — 251
 — 297 — 320 — 323 — 335
 — 337 — 341 — 354 — 357
 — 359 — 360 — 361 — 364
 — 366 — 368 — 369 — 370
 — 371 — 372 — 377 — 380
 — 381 — 395 — 398 — 399
 — 415 — 422 — 428 — 430
 — 434 — 447 — 449 — 456
 — 462 — 465 — 467 — 476
 — 487 — 492 — 503 — 512
 — 526 — 527 — 539 — 559
 — 560 — 561 — 574 — 575
 — 577 — 578 — 600 — 607
 — 622 — 629 — 630 — 637
 — 638 — 645 — 650 — 656
 659 — 663 — 667
 أبو المفوار بن سعيد الفنوي 345
 المفيرة بن حبناء 342 — 362 — 363
 المفيرة بن سعيد الكوفي 159
 المفيرة بن شعبة 289 — 315
 المفيرة بن المهلب 361 — 364 — 366
 المفجع البصري 450

ابن منده 154	المفضل بن سامية 507 — 508 —
المنذرى = ابو الفضل	509 — 510 — 512 — 518 —
المنصور 470	526 — 571 — 582 — 589 —
ابو منصور الجبان 641	المفضل بن محمد الضبي 137 —
ابن منظور = محمد بن مكرم	284 — 322 — 373 — 376 —
منظور بن زبان 268	377 — 392 — 395 — 396 —
منكه الهندى 542	398 — 446 — 449 — 464 —
ابو مهدية الاعرابى 458 — 464	492 — 493 — 494 — 495 —
المهدى العباسى = محمد بن عبد	497 — 506 — 516 — 525 —
الله	526 — 616 —
مهدى بن ميمون 54	مقاتل بن سليمان بن بشير الازدى
المهدى المنتظر 298 — 301	71 — 342 —
ابن مهران 124	ابن مقبل = تميم بن ابي
المهلب بن ابي صفرة 14 — 283 —	المقداد بن الاسود 44
289 — 290 — 291 — 293 —	ابو المقدام السلمى 627
294 — 295 — 363 — 365 —	ابن مقسم = محمد بن الحسن بن
مهلهل بن ربيعة 201 — 202 —	يعقوب
203 — 510 —	ابن مكتوم 678
الموار العبدى 342	ابن مكعب 498
مؤرج بن عمر السدوسى ابو فيد	ابن ملجم 275
74 — 468 — 492 — 596 —	مليكة بنت سنان 268 — 269 —
497 — 525 — 559 — 569 —	ابن ابي مليكه 382
582	ابن مناذر الشاعر = محمد بن
ابو موسى الاشعري = عبد الله بن	مناذر
قيس	منذر بن حرملة 183
موسى بن خالد 542	منازل بن ربيعة (اللعين المنقرى)
موسى السيلانى 148	286
موسى بن عبد الله الخاقانى 55	المنتجع الاعرابى 458 — 463 —
موسى بن عيسى الكردى 542	523 — 475 —
	المنتشر الباهلى 603

أبو النجم الراجز = الفضل بن
 قدامة
 أبو نجيح 69 — 166
 نجيد بن عمران الخزاعي 230
 أبو جعفر النحاس = أحمد بن محمد
 أبو النشاش النهشلي 273 — 274
 أبو نشيط القاريء 48
 أبو نصر الراوية 617
 أبو نصر بن الجهم = علي بن الجهم
 نصر بن علي الجهضمي 166 — 570 —
 582 — 634 — 635
 نصر الحارثي (أبو منصور) 673
 نصيب بن رباح (أبو محجن) 345 -
 346
 نصير الرازي 584
 النضر بن الحارث 222 — 243
 النضر بن شميل 14 — 25 — 164 —
 165 — 173 — 184 — 399 —
 559 — 560 — 561 — 562 —
 569 — 570 — 571 — 582 —
 588 — 638 — 661 — 663
 النظام 476
 النعمان بن بشير 51 — 313 —
 314 — 517
 النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) 160 —
 673 — 695
 النعمان بن المنذر 199 — 200 —
 251 — 532 — 533
 أبو نعيم = أحمد بن عبد الله بن
 أحمد
 نعيم بن حماد 153

موهوب بن أحمد بن محمد
 الجواليقي 534 — 535 —
 536 — 538 — 551
 ابن ميادة = الرماح بن أبرد
 الميداني 492
 ميرزا علي الشيرازي 696
 مسرة بن عبد ربه 160
 ميمون الاقرن 336
 ميمون بن قيس (الاعشى) 16 —
 79 — 116 — 182 — 264 —
 265 — 266 — 270 — 335 —
 344 — 356 — 411 — 430 —
 447 — 496 — 537 — 538 —
 554 — 584 — 602 — 639 —
 676

أبو ميمونة مولى أم سلمة 49

ن

النابغة الجعدي = قيس بن عبد
 الله
 النابغة الذبياني = زياد بن معاوية
 ناصر الدين الاسد 324 — 330
 نافع بن الأزرق 64 — 67 — 68 —
 281 — 290
 نافع بن جبير بن مطعم 303
 نافع بن أبي نعيم 48 — 49 — 54 —
 73 — 125
 نافع مولى ابن عمر 166
 النجاشي الشاعر = قيس بن عمرو
 نجدة بن عامر الحنفي 289
 نجدة بن عويمر 67 — 68

الهرمزان ملك الاهواز 260 — 261 —
305

الهروى صاحب الفريبين = احمد
ابن محمد

ابو هريرة = عبد الرحمن بن صخر
ابن هشام صاحب السيرة = عبد
الملك

هشام بن حكيم 121 — 122

هشام بن عبد الملك 305 — 306 —
391 — 542

هشام بن عروة 153 — 159

هشام بن عمرو بن ربيعة 213

هشام بن القاسم 542

هشام بن الكلبي 506

هشام بن نصير السلمى ابو عمار
القارىء 52

هشيم بن بشير 164 — 165

ابو هلال العسكرى = الحسن بن
عبد الله

همام بن غالب (الفرزدق) 20 —

51 — 278 — 279 — 282

283 — 284 — 285 — 286

287 — 288 — 293 — 300

335 — 336 — 337 — 338

348 — 350 — 364 — 365

372 — 387 — 403 — 421

427 — 439 — 440 — 475

493 — 626 — 676

هيमान بن قحافة السعدى 378

هند بنت اثائه 221 — 223

نفظويه = ابراهيم بن محمد بن
عرفه

ابو نفيس 500

نقيع بن صفار القيسى 315

نلينو ، كارل 197 — 198 — 199 —

201 — 203 — 204 — 269 —

324

النمر بن تولب 600

ابو نمير السعدى 248

نهار بن توسعة 342

النوار بنت جل بن عدى 200

نوار (زوج الفرزدق) 493

ابو نواس = الحسن بن هانىء

نوح بن جرير 342

ابن نوح العطاردى 250 — 463

ابن نوفل 396

النوى (يحيى بن شرف) 148 —

161 — 166

هـ

هارون الاعور 56 — 126

هارون بن محمد (الرشيد) 370 —

371 — 472

هاشم بن عبد مناف 200 — 212

هبة الله بن الشجرى 673

هبيرة بن ابي وهب المخزومى 223 -

230

الهللى 511 — 628

هرم بن سنان 253 — 264

ابن هرمة = ابراهيم بن على

هند بن جرم (ملك في قضاة)

493

هند بنت عتبة بن ربيعة 221 —
222 — 223 — 224

ابو الهيثم الرازي 584 — 587 —
617

الهيثم بن عدي 392

ام الهيثم الاعرابية 465 — 466 —
467 — 468

و

وائل بن حجر 179

وائل بن الاسقع 51 — 155

الواقدي = محمد بن علي بن عمر

ابو الوجيه العكلى 458

ورش = عثمان بن سعيد

ورقاء المفسر 69

ورقة بن نوفل بن عبد العزى 208

ابن وضاح 515

الوعيل بن كليب 342

الوليد بن عبد الملك 23 — 338 —
477

الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى

(البحتري) 400 — 406 —

407

الوليد بن عتبة 223 — 224 — 316

الوليد بن مسلم القارىء 55

الوليد بن المغيرة 31 — 32 — 213 —
443

الوليد بن يزيد 319 — 320 — 390 —

391 — 392 — 394

وهب بن زمعة 278

ابو وهب الدقاق 336

ي

ياقوت الحموى 74 — 82 — 323 —

368 — 443 — 471 — 570 —

632 — 633

يحيى بن الحارث الذمارى 51 — 52

يحيى بن خالد 543

يحيى بن زياد الفراء 15 — 54 —

81 — 82 — 83 — 84 — 85 —

86 — 87 — 88 — 89 — 91 —

92 — 93 — 108 — 115 —

120 — 133 — 135 — 167 —

374 — 378 — 397 — 398 —

414 — 470 — 471 — 472 —

473 — 485 — 488 — 503 —

510 — 623 — 638 — 666

يحيى بن سعيد القطان 154 — 161

يحيى بن صاعد 611

يحيى بن عدي 543

يحيى بن المبارك اليزيدى 48 — 54 —

56 — 396 — 398 — 415 —

458 — 464 — 473 — 477 —

488 — 496 — 503 — 559 —

617

يحيى بن محمد المناوى 691

يحيى بن معين 52 — 160 — 173

يحيى بن وثاب 127 — 130 — 137 —

139

يحيى بن عمر 18 — 50 — 74 —

559

- يزيد بن حاتم 356
 يزيد بن حبناء 367
 يزيد بن سلمة ابن الطثرية 342
 يزيد بن ضبة مولى ثقيف 306 — 351 — 352
 يزيد بن عبد الله بن الحر (أبو زياد الكلابي) 424 — 471 — 503
 يزيد بن عبد الملك بن مروان 387
 يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي 243
 يزيد بن القعقاع (أبو جعفر) 48 — 54 — 125 — 138
 يزيد بن كثوة 416
 يزيد بن مرة 75
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان 314 — 315 — 316 — 391
 يزيد بن مفرغ الحميري 182 — 404
 يزيد بن المهلب 361 — 362
 يزيد بن الوليد بن عبد الملك 320
 اليزيدي = يحيى بن المبارك
 يعقوب بن أحمد التركماني 54
 يعقوب بن اسحق الحضرمي 48 — 50 — 54 — 55 — 336 — 427 — 434 — 487 — 559
 يعقوب بن السكيت 25 — 133 — 349 — 350 — 357 — 360 — 377 — 378 — 381 — 397 — 399 — 405 — 411 — 423 — 426 — 487 — 507 — 586 — 587 — 661 — 663 — 665
 يعلى بن منبه 500
 يوحنا بن ماسويه 543
 يوسف بن خالد 542
 يوسف بن سليمان (الاعلم الشنتمري) 359 — 450
 يوسف بن عبد الله بن عبد البر 159
 يوسف العث 573
 يوسف بن عمر اليقفي 394
 يوسف بن مهران 71
 يونس بن حبيب 19 — 50 — 53 — 56 — 74 — 82 — 157 — 284 — 287 — 322 — 335 — 336 — 364 — 394 — 395 — 430 — 435 — 447 — 463 — 472 — 484 — 487 — 488 — 492 — 616 — 651
 يونس بن عبيد 150
 يوهان فك 12 — 143

ثانياً - فهرس القبائل والشعوب والجماعات

الانصار 40 — 44 — 45 — 63 — 218	
— 254 — 244 — 240 — 236	
393 — 314 — 313 — 256	الآراميون 35 — 36
بنو انف الناقة 270	الاحباش 183 — 321 — 530
الاورس 64 — 181 — 182 — 188	الاحلاف 469
230 — 218	الازارقة 295
اساد 422	الازد 14 — 23 — 36 — 50 — 66
ب	— 313 — 294 — 128 — 121
الباطنيون 69	558 — 365 — 341
باهلة 424 — 495	اسد 53 — 86 — 88 — 124 — 247
بجيلة 23 — 50 — 287 — 341	— 464 — 414 — 398 — 338
آل بختيشوع 545	— 478 — 477 — 473 — 470
بنو بدر 314 — 315	— 495 — 485 — 484 — 483
البدو 84 — 85 — 93 — 431 — 477	615
برابر مكة وسودانها 126	الاساورة 532
البصريون 19 — 44 — 82 — 115	الاشاقر 365
— 374 — 323 — 309 — 149	الاقبال 179
— 414 — 398 — 396 — 392	الامويون 23 — 150 — 159 — 289
— 505 — 503 — 477 — 415	— 308 — 306 — 304 — 302
616	— 319 — 316 — 315 — 309
	391 — 338

368 — 358 — 351 — 341

— 483 — 428 — 394 — 369

674

ثمود 295

ج

الجاهليون 20 — 51 — 193 — 268 —

446 — 391 — 335

جديلة 327

الجرامقة 357 — 358

جرم 485

جمدة 184

ح

بنو الحارث بن كعب 23 — 50 —

449 — 398 — 397 — 128

الحجازيون 90 — 109 — 122 —

128 — 125 — 124 — 123

— 153 — 142 — 130 — 129

639 — 638 — 487 — 458

حمير 35 — 176 — 179 — 184 —

473 — 267

حنظلة 247 — 378 — 493

بنو حنيفة 368

خ

خثعم 483

خزاعة 359 — 368

الخزرج 64 — 181 — 182 — 188 —

237 — 231 — 218

البغداديون 381 — 412

بكر بن هوازن 23 — 486

بكر بن وائل 312 — 476 — 482 —

630 — 629 — 486

بلحارث بن كعب 100

بلى 219 — 394

بهراء 200 — 476

ت

التابعون 49 — 52 — 148 — 149 —

153 — 175 — 289 — 537

التبابعة 183 — 188

الترك 293 — 305

تغلب 190 — 314 — 415 — 476

تميم 123 — 124 — 125 — 128 —

— 232 — 142 — 130 — 129

— 290 — 272 — 248 — 233

— 368 — 320 — 311 — 308

— 438 — 414 — 397 — 378

— 477 — 475 — 470 — 458

— 495 — 487 — 485 — 479

— 629 — 615 — 606 — 596

674 — 668 — 630

تنوخ 317 — 318 — 426 — 469

تيم الله بن ثعلبة 290 — 348

تيم قريش 75

تيم بن مرة 75

ث

ثقف 20 — 23 — 50 — 66 — 221 —

— 306 — 268 — 267 — 258

السبايكة 383	الخوارج 14 — 17 — 64 — 159 —
أهل السروات 23 — 50 — 294 —	160 — 278 — 289 — 290 —
341	291 — 292 — 293 — 295 —
بنو سعد 60	296
بنو السعلات 22 — 441	خيثم 128
آل سفيان 313 — 374	دارم 284
السكسكيون 317	دهاقين الفرس 532
سليط 287	الديلم 293
بنو سليم 126 — 226 — 235 — 247 —	ذ
315 — 356 — 397	ذبيان 494
ش	ر
الشافعية 615	الراشدون 16 — 159 — 241 — 246 —
الشاميون 44 — 46 — 52	289
الشعوبية والشعوبيون 17 — 23 —	ربيعة 362 — 367 — 398
481 — 302	ربيعة بن حنظلة 290
الشيعة 17 — 159 — 296 — 298 —	ربيعة بن مالك 414 — 470 — 471
316 — 300	الروم 305 — 310 — 322 — 325 —
ص	543 — 494 — 470
المصحابة 39 — 48 — 49 — 54 — 60 —	ز
61 — 62 — 63 — 70 — 131 —	زبيد 128 — 483
147 — 148 — 152 — 175 —	آل الزبير 304 — 319
536 — 289 — 247	الزرق من بني قيس بن ثعلبة 182
ض	الزط 383
بنو ضبة 127 — 294 — 368 — 376 —	الزنادقة 159
595 — 486	الزنج 389 — 470 — 591
ط	بنو زهرة 215
الطائفيون 352	س
الطاهريون 570 — 582	سببا 35 — 183

عقيل 87 — 142 — 308 — 398 —
412 — 413 — 415 — 416 —
431

عك 267

عكل 91 — 380

العلويون 159 — 309 — 313
العمالقة 494

عمرو بن تميم 487

عمرو بن عوف 227

العنبر 128 — 487

عنزة 484

عوف 202 — 419

عيلان 307

غ

غسان 188 — 288 — 317 — 476 —
495

غطفان 228 — 247 — 252 — 512
غنم بن اسد 397

ف

الفرسان 345

فزارة 268

فقيم 378

فلاسفة اليونان 542

ق

القارة 40 — 225

قحطان 293 — 320 — 321 — 385

القراء 40 — 41 — 42 — 559

القرامطة 615

طىء 92 — 133 — 181 — 247 —
318 — 397 — 448 — 478 —
484 — 488 — 497 — 680 —
681

ع

عاد 353

بنو عامر 226 — 315 — 415 — 471
العباد 469

العباسيون 24 — 309 — 399 — 470
بنو عبد القيس 361 — 364 — 368 —
369 — 428

بنو عبد المطلب 213 — 244 — 263

عبد مناف 211 — 212 — 241

عيسى 494

العثمانية 159

عجلان 254 — 314 — 315

العجم والفرسيون 35 — 37 — 123 —

124 — 155 — 169 — 183 —

184 — 207 — 304 — 306 —

310 — 311 — 312 — 321 —

360 — 366 — 383 — 476 —

516 — 530 — 531 — 532 —

536 — 539 — 544

عداء (بطن من مزينة) 234

عدنان 385 — 554

عدوان 328

عدي 338 — 493

عذرة 128 — 183

عضل 40 — 225

عقال 286 — 287

— 570 — 507 — 505 — 503
661 — 617 — 616

ل

بنو لحيان من هذيل 225
لخم 476

م

المتحنفون 209

مخزوم 220

بنو مدلج 59

اهل المدينة 125 — 149

مراد 128

المرجئة 17

بنو مروان 199 — 308 — 309
542 — 320

مزينة 234

المستعربون 383

المشركون 214 — 218 — 221 — 236
258 — 241 — 239 — 237

المضرية 159 — 182 — 319 — 320

بنو المطلب 213 — 219

المعتزلة 544

معد 233 — 251 — 293 — 554

اهل مكة 125 — 188 — 207 — 208

512 — 210

بنو ملكان 493

المناذرة 188 — 495

بنو منقر 465

المهاجرون 44 — 213

المهيا 419

قريش 31 — 32 — 33 — 45 — 58

— 182 — 142 — 125 — 64

— 208 — 207 — 188 — 184

— 212 — 211 — 210 — 209

— 217 — 216 — 214 — 213

— 235 — 230 — 229 — 228

— 254 — 240 — 237 — 236

— 278 — 268 — 265 — 256

— 487 — 394 — 308 — 299

557

بنو قريظة 229 — 230 — 251

قضاة 181 — 183 — 317 — 440
476

قيس 124 — 129 — 307 — 314

— 320 — 317 — 316 — 315

674 — 485 — 327 — 326

ك

كعب 236 — 308 — 341 — 443
444

كلاب 23 — 471 — 486 — 495

كلب 317 — 318 — 379 — 476
609

الكلدانيون 69

كليب 286 — 287

كنانة 59 — 128 — 320 — 470
487

الكوفيون 19 — 44 — 46 — 82

— 300 — 149 — 128 — 92

— 477 — 415 — 399 — 323

— 358 — 341 — 225 — 182
— 484 — 477 — 462 — 444
674 — 607

بنو هصيص 220

بنو هلال 23 — 486

همدان 261

هنود 383 — 580

هوازن 182 — 244 — 247 — 267 —

615 — 268

الهون بن خزاعة بن مدركة 40 —
225

و

الوراقون 578 — 618

وهيل 134

ي

بنو يربوع 272

بنو يشكر 294

اهل اليمن 141 — 159 — 166 —

176 — 177 — 179 — 182 —

204 — 278 — 313 — 316 —

317 — 318 — 319 — 320 —

321 — 377 — 378 — 398 —

639

اليهود 44 — 188 — 226 — 228 —

229 — 313 — 441

يونان 81 — 389 — 541

الموالي 75 — 302 — 303 — 306 —
307 — 351 — 359 — 540

المولدون 297 — 347 — 525

ن

نبوناج 328

النبط 476

نهبان 133 — 397 — 681

بنو النجار 209

النجديون 109 — 124 — 226

النخع 134 — 135

الندب (حتى من الازد) 14

نزار 176 — 177 — 184 — 204 —

319 — 321 — 440

النصارى 44 — 209 — 532

بنو النضير 226 — 227 — 251

آل نعم 64

بنو نهد 181

ه

بنو هاشم 73 — 159 — 212 — 213 —

219 — 278 — 296 — 297 —

299 — 301 — 314

بنو هيل 134 — 135

بنو الهجيم 128

هذيل 23 — 40 — 50 — 59 — 71 —

125 — 127 — 134 — 135 —

ثالثاً - فهرس البلدان والأماكن

— 395 — 378 — 354 — 351	
— 422 — 421 — 416 — 414	
— 477 — 476 — 459 — 435	آسك 290
— 561 — 560 — 540 — 491	اجا 484 — 680 — 681
659 — 634 — 632 — 615	أحد 222 — 223
باريس 614	أذربيجان 44
باغ. سلم بن عود 368	أرمينية 44 — 611
البحرين 23 — 415 — 529	الاسكندرية 261 — 545 — 557
بخارى 673	أسوان 557
بدر 218 — 219 — 220 — 221	أصفهان 361 — 367 — 368
237 — 225 — 223 — 222	أصطخر 361 — 362 — 363
البشر (اسم جبل) 315	أضاح 492
البصرة 17 — 18 — 22 — 48 — 50	أفريقية 261
— 63 — 61 — 55 — 54 — 53	الأنبار 390 — 469
— 82 — 80 — 76 — 75 — 74	الاندلس 359 — 539 — 612 — 658
— 250 — 154 — 153 — 149	الاهواز 290 — 592
— 290 — 289 — 284 — 262	أيا صوفيا 678
— 339 — 338 — 322 — 294	
— 352 — 343 — 342 — 340	ب
— 374 — 368 — 360 — 358	البادية 16 — 23 — 163 — 206
— 389 — 388 — 383 — 381	— 337 — 334 — 269 — 264
	— 344 — 342 — 339 — 338

تهامة 23 — 50 — 341 — 477 —
561 — 668 — 674
تونس 682

ج

الجابية 314 — 316
جبلان 184
جبل رضوى 298
الجزائر 554
جزيرة الفرات 394
جزيرة العرب 17 — 34 — 35 — 36 —
61 — 83 — 144 — 156 —
171 — 183 — 188 — 197 —
334 — 415 — 480 — 529
جلاجل 313
جناب الهضب 177
جنديسابور 545
جوتا 647

ح

حبر 392
الحبشة 213
الحجاز 16 — 23 — 40 — 49 — 154 —
159 — 183 — 206 — 210 —
225 — 251 — 274 — 278 —
282 — 290 — 294 — 341 —
354 — 357 — 477 — 487 —
495 — 530 — 561 — 606 —
673 — 687

الحديبية 264
حران 308
الحرم 208

390 — 392 — 395 — 396 —
399 — 413 — 414 — 416 —
422 — 433 — 435 — 448 —
456 — 457 — 458 — 459 —
460 — 462 — 464 — 465 —
469 — 470 — 474 — 475 —
476 — 477 — 478 — 493 —
496 — 529 — 559 — 561 —
569 — 570 — 571 — 574 —
575 — 577 — 578 — 580 —
582 — 591 — 663

بغداد 17 — 52 — 76 — 81 — 82 —
83 — 373 — 382 — 399 —
413 — 414 — 435 — 470 —
471 — 473 — 477 — 507 —
577 — 591 — 596 — 611 —
616 — 619 — 626 — 645 —
646 — 673 — 677

بلكرام 695

بولاقي 683

بشر معونة 40 — 225 — 226

بيروت 340 — 347 — 348 — 350 —
378 — 380 — 410 — 450 —
683 — 685

بين النهرين 34

بیمارستان البرامكة 542

ت

تدمر 252 — 307
تكريت 435

الدهناء 615	حرة بنى سليم 226
دير الجماجم 302	حضر موت 179 — 181 — 183 — 184
الدينور 451	الحطمية 398
ر	حفاف الرمل 177
الرجيع 40 — 225	الحفير 251
الرصافة 159	الحل 208
رملة اللوى 478	حلب 407
الروحاء 256	حمص 62
الرى 50 — 302 — 646	حنين 239 — 267
ريف فارس 530	حيدر آباد 492 — 571
ز	الحيرة 35 — 251 — 390 — 422 — 469 — 531 — 532 — 533
زبيد 687	خ
زمخشر 673	خراسان 83 — 124 — 149 — 342 — 361 — 367 — 368 — 470 — 548 — 570 — 582 — 588 — 615 — 626 — 632
س	الخليج العربى 495 — 529
سافلة العالية (المدينة) 23	الخندق 228 — 229 — 230 — 506
الستارين 615	خوارزم 673 — 674
السدير 251	الخورنق 251
سقطرة 181 — 184	خيبر 36
سلمى (جبل لطفى) 353 — 484 — 680 — 681	د
السند 578	الدارات 347
السواد 367 — 530	دارة صلصل 347
السودان 554	دجلة 388 — 537
سورية 554	دمشق 35 — 51 — 52 — 62 — 277 — 316 — 386
ش	
الشاش 367	

— 282 — 278 — 270 — 163
 — 319 — 308 — 295 — 290
 — 452 — 451 — 415 — 387
 — 487 — 478 — 476 — 469
 — 541 — 529 — 517 — 495
 687 — 616 — 588 — 554

العرض (واد باليمامة) 167

عرفة 208

عسكر مكرم 521

العقيق 235

مكاظ 195 — 196 — 197 — 224

494 — 225

عمان 529 — 591

عمورية 543

غ

غزنه 544

ف

فاراب 632

فارس 16 — 207 — 322 — 325

362 — 367 — 529 — 531

532 — 541 — 687

الفرات 388 — 469 — 494

فرغانة 367

فلسطين 34 — 554

ق

القادسية 257 — 258

القاهرة 382 — 647 — 661

قبرص 261

قرامان 644

قرطبة 515 — 613 — 658

الشام 16 — 35 — 46 — 48 — 153
 — 293 — 274 — 263 — 174
 — 541 — 529 — 476 — 428
 687

الشجر 184

الشرق الادنى 614

شرق العراق 154 — 465 — 578

620 — 632 — 646

شمال افريقية 614

شيراز 407 - 687

ص

صعيد مصر 597

صفين 261 — 262 — 263 — 289

الصمان 615

صنعاء 257 — 473

سوار 313

الصين 539

ط

الطائف 209 — 268 — 279 — 351
 480

طرابلس 554

ظ

ظفار 177

ع

عالية السافلة (نجد) 23

عدن 184

العراق 14 — 16 — 18 — 22 — 34

35 — 50 — 82 — 153 — 159

ليبيا 554
ليدن 595 — 647

م

المتحف البريطاني 595 — 596 — 613
المدائن 35 — 62 — 531 — 532
مدرسة الاسكندرية 542 — 545
المدينة 23 — 40 — 48 — 49 — 54
— 63 — 64 — 100 — 150 — 153
— 209 — 218 — 225 — 228
— 230 — 232 — 236 — 250
— 279 — 280 — 282 — 315
— 316 — 377 — 475 — 476
— 486 — 530
المربد 18 — 171 — 338 — 339
— 414 — 560 — 561
مريج راهط 316 — 317 — 318
— 319
ذو مرخ 271
مرة 251
مرو 361 — 367 — 368
المسجد الحرام 64
مصر 49 — 154 — 541 — 542
— 634 — 687 — 695
المعافر 184
المغرب 612
المغرب الاقصى 554
المكتبة الاهلية بباريس 614
مكة 18 — 35 — 48 — 49 — 52
— 91 — 126 — 152 — 153
— 207 — 210 — 213 — 217
— 219 — 229 — 230 — 236

قزوين 645
قطر بل 398 — 415
القعاقيع 20 — 424 — 427
قنسرين 494

ك

كارزين (من اعمال فارس) 687
كدي ، وكداء (جبلان) 492
كربلاء 316
كرمان 302
الكعبة 189
الكناسة 300
الكوفة 17 — 18 — 46 — 48 — 49
— 50 — 52 — 53 — 62 — 80
— 81 — 91 — 150 — 153
— 154 — 159 — 165 — 172
— 261 — 262 — 263 — 289
— 300 — 302 — 303 — 315
— 316 — 327 — 338 — 339
— 360 — 368 — 374 — 388
— 389 — 390 — 393 — 394
— 396 — 397 — 398 — 399
— 413 — 414 — 415 — 448
— 469 — 471 — 477 — 493
— 512 — 517 — 571 — 582
663

ل

لاهور 677
لبنان 554
لعلع (اسم جبل) 177
لندن 595

هراة 615 — 616
همدان 177 — 645
الهند 383 — 544 — 677 — 687

و

وادی الحصیب 687
وادی عوف 461
وادی النيل 554
واهب 392

ي

يترب 182 — 209 — 246 — 264
428 — 369
يذبل 20 — 324 — 327
اليمامة 41 — 42 — 203 — 265
478
اليمن 15 — 23 — 35 — 50 — 177
— 183 — 182 — 181 — 179
— 398 — 378 — 377 — 184
— 530 — 529 — 473 — 449
688 — 687

250 — 256 — 264 — 267 —
279 — 282 — 316 — 321 —
444 — 479 — 480 — 492 —
512 — 528 — 673 — 677 —
695

منى 18 — 480
مناز كرد 611
الموصل 357 — 358 — 415 — 416 —
421 — 435
ميسان 18 — 529

ن

نجد 23 — 41 — 183 — 197 — 226
— 356 — 424 — 438 — 471 —
477 — 486 — 487 — 495 —
561 — 606 — 674
النحيث (مكان بالبصرة) 250
نعمان 280
نهر تستر 294
نيسابور 525 — 577 — 588 — 626 —
632

هـ

الهبير 615

رابعاً - فهرس الموضوعات

9

تصدير

الباب الاول : القرآن الكريم

الفصل الاول : لماذا وضعنا القرآن الكريم اول مصادر الرواية 29 — 56

30	الامتحان العظيم
34	مدى خلوص عربية القرآن
39	العناية بالقرآن منذ اوحى به
40	القراء
41	جمع القرآن
44	جمع القرآن ايام عثمان
48	رواية القرآن

الفصل الثاني : العربية من خلال الشروح والقراءات 55 — 144

57	هل كان كل العرب يفهمون القرآن ويعلمون معانيه
61	في مجالس التفسير - التفسير بالمأثور
63	التفسير اللغوي
	ابن عباس : كتاب التفسير المنسوب لابن عباس .
	(تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) طرق روايته .
	اوجه الارتباب في الكتاب . عوامل تكوين عقلية ابن
68	عباس
71	الشعر ، التعرف على لهجات القبائل ، والالفاظ القديمة

مجاز القرآن لأبي عبيدة : أسباب وضع الكتاب . معنى
المجاز . أنواعه . الاختلاف حول الكتاب . في البصرة .
والكوفة .

82 **معاني القرآن للفرأء** : ظروف وضع الكتاب . روايته .
الاستطراد السى شرح الاساليب العربية . الإبدال .
التضاد . اختلاف لهجات الاحياء . الذوق اللغوى .
افتراض المشابهة . التسليم للعرب .

93 **تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة** : سبب وضع الكتاب .
العلاقة بين فهم القرآن ومعرفة العربية . المسائل
اللغوية : المجاز . والاستعارة . المقلوب من اساليب
العرب ، التضاد . اسلوب العرب في الاختصار ، زيادة
اللفظ اشباعا للمعنى . حجج الملاحدة . ومناقشتها .
تاويل المشكل . اصول الكلمات . حروف المعانى .

110 **جامع البيان من تاويل آى القرآن للطبرى** :

الجمع بين التفسير بالمأثور . والتفسير اللغوى .
اعجاز القرآن . وفضل المعنى . مناقشة قدامى
اللغويين . عنايته بالمفردات وبالاساليب وبالخصائص
اللغوية .

121 **القراءات واللهجات** :

القراءات . طرق الاداء الصوتى - الامالة . والفتح
الهمز . التميمية والحجازية .

130 **فلسفة ابن جنى فى بعض القراءات الشاذة** :

وجهة ابن جنى . بيان وجه العربية فى القراءة الشاذة
المؤاخاة بين الحروف . بيان المعانى فى لهجات القبائل .
بعض القراءات الشاذة اشد افساحا ، بالعدل ، من

القراءة الفاشية وبيان ذلك . طريقة العرب فى حمل
ظاهر اللفظ على معناه .

الباب الثانى : الحديث ، كمصدر من مصادر اللغة

الفصل الاول : رواية الحديث 147 — 162

147	مدى العناية برواية الحديث
149	الاسناد
151	الجرح والتعديل
152	كتابة الحديث
154	رواية الحديث بالمعنى
156	التصحيح
159	الوضع

الفصل الثانى : موقف رواة اللغة من الحديث 163 — 170

توقف اللغويين عن الاحتجاج بالحديث لشوائب الرواية
النضر بن شميل يلحن هشيم بن بشير . أصحاب
المعاجم يستعينون بالحديث . عزوف الاصمعى عن
الخوض فيه : الفراء ، وسيبويه ، وابن قتيبة ، والقالى
عن ابن الانبارى ، وابن فارس يحتجون بالحديث .
اعتراض ابن جماعة .

الفصل الثالث : ما افادته العربية من الحديث 171 — 184

المحدثون يستعينون رجال اللغة . النضر ، وأبو عبيدة ،
وقطرب يؤلفون فى (غريب الحديث) . أبو عبيد
يجمع غريب الحديث فى أربعين سنة ، وابن قتيبة على
اثره . الهروى يجمع الغريبين (غريب القرآن وغريب
الحديث) . الزمخشري يؤلف (الفائق فى غريب
الحديث) . ابن الاثير الجزرى وكتاب النهاية فى
غريب الحديث والاثر . لهجات القبائل من خلال
الحديث (بين اليمينية والنزارية) .

الباب الثالث : الشعر

204 — 187

الفصل الاول : الشعر الجاهلي

دور الشعر والشاعر في الجاهلية . النقاد وحكام
الشعر . تأثر الشعراء بمعاني السابقين . الاسواق .
واذاعة اشعار القبائل .

تأريخ الشعر : رأي الاصمعي . رأي الجاحظ مناقشة الاراء 198

275 — 205

الفصل الثاني : الشعر في صدر الاسلام

تمهيد

الشعر في القرى . الهجرة الى المدينة . الشعر
الذي قيل في بدر ، ويوم أحد . يوم الرجيع ،
ويوم بئر معونة . غدر اليهود . في غزوة
الخنديق . من الوفود . في اعراض مختلفة
تتصل بالدعوة .

241

الشعر في عصر الراشدين

198

الشعر في البادية

شعر الاعشى ، قصة عامر بن الطفيل
تحليل لقصيدة كعب بن زهير

273

الصعلكة كصورة بدوية

332 — 277

الفصل الثالث : الشعر في العصر الاموي

277

تمهيد

278

شعر الفزل في الحجاز

282

الشعر في العراق

285

الهجاء

289

الخوارج

296

الشيعة

302

الشعوبية

313

الشعر السياسي

315

الاختلاف حول البيعة ليزيد

322

مناقشة ابن سلام الجمحي

333 — 420

الفصل الرابع : اتجاهات الرواة

334

ابو عمرو بن العلاء :

تضييق دائرة الاحتجاج - تفضيله للجاهليين -
اعرابية الشاعر وقربه من البادية الفصيحة -
تفضيله لدى الرمة - لماذا اخر الاخطل .

341

الاصمعي :

تمرسه بالشعر . صخبته لخلف الاحمر .
موازن الشعر عنده . تفضيله للقدامى . بشار
خاتمة الشعراء عنده . الاصمعي يحتج بالاخطل
وجرير والفرزدق والراعي . قد يعيب الاعرابي
القح لاسباب اثرت في سليقته ، وقد يطمئن
لرجل من الموالي نشأ وعاش في البادية . نقده
لدى الرمة وابي النجم . الاصمعي يستدرك على
شعر لزهير ، وامرئ القيس . رايه في صيغة
فعل وافعل .

ابو عبيدة : نزعتة العقلية ، استشهاده بزياد الاعجم ، تخريج 359

ذلك ، الشعر في كتاب الخيل ومقارنة مع كتاب الاصمعي

372

ابو زيد : كتاب النوادر

381

الصف الثاني في البصرة ، وعنايته بالشعر

390

الشعر في الكوفة : وفرته بها ، واسباب ذلك . حماد

الراوية ، بزرج العروضي ، ابو عمرو الشيباني

توثيق اللغة في الكوفة

400

ابن جني كصورة بغدادية

421 — 452

الفصل الخامس : مآخذ حول الشعر

421

شعراء فى ميزان الرواية :

عدى بن زيد وابو دؤاد الايادى ، ابن احمر
الباهلى ، أمية بن أبى الصلت ،

430

شعراء اسلاميون :

بشار بن برد ، ابو نواس ، ابن قيس الرقيات

437

هناك حول مبنى الشعر

الباب الرابع : العربى والمغرب من الكلام

455 — 488

الفصل الاول : كلام الاعراب

455

كلام الاعراب ومكانه فى مصادر العربية

456

دور الاعراب فى البصرة

الاصمعى وابو زيد يلحان فى سؤال الاعراب ،
ابو عمرو بن العلاء يجلب شبيل بن عزرة الضبمى
ويتلطف فى سؤال اعرابى محترم عن اشتقاق
اسم الخيل ، المنتجع يتكلم بلهجة بنى تميم ،
وابو مهدية على لهجة الحجازيين ، ابو الوجيه
العكلى يتكلم فى خصائص البادية ، اتهام ذى
الرمة بالتحضر ، الاعراب حول حلقات الدرس ،
لين الاعراب وفساد سليقتهم يطول مكثهم فى
الحضر ، علماء الرواية يكشفون سقطهم ، اعلان
الرواة الاعراب عن بداوتهم كرد فعل لظهور زيفهم ،
حديث ام الهيثم ، الوجه الحضرى للاعراب ،
الاعراب يصطنعون التعليم والتأليف والوراقة .

469

اعراب الكوفة

471

اعراب بغداد

475

طلب العربية من المربد والبادية :

الاتجاه الى المربد . الرحلة الى البادية . امثلة
من رحلات الاصمعي . الوان من علم البادية .

528 — 489

الفصل الثاني : الامثال

489	دور الامثال فى اللغة
492	المصنفون فى الامثال
493	امثال العرب للمفضل الضبى
496	الامثال لابي فيد مؤرج السدوسى
503	الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام
507	كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة
515	الامثال فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه
521	جمهرة الامثال لابي هلال العسكري
525	مجمع الامثال للميدانى

554 — 529

الفصل الثالث : العرب والدخيل

529	اولا — قبل الاسلام وفى طوره الاول
	برجستراسر يشير الى الدخيل فى كلام العرب .
	صورة وقوعه على السن العرب كما تخيله العلامة
	عبد القادر بن مصطفى المغربى . الفرق بين
	العرب والدخيل : عند الجواليقى ، السيوطى ،
	الشهاب الخفاجى ، وعبد القادر الجزائرى .
	هل يجوز الاشتقاق من العرب ، مناقشة ما جاء
	منه فى القرآن ، هل هو عربى ام عرب .

539

ثانيا — بعد الاسلام

	هل افلح السياج المضروب حول العربية .
	توسيع دائرة العرب بسبب الديوان والترجمة .
	تعريب الديوان . الترجمة . الخوارزمى يؤلف
	(مفاتيح العلوم : للتعريف بالمصطلحات) المتكلمون
	يستعينون بالاشتقاق ، والنحت ، والتعريب .
	المشتغلون بالطب . ورجال الفقه . آراء اللغويين .

فى العرب : سيبويه ، الزمخشري ، الحريري ،
كلمة بهرج كصورة للتعريب .

الباب الخامس : جمع اللغة

الفصل الاول : دواعى التعريف بالمفردات ، وبداية المعاجم 557 - 562

- 557 دواعى التعريف بالمفردات
558 الغريب والنوادر
560 جمع اللغة فى وحدات متجانسة : الموضوعات ،
الصفات ، الغريب المصنف

563 الفصل الثانى : المعاجم

563 كتاب العين :

المنهج كما يحكيه الليث بن المظفر . ترتيب
الابواب : امارات الدخيل ، مخارج الحروف
عند الخليل وسيبويه . كيف تلقى العلماء كتاب
العين ، ابو حاتم يحكى ان النضر انكر نسبة
الكتاب للخليل . ابن دريد ، ونفطويه ، وابن
درستويه ، واحمد بن فارس ممن ينسبون الكتاب
للخليل . السيرافى ، وابو الطيب اللغوى ، وابن
جنى يقولون ان الخليل بداه ولم يتمه . الكرملى .
وبراونلغ فى العصر الحديث ينسبون الكتاب
لليث . راي تعلق ، الكتاب للخليل فى مجموعه
لا فى جميعه . اتجاه ابن جنى . الآثار الفكرية
حول كتاب العين . تآثر العقلية البصرية عامة .
والخليل خاصة بالثقافات الاجنبية . هل الف
الخليل فائت العين . كيف استدرك عليه ابو
فيد ، والجهضمي ، والنضر . كتاب التكملة
للبيهقي . كتاب الحصائل لابى الازهر . مختصر
الزبيدي .

591

جمهرة اللغة :

ابن دريد ونشأته واستجابته لدعوة آل ميكال .
ملايسات وضع الجمهرة . ترتيب الجمهرة .
تعدد نسخ الجمهرة .

596

مقدمة لغوية ::

الحروف المستقلة بذاتها ، الحرف بين الحرفين
الحروف المصمتة ، والمدلقة ومخارجها ، حروف
الزوائد .

598

ملاحظ في كتاب الجمهرة :

يكتفى بذكر الشيء كما سمعه اذا لم يجد فيه
رايا . ما جاء في ذلك من الاتباع ، وبعض روايات
الخليل وقد يصرح بأنه لا يدرى صحته ، نظرت
الى الاضداد ، الشواهد ، الاستطراد ، الاحتجاج
بالحديث .

606

اللغات

609

المعرب والدخيل

609

المساهلة في ترتيب الكلمات

611

كتاب البارع

تعريف بأبي على القالى . كتاب البارع . العثور
على قطعتين من مخطوط البارع فيما يرجحه
أ. س. فلتن

615

تهذيب اللغة

نشأة الازهرى : وقوعه فى أسر القرامطة واثار ذلك ،
تعريفه بطبقات اللغويين ممن اعتمد عليهم ،
اسباب وضع الكتاب .

ترتيب التهذيب . صورة عامة . الاستثناس
بالحديث . رواية يحتاجون الى تعريف .

632

تاج اللغة وصحاح العربية

الجوهري والصحاح . ترتيب الصحاح .

صورة عامة :

الاستطراد . التماس المناسبة للكلام فى
المتشابه من الفرائد . البيان فى فعل وافعل .
ومن الفروق الدقيقة سببة وسبيطة . الاخرم
والاخرى . الوثاجة والوثارة . الفروق فى
المعانى باختلاف المصادر . اللغات .
اختصار والايضاح أجود . مختار الصحاح .

645

احمد بن فارس وكتابا المقاييس والمجمل

تعريف بابن فارس

كتاب المقاييس : تأثر ابن فارس بالثقاليب فى
كتاب العين ، وبلاشتقاق فى كتاب ابن دريد .
مناقشة نظرية المقاييس . كتاب المجمل . ترتيب
الكتاب . وجهة نظر .

658

ابن سيده وكتابا المخصص والمحكم

تعريف بابن سيده . آثاره .

المخصص ولماذا اشرنا اليه : جمع اللفظة بحسب
الموضوعات . كتب الصفات وكتاب النضر بن
شميل . ابو عبيد القاسم بن سلام وكتاب
الغريب المصنف . ابن السكيت وكتاب الالفاظ .
الاسكافى وكتاب مبادئ اللفظة . ابن سيده
وكتاب المخصص .

المحكم والمحيط الاعظم : اشادة ابن سيده بنفسه
وحملته على القدامى . ترتيب الكتاب . ملاحظات
فى المتن . بيان الفروق الدقيقة والفرائد .
هناك حول المحكم : الاستطراد ، والنقل عن
السابقين من غير اشارة اليهم .

673 الزمخشري ، واساس البلاغة

تعريف بالزمخشري ومؤلفاته . اساس البلاغة ،
وجهته فى التأليف . نموذج من كتاب اساس
البلاغة .

677 الصفانى والعباب

ترجمة الصفانى . التعريف بالعباب . منهج
المؤلف فيه . الصفانى يبين مراجعه ويتأنى فى
ضبط الحديث . نموذج من العباب .

682 ابن منظور ، ولسان العرب

تعريف بابن منظور ، واللسان . مصادر الكتاب
وترتيبه . التصحيف فى لسان العرب .

687 الفيروزبَادى والقاموس

تعريف بالمؤلف والكتاب . دوافع وضع القاموس .
منهج الفيروزبَادى ، الاختصار . دراسات حول
القاموس . الشذياق وكتاب الجاسوس على
القاموس . تصحيح القاموس ، وتقريظ
الزبيدى له .

695 الزبيدى وتاج العروس

تعريف بالزبيدى والتاج . عمل الزبيدى فى
التاج . هناك بسبب الجمع .

701	المراجع والمصادر
717	الفهارس العامة
719	١ - فهرس الاعلام ورجال السند
759	٢ - فهرس القبائل والشعوب والجماعات
765	٣ - فهرس البلدان والاماكن
771	٤ - فهرس الموضوعات



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
 المنظمة العامة لمكتبة الإسكندرية

2000 12 12 12 12

2000 12 12 12 12

